روائع الخطب المنبرية
للجمع والأعياد والمناسبات الدينية

(القسم الأول)

من إعداد الفقير إلى عفو الله

إبراهيم يحيى الدرسي وفقه الله

منشورات مركز الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، الذي أمدنا بالنعم، وأمتن علينا بالإحسان والكرم، نحمده على ما أوهب وأعطى، وله الشكر على ما قدر وقضى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند له ولا شبيه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المصطفى لتبليغ الرسالة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد:

فقد طلب مني بعض الإخوان الكرام، أن أجمع بعض الخطب التي كنت ألقيها في الجمع والأعياد والمناسبات، فأجبته إلى ما طلب، طلباً للثواب من الكريم الوهاب، ونفعاً للإخوان وغيرهم من الخطباء والأطلاب.

مع أن تلك الخطب قد ضل مني أكثرها وضاع، وبعضها كنت ألقيها ارتجالاً، وبعضها كانت مسجلة في أشرطة الكاسيت، أو في ذاكرة الجوال، فجمعت منها ما تمكنت من جمعه، وجعلته القسم الأول، وما تبقى فبصدد جمعه وترتيبه إن شاء الله تعالى في القسم الثاني.

والخطب التي قد ألقيتها كثيرة العدد، فإني بحمد الله تعالى – وتحدثاً بنعمته– ابتدأت الخطابة في الجامع الكبير بالحمزات، عام ١٤١٦هـ، وبقيت خطيباً فيه، إلى عام ١٤٢٨هـ، على انقطاع في بعض الجمع، إما لسفر أو وجود أحد من الإخوان يقوم بالنيابة، أو تقديم عالم أو ضيف مؤهل للخطابة، ثم حصول أمور وأحداث اضطرتني لترك الخطابة في ذلك الجامع بالكلية، بسبب مضايقات واعتراضات وعداءات ومنافسات من قِبَلِ عدة جهات، إما من حاسد، أو معاند، أو حاقد، وكان آخر خطبة خطبتها بعد وفاة مولانا الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي صلوات ربي وسلامه

عليه، في ١٠ من رمضان عام ١٤٢٨هـ، الذي كانت أكثر العداوات تنصب إليّ بسبب الإنتماء إليه، والإعتزاء في الجمعة إليه، بل والتصريح بذكر اسمه في الخطبة.

ثم إنه قام بالخطابة بعضُ طلبة العلم الذين لم تكن عندهم الكفاءة الكافية في الوقوف والثبات في وجوه كثير من أهل الشقاق، فرأوهم لقمة سائغة، وغنيمة باردة استطاعوا من خلالهم السيطرة على الجامع، بل وأخرجوهم منه وطردوهم بالقوة، وكانوا قد قاموا بمحاولات فاشلة، وشَنُّوا هجمات وحملات شرسة اتخذوها وقاموا به أيام قيامي بتلك المهمة، وبحمد الله لم يتمكنوا أثناء تواجدي، توفيقاً من الله تعالى لي، وإعانة منه وتثبيتاً لا بحولي وقوتي، بل بآؤوا بالفشل.

ولكنهم حين علموا بتركي لذلك، واعتزالي لما هنالك، وأنه قد قام به من هو ضعيف المنكبين، سرعان ما استطاعوا السيطرة على الجامع، وأخذوه في أول هجمة، وأسهل حملة، وأقرب وقت.

ثم هيء الله تعالى بالإنتقال من ذلك الجامع، وقمنا بمعونة الله تعالى ببناء جامع المجد بالحسينية بالحمزات، الذي أصبح هو المسجد الجامع، وأسسه المولى العلامة الحجة محمد بن عبد العظيم الحوثي، ووافق وبارك خطة بناءه المولى العلامة المجتهد عبد الرحمن بن حسين شايم المؤيدي، والمولى العلامة شرف الإسلام الحسين ين يحيى الحوثي، والسيد العلامة قاسم بن صلاح عامر، وغيرهم من العلماء الأعلام، ثم أصبح بحمد الله ومنه مجمعاً لأتباع العلماء، والمنتهجين نهج المولى الإمام الحجة مجدالدين المؤيدي، وقمت بالخطابة فيه برهة من الزمان، ولا زلت أعتاد الخطابة فيه في بعض الأحيان، ويقوم كوكبة من الطلبة المخلصين في الأوقات الأخرى.

فجمعت من تلك الخطب السابقة واللاحقة ما تيسر جمعه، وتمكنت منه، وسيتم إلحاق البقية إن شاء الله تعالى.

علماً أن الكتب في الخطب قد تعددت، وأساليب الخطباء فيها قد تنوعت، ولكل

خطيب أسلوبه وطريقته، ولكن يمتاز هذا المجموع المبارك بأنه منسق على حسب الأحداث والمناسبات والذكريات الهامة الحاصلة في كل شهر من شهور السنة، مع وضع الخطب الوعظية المناسبة واللائقة بتلك الأشهر، كشهر المحرم وربيع الأول ورجب ورمضان والحجة، على اختلاف العبادات، وتنوع الطاعات فيها، لكل شهر بما يصلح له، ويحسن أن يكون فيه، ويهتم به.

وقد جعلت للصلاة على النبي وآله -صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين- عدة صيغ، وجعلتها في آخر الكتاب، اختصاراً لحجم الكتاب، وسلامة من التكرير لها في آخر الخطبة الثانية، فالخطيب يختار الصيغة التي يحبها أو تروق له، أو ينوع الصيغ فيجعل في كل جمعة صيغة غير التي في الأولى.

تنبيه:

هذه الخطب المباركة تصلح أن تلقى على شكل محاضرات، أو دروس في المجامع والمناسبات، بأن يحذف آخر الخطبة الأولى وتوصل الثانية بالأولى، أو بأن يغير الخطيب أو المتكلم بعض الألفاظ والعبارات، أو يختصر منها على حسب تمكنه ومقدرته.

وأسأل الله أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم، سالماً من كل محبط وداء سقيم، وأستمد الدعاء من جميع الإخوان لي ولوالدي ولأولادي وأهلي ومشائخي في الدين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الأكرمين.

أولاً:

الخطب المتعلقة بشهر محرم

١- في أول السنة الهجرية حول محاسبة النفس

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ أَهْلِ الحَمْدِ والثَّنَاءِ، وَرَبِّ الأَرْضِ والسَّمَاءِ، وخَالِقِ الخَلْقِ وَالأَنَامِ، وَمُدَبِّرُ اللَّيَالِي والأَيَّامِ، ومقدِّرِ السنينَ والأعوامَ، الَّذِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَتُهِ، وَأَبْدَعْتْ كُلَّ خَلقٍ حِكْمَتُهُ، وَقَهَرَ كُلَّ ذِي سُلْطَانٍ سُلْطَانُهُ، وَبَهَرَ كُلَّ بُرْهَانٍ بُرْهَانُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً أَوْجَبَهَا حُكْمُ الْمِلَّةِ، وَكَلِمَةً صَدَّقَهَا وَاضِحُ الأَدِلَّةِ.

وأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الأَمِينُ الْمَيْمُونُ، أَرْسَلَهُ هَادِيَاً لِخَلْقِهِ، وَدَاعِيَاً إِلَى حَقِّهِ، فَأَدَّى الرِّسَالَةَ، وَأَقَامَ الدَّلَالَةَ، وَدَعَا إِلَى دَارِ النَّعِيمِ، وَهَدَى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَبْرَارِ، وَعِتْرَتِهِ الأَطْهَارِ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

ها نحن نعيش في آخر يوم وآخر جمعة من هذا العام، الذي أوشك رحيله، وبعد ساعات قليلة ينتهي عام ١٤٣٥هـ، ونبدأ في عام جديد، فكأننا نعبر جسراً أو قنطرة لننتقل من مرحلة إلى أخرى، ومن منطقة إلى منطقة، فنحن بين خطوتين، خطوة نودع بها، وأخرى نستقبل بها، فها نحن نقف مودعين ومستقبلين، مودعين عاماً كاملاً قد أودع كل واحد منا فيه ما أودع من خير أو شر، فخزائن بعضنا ملأى بما هو له، وخزائن بعضنا ملأى بما هو عليه، كما يقول الله تعالى: {يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار}، ويقول تعالى: {وتلك الأيام نداولها بين الناس}.

فها هو عامنا الماضي يطوي بساط أيامه، ويقوض أركان خيامه، ويشد رحاله، عام كامل من أعمارنا، تصرمت أيامه، وتفرقت أوصاله، وقد حوى في ثناياه حِكماً وعبراً، وأحداثاً وعظاتاً بليغة، وتصرم الأعوام يقرب من الساعة، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

(ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. فإن اليوم عمل ولاحساب، وغداً حساب ولا عمل).

نسير إلى الآجال في كل لحظة وأعمارنا تطوى وهنَّ مراحل

ترحل من الدنيا بزاد من التقى فعمرك أيام وهن قلائل

انتهى هذا العام بأحداثه، بأفراحه وأتراحه، فما أسرع ما مضى وانقضى، وما أعظم ما حوى، فكم شقي فيه أناسٌ، وكم سَعُد فيه آخرون؟ كم من دار فرحت بمولود، وأخرى عزيت بمفقود، كم من طفل فيه تيتم، وكم من امرأة فيه ترملت، كم من مريض تعافى، وسليم في التراب توارى، كم من أهل بيت شيعوا مَيِّتاً لهُم، وآخرون يزفون عروسَهم، كم من آلام انقلبت فيه أفراحاً، وأفراح انقلبت فيه أتراحاً، وكم من حبيب فارقنا، وكم من اختبار وبلاء واجهنا، وكم من سيئات اجترحنا، وكم من عزيز أمسى فيه ذليلاً، وكم من غني أصبح فيه فقيراً، وكم من حوادث عظام مرت بنا، ولكن أين المعتبرون والمتعظون؟!، وأين الناظرون والمفكرون؟!، أيام تمر على أصحابها كالأعوام، وأعوام تمر على أصحابها كالأيام، أمور تتابع، وأحوال تتغير، تزيد العاقل عظة وعبرة، وتنبه الجاهل من سبات الغفلة، ومن لم يعتبر بما يجري حوله، فقد غَبَنَ نفسه.

أيها المؤمنون:

تختلف أحوال الناس في انسلاخ العام، فمنهم من يفرح، ومنهم من يحزن، ومنهم من لا يدري أخرج عام أم لا؟ فمن كان يترقب منفعة أو مصلحة دنيوية مستقبلة يفرح بمرور عام، لأنه يقترب من حاجته ومنفعته، ومن كان يترقب أو ينتظر سوءً أو شراً أو ضرراً تراه يحزن لاقتراب الشيء المخوف منه، ولكن أفراحنا وأحزاننا كلَّها تتجه في اتجاه واحد، وتصب في مكان واحد، وهو النظر إلى الدنيا، فنجعل أفراحنا وأحزاننا من أجلها، ونحن في غفلة عظيمة عن الفرح أو الحزن من أجل المقصد الأسمى وهو المقصد الأخروي، فمن يفرح بقطع الأيام والأعوام دون اعتبار وحساب لما يترتب على ذلك هو من أهل الغفلة العظيمة.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم مضى يدني من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً ... فإنما الربح والخسران في العمل

فالعاقل من اعتبر بالأمس الماضي، وجد واجتهد في اليوم الحالي، واستعد ليعمل في الغد الآتي.

أيها المؤمنون: إن الليالي والأيام تبلي الجديد وتقرب البعيد، فهي خزائن الأعمال، ومراحل الأعمار، فانظر أيها المؤمن في صحائف أيامك التي مضت، ماذا قدمت فيها لآخرتك، واختَلِ بنفسك وحاسبها، على الصغير والكبير من أعمالها، خذ بزمام نفسك وضيّق خناقها، وسآئلها مسآئلة التحقيق، وحاسبها محاسبة الشريك.

انظر في ماذا تكلم اللسان، ورأت العينان، وسمعت الأذنان؟، وأين مشت القدمان؟، وبمن بطشت اليدان؟، حاسب نفسك على إهمال وتضييع الفرائض والواجبات، وعلى ارتكاب المحرمات والمنهيات، حاسب نفسك على الغفلات، وتضييع الأوقات، وفوات الشهور والأسابيع والساعات، فإن الليل والنهار مطيتان، يباعدان من الدنيا ويقربان من الآخرة، ويحثان بنا السير إلى الآخرة.

فطوبى لعبد انتفع بوقته، وحرص على عمره، فاستقبل عامه الجديد بمحاسبة نفسه، فتحسر وندم على تفريطه فيما مضى، وتاب إلى الله عز وجل وعزم على الهدى، وجعل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)) نصب عينيه، وحرص على كل أوقات عمره ألا تفوت إلا في خير وعمل حسن، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله))، وطوبى لمن استعان بالله تعالى بالدعاء والتضرع، وهو يدعو بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((اللهم اجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر)).

أيها المؤمنون:

تتجدد الأعوام فنقول في أنفسنا: إن أمامنا عاماً جديداً ونراه طويلاً، نؤمل فيه آمالاً،

وننوي فيه أعمالاً، ولكن سرعان ما ينقضي قبل أن نحصل على شيء من ذلك، فلا نحن استفدنا في الدنيا، ولا نحن عملنا للآخرة، فلا ذا تأتى ولا ذا حصل.

فعلينا أن نقف مع أنفسنا موقف الصدق والصراحة، وأن نحاسبها قبل أن تحاسب، وأن نزن أعمالنا قبل أن توزن، فإذا كان أصحاب رؤوس الأموال والأعمال وأرباب الدنيا يجعلون المحاسبة والتدقيق والمراجعة من أهم المراحل الإدارية، لتستمر أعمالهم وتسير إلى الأحسن والأفضل، فإذا وجدوا خللاً سدوه، أو فساداً أصلحوه، فيجعلون المحاسبة وسيلة إلى بناء أعمالهم وترقيتها إلى الأحسن، فبدون المحاسبة تكون مصالحهم عرضة للفشل والزوال، هذا في إدارة الشؤون الدنيوية، فما بالك أيها الإنسان المسكين الضعيف وأنت تقطع مراحل حياتك للقاء ربك، كيف سيكون ذلك اللقاء إذا لم تكن منسقاً معداً له أحسن إعداد، لأنه نتيجة نهائية، فإما فوز ونجاة، وإما خسارة وعذاب.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله نحمدُهُ ونستعينُه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، حمداً يكون أرضى الحمد له، وأتم الحمد لديه.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة لدينه.

أما بعد: أيها المؤمنون:

إن الله تعالى يأمرنا بأن نحاسب أنفسنا، حيث يقول في وصف المؤمنين الذين يحاسبون أنفسهم عند الزلّة والتقصير ويرجعون عمّا وقعوا فيه من الخطأ: **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ}**، ويقول تعالى: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}**، فالمؤمن إذا أمعن النظر في الآية الكريمة، وتأملها تأملاً صحيحاً، فهو كفيل بأن يوقظ الإنسان وينبهه على مواضع الضعف عنده، ومواضع النقص لديه، ومواضع التقصير فيه، فالتأمل والتفكر يفتح أمام الإنسان صفحة أعماله بل صفحات حياته كلها، ويمدّ ببصره في سطورها كلّها يتأمّلها، وينظر رصيد حسابه مجملاً وتفصيلاً، لينظر ماذا قدّم لغده في صفحات هذه الحياة، كيفما كان قد أسلف من خير أو شر، فإن كان تعب واجتهد في الخير فهو حاث له على الإستمرار، وإن كان في الشر فهو تنبيه له على التوبة وترك الإصرار، فإذا كان رصيدُه من الخير قليلاً كثره، وإذا كان رصيده من الشر كثيراً أصلحه؟! ففي هذه الآية لمسةٌ إيمانية لا ينام بعدها القلب أبداً، ولا يكفّ عن النظر والتقليب والمحاسبة.

كما روي عن الحسن البصري رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: **{وَلاَ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ}** قال: لا يُلقى المؤمنُ إلا يعاتبُ نفسه: ماذا أردتُ بكلمتي؟ ماذا أردتُ بأكلتي؟

ماذا أردت بشربتي؟ والفاجرُ يمضي قُدُماً لا يعاتب نفسه.

وقال الحسن البصري: المؤمن قوّام على نفسه يحاسبها لله، وإنّما خفّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنّما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.

وقال أحد الصالحين: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسبَ نفسَه أشدَّ من محاسبةِ شريكه.

فالمحاسبة: معناها: أن يتصفّحَ الإنسانُ في ليله ما صدر من أفعاله في النهار، فإن كان محموداً أمضاه، وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل.

ومن المحاسبة أيضاً: التثبّتُ في جميع الأحوال قبل الفعل والترك من العقد بالضمير، أو الفعل بالجارحة؛ حتى يتبيّن لك ما تفعل وما تترك، فإن تبيّن له ما كره الله تركه وجانبَه بعقد ضمير قلبه، وكفّ جوارحه عمّا كرهه الله، ومَنَع نفسه من ترك الفرض، وسارع إلى أدائه.

أيها المؤمنون: إن لمحاسبة النفس فوائد كثيرة، تعود على الإنسان بالخير في دينه ودنياه وآخرته:

فمنها: معرفة الإنسان بقدر نفسه، من حيثُ الإطلاعِ على عيوب النفس ونقائصها، فمن اطلع على عيوب نفسه، نَزَّل نفسه المنزلة الحقيقة، وما من شك أنّ معرفة العبد قدر نفسه تورثه تذلّلاً لله وعبودية عظيمة، فلا يمنّ بعمله مهما عظُم، ولا يحتقر ذنبه مهما صغر.

ومنها: معرفة حق الله تعالى عليك وعظيم فضله ومنّه؛ وذلك عندما ينظر في نعمة الله عليه وينظر في تفريطه في طاعة الله، فيكون ذلك رادعاً له عن كل فعل قبيح؛ ويعلم عند ذلك أن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته، ويتيقّن أن من حقّ الله تعالى: أن يطاعَ فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

ومنها: أن المحاسبة تزكي النفس وتطهرها من الذنوب، وتلزمها أمر الله، ومن زكى نفسه فقد نجّاها، كما قال تعالى: **{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}**، قال بعض السلف: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألستِ صاحبةَ كذا؟ ألستِ صاحبةَ كذا؟ ثم ذمّها،

ثم خَطَمَها، ثم ألزمها كتاب الله، فكان لها قائداً.

ومن فوائد المحاسبة: أنها تربّي عند الإنسان الضمير الحي، وتنمّي في ذاته الشعور بالمسؤولية، وتدعوه إلى ضبط الأعمال والتصرّفات بضابط دقيق هو الشرع.

ومن لم يحاسب نفسه فسيغرقها في لجج من بحار الفساد والهلاك، وينتهي إلى خسران في نار وقودها الناس والحجارة، لأن الفساد والضلال في المجتمعات والأفراد لا يحصل إلا إذا أصبح الفرد أو المجتمع لا يتوقع سؤالاً، ولا يخاف حساباً من أحد على أي تصرف أو عمل، فينطلقون في حركاتهم كما يحبون، ويموجون كما يشتهون، فيتقلبون على الحياة ودروبها بلا زمام ولا خطام، فيتشبهون بأهل النار كما حكى الله عنهم بقوله **{إِنَّهُمْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً وَكَذَّبُواْ بِئَايَٰتِنَا كِذَّاباً}**.

قال بعض العلماء: أضرّ ما على المكلّف الإهمال وترك المحاسبة، والإسترسال، وتسهيل الأمور وتمشيتُها؛ فإن هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذا حال أهل الغرور: يغمض عينيه عن العواقب، ويُمشّي الحال، ويتكل على العفو، فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب وأنسَ بها وعسر عليه فطامها.

والنفس كالطفل إن تُهْمِلْهُ شَبَّ على ... حبِّ الرضاع وإن تفطِمْهُ ينفَطِمِ

فاحذرْ هواها وحاذِرْ أن تولِّيَه ... إنَّ الهوى ما تولَّى يُعْمِ أو يُصِمِ

وراعِها وهي في الأعمال سائمةً ... وإن هي استحلت المرعى فلا تَسُمِ

كم حَسَّنت لذةً للمرء قاتلةً ... من حيث لم يدر أن السُّمَّ في

وخالِفِ النفسَ والشيطانَ واعصِهِمَا ... وإن هما محضاك النصحَ فاتَّهِمِ

أيها المؤمنون: إن المحاسبة للنفس لها طرق وأساليب ولها أنواع:

فمنها: المحاسبة قبل العمل، وهي: أن يقف عند عزمه وإرادته على الفعل، ولا يبادر بالعمل حتى يتبيّن له رجحان الفعل على الترك، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ((إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يك خيراً فاتبعه، وإن يك شراً فدعه)). وقد كان بعض الصالحين إذا

أراد أن يتصدّق بصدقة تثبّت؛ فإن كانت لله أمضاها، وإن كانت لغيره توقّف.

ومنها: المحاسبة على التقصير في الطاعات، وذلك يكون بأن يسأل نفسه على الدوام: هل أديتُ هذه الفريضة على الوجه الأكمل مخلصاً لله، طالباً ثواب الله، بدون رياء ولا سمعة، فإن رأى الإنسان تقصيراً في جانب الطاعات، وكلنا مقصرون جداً، فعليه أن يكثر من النوافل فإنها تَرقَعُ النقصَ في الفريضة، وتزيد لدى العبد جانب العبادة، ومن جاهد نفسه وأكثر اللّوم لها فإنه يزول عنه التقصير في الطاعات إلى درجة كبيرة.

ومنها: المحاسبة للنفس على فعل المعصية، ويكون ذلك بأن يقايس العبد بين نعمة الله عز وجل وبين جنايته ومعصيته؛ فيظهر للعبد الفرق الكبير، والتفاوت العظيم، فيعلم عند ذلك أنه ليس إلا عفوُه ورحمتُه أو الهلاكُ والعطبُ، ثم ينتقل إلى العمل على تكفير تلك المعصية، فيتدارك نفسه بالتوبة النصوح وبالاستغفار والحسنات الماحيةِ والمذهبة للسيئات، كما قال تعالى: **{إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ}**.

فالبدارَ البدارَ يا عبد الله قبل أن يُختم لك بخاتمة سوء وأنت مُصِرّ على تلك المعصية ولم تتبْ منها، وتذكّر الحشرَ والنّشر وهوْلَ جهنّم وما أعدّه الله للعصاة والفسقة من الأغلال والحديد، والزقوم والصديد، في نارٍ وعذاب شديد، قال فيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أهون أهل النار عذاباً رجل انتعل نعلين يغلي منهما دماغه)).

ومنها: محاسبة النفس على فعل كان تركُه خيراً من فعله، أو على أمرٍ مباح، ما سبب فعلِه له؟ فيُوجّه لنفسه أسئلة متكرّرة: لِمَ فعلتُ هذا الأمر؟ ألم يكن الخيرُ في تركه؟ وما الفائدة التي حصلت عليها منه؟ وهل هذا العمل يزيد في حسناتي؟ ونحو ذلك من الأسئلة التي فيها عتاب للنفس.

وأمّا المباح فينظر العبد: هل أردَ به وجه الله والدار الآخرة فيكون ذلك ربحاً له؟ أو فعله عادةً وتقليداً بلا نيّةٍ صالحة ولا قصدٍ في المثوبة؛ فيكون مضيعة للوقت على حساب ما هو أنفع وأنجح؟ ثم ينظر بعد عمله لذلك المباح، فيلاحظ تأثيره على الطاعات الأخرى من تقليلها أو إضعافه عن فعلها، وهل كان له أثرٌ في قسوة القلب وزيادة الغفلة؛

فكلّ هذه الأسئلة غايةٌ في الأهمية حتى يسير العبد في طريقه إلى الله على بصيرة ونور.

وما أروع ما قاله الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في وصف المراقبة والمحاسبة، حيث يقول عليه السلام: من راقب الله في الخلوات، أجاب له الدعوات، المراقبة تورث المحاسبة، راقب مولاك في الليل إذا دجاك، وفي النهار إذا أضاك، يعصمك من هواك.

اذكر نظر الله إليك، ولا تنسَ طاعته عليك، أما تعلم أن الرب إليك ناظر، وعليك في كل الأحوال قادر، أما تعلم أن مولاك يراك، ويسمع سرك ونجواك؟ ويعلم منقلبك ومثواك؟

أرخيت عليك الأستار، وأخفيت ذنوبك عن الجار، وبارزت الجبار، بالمعاصي الكبار، وجمعت الذنوب والأوزار، وشهد عليك الليل والنهار، والملائكة الحضار، أما تخاف عقوبة الجبار؟ والخلود في النار؟ إلى كم تتستر عن أعين الناظرين، وقد شاهدك أقدر القادرين؟ كم تخاف من المخلوق وتستخفي؟ ولا تخاف الخالق ولا تستحيي؟ كم تنقض العهود وتستخف بالشهود؟ كم تجتريء على المعبود؟ ويعود عليك ولا تعود؟ كم رآك على المعاصي وستر؟ واطلع منك على القبائح وما نشر؟ وغطى عليك وما شهر؟

أما تذكر قبائِحَك؟ أنسيت فضائِحَك؟ أما تخاف من ذنوبك؟ أما تزدجر من عيوبك؟ أغفلت عن الداهية؟ ألم تخفِ الهاوية؟ أنسيت من لا يخفى عليه خافية؟

قد اطلع عليك مراراً، وأسبل عليك أستاراً، وبارزته غير مرة فستر وعفا، ونقضت ما عاهدته عليه ووفى، ولو شاء لأمطر عليك الحجارة من الهوى، وسلب منك العطاء، وكشف عنك الغطاء، وأطلع عليك عباده، وضيق عليك بلاده، وبدل اسمك، وغَيَّرَ جسمك، هب أنه ستر عليك في الدنيا، فماذا تعتذر في العقبى؟ هب أنه تجاوز وعفا، أليس قد خُيِّرت ووفى؟ ألم تستحِ من خالق الأرض والسماء، ألم تستحِ من الحفظة الكرام، ألم تخف من لا يتغاضى ولا ينام ولا يضام، فيا حياك من قلة الحياء.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، إنه على كل شيء قدير.

٢- حول بداية السنة الهجرية

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ أَهْلِ الحَمْدِ والثَّنَاءِ، وَرَبِّ الأَرْضِ والسَّمَاءِ، وخَالِقِ الخَلْقِ وَالأَنَامِ، وَمُدَبِّرُ اللَّيَالِي والأَيَّامِ، ومقدِّرِ السنينَ والأعوامَ، الَّذِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَتُهِ، وَأَبْدَعْتْ كُلَّ خَلقٍ حِكْمَتُهُ، وَقَهَرَ كُلَّ ذِي سُلْطَانٍ سُلْطَانُهُ، وَبَهَرَ كُلَّ بُرْهَانٍ بُرْهَانُهُ.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً أَوْجَبَهَا حُكْمُ الْمِلَّةِ، وَكَلِمَةً صَدَّقَهَا وَاضِحُ الأَدِلَّةِ.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، المنتجبُ المصطفى، صلى الله عليه وعلى آله ما بقي الأنام، وتعاقبت الأيام، وتناوبت الأعوام، وما خطرت الأوهام، وتدبرت الأفهام.

أما بعد: أيها المؤمنون: ها نحن نعيش في بداية سنة هجرية جديدة، تذكرنا بأمور هامة تتعلق بتاريخ الأمة الإسلامية، ولا ينبغي أن نهمل تلك الأمور، فهناك ثلاث من القضايا الهامة التي تتعلق ببداية السنة الهجرية، لا بد أن نتأملها بعين الإنصاف، وأن نهتم بها جيداً:

القضية الأولى: كيف نقضي عامنا الجديد المقبل؟

إن كل نَفَسٍ وكلَّ لحظة ودقيقة وساعة ويوم وليلة وأسبوع وشهر وعام يمر ويمضي فهو جزء من أعمارنا وحياتنا يفنى ولا يتبدل، فعلينا أن ننظر في أي شيء يفوت من ذلك الجزء والوقت، هل في طاعة أو في معصية أو في مباح؟ فعلينا أن نرتب لنا وظائف وأعمالاً في الليل والنهار، وأن نُعَيِّن لكل وقت شغلاً لا يتعداه، ولا نشتغل فيه بسواه، فبذلك تظهر لنا البركة في الأوقات.

فالوقت عبارة عن العمر، والعمر هو رأس المال، وعليه مدار تجارتنا مع ربنا، وبه وصولنا إلى نعيم الأبد، فكل نَفَسٍ من أنفاسنا جوهر لا تقدر قيمته؛ إذ لا بَدَلَ له، وإذا فات فلا عودة

ولا رجوع له؛ فلا نكون كالحمقى الذين يفرحون في كل يوم بزيادة أموالهم وإن نقصت أعمارهم، وأي خير في مال يزيد وعمر ينقص، فالفرح الحقيقي لا يكون إلا بزيادة علم أو عمل صالح، لأنهما الرفيقان لنا في القبر، حيث يتخلف عنا الأهلون والأموال والأولاد والأصدقاء.

لو فكرنا في أنفسنا تفكيراً سليماً، لنجحنا نجاحاً عظيماً، فإن الليل والنهار أربعٌ وعشرون ساعة، فلينظر كل واحد منا في ماذا تمضي هذه الساعات، فالنوم يستغرق منا ثمانَ ساعات مثلاً، هي ثلث اليوم والليلة نقضيها في مباح لم نكسب فيه علماً ولا عملاً، ونضيع ثمان ساعات على الأقل في طلب الرزق والمعاش فيضيع الثلث الثاني، بلا كسب صالح بل أقل الحالات أن نكون فيها سالمين لم نكسب إثماً، فلم يبق معنا سوى ثلث اليوم فلننظر كم نقضي منه في الطاعة، وكم في الأكل والشرب؟ ومع الأهلك والأولاد والأصحاب، فإذا كنت مثلاً تقضي نصف الثلث الباقي في الطاعة وهو أربع ساعات، والنصف الثاني في المباحات، فإنك لو عمرت خمساً وسبعين عاماً مثلاً، فإن خمسة عشر عاماً تقريباً قبل البلوغ، بقي ستون عاماً، يضيع ثلثها في النوم وهو عشرون عاماً، ويضيع الثلث الثاني في طلب الرزق والمعاش وهو عشرون عاماً، والمتبقي عشرون، تقضي نصفها في الطاعة وهو عشرة أعوام، ونصفها في الأكل والشرب ومع الأهل والأولاد والأصحاب، فقد نفد العمر والوقت هباء منثوراً.

فتفكر أخي المسلم في عمرك القصير كيف يضيع كله، وإن عشت مائة سنة فهي قليل بالنسبة إلى دار الآخرة التي هي أبد الأبد، والأمر الذي يجعل الإنسان مجداً في الطاعة هو قصر الأمل وتذكر الموت، فإن الموت لا يهجم في وقت مخصوص وسنين مخصوصة، وحال مخصوصة، فقدِّر هذا على قلبك، فلا بد من هجومه، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا وأنت تعلم أنك لا تبقى فيها إلا مدة يسيرة، ولعله لم يبق من عمرك إلا نَفَسٌ أو ساعة أو يوم، وقرر هذا في قلبك كل يوم، وكلف نفسك الصبر فيها على طاعة الله تعالى يوماً فيوم، فإنك لو قدرت البقاء خمسين سنة، وألزمت نفسك الصبر فيها على طاعة الله تعالى ثقل ذلك واستصعب، ولكن إذا استحضرت الموت وقدرت هجومه في كل حال، فإن كنت في النهار قدرت أنك لا تمسي، وإن كنت في الليل قدرت أنك لا تصبح، فهذا يجعلك مجداً في الطاعة، نشيطاً في العبادة، بعيداً عن

المعصية، فعلينا أن نجدول حياتنا اليومية، ونوظف أوقاتنا وننظمها كي لا تضيع.

وأما القضية الثانية: فهي حدثٌ عظيمٌ من خلاله تغيَّرَ وجهُ العالَم، إنه حدثُ الهجرة النبوية، الذي يعد معلماً بارزًا وحدثاً هاماً في الإسلام، وكان تحولاً جذريًا في طريق الدعوة إلى الله، وفي كيفية التعامل مع المعارضين لها، لقد كانت الهجرة مقدمة لنصر عظيم للإسلام وأهله، بلغ قبل نهاية المائة الأولى منها إلى أكثر من ثلث الأرض.

فحينما خرج المصطفى صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله من مكةَ مظلوماً مقهوراً مشردَاً مطرودَاً إلى طيبةَ الطيبةِ البلدةِ المباركة، أسَّسَ فيها دولةَ الإسلام، وهيّأ فيها رجالاً ربَّاهم فأحسنَ تربيتهم، وأدَّبهم فأحسنَ تأديبهم، يدعون إلى الله، وينصرون رسولَه، يدفعون عنه أذى الكفار، حتى يبلِّغَ دينَ الله الذي أمره أن يبلغه للعالمين: {لأنذركم به ومن بلغ}، فبلغ رسالة ربه حتى أتاه اليقين، وترك الناس على المحجة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وفي هذا الحدث العظيم من الدروس والعبر ما لو استشعرته الأمةُ الإسلام اليوم وعملت على ضوئه لتحقق لها عزُها وكرامتها، وقوتها ومكانتها، ولَعَلِمَت علمَ اليقين أنه لا حلَّ لمشاكلها، ولا صلاحَ لأحوالها إلا بالتمسك بإسلامها، والتزامها بإيمانها وعقيدتها، فواللهِ ما قامت الدنيا إلا بقيام الدِّين، ولا نال المسلمون العزة والكرامة إلا حين خضعوا لربِّ العالمين، وهيهات أن يحلَ أمنٌ أو رخاءٌ أو سلامٌ دون اتباع نهج الأنبياء والمرسلين، والأئمة الهادين.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم{قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله نحمدُهُ ونستعينُه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، حمداً يكون أرضى الحمد له، وأتم الحمد لديه.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة.

أما بعد: أيها المؤمنون:القضية الثالثة: تعبرُ عن شخصية هذه الأمة واستقلالِ أتباعها عن غيرهم من سائر الأمم والملل، وهي قضيةُ التاريخ الهجري، لو تسآلنا عن كيفية وضع هذا التاريخ ومعناه وأهميتِه، ولماذا يؤرخ المسلمون به؟.

فقد كان أهل الجاهلية يؤرخون بأيام العرب وأحداثها الكبار، كعام الفيل وحرب البسوس وغيرها، وقد أشار القرآن الكريم إلى تاريخ هذا الأمة في قوله تعالى {لمسجد أسس على التقوى من أول يوم}، والمعلوم أنه ليس أول الأيام كلها، ولم يضف يوم إلى لفظ ظاهر، فهو مضاف إلى مضمر، وهو أول يوم من الهجرة.

وأيضاً: فإن الصحابة اجتمعوا وتشاوروا في خلافة عمر في السنة السابعة عشرة من الهجرة في أمر التاريخ الإسلامي بماذا يؤرخون، فمنهم من قال: بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من قال: ببعثته، ومنهم: بهجرته، ومنهم: بموته، ثم اجتمع رأيهم على أن يكون بالهجرة من مكة إلى المدينة، لأنها السنة التي كان فيها قيام كيان مستقل للمسلمين، وفيها تكوين أول بلد إسلامي يسيطر عليه المسلمون.

ثم تشاوروا في أي الأشهر يبدأ التاريخ؟ فقال بعضهم: من رمضان، وقال آخرون: من ربيع الأول، وقال بعضهم: من المحرم، فاتفقوا على المحرم؛ لأنه شهر حرام، ولأنه يلي ذا الحجة الذي فيه أداء الناس حجهم، الذي به تمام أركان الإسلام لأن الحج آخر ما فرض من الأركان الخمسة، ولأنه الشهر الذي بايع فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأنصار

على الهجرة، وتلك المبايعة من مقدمات الهجرة، فكان أولى الشهور بالأولية شهر الله المحرم.

فالتاريخ الهجري تاريخ مرتبط بالدين ووُضِع من أجله، فبه تربط أحوال الزكاة، وآجال الديون، والرهان، وعدة المرأة، ومُدة الإحداد والإيلاء وغير ذلك؛ ولذا قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ}**، وهو متعلقٌ بمناسباتٍ دينيةٍ عظيمةٍ تتكررُ كلَّ عام، من صيامٍ وزكاةٍ وحجٍ وغيرها، وهو مرتبط بالشهر القمري الذي هو ظاهر للناس كافة، معلوم وقت دخوله ووقت خروجه، يعرفه المتعلم والعامي والأمي، والذي في القرى بين الناس والذي في البادية لوحده، وهذا من رحمة الله وتيسيره لعباده.

فالتاريخ المعمول به بين المسلمين هو الهجري فينبغي أن لا يلتفت المسلمون إلى غيره من التواريخ الأخرى، لأننا أمة متميزة، لكن لما دبَّ الوهن والضعف في الأمة الإسلامية وأصابها العجز والكسل وتسلط عليها أعداؤها وأذنابهم من المنافقين سلكوا طريق استبدال التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي؛ مدَّعين بأن التاريخ الميلادي منظّم ومعروف لسنين قادمة، والعالم كله يؤرّخ به، بينما الهجري مرتبط بالقمر ويصعب الاعتماد عليه، وهذا كذب وبهتان؛ فإن التاريخ الميلادي لا يمكن أن يحل محل التاريخ الهجري؛ لما بينهما من تباين واختلاف يمس جانب الدين والهوية.

أما جانب الدين: فإن الميلادي مرتبط بدينين باطلين:

أولها: الوثنية الرومانية، فإن الأشهر الغربية يناير وفبراير معناها تمجيد الآلهة الأسطورية للرومان، وتمجيد لاثنين من القادة المحبوبين الرومانيين، فيناير مأخوذ من (يانوس) الذي هو إله الشمس عندهم، ومارس اسم إله الحرب، ومايو اسم آلهَة الخصب، ويونيو اسم آلهَة القمر، أما يوليو فهو اسم للقيصر كاليوس يوليوس، وكذا أغسطس اسم أحد القياصرة، والأَشْهُرُ التي تحمل أسماء الآلهة المزعومة والقادة المحبوبين جعلوا أيامها تكتمل إلى واحد وثلاثين يومًا من باب التفاؤل، والأخرى تحمل ثلاثين يوماً لأنهم يتشاءمون من الأعداد الزوجية، أما أغسطس فإنه الشهر الثامن وكان ثلاثين يوماً، ولكنهم جعلوه

واحدًا وثلاثين يومًا لكي لا يشعر أغسطس أنه أقل منزلة من يوليوس.

أما الدين الثاني الباطل: الذي ارتبط به التاريخ الميلادي فهو دين النصرانية، فقد اعتمدوا التقويم الروماني بعد اجتماع لمجمع الكنيسة النصرانية أقر فيه الاعتماد عليه، ثم رُبط بعد ذلك بميلاد المسيح عليه السلام، وذلك في القرن السادس أو الثامن من ميلاد المسيح، ومن هنا نعلم أن نسبة هذا التاريخ إلى ميلاد المسيح نسبة غير صحيحة، جاءت متأخرة جداً عن ميلاده، وقد حصلت تغييرات أخرى على هذا التاريخ، فهو وضعي، ومبني على غير أساس فإن القياصرة والباباوات تُغير فيه على حسب ما ترى.

وأما جانب الهوية: فالتاريخ الهجري تاريخ يرتبط بقضايا إسلامية خاصة بالمسلمين، بخلاف غيره من التواريخ.

أيها المؤمنون: التاريخ الهجري هو تاريخ المسلمين المعتمد الذي عمل به المسلمون قديماً وحديثاً، وهو من شعائر أهل الإسلام، فالرغبة عنه إلى غيره من تواريخ الشرق أو الغرب خطأ كبير، وإهمال فادح.

إننا وإن ابتلينا بهذا التاريخ النصراني، وارتبطت به الكثير من المصالح، فعلى الأقل لا بد أن نلتزم بذكر تاريخنا في حياتنا اليومية، وأن نبدأ به مراسلاتنا ومواعيدنا، وأن نعلمه أبناءنا وبناتنا، ونتذاكر به جميعاً.

فلا بد أن يلتزم المسلمون بتاريخهم، فإن كل أمة تعتز بتاريخها وتحافظ عليه، إلا أمة الإسلام، تهاونت في تاريخها، وما ذلك إلا مظهر من مظاهر تركها لمبادئها، وهو من نتائج الهزيمة النفسية التي سيطرت على المسلمين أفراداً وجماعات، فنسيان هذا التاريخ يعني ذوبان جزءٍ من هوية هذه الأمة، وطغيان الهوية الغربية عليها.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

٣- حول مقتل الحسين

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم الأدلة على الحق والقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياء والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: لقد كانت فاجعة الحسين أفظع وأبشع فاجعة في تاريخ البشرية، فلم يسبق لها مثيل، ولن يأتي لها نظير، ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخيار أهل بيته وأصحابه تسيل دماؤهم وتسفك وتهدر، لأجل إرضاء أرباب الخنا والفساد والفسق والخمور، تصطف عشرات الألاف صفوفاً شاهرين لسيوفهم، مشرعين لأرماحهم، مادين لأقواسهم ونبالهم في وجوه طائفة لا يصل عددهم المائة فيهم النساء والصبيان والضعفة والمرضى، بل سجل لنا التاريخ فيها منتهى الوقاحة والغلظة.

وهنا كلام من خطبة للحسين عليه السلام تبين بعضاً من أسباب خروجه قال فيه: أيها الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعمل في العباد بالإثم والعدوان، فلم يغير بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وإني أحق بهذا الأمر لقرابتي من رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أتتني كتبكم، وقدمت علي رسلكم ببيعتكم: أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظكم ورشدكم، وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهاليكم وأولادكم، ولكم بي أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام، ومن هنا نستطيع معرفة أسباب خروج الحسين عليه السلام.

ومما يبين هدفه الأسمى في الخروج قوله عليه السلام فيما كتبه من وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت أطلب الاصلاح في امة جدي محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر... فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا صبرت حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم وهو خير الحاكمين.

جعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

بارك الله العظيم لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من المواعظ والذكر الحكيم، إنه تعالى كريمٌ جوادٌ برٌّ رؤوفٌ رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

وقعة الحسين عليه السلام يستفيد منها المسلم دروساً وعبراً ومواقف تضيء له الدرب، وتنور له الطريق، فمنها يتعلم الإنسان دروساً في الصبر والتضحية والفداء، ودروساً في الوفاء والولاء، ودروساً في الحذر من المنافقين، ودروساً في تمييز الصادق من الكاذب والمخلص من غيره، ولنأخذ على ذلك أمثلة:

أما الصبر والتضحية والفداء فكثيرة: منها: موقف هانئ بن عروة المرادي الذي استخفى في بيته مسلم بن عقيل فلما علم عبيد الله بن زياد بوجوده عنده طلبه إليه، وسأله عن مسلم فرفض أن يخبره بمكانه أو يسلمه إليه، فضربه بالقضيب في وجهه وأنفه وجبينه حتى أدماه وهشم لحمه وكسر عظم أنفه، وقال مقالته المشهورة التي لا يزال صداها يتردد، وصراخها يدوي من ذلك اليوم وإلى أن تقوم الساعة: والله لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفته عنه، ثم أمر به إلى السجن، إلى أن جاء اليوم الذي أخرج فيه إلى السوق وضربت عنقه بين الناس.

وأما في الوفاء والولاء: فقد ضرب أصحاب الحسين عليه السلام أروع الأمثلة التي سجلها التاريخ، في الوفاء والولاء المطلق لأهل بيت النبوة، فعلى سبيل المثال قيس بن مسهر الصيداوي أو عبد الله بن يقطر أخو الحسين من الرضاع، فإن الحسين عليه السلام لما خرج

من مكة إلى الكوفة كتب كتاباً إلى وجوه الشيعة بالكوفة بأسمائهم يخبرهم فيه بمسيره ويأمرهم بالتهيؤ والإستعداد، وأرسله مع قيس، وكان ابن زياد قد جعل أرصاداً وحراساً على مداخل الكوفة وجوانبها يمنعون من الدخول إليها، فلما وصل قيس إلى القادسية قبض عليه الحصين بن نمير فأخذ قيس الكتاب ومزقه حتى لا يعلموا بأسماء من فيه، فبعث به الحصين إلى ابن زياد، فسأله من أنت؟ فقال: رجل من شيعة علي وأبناءه، فأمره أن يخبره بأسماء من في الكتاب فأبى قيس فأمر به أن يسجن فبقي قيس محتاراً في الطريقة التي من خلالها يخبر الناس بقدوم الحسين، فأمره ابن زياد أن يصعد المنبر ويسب الحسين وأهل بيته، فلاحت لديه فرصة التبليغ للرسالة، فوافق على صعود المنبر، فلما صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله وآله، ومدح علياً وفاطمة والحسن والحسين، وسب بني أمية ومعاوية ويزيد وابن زياد وأباه، ثم قال أيها الناس: هذا الحسين قادم عليكم تركته بالحاجر فأستعدوا له، فما هو إلا أن نزل من المنبر حتى رماه ابن زياد من على القصر فما وصل إلى الأرض إلى قطعاً ومات إلى رضوان الله، ونفس القضية وقعت لعبد الله بن يقطر فإن الحسين لما استبطأ خبر قيس ولم يعلم أمره، أرسل أخاه من الرضاع تعزيزاً للتبليغ فحصل له كما حصل للأول سواء سواء.

وفي مقابل الوفاء والفداء والتضحية: علمتنا واقعة الحسين معرفة الجبناء والحذر من الركون إليهم، وكذلك علمتنا كيف يصنع الأموال في تقليب أحوال الرجال، فكم من رجل كان من رؤساء الشيعة وممن بايع وأرسل ببيعته ووعد النصرة، ملأ ابن زياد يديه مالاً، فتحول بسبب الدينار والدرهم إلى عدو قاتل للحسين وأهل بيته، كشبث بن ربعي وحجار بن أبجر وعمرو بن الحجاج وغيرهم، وكم من عدد وفير وجمع كثير فرقهم الخوف على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم، وصاروا خاذلين معاونين على قتل الحسين وأصحابه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، بينا مسلم بن عقيل يحاصر قصر ابن زياد بجيش وفير لأجل استنقاذ هانئ بن عروة، حتى استطاع ابن زياد استمالة رؤساء القبائل وأشرافهم بالمال والترغيب أو التهديد والترهيب حتى فرقوا قبائلهم وأصحابهم، ولم يبق مع ابن عقيل عين تطرف، حتى بقي وحيداً يمشي في شوارع الكوفة

وأزقتها، فالويل للجبناء والويل لعبدة الدينار والدرهم، وما أكثرهم في هذه الأزمنة.

ولقد كان لوقعة الحسين عليه السلام صدى في جانب التوفيق والهداية لمن اهتدى واستبصر، فقد وفق الله جماعة ممن لقيهم الحسين في الطريق، والتحقوا بركب الحسين عليه السلام، فكان ختام حياتهم الشهادة والفداء لابن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، كما حصل لزهير بن القين:

فإن الإمام الحسين لما وصل إلى منطقة زرود، لقي زهير ابن القين البجلي، فلم يكن شيء أبغض إلى زهير من مسايرة الحسين في منزل، فكان زهير إذا سار الحسين تخلف عنه، وإذا نزل الحسين تقدم زهير، حتى نزل في منزل لم يجد زهير بداً من أن ينازله فيه، فنزل الحسين في جانب ونزل زهير في جانب، فبينما زهير ومن معه جلوس على طعام لهم، إذ أقبل رسول الحسين حتى سلم ثم دخل فقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير، فقالت امرأة زهير بن القين: أيبعث اليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟ سبحان الله لو أتيته فسمعت من كلامه، ثم انصرفت، قالت: فأتاه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم، وحمل إلى الحسين، ثم قال لامرأته: أنت طالق، الحقي بأهلك، فاني لا أحب أن يصيبك من سببي إلاّ خير، ثم أعطاها مالها وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها الى أهلها، فقامت اليه وبكت وودعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين ثم قال لأصحابه: قد عزمت على صحبة الحسين عليه السّلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي فمن أحب منكم أن يتبعني وإلاّ فإنه آخر العهد، إنّي سأحدثكم حديثاً: غزونا بلنجر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمّد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم، فأما أنا فاني استودعكم الله، قال: ثم والله ما زال في أول القوم حتى قتل.

أيها المؤمنون:

كان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في يوم عاشوراء العاشر من المحرم، في ذلك اليوم المشهور في فضله، فلم يرعوا فيه حرمة جده صلى الله عليه وآله وسلم، ولا حرمة الشهر الحرام، ولا حرمة اليوم الحرام، ولا حرمة الإسلام.

ومقتل الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم، لا ينافي ما ورد من الروايات الكثيرة على سنية واستحباب صيام يوم عاشوراء، بل إن الصيام يكون فيه المواساة أكثر وأعظم، وقد ورد الكثير من الأحاديث في فضل صيام عاشوراء، نذكر منها:

ما روي عن ابن عباس، قال: ما صام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يوماً لتحري فضله على سائر الأيام إلاَّ يوم عاشوراء.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ليس ليوم فضل على يوم في الصيام إلاَّ شهر رمضان ويوم عاشوراء)).

عن أبي قتادة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ: من صام يوم عاشوراء كان كفارة سنة.

وعن جعفر عن أبيه قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: صوموا يوم عاشوراء التاسع والعاشر احتياطاً فإنه كفارة السنة الَّتي قبله، فإن لم يعلم به أحدكم حتَّى يأكل فليتم صومه.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صيام يوم عاشوراء يعادل صيام سنة، وهو صيام يوم الصبر.

وفقنا الله وإياكم لرضاه، وأعاننا على تقواه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

٤- حول انتساب الزيدية إلى الإمام زيد

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياء والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: نريد أن نتكلم في هذه الخطبة عن موضوع هام للغاية، وهو الكلام عن الزيدية ومبادئها، فلا ينبغي لأبناء الزيدية ورجالها، أن يجهلوا أمر مذهبهم، لا سيما في هذا العصر، الذي هو عصر (غربلة الأفكار)، وزمان (تقلبات العقائد)، ووقت (انتشار الفرق)، ودهر (مضلات الفتن)، والناس في هذه الأزمنة يعيشون في ظل ظروف تخضع (للأمور المادية)، وفي طقوس صالحة (لتغيير المبادئ)، فلا بد أن يعرف الإنسان عقائدَه ومبادئه، حتى لا يقع في الضلالات، وحتى لا يستزله أهل الأهواء بأقوالهم، ويخدعوه ويغروه بأن ما زيفوه عليه هو قول أهل مذهبه، بل لا بد أن يكون على معرفة تامة حتى يميز بين الحق والباطل، وحتى يأمن من الضلالات أن تصل إليه.

لقد رسم الإمام زيد عليه السلام طريقاً واضحاً، ومنهجاً مستقيماً، أحيا به ما أماته الظالمون من شرائع الدين، وأشاد به ما هدمه أهل الضلال من أركان اليقين، وجمع به ما فرقه المبطلون من أحوال المسلمين، ففتح للأمة أبواب الجهاد التي كان قد أوصدها

الظالمون برهة من الزمان، وأعاد روح الحق والعدل إلى جسد الإسلام الذي كان قد فارقه، وصحح مفاهيم كانت مغلوطة، وخطّأ أعمالاً قد كانت مألوفة، فنعش وعي الأمة، وأيقظ غفلتها، ولكن لم تحصل هذه النتائج المباركة بدون عناء ولا كلفة، بل دفع الإمام عليه السلام في سبيلها أعلى الأثمان، وأرخص من أجلها أغلى وأنفس ما يملكه الإنسان، فقد كان الثمن هو دمه الزكي، ونفسه التقية، ودماء أصحابه الأبرار الأتقياء، في مقابل التلافي لإصلاح المبادئ الدينية قبل تلفها، فقد ضحى الإمام زيد عليه السلام بنفسه ودمه وأصحابه وأهل بيته من أجل دين جده صلى الله عليه وآله وسلم، فنعم الوفاء ونعم الموفي، فلم تكن حركة الإمام زيد ومبادؤه عرضة للخمود والإنتهاء بمقتله، بل كان بمقتله عليه السلام بداية خلودها، ومن دمه الزاكي ذكاء وقودها، فقد سار على دربه أئمة الهدى إمام يتلو إماماً، وثائر بعد ثائر، ولكي يبقى خالداً دائماً، وذكره مستمراً فقد أسس ورسم أصولاً ومبادئ انتسبت إليه بسببها الفرقة المحقة الزيدية، واتخذت من اسمه الشريف لقباً تتميز به عن سائر الفرق والطوائف، فانتسبت إليه لفظاً ومعنى، وسار على تلك المبادئ والأصول وانتهجها من بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام، بعد أن كانت قد عَفَى الزمان أثرها، ومحى ظلمُ وتغلبُ الأمويين والظالمين رسمَها.

أيها المؤمنون:

إنّ انتماء الزيدية إلى الإمام زيد عليه السلام ليس انتماء تقليد، كنسبة الحنفية إلى أبي حنيفة، والشافعية إلى الشافعي، والمالكية إلى المالكي، والحنبلية إلى الحنبلي، بل تلك النسبة اتباع للدليل والحجة، فإن أئمة الزيدية وعلمائها لما رأوا أن الإمام زيد أخذ أصوله ومبادئه من القرآن والسنة الصحيحة وحجة العقل، وقفوا عندها ووافقوا الإمام زيد في القول بها، وجعلوا نسبتهم إليه لكونه أول من سلك تلك المبادئ وسار عليها، فالنسبة نسبة افتخار واعتزاز، لا نسبة تقليد واتباع بغير دليل.

وتلك الأصول والمبادئ هي التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته، وانتهجها

الإمام علي عليه السلام بعده، وصرح بها في خطبه ومكاتباته، ثم تغلب الظلمة على الإسلام وأهله فأدخلوا فيه ما ليس منه، وأزالوا منه ما هو فيه، مراعاة لتثبيت قوائم عروش ملكهم.

ثم فتح ذلك الباب الإمام الحسين السبط الشهيد بن علي عليه السلام، ثم تغلب الظالمون مرة أخرى، ثم نفخ فيها روح الحياة ونعشها نعشة الدوام الإمام زيد بن علي عليه السلام، ثم سار عليها أهل البيت عليهم السلام إمام يتلو إماماً، وعالم يتلو عالماً.

وتلك الأصول والمبادئ كانت قد عبثت بها أيدي العابثين، ودنستها أقلام الكاتبين من أعوان الظالمين، وحاولوا أن يجعلوا بدلاً عنها مبادئ وأصولاً يَضْمَنُ الملوك والسلاطين معها بقائهم متربعين على كراسي الملك وخلافة المسلمين، لأن تلك الأصول والمبادئ تشكل عليهم خطراً كبيراً، وهم بسببها يتوقعون في يوم من الأيام زوال ذلك على أيدي رجال يمشون عليها كما حصل ذلك.

لأن تلك الأصول والمبادئ تنكر على الظالمين أفعالهم وتصرفاتهم وتوعدهم وتتهددهم، فحاولوا إبدالها بما يُحَسِّنُ لهم قبيح أفعالهم، ويزين لهم شَينَ سِيَرِهِم.

فمن تلك الأصول الهامة التي ابتنى عليها مذهب الزيدية: التوحيد لله وتنزيهه وتقديسه عن مشابهة خلقه ومماثلتهم في ذواتهم وأعضائهم وصفاتهم وما يطرؤ عليهم من التغير والتبدل والزوال والإنتقال والهبوط والصعود والحلول في الأماكن والكون في الجهات، وتنزيهه أيضاً عن إحاطة خلقه به في ذات أو صفة فلا تقع عليه أبصارهم، ولا تحيط به أفكارهم، ولا تتخيله أوهامهم إلى غير ذلك.

ومن تلك الأصول: القول بعدل الله وحكمته، بتنزيهه وتقديسه تعالى عن الظلم والعبث والفساد، والتعالي عن خلق أفعال العباد، أو إجبارهم عليها أو الرضا والمحبة والإرادة للمعاصي والفساد، وأنه تعالى كلف عباده دون ما يطيقون، ووضع عنهم ما لا يستطيعون، وجعل لهم قوة واستطاعة على ما به تكليفهم، فلا يثيب ولا يعاقب أحداً إلا بعمله وفعله، ولا يساوي بين من أطاعه ومن عصاه من خلقه، ويبتلي عباده ويمتحنهم

بقدر ما تتضمنه المصلحة والحكمة التي يعلمها تعالى لهم وغير ذلك.

ومن تلك الأصول: القول بصدق الوعد والوعيد، فالله لا يخلف الميعاد، فمن مات مؤمناً دخل الجنة خالداً فيها أبداً، ومن مات كافراً أو عاصياً مرتكباً للكبائر غير تائب منها فهو من أهل النار خالداً فيها أبداً، ولا شفاعة لفاسق مرتكب للكبيرة، ومن دخل النار فلن يخرج منها بل يبقى مخلداً.

ومن تلك الأصول: الإيمان بنبوة الأنبياء عليهم السلام، وأن الله تعالى أرسلهم لبيان أداء شكره بما شاء من الشرائع على ما منَّ به من النعم، ويميز بذلك من يشكره ممن لا يشكره، وهم يتميزون بالصفات التي تكون أممهم أقرب إلى القبول من الكمال الخلقي والخلقي والصدق والأمانة والتواضع والفطانة وقوّة التدبير، منزهين عمَّا يقدح في الأداء والتبليغ كالكذب وكثرة الشهوة والغفلة، والكتمان والزيادة والنقصان، ومواقعة الكبائر والصغائر المسخفة، والمباحات المنفرة نحو كثرة المزاح والمخالطة والهذر والحِرَفِ الوضيعة وأشباه ذلك، والطريق إلى معرفة الرسول هو ظهور المعجز على يديه عقيب دعواه النبوة، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم سيدهم وخاتمهم وأفضلهم، أيده الله بالمعجزات الخارقة التي منها القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كلام الله ووحيه وتنزيله، أحدثه الله وخلقه، وليس بقديم.

ومن تلك الأصول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يعبر عنه بالخروج على الظالمين، وهو من الأصول المهمة، التي اشتهرت بها الزيدية واختصت به من بين طوائف الأمة، وبسببه تزلزلت عروش الظلمة.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، **بسم الله الرحمن الرحيم**: **{قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}**، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء الأتقياء.

أما بعد أيه المؤمنون: نكمل الكلام حول الزيدية:

ومن تلك الأصول: القول بالإمامة وهي من أهم وأكبر وأعظم أصول الزيدية، وامتازت به الزيدية عن كثير من الفرق، فهو يعد حلقة وصل، أو آلة فصل بينها وبين غيرها من الفرق، فإن الزيدية تتوافق كثير من الفرق معها في كثير مما قدمنا من الأصول، فإذا وصل الكلام إلى باب الإمامة أقدم وأحجم، وناظر وبرطم، ولوى عنقه وتجهم، بل صار كثير من الناس في هذه الأزمنة يقول بالعدل والتوحيد والوعد والوعيد وإذا وصل إلى الإمامة قال بغير أقوال الزيدية فيها، وعد أمرها هيناً بسيطاً بالنسبة إلى غيرها، ويدعي مع ذلك أنه من الزيدية وإليها، ولكنه بعيد منها ولا ينتسب إليها.

فإمامة علي عليه السلام وخلافته على الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر لا تتنازل فيه الزيدية، ولا تقبل فيه المزايدة، بل أمره ودليله قوي واضح، ثم من بعده ولداه السيدان الشهيدان الإمامان قاما أو قعدا الحسن المسموم، ثم أخوه الحسين المظلوم، ثم هي في أولادهما محصورة فمن قام ودعا إلى الله، مجاهداً في سبيل الله، من ذريتهما، جامعاً لخصال الإمامة، فهو الإمام المفترض الطاعة، وليس لأحد من البشر غير ذريتهما حق فيها، ولا لغيرهم سبيل ولا طريق إليها.

ومن تلك الأصول والمبادئ: القول بتفضيل علي عليه السلام على كافة المسلمين

بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعده في الفضل ولداه الحسنان وفاطمة الزهراء عليهم السلام، ثم تفضيل أهل البيت عليهم السلام على غيرهم من الأمة.

وقد حد من انتشار المذهب الزيدي وقلل من شهرته تظاهر ملوك الجور وسلاطين الظلم على أهل البيت وأتباعهم، فأصول الزيدية ومبادؤها تشكل خطراً كبيراً عليهم، وعلى دوام ملكهم وظلمهم، فالزيدية توجب الخروج على الظلمة، وتقول بحصر الإمامة في أولاد البطنين، مع ميل كثير من الناس إليهم، حتى خافهم الظالمون، وحرصوا على محاربتهم بشتى الوسائل، من التخويف الشديد، والطرد والتشريد، والحبس والتضييق، والقتل والصلب، فكم من رجل من أهل البيت عليهم السلام شردوه وطردوه وأخافوه وقتلوه، مع ما يتمتع به أئمة الزيدية من دين رصين، وورع متين، وعلم غزير، وشجاعة وفضل، وصفات تؤهلهم لأمور لا يستحقها غيرهم، ولكونهم ممن لا تغرهم الدنيا، ولا يبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم، فلم يخدعهم ما كان يبذله لهم أعداؤهم من الأموال الطائلة، والمناصب السامية، على أن يتركوا ما هم فيه، بل يرفضون ذلك كل الرفض، ويأبونه أشد الإباء.

ولم يكن الأذى والقتل والتخويف مقتصراً على أهل البيت عليهم السلام بل تعدى ذلك إلى كل أتباعهم ومحبيهم، ومن مال إليهم، أو اشتهر بالمحبة لهم، أو الإختلاف إليهم، أو الأخذ عنهم، مما سبب في أن يكتم الكثير من الأشياع والأتباع مذهبهم خوفاً على النفس، أو حفاظاً على المذهب، فلم يتمكن أهل البيت وأشياعهم من نشره، والدول إنما قامت على محاربته ومحوه وطمس آثاره.

أما بقية المذاهب فلا تشكل أي خطورة عليهم، بل كان أكثرها يخدمهم، ويوطد لهم أركان ملكهم، ويثبت قواعد سلطانهم، بل كان قادة وأتباع بعض المذاهب غير الزيدية دعاة ومجمعين ومحرضين للناس على السكوت والرضا بذلك الحاكم، وذلك السلطان، وإن أخذ أموالهم، وجلد ظهورهم، وفعل بهم ما فعل، بل إن البعض من السلاطين والملوك استطاعوا أن يؤسسوا مذاهب افتعلها لهم علماء السوء، وبنوها على تثبيت قواعد ملك الجبابرة، والمخالفة لمذهب الزيدية.

ومع كل ذلك فلا زالت أعلامه لائحة، وأدلته وبراهينه واضحة، ونجومه طالعة، وأنواره ساطعة، ولله الحمد {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}، {يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}.

وليست الزيدية بالفرقة التي تهولها كثرة أعدائها، ولا تستوحش من قلة أتباعها، فالقلة والكثرة ليست دليلاً على حق ولا باطل، فالمعتبر معرفة الحق وتمييز الباطل قل الأتباع أم كثروا، فقد تعلمت من إمامها زيد الذي ألف كتاباً في الآيات التي ذكر فيها مدح القلة وذم الكثرة.

ولقد حازت الزيدية أعلى أوسمة الشرف، وأخذت أشرف الألقاب وأنفس الصفات، كما قال كامل أهل البيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام: (والله لو أن أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم نفض التراب عن رأسه، ما وضع رحله إلا فيكم أيتها الزيدية، وإن الملائكة رابطة الله في السماء، وأنتم أيتها الزيدية رابطة الله في الأرض، ما يخاف أهل الجور إلا منكم، ولا ترجوا الأمة الفرج إلا بكم)، وقال ولده الإمام إبراهيم بن عبد الله: (لو نزلت راية من السماء لم تنصب إلا في الزيدية)، وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (كل راية في غير الزيدية فهي راية ضلالة)، وعنه أيضاً: في قوله تعالى **{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ}**، قال: جنود السماء الملائكة، وجنود الأرض الزيدية).

٥- حول مولد الإمام زيد ونشأته

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياءِ والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

الإمام زيد عليه السلام شخصية عظيمة من ألمع وأروع الشخصيات الإسلامية، التي عرفها التاريخ، كيف لا يكون كذلك وهو غصن شجرة أصلها النبي المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسين سيد الشهداء وعلي زين العابدين والأتقياء.

فهو الإمام الشهيد السعيد، الغاضب لله في الأرض، والقائم بأحكام السنة والفرض، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، المنزه عن كل شين، أبو الحسين، الولي بن الولي زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمه: أم ولد اسمها جَيدا اشتراها المختار الثقفي بثلاثين ألف درهم ثم أهداها إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين، فأنجبت له زيداً.

ولد عليه السلام في المدينة المنورة سنة (٧٥)هـ، كان علي بن الحسين إذا صلى الفجر لم يلتفت إلى أصحابه، ويسبح تسبيحاً مواضباً عليه، ويركع ركعات، ثم يلتفت إليهم، فيوم ولد زيد بن علي عليهما السلام، أتاه البشير عند طلوع الشمس، فاتجه إلى أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه

وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: (ما تقولون في هذا المولود، ما نسميه) فقال بعض: حسن، وقال بعض: حسين، وقال بعض: جعفر، قال: فقال علي بن الحسين عليهما السلام: (يا غلام عليَّ بالمصحف) ففتحه وقال: (بسم الله) ثم قام فصلى ركعتين، ثم أخذه ففتحه فخرج في أول سطر **{وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}**، فحمد الله وأثنى عليه، ووضع المصحف، وقام فرجع، ثم أخذه فوضعه في حجره، ثم فتحه، وقال: (بسم الله) فخرج في أول سطر **{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ}**، فضرب بيدٍ على يدٍ، وقال: (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون) وقطرت عيناه في المصحف، وقال (هو والله صاحب الكناسة) مرتين، ثم قال: (أما والله ما أجد من ولد الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، أعظم منه وسيلة، ولا أصحابه آثر عند الله من أصحابه).

نشأ في بيت زاك رفيع، إنه بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي والتنزيل، في هذا البيت الرفيع، الذي هو مدرسة تقوى وصلاح، نشاء الإمام زيد، ولكنه لم يفتح عينه إلا على نفوس قد أذابها الحزن، وأظناها الألم، ولا يسمع إلا البكاء والعويل، والنادبات من عماته، يندبن سيد الشهداء، ويذكرن ما حل به من فادح الخطب، وفاجع الرزء، ويشاهد أباه، وقد نخر الحزن قلبه، وهو يواصل أوقاته بالبكاء والحزن على أبيه، وقد أنهكت العبادة جسمه، وأنحلت بدنه.

فأما صفته الخَلْقية: فكان أبيض اللون، أعين، مقرون الحاجبين، تام الخلق، طويل القامة، كث اللحية، عريض الصدر، أقنى الأنف، أسود الرأس واللحية، إلا أنه خالطه الشيب في عارضيه، جميلاً وسيماً أديباً، يشبه بأمير المؤمنين علي في الفصاحة والبلاغة والبراعة والشجاعة.

وأما صفاته الخُلُقية: فكان صاحب العلم الغزير، والفضل الشهير، والعبادة الكثيرة صلاة وصوماً وذكراً، وكان كثير الخوف والخشية من الله حتى كان يغمى عليه، كثير البكاء حتى تختلط دموعه بدمه، والكرم الواسع، وغيرها من المحاسن والشمائل.

وكان نور التقوى يبدو في وجهه على لسانه وفي أفعاله، وقد قال فيه بعض معاصريه:

كنت إذا رأيت زيدا، رأيت أسارير النور في وجهه.

وكان في العبادة كآبائه فقد حكى ولده الإمام يحيى بن زيد عن عبادته فقال: (كان يصلي الفريضة، ثم يصلي ما شاء الله، ثم يقوم على قدميه يدعو الله إلى الفجر، يتضرع إليه، ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر قام وصلى الفريضة، ثم جلس للتعقيب إلى أن يتعالى النهار، ثم يقوم في حاجته ساعة، فإذا كان قرب الزوال قعد في مصلاه، وسبح الله ومجده إلى وقت الصلاة، وقام فصلى الأولى، وجلس هنيهة وصلى العصر، وقعد في تعقيبه ساعة ثم سجد سجدة، فإذا غابت الشمس صلى المغرب والعتمة، وكان يصوم في السنة ثلاثة أشهر، وفي الشهر ثلاثة أيام).

وكان يبكي من خشية الله حتى تختلط دموعه بدمه طول ليله.

وقال عاصم بن عبيد الله متحدثاً عن عبادة الإمام زيد فقال: لقد رأيته وهو غلام حَدَث، وإنه ليسمع الشيء من ذكر الله، فيغشى عليه، حتى يقول القائل: ما هو بعائد إلى الدنيا.

فقد روي أن زيد بن علي عليهما السلام قرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ حتى بلغ ﴿كَلا سَوفَ تَعْلَمُونَ﴾، فبكى بكاء شديداً، حتى ظننت أنه سيموت.

قال عبد الله بن الحسن عليهما السلام: (كان زيد بن علي عليهما السلام إذا قرأ آية الخوف، ماد والله كما تميد الشجرة من الريح في اليوم العاصف).

وكان كثير الملازمة لكتاب الله، حتى عرف بحليف القرآن، قال عليه السلام: (خلوت بكتاب الله عز وجل، أقرأه وأتدبره ثلاث عشرة سنة).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، بسم الله الرحمن الرحيم: **{قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}**.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمدنا بالنعم السوابغ، واحتج علينا بالحجج البوالغ، وأكرمنا بالآيات والبينات والبراهين القاطعة، وعرفنا بأهل البيت شموس الدنيا الساطعة، ونجوم الحق الطالعة، حمداً دائماً.

والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد البشر، وقامع كل من عاند وأشرك وكفر، محمد المختار المصطفى وعلى آله الغرر، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وأطواد التقى.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى **{وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}**، ويقول تعالى **{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}**، فالإمام زيد فاز بدرجة الشهادة، ونال من الله الحسنى وزيادة، وقد ورد فيه أخبار كثيرة نبوية وعلوية تبشر به، وتبين فضله، وتتحدث عن بعض ما يناله، فلنأخذ بعضاً منها:

عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظر يوماً إلى زيد بن حارثة، فبكى وقال: (المظلوم من أهل بيتي سمي هذا، والمقتول في الله والمصلوب من أمتي سمي هذا) وأشار إلى زيد بن حارثة، ثم قال: (أدن مني يا زيد زادك الله، حباً عندي فإنك سمي الحبيب من ولدي زيد).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (الشهيد من ذريتي القائم بالحق من ولدي المصلوب بكناسة كوفان، إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، يأتي يوم القيامة وأصحابه تتلقاهم الملائكة المقربون، ينادونهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (يُقْتَلُ رجلٌ من أهل بيتي فيصلب لا ترى الجنة عين رأت عورته).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (يُقْتَلُ رجل من ولدي يدعى زيد بموضع يعرف بالكناسة يدعو إلى الحق، يتبعه عليه كل مؤمن).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلامأنه قال: (يخرج مني بظهر الكوفة رجل يقال له زيد، في أبهة سلطان لم يسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل ما عمله، يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير، ثم يتخطون أعناق الخلائق، قال: فتتلقاهم الملائكة فيقولون: هؤلاء خلف الخلف، ودعاة الحق، ويستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقول: قد عملتم بما أُمرتم، أدخلوا الجنة بغير حساب).

الإمام زيد عليه السلام فاق أقرانه وأهل زمانه في جميع الصفات والخصال علماً وعملاً واجتهاداً وشجاعة وفصاحة وبلاغة وبياناً، وصرامة في قول الحق، حتى حظي بمكانة سامية، في أوساط علماء الإسلام، وبالخصوص بين أهل البيت عليهم السلام، فقد أجمع عليه الموالف والمخالف من جميع الفرق والطوائف:

قال أخوه الباقر محمد بن علي: (إن أخي زيد بن علي خارج، ومقتول على الحق، فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن يقتله)، وقال فيه أيضاً (هذا والله سيد بني هاشم، إن دعاكم فأجيبوه، وإن استنصركم فانصروه).

وقال أخوه الحسين بن علي بن الحسين: (كان أخي زيد بن علي قائلاً بالحق داعياً إلى الحق، ناصراً للحق، جاهد والله أعداء الله، وأعداء رسوله، واستشهد على ذلك).

وقال جعفر الصادق: (الشاك في فضل عمي زيد منافق، قام والله زيد بن علي داعيا إلى الله عز وجل، وأمر بالعدل في عباد الله، وجاهد أهل الكفر، فمضى والله هو ومن معه شهداء).

وقال: (برء الله ممن برء من عمي زيد، كان والله أقرئنا لكتاب الله، و أفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله).

وقال عبد الله بن الحسن الكامل للحسين بن زيد بن علي: (والله لقد توالى لك آباءٌ ما رأيت فينا ولا في غيرنا مثلهم، إن أدنى آبائك الذي لم يكن فينا مثله أبوك

زيد بن علي، لا والله ما كان فينا مثله).

وقال عبد الله بن الحسن الكامل أيضاً: (علامة ما بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلامة ما بيننا وبين شيعتنا زيد بن علي عليه السلام، من تولى زيداً على صفته توليناه؛ ومن برئ من زيد على صفته برئنا منه).

وقال الإمام النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام: (أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذ اعوجّ، ولن ننحوَ إلا أثره، ولن نقتبس إلا من نوره، وزيد إمام الأئمة، وأول من دعى إلى الله بعد الحسين بن علي عليهما السلام).

وقال الإمام الشهيد الحسين بن علي الفخي: (من قام منا أهل البيت داعياً إلى الله عز وجل وإلى كتابه وإلى جهاد أئمة الجور، فهو من حسنات زيد بن علي، فتح والله لنا زيد بن علي باب الجنة، وقال: ادخلوها بسلامٍ آمنين).

وقال أبو إسحاق السبيعي: رأيت زيد بن علي فلم أرَ في أهله مثله، ولا أعلم منه ولا أفضل، وكان أفصحهم لساناً، وأكثرهم زهداً وبياناً.

وقال عامر الشعبي: والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد.

وقال أبو حنيفة: شاهدت زيد بن علي ، كما شاهدت أهله ، فما رأيت في زمانه أفقه منه ، ولا أعلم ولا أسرع جواباً ، ولا أبين قولا ، لقد كان منقطع القرين.

وقال سفيان الثوري: قام زيد مقام الحسين بن علي، وكان أعلم خلق الله بكتاب الله، ما ولدت النساء مثله أبداً، وغيرهم كثير وهذه الأقوال تدل على ما سواه، فالإمام زيد محل اتفاق بين علماء المسلمين جميعاً، حتى أصبحت كل فرقة وطائفة تفتخر به وتضيفه إليها، وتصفنه في رجالها، ولكنه عليه السلام سلك طريقاً، ورسم نهجاً عبر عنه بلسانه وقلمه، وضمنه في رسائله وكتبه، وأبانه بخروجه وجهاده، فليس يحتاج إلى أحد أن يعبر عنه فكتبه ناطقة، والحمد لله الذي جعلنا ممن انضوى تحت لوائه.

٦- شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي فتح لنا أبواب الهداية، بمفاتيح العلم والدراية، وأوصد عنا أبواب الغواية، بأقفال التوفيق والتسديد والحماية، حمداً كثيراً طيباً ليس له نهاية.

ونشهد أن لا إله إلا الله ليس له شبيه ولا شريك ولا لأوليته بداية، وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسوله المبعوث لتبليغ الهداية، صلى الله عليه وعلى آله أئمة الرواية والدراية.

أما بعد: أيها المؤمنون:

التاريخ الإسلامي مليء بالشخصيات العظيمة، فهناك شخصيات مشرقة على صفحات التاريخ يضيء نورها، ويسطع هداها في جميع المجالات الدينية، جهاداً وشجاعة، وعبادة وزهادة، وكرماً وجوداً، وبذلاً وعطاءً، وعلماً وعملاً، فإذا أراد المسلم أن ينهج في سبيل الصالحين فسيجد من يقتدي بهم في أي سبيل أراد واتجه، ولاسيما شخصيات أهل البيت عليهم السلام، فإنهم القادة والقدوة في جميع صفات الخير والهدى.

ففي هذه الجمعة المباركة نود أن نأخذ مثالاً نقتدي به، وعلماً من أعلام الهدى نأتم به، لنأخذ من حياته وسيرته دروساً وعبراً تضيء لنا دروب الحياة المظلمة، وتفتح لنا أقفال حياتنا المبهمة، تلك الشخصية الفذة، هي شخصية الإمام زين العابدين، وسيد الساجدين، وكعبة المسترشدين، علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

تلك الشخصية التي ترعرعت ونشأت في أحضان النبوة والوصاية، وتربى في بيت العفة والطهارة، ورضع من لبان التقوى والعلم حتى ارتوى، ولد في أيام جده الوصي المرتضى، واستشهد جده الوصي وله سنتان، واستشهد عمه الحسن وله اثنتا عشرة سنة، وأقام مع أبيه الحسين عليه السلام في كنف التربية النبوية، والأخلاق العلوية، والشجاعة الهاشمية.

تلك الشخصية التي هي قدوة في شتى مجالات الحياة، قدوة في الصبر، فهو الجبل

الراسي الذي لا تحركه العواصف، قدوة في العبادة، فهو أعبد رجل بعد نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعد جده أمير المؤمنين علي عليه السلام، قدوة في الخضوع والتذلل لله، يتعلم منه المسلم كيف يخضع لله، ويتذلل بين يدي الله، من خلال الدعاء والإبتهال والتوسل، قدوة في الرحمة والعطف بالضعفاء والمساكين، قدوة في الصراحة وقول الحق، قدوة في شتى مجالات الحياة.

كيف لا يكون قدوة في الصبر وهو الذي رافق والدَه الحسين عليه السلام حين خرج من المدينة إلى مكة ثم منها إلى كربلاء، وشاهد مأساة الطف، ولم يتمكن من المشاركة في الحرب لمرض ألمّ به أقعده عن القتال، ولما في بقائه من حفظ نسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان عمره ٢٣ عاماً، ورأى بأم عينيه ما فعله الطغاة بأبيه وإخوته وأبناء عمه وأهل بيته وأصحاب أبيه، فخيّم الحزن في قلبه، وسيطر على جميع أحاسيسه ووجدانه، فهو يتذكر ذلك الموقف وتلك المأساة في الليل والنهار، فتقض عليه مضجعه، وتحرمه منامه، ولا يستسيغ معها طعاماً ولا شراباً، فلم ترقأ له دمعة، ولم ير عليه السلام ضاحكاً إلى أن مات، إلا يوم جيء إليه برأس ابن زياد.

ولما سبيت بنات رسول الله يوم كربلاء كان عليه السلام مع الأسرى والمقيدين، فقيد في يديه ورجليه وعنقه، وسُيِّر مع النساء إلى الكوفة، فلما وصل إلى قصر ابن زياد لم يمنعه صعوبة الموقف، وثقل الحديد، وتسلط الظالمين وقسوتهم، وحرارات الحزن على الشهداء من الشجاعة والصراحة وقول الحق، ثم سُيِّر مع النساء مكبلاً بالحديد إلى الشام إلى يزيد بن معاوية لعنه الله، حيث ألقى الخطاب المشهور الذي أبكى فيه الناس، وبهرت فصاحته وبلاغته وقوة بيانه وعارضته أهل الشام، ثم ردهم يزيد إلى المدينة، وفيها أقام الإمام عليه السلام متردداً بينها وبين مكة للعمرة والحج، فقد حج عشرين سنة ماشياً على قدميه، ومتردداً بينها وبين كربلاء لزيارة أبيه وإخوته والشهداء.

كيف لا يكون قدوة في العبادة: وهو الذي كان إذا قام إلى الصلاة اغتسل وتطيب،

وكان ربما صلى في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان يقوم الليل ويصوم النهار، ويقطع ليله ونهاراً متعبداً متبتلاً إلى الله تعالى، ولكثرة عبادته وصلاته فقد أثر السجود في جبهته وبين عينيه أثراً بَيِّنَاً، حتى كان في مواضع سجوده ثفنات كثفنات البعير، وكان يلقب ذا الثفنات.

كيف لا يكون قدوة في الرحمة بالضعفاء والمساكين، وهو الذي كان يعول مائة بيت من بيوت المسلمين ولم يعرفوه إلا بعد وفاته حين انقطع عنهم، كان يحمل فوق ظهره الجران في الليل وهو مليء بالطعام والقوت ليعول فقراء المسلمين، حتى أثر في ظهره، وبان في جسده، ورأوه عند موته، وكان يلبس أفخر الثياب، فإذا انقضى الشتاء تصدق بكسوته على الفقراء، وإذا انقضى الصيف تصدق بملابس الصيف.

كيف لا يكون قدوة في الدعاء والتبتل: وقد كان كثير البكاء من خشية الله تعالى، وهو صاحب الأدعية المشهورة بالصحيفة السجادية، التي تدل على معرفته الكاملة بربه، وإخلاصه في المعاملة مع سيده ومولاه.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

روي عن الزهري أنه قال: دخلت مع علي بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان، فاستعظم عبدُ الملك ما رأى من أثر السجود بين عيني علي بن الحسين، فقال: يا أبا محمد لقد بَيَّنَ عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قريبُ النسب، وكيدُ السبب، وإنك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحدٌ مثلَك ولا قبلك، إلا من مضى من سلفك، وأقبل يثني عليه ويطريه، فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلما ذكرته ووصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم؟ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقف في الصلاة حتى تورم قدماه، ويظمأ في الصيام حتى يعصب فوه، فقيل له: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول صلى الله عليه وآله وسلم ((أفلا أكون عبداً شكوراً))، الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والأولى، والله لو تقطعت أعضائي، وسالت مقلتاي على صدري، لن أقوم لله جل جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون، ولا يبلغ حدَّ نعمةٍ منها على جميع حمدِ الحامدين، لا والله أوَ يراني اللهُ لا يشغلني شئٌ عن شكره وذكره، في ليل ولا نهار، ولا سر ولا علانية، ولولا أن لأهلي علي حقاً، ولسائر الناس من خاصهم وعامهم علي حقوقاً لا يسعني إلا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى أؤديها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء، وبقلبي إلى الله، ثم لم أرددهما حتى يقضي الله على نفسي وهو خير

الحاكمين، وبكى عليه السلام، وبكى عبد الملك بن مروان، وقال: شتان بين عبدٍ طلبَ الآخرة وسعى لها سعيها، وبين من طلب الدنيا من أين جاءته، ما له في الآخرة من خلاق.

وروي أن عمته ذهبت إلى جابر بن عبدالله الأنصاري، فقالت له: يا صاحب رسول الله إن لنا عليكم حقاً، ومن حقنا عليكم إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكروه الله، وتدعوه إلى البُقيا على نفسه، وهذا علي بن الحسين عليهم السلام بقية أبيه الحسين، قد انخرم أنفه، ونقبت جبهتاه وركبتاه وراحتاه، من دأب نفسه بالعبادة، فانطلقَ جابر إلى علي بن الحسين، فطلب الإذن منه بالدخول، فأذن له فوجده في محرابه قائماً يصلي، قد أنهكته العبادة، فلما انفلت الإمام من صلاته نهض إلى جابر، ورحب به، وسأله سؤالاً حفياً عن حاله، وأقبل جابر يقول: يا ابن رسول الله، أما علمت أن الله إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك، فقال له علي: (يا صاحب رسول الله، أما علمت أن جدي رسول الله صلى الله عليه وله وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلم يدع الإجتهاد، وتعبد حتى انتفخ ساقه، وورمت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر)، فلما نظر إليه جابر، وليس يغني فيه قول يميل به من الجهد والتعب إلى القصد، فقال له: يا ابن رسول الله البقيا على نفسك فإنك من أسرة بهم يستدفع البلاء، وبهم تستمطر السماء.

فقال له عليه السلام: (يا جابر لا أزال على منهاج أبواي متأسياً بهما حتى ألقاهما)، فبهر جابر، وأقبل على من حضر، فقال لهم: ما رُئي من أولاد الأنبياء، مثلُ علي بن الحسين عليه السلام إلا يوسف بن يعقوب، والله لذرية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب، إن منهم لمن يملئ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وبقي زين العابدين على طريقة آبائه في العبادة والتبتل، إلى أن توفي عليه السلام شهيداً بالسم في (٢٥) من محرم سنة (٩٥)هـ، وعمره (٥٧)عاماً، ودفن بالبقيع بجوار جدته الزهراء وعمه الحسن، فصلوات الله عليهم ورحمته وبركاته وسلامه.

٧- حول منهجية الإمام زيد في قيامه وجهاده

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياء والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

لقد كان للإمام زيدٍ عليه السلام في قيامه وجهاده منهجيةٌ وطريقةٌ عظيمة، يستشف المسلم من خلالها، ويتبين للمطلع منها، أن الإمام زيد كان بعيداً كل البعد عن أي دعوى سياسية، أو أطماع رئاسية، أو منافسة دنيوية، وإنما كان همه الأول والأخير هم الأمة، وتحسين وضعها الديني، والرفع من مستواها المتدني في جميع حالاتها، الدينية والدنيوية والأخروية، ولم يفكر في نفسه أو ذاته حتى لو هلك وباد، كما قال عليه السلام في رسالته إلى علماء الأمة:

(وقد كتبت إليكم كتاباً بالذي أريد من القيام به فيكم، وهو العمل بكتاب الله تعالى، وإحياء سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فبالكتاب قوام الإيمان، وبالسنة يثبت الدين، وإنما البدع أكاذيب تخترع، وأهواء تتبع، يتولى فيها وعليها رجال رجالاً، صدُّوهم عن دين الله، وذادوهم عن صراطه، فإذا غَيَّرها المؤمن، ونهى عنها، قال المفسدون: جاءنا هذا يدعونا إلى بدعة.

وأيم الله ما البدعة إلا التي أحدث الجائرون، ولا الفساد إلا الذي حكم به الظالمون، وقد دعوتكم إلى الكتاب فأجيبوا داعي الله وانصروه.

فوالذي بإذنه دعوتكم، وبأمره نصحت لكم، ما ألتمس أثرة على مؤمن، ولا ظلماً لمعاهد، ولوددت أني قد حميتكم مراتع الهلكة، وهديتكم من الضلالة، ولو كان أوقد ناراً فأقذق بنفسي فيها – لا يقربني ذلك من سخط الله – زهداً في هذه الحياة الدنيا، ورغبة مني في نجاتكم وخلاصكم، فإن أجبتمونا إلى دعوتنا كنتم السعداء والموفرين حظاً ونصيباً.

عباد الله: انصحوا داعي الحق وانصروه، إذ قد دعاكم لما يحييكم، ذلك بأن الكتاب يدعوا إلى الله، وإلى العدل والمعروف، ويزجر عن المنكر، فقد نظرنا لكم، وأردنا صلاحكم، ونحن أولى الناس بكم، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدنا، والسابق إليه المؤمن به أبونا، وابنته سيدة النسوان أمنا، فمن نزل منكم منزلتنا؟ فسارعوا عباد الله إلى دعوة الله، ولا تنكلوا عن الحق، فبالحق يُكْبَت عدوكم، وتمنع حريمكم، وتأمن ساحتكم.

وذلك أنا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن والمدائن، والفيء والغنائم، ونُثْبِت الأمين المؤتمن، غير الراشي المرتشي الناقض للعهد، فإن نظهر فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربنا، وأدينا الحق إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأي هذا يكره المؤمن؟ وفي أي هذا يرهب المسلم؟ وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: **{وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً}**.

وإذا بدت الخيانة وخربت الأمانة، وعمل بالجور فقد أفتضح الوالي، فكيف يكون إماماً على المؤمنين من هذا نعته وهذه صفته؟).

وقال عليه السلام في كلام له أثناء الرسالة: (لا نريد بذلك سلطاناً في الدنيا إلا سلطانك، ولا نلتمس بذلك أثرة على مؤمن ولا مؤمنة ولا حُرٍّ ولا عبد).

ولنأخذ بعض الأمثلة التي نعرف من خلالها منهجيته وطريقته في الدعوة والجهاد:

أولاً: كان يريد عليه السلام من الأمة أن تعرف الأخطاء والضلالات التي ارتكبها

الظالمون، وأن يعلمها المخالفات التي أوقعها المتسلطون في دين الإسلام، حتى يستيقظوا من رقدتهم، وينتبهوا من غفلتهم، ويعرفوا ماذا يحاك لهم ويعمل بهم ضدهم، كما قال عليه السلام في بعض رسائله إلى الناس:

(وقد عرفتم حالكم الذي أنتم عليه من الفتنة في دينكم، والبلاء في معايشكم، من سفك الدماء، والاستئثار عليكم بفيئكم، فهذا ما أنتم عليه اليوم مقيمون، وبه آخذون، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيئه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والدفع عن المستضعفين، ومجاهدة الظالمين الذين ابتزوا أهل بيت نبي رب العالمين).

وقال في رسالة أخرى: (ونقمنا الجور المعمول به في أهل ملتنا، فوضعنا كل من توارث الخلافة، وحكم بالهوى، ونقض العهد، وصلى الصلاة لغير وقتها، وأخذ الزكاة من غير وجهها، ودفعها إلى غير أهلها، ونسك المناسك بغير هديها، وجعل الفيء والأخماس والغنائم دولة بين الأغنياء، ومنعها المساكين وابن السبيل والفقراء، وعطل الحدود، وحكم بالرشا والشفاعات، وقرب الفاسقين، فمثل بالصالحين، واستعمل الخونة وخون أهل الأمانات، وسلط المجوس، وجهز الجيوش، وقتل الولدان، وأمر بالمنكر، ونهى عن المعروف، يحكم بخلاف حكم الله، ويصد عن سبيله، وينتهك محارم الله، فمن أشر عند الله منزلة ممن افترى على الله كذباً، أو صدّ عن سبيل الله وبغى في الأرض).

ثانياً: كان يعيب على الأمة إغضائها على الجور، وسكوتها على المنكر، وهي الأمة الوسط التي جاء الثناء عليها، والإختيار لها، فلا ينبغي لها أن تقصر فيما عليها، وعليها أن تعرف حملها وتتحمل مسؤليتها، كل بحسب مكانته وموقعه، ومقدار استطاعته ونفعه، ويبين لها فضل الجهاد في سبيل الله، وأن ترك الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي جعلها تعيش حالة تعيسة من الذل والهوان، كما قال عليه السلام: (أيها الناس عليكم بالجهاد، فإنه قوام الدين، وعمود الإسلام، ومنار الإيمان، واعلموا أنه ما ترك قوم الجهاد قط إلا حقروا وذلوا).

ثالثاً: كان الإمام عليه السلام يعلم أن من أعظم الأسباب التي أضعفت المسلمين، ومكنت المتجبرين، هو ضعف علماء الدين عن القيام بواجبهم، ومداهنتهم للمبطلين توصلاً إلى السلامة من طغيانهم، وإغضائهم عن كثير من أفعال الظالمين كأنهم لا يعرفونها ليسلموا من ظلمهم، وميلهم إلى الراحة والدعة والرفاهة دون التألم لما ينال المستضعفون من أعدائهم، ويبين الإمام عليه السلام أن واجبهم الديني يحتم عليهم أشياء كثيرة قد رأوا لأنفسهم الترخيص فيها والتسهيل، ومحاولة التخلص منها بأوهى شبهة وأدنى أمارة بدون دليل، فوضع رسالة أرسلها إلى علماء الأمة يبين فيها المسؤلية الكبرى، والأمانة العظمى التي طوقت بها أعناقهم، ولا نجاة لهم إلا ببيانها وسلوكها، فقال عليه السلام:

(إني أوصيكم معشر العلماء بحظكم من الله في تقواه وطاعته، وأن لا تبيعوه بالمكس من الثمن، والحقير من البذل، واليسير من العوض، فإن كل شيء آثرتموه، وعملتم له من الدنيا، ليس بخَلَفٍ ما زين الله به العلماء من عباده الحافظين؛ لرعاية ما استرعاهم، واستحفظهم من أمره ونهيه، وذلك بأن العاقبة للمتقين، والحسرة والندامة والويل الدائم للخاسرين الفاجرين.

فتفكروا عباد الله، واعتبروا وانظروا وتدبروا وازدجروا بما وعظ الله به هذه الأمة، من سوء ثنائه على الأحبار والرهبان إذ يقول {لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}[المائدة:٦٣]، وإنما عاب ذلك عليهم، بأنهم كانوا يشاهدون الظَّلَمة الذين كانوا بين ظهرانيهم يأمرون بالمنكر، ويعملون الفساد، فلا ينهونهم عن ذلك، ويرون حق الله مضيعاً، ومال الله دولة يؤكل بينهم ظلماً، ودولة بين الأغنياء، فلا يمنعون من ذلك رغبة[أي زهداً] في ما عند الله، ورغبة[أي طلباً] فيما عندهم من العرض الآفل، والمنزل الزايل، ومداهنة منهم على أنفسهم، وقد قال عز وجل لكم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[التوبة:٣٤]، كيما تحذروا، وإذا رأيتم العَالِم بهذه الحالة والمنزلة، منزلة من عاث في أموال الناس بالمصانعة والمداهنة، والمضارعة لظلمة أهل زمانهم، وأكابر قومهم، فلم ينهوهم عن منكر فعلوه؛ رغبة فيما كانوا ينالون من السحت بالسكوت

عنهم، وكان صدودهم عن سبيل الله رغبة في الإتباع لهم، والاغترار بإدهانهم، ومعاونتهم الجائرين الظالمين المفسدين في البلاد؛ وذلك بأن أتباع العلماء يختارون لأنفسهم ما اختار علمائهم.

إلى قوله عليه السلام: (فإنما تصلح الأمور على أيدي العلماء وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله ونهيه بمعاونة الظالمين الجائرين، فكذلك الجهال والسفهاء إذا كانت الأمور بأيديهم لم يستطيعوا إلا بالجهل والسفه إقامتها، فحينئذ تصرخ المواريث، وتضج الأحكام، ويفتضح المسلمون، وأنتم أيها العلماء عصابة مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة الله منسوبة، وبدراسة القرآن معروفة، ولكم في أعين الناس مهابة، وفي المدائن والأسواق مكرمة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه، يُبدأ بكم عند الدعوة والتحفة، ويشار إليكم في المجالس، وتشفعون في الحاجات إذا امتنعت على الطالبين، وآثاركم مُتَّبَعة، وطرقكم تُسْلك، كل ذلك لما يرجوه عندكم من هو دونكم من النجاة في عرفان حق الله تعالى، فلا تكونوا عند إيثار حق الله تعالى غافلين، ولأمره مضيعين، فتكونوا كالأطباء الذين أخذوا ثمن الدواء وأعطبوا المرضى، وكرعاة استوفوا الأجر وظلوا عن المرعى، وكحراس مدينة أسلموها إلى الأعداء، هذا مثل علماء السوء).

إلى قوله عليه السلام: (والذي نفس زيد بن علي بيده لو بينتم للناس ما تعلمون، ودعوتموهم إلى الحق الذي تعرفون، لتضعضع بنيان الجبارين، ولتهدم أساس الظالمين، ولكنكم اشتريتم بآيات الله ثمناً قليلاً، وداهنتم في دينه، وفارقتم كتابه، هذا ما أخذ الله تعالى عليكم من العهود والمواثيق، كي تتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فأمكنتم الظلمة من الظلم، وزينتم لهم الجور، وشددتم لهم ملكهم بالمعاونة والمقاربة، فهذا حالكم).

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: نواصل معكم منهجية الإمام زيد عليه السلام:

رابعاً: في مواجهة الحق والباطل لا بد من بيان الموقف الذي تتخذه، إما ناصراً للحق خاذلاً للباطل، أو العكس والعياذ بالله، فإذا طلب الإنسان لنفسه طريقاً أخرى يطلب فيها النجاة والسلامة فلن يجدها، فإذا سولت له نفسه بأن السكوت والإعراض عن ذلك طريق نجاة فقد تورط، ولهذا لما علم الإمام عليه السلام بخطر السكوت عن الحق، وميل أكثر الناس إليه، نبه على ذلك فقال:

(**عباد الله:** إن الظالمين قد استحلوا دمائنا، وأخافونا في ديارنا، وقد اتخذوا خُذْلانكم حجة علينا في ما كرهوه من دعوتنا، وفيما سفهوه من حقنا، وفي ما أنكروه من فضلنا.

عباد الله: فأنتم شركاؤهم في دمائنا، وأعوانهم في ظلمنا، فكل مال لله أنفقوه، وكل جمع جمعوه، وكل سيف شحذوه، وكل عدل تركوه، وكل جور ركبوه، وكل ذمة لله أخفروها، وكل مسلم أذلوه، وكل كتاب نَبَذوه، وكل حكم للَّه تعالى عطلوه، وكل عهد لله نقضوه، فأنتم المعاونون لهم على ذلك، بالسكوت عن نهيهم عن السوء).

خامساً: لم يكن همّ الإمام عليه السلام أن يحشد لنفسه الأنصار، وأن يجمع الجموع على غير معرفة منهم بما يدعوهم إليه، ولا وعي فيما هم فيه داخلون من الأمر، بل يريد منهم المعرفة واليقين والبصيرة التي من خلالها يعرفون أنه على الحق وأن خصمه على الباطل، كما قال عليه السلام في خطبة خطب أصحابه قبل بدء المعركة:

(**عباد الله:** لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، و لكن البصيرة

البصيرة، ثم القتال، فإن الله يجازي على اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفساً بشك في ضلالتها كمن قتل نفساً بغير حق، عباد الله: البصيرة البصيرة).

قال أبو الجارود: فقلت له: يا ابن رسول الله: يبذل الرجل نفسه على غير بصيرة؟

قال: (نعم، إن أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا، فالطمع أرداهم إلا القليل الذين لا تخطر على قلوبهم الدنيا، ولا لها يسعون فأولئك مني وأنا منهم).

فانظروا إلى هذه المنهجية العالية المستوى، التي تدل على ثقة الإمام بمبدئه وأحقيته، وباطل خصمه وضلالته، يالها من منهجية تخالف همجية أرباب الدنيا.

سادساً: كان يتمتع الإمام زيد عليه السلام بنفس قيادية عالية، وروح جهادية سامية، وصرامة في الحق وصراحة، فالجندي الذي يخالف القائد لا خير فيه، والقائد الذي يخون جنوده لا خير فيه أيضاً، فالإمام زيد لم ينس أصحابه الأوفياء من التعليمات الجهادية، والخطوات القتالية، التي من خلالها يعرفون من الذي ينبغي لهم أن يقتلوه، والذي يتركوه، والمال الذي يأخذوه، فها هو يقف خطيباً مبيناً قائلاً لجيشه وأصحابه:

(إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلأن يستجيب لكم رجل واحد خير لكم مما طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالبصرة والشام، لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً، والله على ما أقول وكيل).

فإذا تغيرت عند القائد بعض الوجهات والأوامر فلا بد من إبلاغ الجيش، كي لا يقعوا على غرة من أمرهم، كما فعل الإمام عليه السلام فإنه بعد أن ألقى تلك التعليمات الأولى وبدأت المعركة، سمع الظالمين والطغاة يسبون أمير المؤمنين علياً عليه السلام، فسرعان ما بلغهم بقوله:

(والله لو علمت عملاً هو أرضى لله عز وجل من هذا الذي وضعت يدي فيه لفعلت ولأتيته، ولكن والله لا أعلم عملاً هو أرضى لله من قتال أهل الشام لأفعله، وقد كنت نهيتكم أن لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا باباً مغلقاً،

وإني سمعتهم يسبون علي بن أبي طالب عليه السلام فاقتلوهم من كل وجهة).

سابعاً: السلبيات والإيجابيات في المعركة محسوبة على القائد ومضافة إليه، وهو الذي يتحمل عاقبة حسنها وقبحها، ولو صدرت من بعض أفراد الجيش لا سيما مع علمه بها، ولما كان في الجنود من قد يظن بأنه يحل له كذا وكذا، أو يريد أن يتوصل بالقتال ليشفي شيئاً في نفسه، أو لينتقم من عدو له، وقد يبلغ ذلك إلى القائم بالأمر فإن كان مما لا يحل ولا يجوز فلابد من أن ينبه على ذلك، حتى لا يضاف إليه شيئاً من سيئاتها، ولينجو عند الله غداً من تبعاتها، فمن قبل وانقاد فقد فاز، ومن رفض وخالف فقد خسر، كما فعل الإمام زيد عليه السلام في هذه الرواية الآتية:

فإنه لما قام الإمام زيد عليه السلام، بلغه أن قوماً من غلاة الشيعة يقولون: نحن نحكم في دماء بني أمية وأموالهم برأينا، وكذلك نفعل برعيتهم.

فلما بلغه ذلك صعد المنبر في الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال:

(بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: أيها الناس إنه لا يزال يبلغني منكم، أن قائلاً يقول: إن بني أمية فَيْءٌ لنا، نخوض في دمائهم، ونرتع في أموالهم، ويقبل قولنا فيهم، وتصدق دعوانا عليهم، حكم بلا علم، وعزم بلا روية، جزاء السيئة سيئة مثلها، عجباً لمن نطق بذلك لسانه، وحدثته به نفسه، أبكتاب الله تعالى حكم؟! أم بسنة نبيئه صلى الله عليه وآله وسلم اتبع؟! أم طمع في ميلي معه، وبسطي يدي في الجور له؟! هيهات هيهات، فاز ذو الحق بما يهوى، وأخطئ الظالم بما تمنى، حق كل ذي حق في يده، وكل ذي دعوى على حجته، وبهذا بعث الله أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، ولم يَخطِ المنصف حظه، ولم يُبْقِ الظالم على نفسه، أفلح من رضي بحكم الله، وخاب من أرغم الحق أنفه، العدل أولى بالآخرة ولو كره الجاهلون.

حق لمن أمر بالمعروف أن يجتنب المنكر، ولمن سلك سبيل العدل أن يصبر على مرارة الحق،

كل نفس تسموا إلى مناها، ونعم الصاحب القنوع، ويل لمن غصب حقاً، أو ادعى باطلاً.

أيها الناس: أفضل العبادة الورع، وأكرم الزاد التقوى، فتورعوا في دنياكم، وتزودوا لآخرتكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وإياكم والعصبية، وحمية الجاهلية، فإنهما يمحقان الدين، ويورثان النفاق).

فانظر إلى المعاملة الدينية حتى إلى أعدائه، فإنه لم يحمله ما قد فعله بنو أمية وأشياعهم بأهل البيت وأتباعهم، على أن يغضب ويتعصب حتى يخرج إلى أن يقول أو يفعل ما ليس له ولا يحل، لأخذ الثار والإنتقام، بل قيد الفتك الإيمان، ومنع من الحمية والعصبية خوف الرحمن، فهذه هي منهجية الإمام زيد وطريقته، التي سلكها الأئمة في قيامهم وجهادهم، ومنها لا بد أن يتعلم ويستفيد ويعرف كيف يتعامل مع أوليائه ومع أعدائه.

فهذه أخلاق أهل البيت النبوي الطاهر، همهم وهدفهم إصلاح الناس، ورفع راية الحق والعدل، جعلنا الله وإياكم من المقتفين لآثارهم، المنتهجين سبيلهم، المتبعين مذهبهم.

٨- حول غزوة خيبر والدروس منها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الآلاء الغامرة، والنعم المتواترة، والمنن الباطنة والظاهرة، حمداً يرضى به عنا في الدنيا والآخرة، اللهم لك إنا نحمدك على كل نعمة، ونشكرك على كل حسنة، ونستغفرك من كل ذنب، ونتوب إليك من كل خطيئة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها يوم القيامة، وتنجيه من شدائد أهوال يوم الطامة.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، ونبيُّهُ ونجيُّهُ وصفيُّهُ وخليلُهُ، بلغ الرسالة، وأوضح الدلالة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة.

أما بعد أيها المؤمنون:

فإن من أهم ما يحتاج إليه المسلم في حياته الإيمانية، أن يكون عارفاً وعالماً بأهم الأحداث التي جرت في الدين الإسلامي، مطلعاً على ما لاقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المتاعب والصعاب من أجل هذا الدين، ليزداد تمسكاً بالدين، وحفاظاً على مبادئه، وحرصاً على تطبيقه والعمل بما جاء به، فإن هذا الدين لم يصل إلينا على أسهل الطرق، بل إنما وصل إلينا على جثث وهامات الأبطال، تحمله دماء الشهداء حتى وصل إلينا.

فلقد كان أعداء الإسلام يكيدون للإسلام وهو لا زال في أوائل نشوئه، وفي أوان انتشاره، وفي بداية نعومة أظفارها، بل كان أعداء الإسلام من المشركين واليهود وغيرهم تجمعهم إرادة القضاء على الإسلام رغم عداواتهم فيما بينهم، ولكن يتناسون ذلك في سبيل القضاء على الإسلام.

ومن أعظم من كان يكيد للإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام هم اليهود، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر إلى المدينة لاقى من اليهود ما لاقاه، من

المشاقَّة والأذى، والتحريض والتحريش، والتفريق والإفساد، ولكنه صلوات الله عليه وآله وسلم واجه مكرهم بحسن الرأي والفكر، ورد تدبيرهم عليهم حتى وقعوا في التدمير، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ضرر مؤامراتهم، يقظاً حذراً مما يمكرون، فبادر بالصلح مع جميع القبائل اليهودية المجاورة للمدينة، كي يأمن مكرهم، ولكنه كان يترقب الفرصة، وينتظر الوقت المناسب للقضاء عليهم، فأمكن الله منهم، وأجهز عليهم في وقعات معلومة، لأنهم تسببوا في نقض الصلح والموادعة، إما من جهة الإستفزاز للمسلمين في حرمهم وأعراضهم، حيث أثاروا حمية الدين، أو من جهة المظاهرة والمعاونة للمشركين ضد المؤمنين، فأبادهم الله وأجلاهم عن المدينة، وطهرها منهم.

إلا أن هناك منطقة من مناطق تجمع اليهود تمثِّل بؤرة خطرٍ عظيمٍ على المسلمين، لوفرة أهلها وقوتهم، واتساع مناطقهم، وهم يهود خيبر وما والاها، ولم يكن بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يهود خيبر عهد أو صلح، كبقية اليهود.

وعلى الرغم من أن المسلمين لم يتعرضوا ليهود خيبر بأي سوء، إلا أنهم كانوا على عداءٍ تامٍّ للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين.

كانت خيبر آخر معاقل اليهود في الحجاز، وكانت مصدرًا للشرور والفتن، ووكرًا لتدبير المكائد والتآمر ضد المسلمين، ومركزاً للاستفزازات والإستنفارات العسكرية، ومأوى للهاربين من اليهود، كبني النضير الذين أجلاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المدينة فنزحوا إلى خيبر وقلوبهم تغلي حقدًا على المسلمين، فاحتضنهم يهود خيبر.

وكان ليهود خيبر مواقف سلبية ضد الإسلام، فهم الذين قاموا بتأليب العرب على المسلمين، وتحزيب الأحزاب في غزوة الخندق، وكانوا قد أوقدوا نار الحرب يوم الأحزاب؛ لاستئصال الإسلام من الأرض، وهم الذين جرؤوا بني قريظة على الغدر بالمسلمين ونقض العهود التي كانت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يهود خَيبر أيضاً مضاهرين ليهود غطفان على رسول الله صلى الله عليه وآله، بل كانوا هم الداعم الحقيقي لغطفان.

هذه الأمور والقضايا جعلت هناك ضرورة مُلِحَّة للقضاء عليهم وتأديبهم، ومحاسبتهم على ما اقترفوا من جرائم في حقِّ الإسلام.

وقد هيئ الله تعالى الوقت المناسب، حيث عُقد صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين قريش، فأمن النبي صلوات الله عليه وآله من جانب قريش، من أي هجوم على المسلمين في ذلك الوقت، أو مساندة لليهود أو تحالف معهم، واغتنم تلك الفرصة الثمينة، فعزم على التوجه والسير إلى اليهود القابعين في خيبر، لإنهاء وجودهم، فلما رجع من صلح الحديبية أقام بالمدينة شهر ذي الحجة وبعض محرم ثم تجهز للمسير إلى خيبر في بقية شهر محرم.

ما أعظمَ أن نستشعر هذه الحادثة المبشرة والمفرحة في هذا الشهر المليء بالمآسي والأحزان، ففي شهر محرم الحرام في العام السابع من الهجرة، كانت أول بركات صلح الحديبية.

فلم يمض سوى أشهر قليلة حتى سقطت حصون خيبر، لتكون مكافأة من الله تعالى لأولئك المؤمنين الذين بايعوا على الموت تحت الشجرة، وهم في عقر دار الكفر، وليس معهم إلا السيوف في قرابها، وقد كانت خيبر أول الغنائم التي بشرهم الله تعالى بها في سورة الفتح، ووعدهم بأن يأخذوا من بعدها كنوز كسرى وقيصر؛ فقال تعالى: ﴿**وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾.

فقد اتجه الجيش الإسلامي بقيادة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في شهر محرم في السنة السابعة إلى خيبر، إلى تلك المدينة الكبيرة ذات الحصون والمزارع والنخل الكثير، وهي تبعد مسيرة يومين عن المدينة المنوّرة، كان المسلمون في هذه الغزوة ألفاً وأربعَمائة (١٤٠٠) مقاتل، معهم مائتا (٢٠٠) فرس.

فحين سار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر سلك طريقاً تحول بين مساندة غطفان لليهود حتى بلغ واد الرجيع، فلم تستطع غطفان المساعدة ليهود خيبر خوفاً على أنفسهم من هجوم المسلمين.

وكان وصول المسلمين إلى خيبر ليلاً دون علم اليهود، فلما أصبح اليهود وفتحوا باب

الحصن للخروج فوجئوا بالجيش، فصرخ صارخُ اليهود في قومهِ منذراً، وأخذ يرددُ بأعلى صوته مرعوباً مفزوعاً، محمدٌ والله، محمد والخميس، حيث نزل هذا الخبرُ المخيفُ على اليهود كالصاعقةِ المحرقة، فقد شعروا بخطورةِ الموقفِ، وأنهم قابَ قوسين أو أدنى من الهلكة، فهمْ يدركون حقيقةَ ذلك الجيشِ الواقفِ قريباً من حصونهِم، فهربوا وأغلقوا باب الحصن، وركبُهم وأسنانهم تصطكُ من الرعبِ والهلع.

فبدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حصار حصون اليهود، حصناً حصناً، وهي تتهاوى الواحد تلو الآخر، وكانت مناطقهم التي تتواجد بها حصونهم ثلاث مناطق:

النطاة، وفيها: حصن ناعم، وقد جمعوا فيه المقاتلة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر برايته في اليوم الأول ـ وكانت بيضاء ـ لفتح خيبر، ولكن رجع أبو بكر ولم يَكُ فتح وقد جهد.

ثمّ بعث صلى الله عليه وآله في الغد عمر بن الخطّاب برايته ومعه الناس، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه، فجاؤوا يجبّنُونه ويجبّنُهم كسابقه.

وخرجت كتائب اليهود يتقدّمهم ياسر أخو مرحب، فكشفت الأنصار حتّى انتهوا إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فاشتدّ ذلك على رسول الله، وقال صلى الله عليه وآله وسلم «لأعطين الراية غداً رجلاً يُحبّ اللهَ ورسولَه ويحبّه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يولّي الدبر، لا يرجع حتى يفتح الله عليه))، فتطاولت الأعناق لترى لمن يعطي الراية غداً، وتمنى كلّ واحد أن يكون صاحب الراية غداً.

وكان الإمام علي عليه السلام أرمد العين، فدعاه صلى الله عليه وآله، فقيل له: إنّه يشتكي عينيه، فلمّا جاء الإمام علي عليه السلام أخذ صلى الله عليه وآله وسلم من ريق فمه، ودَلّك عينيه، فبرئتا حتّى كأن لم يكن بهما وجع، ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم ((اللّهمّ أكفه الحرّ والبرد))، فما اشتكى من عينيه، ولا من الحرّ والبرد بعد ذلك أبداً، فدفع صلى الله عليه وآله الراية إلى الإمام عليه السلام وقال له ((امض على اسم الله

وقاتل ولا تلتفت حتّى يفتح الله عليك)).

فقال الإمام علي عليه السلام: يا رسول الله، علام أُقاتلهم؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((على أن يشهدوا أن لا إله إلّا الله، وأنِّي رسول الله، فإذا فعلوا ذلك حقنوا منِّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقِّها، وحسابهم على الله عزّ وجلّ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم تتصدّق بها في سبيل الله))، فسار علي عليه السلام بالجيش، وخرج إليه أهل الحصن، وكان أوّل من خرج إليه ياسر أخو مرحب وكان فارساً شجاعاً، فانكشف المسلمون وثبت الإمام علي عليه السلام، فتضاربا فقتله الإمام علي عليه السلام، وانهزم اليهود إلى الحصن.

فلمّا علم مرحب بمقتل أخيه نزل مسرعاً، وقد لبس درعين، وتقلّد بسيفين، واعتمّ بعمامتين، ولبس فوقهما مغفراً وحجراً، قد أثقبه قدر البيضة لعينيه، ومعه رمح سنانه قدر ثلاثة أشبار، وهو يرتجز ويقول:

قَدْ عِلِمَت خَيْبَرُ أنِّي مَرْحَبُ ** شَاكي السلاح بَطلٌ مُجرّبُ

أطعنُ أحياناً وحِيناً أضرِبُ ** إذا اللُّيوث أقبلَتْ تَلتَهِبُ

فردّ علي(عليه السلام) عليه، وقال:

أنَا الذي سَمّتْني أُمِّي حَيْدَرة ** كلَيث غابَاتٍ شَديد قَسوَرَة

أكِيلُكُم بالسَيف كَيل السندَرَة

فاختلفا ضربتين، فبدره الإمام علي(عليه السلام) فضربه فقدّ الحجر والمغفر ورأسه، حتّى وقع السيف في أضراسه فقتله.

فكبّر الإمام علي عليه السلام وكبّر معه المسلمون، وبمقتلِ هذه اليهودي انهارت معنوياتُ اليهود، وسقطَ خيارُ المقاومة، ففضلوا الإنهزم إلى داخل الحصن وأغلقوا الباب عليهم، وكان الحِصنُ مُخندقاً حوله، فتمكّن الإمام علي (عليه السلام) من الوصول إلى باب الحصن، فعالجه وقلعه، وأخذ باب الحصن الكبيرة العظيمة التي طولها أربعون ذراعاً،

فجعلها جسراً فعبر المسلمون الخندق، وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم، وقد حاول حملَ الباب أربعون رجلاً فلم يتمكّنوا.

ثم توجه المسلمون إلى حصن الصعب بن معاذ بعد فتح حصن ناعم، حتى افتتحوه بعد حصار استمر ثلاثة أيام، ومعركة شديدة، ووجدوا فيه الكثير من الطعام والمتاع، ثم توجهوا بعده إلى حصن قلعة الزبير الذي اجتمع فيه الفارون من حصن ناعم والصعب، فتحصنوا فيه، فحاصروه وقطعوا عنه مجرى الماء الذي يغذيه، حيث جاء الخبرُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لليهودِ منفذاً تحت الأرض إلى عينٍ من الماء يشربونَ منها، مما يطيلُ أمدَ الحصار، فأرسل صلى الله عليه وآله من يقطعُ إمداداتِ الماءِ عنهم، حتى إذا يبستْ عروقُهم، واحترقتْ أكبادُهم، اضطروهم إلى النزول للقتال فخرجوا من جحورهِم في محاولة أخيرة لصدِّ الجيشِ المحمدي، فقاتلوا قتالاً شرساً، ليس شجاعةً ولا بطولة، ولكنْ حسرةً على أموالهِم وكنوزهِم التي كانوا يقدسونها أشدَّ التقديس، ويعبدونها أعظمَ العبادة ويفضلونها على الأهلِ والولد، ومع ذلك لم يصبر اليهود سوى ساعات قليلة، انهارت بعدها قواهُم، وخارت عزائمهم، وأعلنوا الاستسلامَ التام تحت وقعِ ضرباتِ السيوف، وطعنات الرماح، التي لا قبلَ لهم بها، فانهزموا بعد حصار دام ثلاثة أيام، من حصن القلعة وأُبي والنزار، وبذلك تمت السيطرة على آخر حصون منطقة النطاة التي كان فيها أشد اليهود.

ثم تحول رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم منطقة أخرى بها حصون لليهود، هي القموص والكتيبة والوطيح والسلالم فتحصنوا أشد التحصن، وجاءهم كل من هرب وانهزم من الحصون الأولى، فتحصنوا معهم في القموص والكتيبة، وكانت حصوناً منيعة، وبعد حصار دام عشرين (٢٠) يوماً، انهزم اليهود، هاربين إلى حصن الوطيح والسلالم، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١٤) أربعة عشر يوماً، فهَمَّ رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم أن ينصب المنجنيق عليهم لما رأى من تغليقهم وأنه لا يبرز منهم بارز، فلما أيقنوا بالهلكة وأجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب، حيث طلب اليهود أن

ينزلوا على الصلح، وأن يتفاوضوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقَبِلَ صلى الله عليه وآله وسلم منهم ذلك، وكانت خلاصة الأمر أن تمَّ التصالح على حقْن دمائهم، ودماء كلِّ مَنْ في الحصون من المقاتلة والذرية والنساء، على أن يتركوا ما خلفهم من الديار والسلاح والأموال والذهب والفضة ويخرجوا دون شيء، إلا ثوباً يحمله على ظهره، واشترط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المعاهدة عليهم شرطًا هاماً وهو: «أَنْ لَا يَكْتُمُوا، وَلَا يُغَيِّبُوا شَيْئًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ، وَلَا عَهْدَ»، فلو أن أحدًا من اليهود أخفى شيئًا من الأموال أو من الذهب أو الفضة، فللرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يقتله بهذا الإخفاء، وقَبِل اليهود هذا الصلح، وبدؤوا في الخروج من خيبر، وقد حقن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دماءهم جميعًا بهذا الصلح، وذلك رغم ما قدَّمت أيديهم من سوء، ولم يقتل إلاَّ مَنْ برزت خيانته لهذا العهد، كما وقع لكنانة بن أبي الحقيق.

ولما تم فتح خيبر وانتصر المسلمون بفضل الله، ودان اليهود لسلطان المسلمين، انتهت قوة اليهود ونفوذهم بشكل نهائي، وبقوا في خيبر منزوعي السلاح، أُجَراء عند المسلمين يعملون في أراضيهم، وقد أمن المسلمون بذلك الجهة الشمالية للمدينة، حيث لم يقم لليهود قائمة بعد ذلك في جزيرة العرب.

كان هذا الفتح المبين عقابا من الله تعالى لليهود على مكرهم وشرورهم وعدوانهم، وإذلالًا لهم، وثوابًا منه تعالى للمؤمنين الصادقين المجاهدين في سبيله بأموالهم وأنفسهم، ونصرًا لهم على عدوهم الذي ما فتئ يدس لهم ويكيد عليهم، وتصديقًا لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، وللمؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الأرباب، هازم الأحزاب، منزل الكتاب، جامع الناس ليوم الحساب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: كان فتح خيبر فتحاً عظيماً على المسلمين، فقد قذف الله تعالى بفتحه في قلوب بقية اليهود رعباً وخوفاً شديداً، فقد ترتب عليه فتوحات أخرى، فما إن علم بقية اليهود في فدك ووادي القرى وتيماء بما فتح الله على نبيه من خيبر حتى سُقط في أيديهم، وحصل من أمرهم ما يلي:.

أما يهود فدك (التي تبعد عن خيبر ١٢٠كم شرقاً) فقد أجلوا عنها وهربوا منها، بلا خيل ولا ركاب خوفاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرجع لهم نصف الأرض على نفس الإتفاق بينه وبين أهل خيبر.

٢. حاول يهود وادي القرى(١٠٠كم غرب خيبر) قتال المسلمين عند عودتهم إلى المدينة، ونشبت معركة استمرت إلى المساء، وفي اليوم التالي نشب القتال حتى استسلم اليهود بنفس شروط خيبر.

٣. صالح يهود تيماء (تبعد عن خيبر ٢٠٠كم تقريباً شمال خيبر) بنفس صلح أهل خيبر.

لقد كانت غزوة خيبر وما ترتب عليها من الوقائع التي حطم المسلمون من خلالها النفسية اليهودية، وأذاقوهم فيها مرارةَ الهزيمة، ووصيروا طعم الحياة عندهم كالعلقمَ، يوم كان المسلمون أمةَ واحدة، يطبقون القرآن ويعملون بالسنة، يمتثلون قوله تعالى: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}، فتلتهبُ صدورُهم حماساً، وتمتلئ قلوبُهم يقيناً بوعد الله، فلا يخافُون اليهود، ولا مَنْ وراءِ اليهود، ويقرؤون قولَه تعالى: {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، فيتمسكون بعروة الله، ويمدُّون أعناقهم إلى فاطرِ السماواتِ والأرض، يستمطرُون

النصرَ منه وحده دونَ غيره، ويقطعون ثقتهم في غير الله، فلا يمدون أيديهم إلى أحد من البشر والدولِ، أوالشعوب والأمم، ويعملون بقوله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ}، فيصنعون من شباب المسلمين أسوداً، لا يحبون من الألوان إلا الأحمر الذي ينبعث من رقابِ الأعادي وأجسادهم، هنالك كان النصر حليفهم، والصدق قرينهم.

أما اليوم فقد استأسد اليهود، وانتكست أوضاع المسلمين رأساً على عقب، لأنهم تنحوا عن الإسلام، وصار الدين منهم بعيداً بعيداً، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فاحتل اليهود بلدان المسلمين، وقتلوا رجالهم وأصدطفالهم ونسائهم، وهدموا بيوتهم، وأخذوا أموالهم، واستغلوا خيراتهم، ويوسعون مملكتَهم رويداً رويداً، حين وثق اليهودُ بما لديهم من قوةٍ، واطمأنوا إلى ما يتميزون به من تفوقٍ، ولم يعد يخيفهم شيء من ناحية المسلمين، فما الذي يخشونه؟ بعد أن أعلن المسلمون عجزهم عن مواصلة التحدي، ووقعوا على معاهدات الإستسلام والإذعان، وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

كيف تخشى إسرائيل واليهود من أناسٍ يتشاغلون ببعضهم، ويتناسون عدوهم الأكبر، بل يستمدون المعونة من عدوهم على بعضهم، فهم لن يحققوا نصراً ولن يبنوا مجداً.

إن من يظن أن خلافنَا مع اليهود هو حولَ قطعةٍ من الأرض أو نهرٍ من الماء فهو غبيٌّ ومغفل من الدرجة الأولى، لا يفقه شيئاً من كتابِ الله، ويعاني من جمود فكري وأميةً فاضحةً في قراءةِ التاريخ وتتبعِ السير والأحداث.

إن خلافنا مع اليهود خلافٌ عقائديٌ في الدرجة الأولى، ولن يلتقي الخلافان في وسطِ الطريق، ولن تكونَ هناك إيجاد أو مقاربة حلول، أو نقاط التقاء، أو عوامل مشتركة، فالحل الوحيد إما أن يسلَم اليهود، أو أن يتهودَ المسلمون، {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}.

إن اليهود يريدون كلَّ شيءٍ في مقابلِ لا شيء، يريدون مزيداً من الهيمنة، ومزيداً من السيطرة، ومزيداً من الأراضي، ومزيداً من الانفتاحِ الاقتصادي، وفتحِ الأسواقِ لمنتجاتهم مقابلَ مزيدٍ من الإهانات، ومزيدِ من الإذلالات، ومزيدٍ من الصفعات! لمن؟ كلها للمسلمين.

إن ما أخذ بالقوة لا يمكنُ أن يُستعادَ إلا بالقوة، أما التباكي والتشاكي إلى أعدائنا، أو

الإلتجاء إليهم في قضايانا فهو حيلةُ البائسِ الضعيف، وليس طريقاً إلى إيجاد أي حلّ، لأن في ذلك إيجاد شرعية لهم، وقداسةِ فيما يصدرونه من قرارات.

إن الطريقَ إلى القدس، واستعادةِ الأقصى الشريف، وإعادة مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حياض الإيمان، لا يكونُ بعقدِ مزيدِ من المؤتمرات العاجلة ولا الآجلة، ولا بعباراتِ الشجب والاستنكار، ولا بإرسال الوفودِ إلى العواصم الكبرى، لكسب عطفهم وتأييدهمِ، إن الطريقَ إلى القدس لا يكونُ إلا بالعودةِ الجادةِ إلى الإسلامِ، عقيدةً وشريعة ومنهجَ حياة، الطريقُ إلى القدس حين تعادُ إلى القرآن هيبتُه ومكانتُه، الطريق إلى القدس حين يعاد رفع رايات الجهاد في سبيل الله تعالى.

إن المسلمين ينتظرون الفرج والنصر {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ}، ولا يقدمون الأسباب لذلك، إن الذي يقاتل لا يسأل متى هو؟ ولكن يقول: {عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا}.

لقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بأن المعركة مستمرة مع اليهود، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الغرقد فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)).

فما علينا إلا أن نهيء أنفسنا، ونعد العدة للقاء عدونا، ونترك إثارة الخلافات والنزعات التي غرسها اليهود فيما بيننا، ونتوجه مجتمعين معتصمين واثقين بالله ربنا، متقيدين بتعاليم ديننا، مطبقين لقرآننا، متأسين بنبينا، ومقتدين ومنقادين لأهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً:

الخطب المتعلقة بصفر وجماد الآخرة

٩- دخول الإمام الهادي عليه السلام إلى اليمن

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلماتِ الجهل وعشاوتَه، ومحى بهم ضلالاتِ الباطلِ وغشاوتَه، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياءِ والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن الله تعالى قد أنعم علينا بنعم كثيرة، وامتن علينا بمنن جسيمة، لا تعد ولا تحصى، ومن أعظم النعم نعمةُ الدين، ونعمة الإسلام، ونعمةُ الحق واتباعُه، فهي أجلُّ النعم، وأكبرُ المنن، والله تعالى يُذَكِّرُ عباده بنعمه عليهم، في آيات كثيرة، كما قال تعالى **{وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ}**، وكما يقول تعالى **{وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}**، وقد ذَكَّرَ اللهُ مَن قَبْلَنا بنعمه عليهم، فقال تعالى **{وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}**، فتَذَكُّرُ أيامِ الله، وجلائلِ نعمه تبعث على الشكر، وتحث على استمرار الحمدلله تعالى على نعمه.

نستشعر في شهرِ صفرِ الظفر نعمة من نعم الله تعالى التي أنعم بها على بلد الحكمة والإيمان، ونتذكر مِنَّةً مِن الله تعالى امتن بها على أهل اليمن، وهي من أعظم النعم ولله الحمد.

تلك النعمة العظمى، والمنة الكبرى، هي وصول الإمام الأعظم، الهادي إلى الحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام إلى أرض اليمن، الذي بدخوله إلى اليمن دخل الأمن والأمان، وعمَّ الخير والإحسان، وتمت البركة والفضل، وكمل الهدى والبيان.

فلقد كانت اليمن تعيش قبل دخول الإمام الهادي عليه السلام حالة من الفوضى العارمة، والمحن المتلاطمة، والفتن المتزاحمة، والحروب الدائمة، والناس في خوف شديد، وذعر هائل، وهلع متواصل، يظلمُ قويُّهم ضعيفَهم، ويأخذ كبيرُهم حقَّ صغيرهم، والقبائل متناحرة، والقلوب متنافرة، والأرض مجدبة.

وكان الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام، مقيماً بالرس خارج المدينة المنورة، في بلد جده الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام، التي بها ولد وبها نشأ وترعرع.

الإمام الهادي عليه السلام الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في روايات كثيرة، صحيحة شهيرة:

منها: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((يخرج في هذا النهج – وأشار بيده إلى اليمن– رجلٌ من ولدي اسمه يحيى الهادي، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحيي الله به الحق ويميت به الباطل)).

وبشر به أمير المؤمنين علي عليه السلام فيما روي عنه من قوله عليه السلام: (فيخرج رجلٌ من عترتي اسمه اسم نبي، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً؛ يميز بين الحق والباطل، ويؤلف الله قلوب المؤمنين على يديه).

كان الإمام الهادي موصوفاً من حال صباه بفضل القوة والشدة والبأس، والشجاعة والإقدام، والاشتغال بالعلم، وقد ذاع صيته، وشاع فضله.

ولما انتشرت فضائله، وظهرت أنواره وشمائله، راسله وكاتبه أبو العتاهية الذي كان والياً على صنعاء وملكاً مشهوراً من ملوك اليمن، وأرسلَ إليه وَفْداً من أهلِ اليمن، يَضُمُّ مشائخَ ووجهاءَ طلبوا منه الخروج معهم إلى اليمن، يسألونه إنقاذهم من الفتن، ويعدونه النصرة

والمعونة والتأييد والمواساة بأنفسهم وأموالهم، وأنهم سيكونون معه أنصاراً على إحياء دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومجاهدة أعداء الله وأعداء دينه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فساعدهم إلى ذلك، وخرج الخرجة الأولى سنة (٢٨٠)هـ، وكان عمرُهُ خمساً وثلاثين عاماً، فلما وصل إلى اليمن أظهر أهلُها السرور بمقدمه، واجتمعوا إليه وبايعوه إماماً على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، يصلح ذات بينهم، ويقيم أحكام الشريعة الإسلامية فيهم، وينقذهم من جراثيم الفتن، وبراثين المحن، فوصل إلى بلاد نهم قريباً من صنعاء، فأقام بين أظهرهم أشهراً، آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، عاملاً بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فوجدهم عن الحق نافرين، وعن قبوله متثاقلين، وإلى الباطل مائلين، وللهوى متابعين، ثم بلغه أنّ أفراداً من الجند الذين معه تعدوا على أموال الناس ومواشيهم وزروعهم، وعاثوا في الأرض فساداً، وعندما أراد تأديبهم؛ تعصب لهم مشائخُهم، وبلغه أيضاً أن قائداً من القواد الذين كانوا عند أبي العتاهية، شرب خمراً، وشَهِدَ الشهودُ عليه بذلك، فبعث إليه من يُقدِمُ به، ليقيمَ حدَّ الله عليه فامتنع، فركب إليه الإمامُ عليه السلام بأصحابه إلى حيث كان الرجل، فامتنع عليه فغضب الإمام الهادي وقال: والله لا أكون كالمصباح يضيء لغيره ويحرق نفسه.

فلما صار الوضع على ما صار إليه لم يستجزِ الإمامُ عليه السلام فيما بينه وبين الله تعالى أن يقيمَ بين أظهرهم، فاعتزل أمرهم، وتخلى عنهم، ثم انصرف عنهم واتجه إلى بلاده، وطوى المراحل والمنازل، حتى عاد إلى وطنه من أرض الحجاز.

فلما خرج عنهم، ساءت أحوالُهم، وفسدت معائشُهم، وأخلفت ثمارهم وزروعهم، وأسرع الموت في مواشيهم وأنعامهم، وجدبت أرضهم، وعادت الفتن بينهم، فندم أهل اليمن على ما فرط منهم مِن مخالفته، والعدول عن أمره، واتفقوا على أن يوجهوا إليه من كل قبيلة رجالاً معروفين من خيارهم وصلحائهم فيسألونه العودة إليهم، ويُعلِمُونَه ندمهم على ما فرط منهم، والتوبة والإنابة مما قد أقدموا عليه من ترك طاعته، وأنهم قد تعاقدوا

وعاهدوا الله عزَّ وجل على أن يأتمروا بأمره، ويسارعوا إلى نصرته، ويبادروا إلى ما يدعوهم إليه، ويبعثهم عليه، ويندبهم له من مجاهدة الظالمين، ومنابذة الفاسقين.

ووردت الكتب والرسائل على أبيه وأعمامه يتشفعون بهم في إقناع الإمام للرجوع إلى اليمن.

فقَدِمَ الوفدُ عليه وسألوا وتضرعوا وألحوا، وكان قد عزم على رفض الخروج معهم لما قد علمه من قسوة أهل اليمن، وكثرة شرهم، ولكنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وهو يقول له: يا يحيى مالك متثاقلاً عن الخروج، انهض ومُرهم أن ينقوا ما على الأرض من الأوساخ، أي من المعاصي والفساد، فعزم على الخروج ولم يرَ أن يتقاعد عنهم ويتأخر عمَّا دعوه إليه، فتجهز وخرج في جماعة أهله من بني أبيه وبني عمومته، وعدة من ثقاته وخدمه ومواليه، وكانوا قرابة خمسين رجلاً.

وكانت هذه هي الخرجة الثانية التي كانت في عام (٢٨٤)هـ، ووصل إلى صعدة في السادس من شهر صفر من تلك السنة، وكانت في خولان فتنة عظيمة بين بني سعد وبني الربيعة قد فني فيها الرجال، وذهبت الأموال، وقحطت البلاد، وجدبت الأرض، وكانت عداوتُهم قديمة يقتل بعضهم بعضاً، ويُغيرُ بعضُهم على بعض، وقد عجز الناس عن إصلاحها حتى إن بني يعفر وهم من ملوك اليمن كانوا قد أرسلوا قائداً وجيشاً كبيراً لإصلاح ما بين القبيلتين، فلم يتمكنوا من ذلك، بل اقتتل القوم وهم ينظرون، لم يستطيعوا فعل شيء بينهم، فلما وصل الإمام الهادي عليه السلام إليهم خرجوا إليه بأجمعهم، وسلموا عليه، فرد عليهم السلام، وأمرهم أن يسلم بعضهم على بعض، ثم دعاهم الهادي عليه السلام إلى الهدى، وذكَّرهم بأيام الله وزجرهم عمَّا كانوا عليه، ونهاهم عن الفتنة والمعصية، ووعظهم بأبلغ المواعظ وأحسن الخطاب، فلما سمعوا كلامه بكوا جميعاً، فسارعوا إلى قبول قوله، وبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وإحياء معالم الدين، ومجاهدة الظالمين، ومباينة الفاسقين، واختلط بعضهم ببعض، واستحلفهم على ترك العداوة والفتنة، وصاروا ببركته بعد الفرقة والعداوة المفرطة إخواناً

متحابين، وتداعت إليه قبائل اليمن فبايعه أكثرهم، وفآء إلى طاعته جمهورهم، وأنزل الله تعالى عليهم السماء مدراراً، فأخصبت بلادُهم، وصَلَحَت ثمارُهم ودوابُّهم، ورخصت أسعارُهم، وأمنت طرُقُهم.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون:

لم يكن الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام حين خرج إلى اليمن طامعاً في ملكٍ أو رئاسة أو مال، وإنما خرج حين استدعاه أهل اليمن ليكشف عنهم ما حل بهم من الفتن، وليكون عوناً لهم على رفع الظلم عنهم، ودفع الفساد المحيط بهم.

كما قال عليه السلام: والله الذي لا إله إلا هو، وحقِّ محمدٍ ما طلبت هذا الأمر، وما خرجت اختياراً، ولا خرجتُ إلا اضطراراً لقيام الحجة عليَّ، ولوددت أنه كان لي سعةٌ في الجلوس، وكيف لي بأن يسعني الجلوس عن هذا الأمر الذي أنا مزموم فيه بزمام.

وقال في كلام آخر: والله والله لو علمت أحداً في هذا العصر أقومَ بهذا الأمر مني، أو عرفته من أهل البيت يقوم بأفضل مما أقوم به لاتبعته جداً حيث كان، وأقاتل بين يديه، ولكني لا أعلمه.

الإمام الهادي عليه السلام كان همُّه الأول والأخير هو إصلاحَ الأمة، ونشرَ الفضيلة، ودفعَ الرذيلة، وتطبيقَ أحكام الكتاب والسنة، وإقامةَ الحدود، والأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر.

فلقد كان كثيرَ الحزن والأسى على هذه الأمة التي ضلت الطريق، وتنكبت الحق، واتبعت الباطل، فكان يقسم بالله تعالى ويقول: واللهِ لوددت أن الله أصلح الإسلام بي، وأن يدي ملصقة بالثريا ثم أهوي إلى الأرض فلا أصل إلا قطعاً.

وكان يحلف ويقول: لوددت أن الله أصلح بي أمر هذه الأمة، وأني جعت يومين وشبعت يوماً.

كانت طاعةُ اللهِ ورسولِهِ هي الهدفَ الذي يسعى لتحقيقه، ولهذا فإنه عليه السلام عندما بايعه أهل اليمن على السمع والطاعة شرط لهم على نفسه أن يطيع الله ورسوله، وجعلهم في حلٍّ من بيعته إن هو خالف ذلك كما قال عليه السلام:

أيها الناس: إني أشترط لكم أربعاً على نفسي:

الحكمَ بكتاب الله وسنةِ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والأثرةَ لكم على نفسي فيما جعله الله بيني وبينكم، أوثِرُكُم فلا أتفضل عليكم، وأقدِّمَكم عند العطاء قبلي، وأتقدمَ أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي.

وأشترط لنفسي عليكم: النصيحةَ لله سبحانه ولي في السر والعلانية، والطاعةَ لأمري في كل حالاتكم ما أطعتُ الله، فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم، وإن ملتُ أو عدلتُ عن كتاب الله وسنة رسوله فلا حجة لي عليكم.

فهذه هي دعوته وطريقته عليه السلام، التي يريد تطبيقها، فقد أخذ المصحف يوماً وقال للناس:

أيها الناس بيني وبينكم هذا آيةً آيةً، فإن خالفت ما فيه بحرف فلا طاعة لي عليكم، بل عليكم أن تقاتلوني أنا.

الإمام الهادي عليه السلام سيرته نقية عطرة، مليئة بالدروس والعبر، فقد كان عليه السلام مثالاً للعدل والإنصاف، فكان يضرب بعدله المثل، كان ينصف المظلوم، ويعين الضعيف، ويغيث الملهوف، سواء كان رجلاً أو امرأة، صغيراً أم كبيراً، حراً أو عبداً، غنياً أو فقيراً، وكان قول لأصحابه: أوصلوا إليّ كلّ ضعيف لا يصل إلا بكم.

ولم يكن يحابي أحداً من أصحابه ولا من قواده في أخذ الحق منه، فهذا أبو العتاهية الذي كان ملكاً على اليمن، ولما جاء الإمام الهادي سلم له الأمر كله، وجاهد بين يديه،

في ذات يوم جاءت امرأة إلى الإمام الهادي عليه السلام وقالت له: يا ابن رسول الله أنصفني من خصمي.

فقال الإمام الهادي عليه السلام: ومَن خصمك؟.

قالت: أبو العتاهية، فقال لها الإمام عليه السلام: وماذا تطلبين منه؟

فقالت: الأرض الفلانية التي تحت يده هي لي اغتصبها علي في أيام ملك أبيه على صنعاء.

فاستدعى الإمام الهادي عليه السلام أبا العتاهية، وقال له: أنصف خصمك منك، فإن هذه المرأة تدعي أن لها عندك أرضاً.

فقال أبو العتاهية: إقضِ بيني وبينها بحكم الله تعالى.

فقال الإمام الهادي عليه السلام للمرأة: ما هي بينَتُكِ على دعواك أن الأرضَ لك.

فجاءت بشهود يشهدون لها، فحكم لها الإمام عليه السلام بالأرض، وانتزعها من تحت يد أبي العتاهية، وسلمها عن نفس راضية قانعة متواضعة.

أيها المؤمنون:

إن للإمام الهادي عليه السلام منةً على أهل اليمن كافة، مطوقةً بها أعناقهم، فبفضله وجهاده، وحميد سعيه وعنائه، أباد الله به القرامطة الباطنية الأشرار، الذين كانوا قد طبقوا البلاد، واستذلوا العباد، ونشروا في الأرض الفساد، وأدخلوا مذاهب الكفر والإلحاد، وأعانهم على ذلك أهل الضلال والعناد، وكانوا قد سيطروا على مناطق عديدة في شبه الجزيرة العربية، كالعراق والمغرب والبحرين، وكانوا قد دخلوا إلى اليمن وانتشرت دعوتهم فيه على يد رجل يقال له علي بن الفضل القرمطي، فلما جاء الإمام الهادي عليه السلام، نفى عن الأرض فسادهم، وطهر الأرض من أرجاسهم، وله معهم ما يقارب من ثمانين وقعة، في كلها أمده الله بنصره، وأظهر أمره، وأعز جنده.

وكان مذهب المجبرة القدرية، الذين يضيفون إلى الله تعالى الفواحش، وينسبون إليه الكفر والفساد، قد امتدت جذوره، وكثُر جمهوره، وعمّ شرورُه، فلما دخل الإمام إلى

صنعاء اجتمع إليه علماؤهم وهم أكثر من سبعة آلاف مجبري، فاختاروا منهم سبعين عالماً، وقدموا رجلاً يقال له يحيى النقوي، فقال له: يا مولانا ممن المعاصي؟، فقال الإمام الهادي عليه السلام: ومَن العاصي؟.

فاحتار النقوي ولم يدرِ بماذا يجيب؟ فلامه أصحابه على ذلك، فقال: ويحكم، لقد ألجمني وأعجزني، إن قلتُ العاصي هو الله فقد كفرتُ، وإن قلت العاصي هو العبدُ خرجتُ من مذهبي، فلما علموا قوة دلالته، وظهور حجته، رجعوا جميعاً إلى مذهبه، ودانوا بالعدل والتوحيد، فلله الحمد على ذلك كثيراً.

فلولا الإمام الهادي عليه السلام لكان اليمن إما باطنياً أو جبرياً أو غيرهما من مذاهب الضلال، ولما كان للحق فيه راية تخفق، أو علم يرفع ويحلق.

والكلام حول سيرته وعبادته وجهاده واجتهاده وخدمته للدين يطول ويطول، ولكن أردنا أن نأخذ العبرة، وأن نتعلم من أئمتنا عليهم السلام، وأن نستشعر مواقفَهم، ونقتدي بهم.

فإذا أراد أهلُ اليمن أن تصلح أمورهم، وفلينظروا في الطريقة التي فعلها أسلافهم، وليفعلوا مثلها ليتخلصوا من براثين الفتن الحاصلة عليهم.

وفقنا الله وإياكم لصالح الطاعة والعمل، وعصمنا من الزيغ والزلل، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

١٠- حول فاطمة الزهراء عليها السلام

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بأهل بيت النبوة، وجعلهم أدلة على الحق وقدوة، ورفع بهم منار الدين وأعلاه، وأشاد بهم بنيان الهدى وقواه، وأزال بهم ظلمات الجهل وعشاوته، ومحى بهم ضلالات الباطل وغشاوته، وقمع بهم أهل الزيغ والكفر والنفاق، وزلزل بهم عروش أهل الكبرياءِ والشقاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا عديل، ولا خلف لقوله ولا تبديل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين المأمون، بلغ الرسالة كما أمره الملك الجليل، وأدى الأمانة بكل ما يمكنه من التبليغ، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: الشخصياتُ الإسلامية لها موقعُها الكبير في قلوب المسلمين، والتأثُرُ بها وبجوانبها الأخلاقية له دورُه في سلوك المؤمنين، سواءٌ كان صاحبُ الشخصية ذكراً أو أنثى، رجلاً أو امرأة، فقد خَلَّدَ القرآنُ شخصياتٍ عظيمةً لها دورُها، بعضُها من الرجال وبعضُها من النساء، وبما أننا في شهر جماد الآخرة، الذي كان فيه ولادة ووفاة شخصية من أهل البيت النبوي الطاهر، تلك الشخصية هي فاطمة البتول، بضعة الرسول، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء، فاطمة الزهراء عليها السلام.

فقد كان تاريخ ولادة الزهراء عليها السلام في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة، في مكة المكرمة، بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد حادثة الإسراءِ والمعراج بثلاثة أعوام.

ونشأت فاطمة عليه السلام في بيت الوحي وأحضان النبوة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبها حباً شديداً، فقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يُكثر تقبيلَ فاطمة عليها السلام، فكانت إذا دخلت عليه ينهض إليها ويقبل رأسها ويديها، حتى أنكرت ذلك عائشةُ، وسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن سبب هذا الحب

البالغ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((يا عائشة لو علمتِ ما أعلمُ لأحْبَبْتِهَا كما أُحِبُّ، فاطمةُ بضعةٌ مني، فمن أغضبها فقد أغضبني، ومن سرَّها فقد سرني)).

وكان النّبي صلى الله عليه وآله إذا قَدِم من سَفَر قبَّلَ نحرَ فاطمة عليها السلام، فسألته عائشة عن ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((منها أشمُّ رائحةَ الجنّة))، وفي رواية ((فما قبّلتُها قطّ إلاّ وجدتُ رائحةَ شجرة طوبى منها)).

ولقد كانت الزهراء عليه السلام تشبه أباها شبهاً كثيراً حتى قالت عائشة: ما رأيت أحداً أشبهَ سمتاً برسول الله صلى الله عليه وآله في قيامها وقعودها ومنطقها وحديثها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكانت فاطمةُ تحب أباها النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً، فعندما توفيت أمها خديجة الكبرى كان عمرها ست سنين فكانت تسعى لملئ الفراغ الذي نشأ عن رحيل والدتها، وتريد أن تهون الوَجْدَ والحزن الذي حزنه والدها محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت تشاركه محنته وهي في سنها الصغير عندما يواجه الأذى والمحنة من المشركين، فكانت تضمد جراحه، وتغسل ما يلقيه السفهاء من الأقذار عنه.

ولقد كان لفاطمة عليها السلام كثير من الأسماء الكريمة، والألقاب المباركة:

فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسميها أمَّ أبيها لشدة حبه لها، وفرط حنانها وعطفها عليه.

وكان اسمها فاطمة: وسميت به لأن الله فطمها وذريتها ومحبيها من النار، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وتسمى البتول: لأنها لم تكن ترى ما يراه النساء من الحيض.

وتسمى سيدة النساء: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها في مرض وفاته ((يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمّة، وسيدة نساء المؤمنين)).

وتسمى خامسة أهل الكساء: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدخلها في الكساء مع علي والحسن والحسين لما نزلت آية التطهير وهي قوله تعالى {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً}، وتسمى الطاهرة والمطهرة والصديقة والزهراء، وغيرها من الأسماء.

ولما بلغت فاطمة عليها السلام سن الرشد، وآن لها أن تنتقل إلى بيت الزوجية، تقدم لخطبتها كثير من الصحابة منهم أبو بكر وعمر، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يردهم بقوله: إني أنتظر أمرها من السماء يأتيني من عند الله، فجاء الأمر من الله تعالى بواسطة جبريل الأمين إلى محمد خاتم النبيين، بأن يزوج فاطمة من علي، فإن الله قد زوجها في السماء من علي، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة بثلاث سنين، وكان زواجها في شهر صفر بعد غزوة بدر الكبرى، ودخل بها علي عليه السلام في شهر الحجة بعد غزوة أحد، وعمرها خمس عشرة سنة.

وفي السنة الرابعة ولد الإمام الحسن، وفي الخامسة ولد الإمام الحسين عليهما السلام.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمدنا بالنعم السوابغ، واحتج علينا بالحجج البوالغ، وأكرمنا بالآيات والبينات والبراهين القاطعة، وعرفنا بأهل البيت شموس الدنيا الساطعة، ونجوم الحق الطالعة، حمداً دائماً.

والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد البشر، وقامع كل من عاند وأشرك وكفر، محمد المختار المصطفى وعلى آله الغرر، مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وأطواد التقى.

أما بعد: أيها المؤمنون:

عاشت فاطمة الزهراء عليها السلام تلحظها العناية الربانية، وتتشرف بالفضائل النبوية، وأبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبين فضلها للناس، ويبين مكانتها عند الله تعالى، فإنها كانت شريكة أهل البيت في الآيات النازلة فيهم، والأخبار المقولة على لسان أبيها في الوصية بهم ووجوب محبتهم واتباعهم، وحرمة معاداتهم، بل وورد فيها من الفضائل الخاصة بها الشيء الكثير، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (سيّدَةُ نِساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ فاطِمَة).

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ: عَليٌّ وَفاطِمَة)).

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((فاطِمَة خُلِقَتْ حورِيَّةٌ فِيْ صورة إنسيّة)).

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((فاطِمَة بَضْعَةٌ مِنّي وَهِيَ قَلْبِيْ وَهِيَ رُوُحِي التي بَيْنَ جَنْبِيّ))، وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((فاطِمَة سيِّدَةُ نِساءِ أُمَّتِي)).

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((فاطِمَة بَضْعَةٌ مِنّي يُؤلِمُها ما يُؤْلِمُني وَيَسَرُّنِي ما يَسُرُّها))، وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي مَنْ آذاهَا فَقَدْ آذانِي)).

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((فاطِمَة بَهْجَةُ قَلْبِي وَابْناها ثَمْرَةُ فُؤادِي)).

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((فاطِمَة لَيْسَتْ كَنِساءِ الآدَميّين)).

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ((يا فاطِمَة إِنّ اللّهَ يَغْضِبُ لِغَضَبَكِ ويرضى

لرضاك))، وغيرها من الأحاديث والفضائل.

وقد روت الزهراء عليها السلام عن أبيها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعض الروايات، فمنها حديث التسبيح المشهور، والمعروف بتسبيح فاطمة، وهو أن فاطمة ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب منه خادماً يعينها لأن يدها كانت قد مجلت من الرحى والطحن، فعلمها أن تقول سبحان الله ٣٣، والحمد لله ٣٣، والله أكبر ٣٤.

وقد عاشت الزهراء مع أبيها النبي وزوجها الوصي، حياة المؤمنات الصادقات الطاهرات الصابرات، فقد كانت حيتها حياة حافلة بالخيرات والبركات، وكانت قدوة وأسوة للنساء المؤمنات، تسهر على راحة أبيها، وترعى حرمة زوجها، وتربي أولادها، وتعلمهم حب الخير والفضيلة والأخلاق الكريمة، وتعطف على الضعفاء والمساكين، وتحسن العشرة والصحبة إلى غير ذلك من صفات الخير.

ولما أراد الله تعالى أن يريح نبيه من الدنيا وآلامها وأتعابها، مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض الموت، فكانت الزهراء تمرض أباها وتلازمه، والحزن يعصر أحشاءها، والحرارات تقطع كبدها، والدموع تعتصر من عينيها، والأنات والحسرات تتابع من صدرها، فهي تود أنها تستطيع دفع الآلام عن أبيها بنفسها، أو أن تفدي أباها من الموت فتموت بدلاً عنه، فكان رسول الله يغمى عليه الحين بعد الحين فإذا أفاق فتح عينيه فيرى فاطمة تبكي ودموعها تجري على خديها، فيقول: لما ذا تبكين يا بنية، فتقول: مما أراه ينزل بك يا أبتاه، فيمسكها بيده، ويضمها إلى صدره، ويقبل رأسها، ويهون عليها أساها قائلاً: لا كرب على أبيك بعد اليوم، فتقول وهي تتابع بكائها: وكأنك تنعي إلي نفسك يا أبتاها، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد أن يفارق الدنيا وحبيبته وأغلى الناس عنده تتوجع، وتعتصر ألماً وحزناً لفراقه، فيهون عليها قائلاً: ألا يرضيك يا بنية أنك سيدة نساء العالمين، وأنك أول أهل بيتي لحاقاً بي، عند ذلك تبسمت الزهراء، لأن أباها أخبرها بسرعة التقائهما، وأنها أول أهله لحوقاً به.

ولما فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحياة، والتحق بالرفيق الأعلى، حزنت حزناً لا مزيد عليه، وأخذت تبكي الليل والنهار، حتى اتخذت لها بيتاً خارج المدينة في البقيع يسمى بيت الأحزان، تبكي فيه على أبيها، الذي كان موته صدمة كبيرة على ابنته خصوصاً وعلى الناس عموماً.

لم يكن الحزنُ الذي يخيِّمُ في قلب الزهراء عليها السلام على فراق أبيها مانعاً من الأذى والتعدي والظلم للزهراء عليها السلام، فقد كانت عليها السلام المظلومَ الثاني في الإسلام بعد زوجها الوصي عليه السلام، الذي أُخذ عليه أمرُ الخلافة، ثم أتى دورها في المظلومية، فقد اغتصبوا فدكاً عليها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أنحلها وأعطاها لابنته الزهراء، فطالبت بحقها بكل قوة وشجاعة ولكن دون جدوى، فصبرت على الظلم، وتجرعت مرارات الغيظ، وكان صبرُها صبرَ غضبٍ على من غصبها نحلتها وحقها وإرثها من أبيها، ولم يزل ذلك الغضب في نفسها، مع ما قد غامرها من فراق أبيها، وما تراه يعانيه زوجُها من الإضطهاد والإستبداد بما هو أحق به وأولى، ولم تزل أحزانها تتجدد كل وقت ويوم كلما سمعت المؤذن يرفع اسم أبيها: أشهد أنّ محمداً رسول الله، حتى هزل جسمها، ودق عظمها، وخمد صوتها، وبلي حسنها، ولم تستطع أن تتحمل شوق الرحيل إلى أبيها، فلم تطل مدتها بعد أبيها فلم تبق بعد موت أبيها إلا ثلاثة أشهر على الرواية الصحيحة، حتى مرضت مرض الموت، وعلمت أنها ستفارق الحياة، فأخذت تودع أولادها، وتتعاهد صغارها، فودعت ولدها الحسن الذي لم يزل في السابعة من عمره، والحسين في السادسة، وزينب في الخامسة، وأم كلثوم في الثالثة من عمرها، وكان أصعب ما في وداعها أن تودع زوجها، وشريك أبيها في جهاده وتضحياته، وشريك حياتها، وهي توصيه بأولادها الصغار، وتوصيه أن يدفنها سراً، وأن لا يشهد جنازتها أحد من الذين ظلموها وأغضبوها.

فما هو إلا أن أغمضت الزهراء عينيها مفارقة للحياة، حتى امتثل أميرُ المؤمنين عليه

السلام وصيتها، فصلى عليها ودفنها ليلاً في نفر من خلص أصحابه وأتباعه، ولم يشهد أحد غيرهم جنازتها ولا الصلاة عليها، وهكذا يودع أمير المؤمنين عليه السلام شريكة حياته، حزيناً باكياً مفجوعاً بمصيبتها، ويلحدها بيده ويضعها في قبرها وهو يقول:

(السلام عليكَ يا رسول الله، عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلدي، أما نومي فمسهَّد، وأما ليلي فسرمد، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فأَحْفِهَا السُّؤَالَ، واستَخْبِرْهَا الحالَ، والسلام عليكما سلام مودع لا قالٍ ولا سَئِم، ولا عن غير رضى بما وعد الله الصابرين).

وكانت وفاتها في الثالث من جماد الآخرة سنة ١١هـ، وعمرها ثمانية وعشرون عاماً، فرحمة الله ورضوانها وسلامه عليه وعلى أبيها وبعلها وبنيها.

ثالثاً:

الخطب المتعلقة بشهر ربيع الأول

١١- حول مولد النبي صلى الله عليه وآله

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بنبيه المصطفى الأمين، إمام الأنبياء وسيد المرسلين، وجعلنا به مؤمنين، ولدينه متبعين، وبشريعته عاملين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة صادرة عن محض اليقين، هاشمة لأنوف المعتدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالبيان المضيء، والبرهان القوي، إلى أمة ضالة ينتهكون سبيل الهدى، ويعبدون اللات والعزى، فنصح الخلق، وأوضح الحق، وأدى الرسالة، وأبدى الدلالة، وجاهد حتى عز الإيمان، وذلت الأوثان، وقام الدليل، واستقام السبيل، وصلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

في شهر ربيع الأول تُطِلُّ علينا مناسبة عظيمة، هي ذكرى مولد النبي الحبيب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الذي ولد بمولده النور والهدى، والدين والتقى، والعز والحق، والعدالة والصدق، المولد الذي تغيرت فيه مجريات الكون، لتؤذن بتغييرات عامة في أمور كثيرة من أحوال الناس في أديانهم ودياناتهم، وسلوكياتهم وأخلاقياتهم، فها نحن نعيش في أيام تلك الأحداث العظيمة.

شهر ربيع الأول جمع أحداثاً ومناسبات وذكريات تتعلق بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكن خاصاً بمولده الشريف- وإن كان المولد النبوي هو بوابة تلك الأحداث وعليه تَرَتَّبَتْ-، بل قد وقع فيه غيره من الأحداث، فمن ذكريات مناسباته مولدُه وبعثتُه وهجرتُه، ومن ذكريات أحداثه وفاتُه صلوات الله عليه وآله، فقد جمعت في يوم واحد وشهر واحد وإن اختلفت الأعوام، فهذه الذكرى من حق كل مسلم أن يعطيها حقها، ويقوم بواجبه تجاهها.

لحيث وأعداء الإسلام يحرصون كل الحرص على إطفاء أنوارها، فتارة يقولون ببدعية

الإحتفال بالمولد النبوي، وأخرى يحدثون ويفتعلون ما يعيق الناس عن التذكير بها بشتى الأساليب، وأنواع المعوقات.

ولكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حق واجب مطوق بعنق كل مسلم، فلابد أن يستهون المسلم في سبيل أداء بعض ذلك الحق كل صعب، ويستلين كل قاس، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولاه ما اهتدينا، ولا عرفنا الله ولا صلينا، ولا صمنا ولا تصدقنا ولا زكينا، ولكن في عشوات الجهل عامهين، وفي غشاوات الظلم متخبطين، فبه استنقذنا الله من الضلالة، وأخرجنا من حيرة الجهالة.

أيها المؤمنون:

الكلام حول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يطول، واللسان يعجز عن التعبير ولا يدري ما يقول.

مـــاذا أقـــول ومـــا آتـــي ومـــا أذرُ — في مدح من ضُمِّنَتْ مدحاً له السُّورُ

عــن الثنــاءِ لمــن جــاءَ الثنــاءُ لــه — فـي معجـزاتِ المثـاني يعجـزُ البشـرُ

مـن كـان مادحَـه الـدَّيانُ فـي سُـوَرِ الْـ — ـــقرآنِ فالمـــدحُ إلا ذاكَ يُحتَقَـــرُ

لكـنْ شـفاءُ نُفُـوسٍ ذكـرُ أفضـلِ مَـنْ — سِـيقَتْ لـه بعـدَ ذِكـرِ الخـالقِ الـذِّكَرُ

أيها المؤمنون:

اختار الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من أطيب أرومة، وأشرف خؤولة وعمومه، من أرفع بيت في العرب، وأشرف حسب وسبب ونسب، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار)) وفي رواية ((فأنا خيرة الخيرة، وصفوة الصفوة))، هم زرع إبراهيم الخليل، أسكنهم الله بيته المعظم، وولاهم الحرم المحرم.

وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل أنه قال: ((يا محمد قلَّبت مشارق

الأرض ومغاربها، فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم)).

فبشرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرف آباؤه قبل وجوده، وحصل لهم التعظيم والتبجيل إرهاصاً للنور الذي كان يشع ويلمع في وجوههم من نوره، وبعد وجوده زادوا إلى شرفهم شرفاً، بل شرف به العرب أجمع وافتخروا به على العجم.

أبوه عبد الله بن عبد المطلب، الذي فداه عبد المطلب من الذبح بمائة من الإبل سوداء الحدق، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفتخر ويقول ((أنا ابن الذبيحين))، أي إسماعيل بن إبراهيم وعبد الله بن عبد المطلب.

فكان نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتلألأ في وجوه آبائه وأجداده، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله أنزل قطعة من نور، فأسكنها في صلب آدم فساقها حتى قسمها جزئين فجعل جزءاً في صلب عبدالله، وجزءاً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبياً، وأخرج علياً وصياً)).

وعن ابن عباس قال: إن عبدالمطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فنزل على حبر من اليهود، فقال له رجل من أهل الكتاب: يا عبدالمطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك، قال: نعم إذا لم يكن عورة، قال ففتح إحدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الآخَر، فقال أشهد أن في إحدى يديك ملكاً وفي الأخرى نبوة، وإنا نجد ذلك في بني زهرة، فكيف ذلك؟ فقال عبد الملطلب: لا أدري، فقال الرجل لعبد المطلب: هل لك من زوجة؟ قلت أما اليوم فلا قال فإذا رجعت فتزوج في بني زهرة، فرجع عبدالمطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصفية، وكان عبد المطلب قد تزوج قبلها بمدة أم عبد الله وأنجبت والد رسول الله، ثم تزوج عبدالله بن عبدالمطلب آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت قريش حين تزوج عبدالله بآمنة فلج أي فاز وغلب عبدُالله على أبيه عبدالمطلب.

وروي أن عبد المطلب لما دخل على أبرهة الحبشي ومعه ولده عبد الله والد رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فلما مر عبد الله من عند الفيل الأعظم وهو واقف على الباب، نظر الفيل إلى وجهه فخر ساجداً، فعجب من ذلك أنيس خادم الفيل ومن على الباب، فقال قِس من النصارى: لا تعجبوا من سجوده فإنه لم يسجد له، ولكن سجد للنور الذي في وجهه، وهو نور نبي عرفناه في الإنجيل.

وعن ابن عباس قال: لما خرج عبد المطلب بن هاشم بابنه عبد الله ليزوجه، مرَّ به على كاهِنَةٍ قد قرأت الكتب وهي مُتَهَوِّدة، يقال لها: فاطمة الختعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فطلبته إلى نفسها وتعطيه مائة من الإبل؟ فرفض عبد الله طلبها، وقال: أما الحرام فلا.

ثم مضى مع أبيه، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فأقام عندها ثلاثاً، فلما مرَّ بالكاهنة قالت له: يا فتى مَا صنعت بعدي؟ قال: زوجني أبي آمنة بنت وهب فأقمت عندها ثلاثاً، فقالت له: إني والله مَا أنا بصاحبة رِيبة، ولكن رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيّ فأبى الله إلاّ أن يصيره حيث أراد.

وروي أن أخت ورقة بن نوفل كانت تسمع من أخيها ورقة صفة نبي آخر الزمان فكانت ترى في عبد الله بن عبد المطلب نور النبوة، فطلبته إلى نفسها أن يتزوجها مراراً وهو يرفض، فلما تزوج بآمنة بنت وهب اختفى النور من وجهه وانتقل إلى آمنة.

ولقد طهر الله نبيه من عهر الجاهلية وسفاحها، فلم يصبه دنس الشرك، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله عزوجل أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم((ما ولدتني بغي قط منذ خرجت من صلب أبي آدم، ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب: هاشم وزهرة)).

وعن صلى الله عليه وآله وسلم قال ((خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ما أصابني من سفاح الجاهلية)).

وعن ابن عباس في قوله تعالى {وتقلبك في الساجدين} قال: من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبياً.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة، صفتي مهدي، لا يتشعب شعبان إلا كنت في خيرهما، قد أخذ الله تبارك وتعالى بالنبوة ميثاقي، وبالإسلام عهدي، وبشر في التوراة والإنجيل ذكري، وبيّن كلُّ نبي صفتي، تشرق الأرض بنوري، والغمام لوجهي، وعلمني كتابه، وشق لي اسماً من أسمائه: فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدني يَحْبُوني بالحوض والكوثر، وأن يجعلني أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجني من خير قرن لأمتي وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)).

فقد طهر الله تعالى محمداً من كل عيب، ونزهه من كل شين، وجعل له من كل شرف أعلاه، ومن كل فضل أسناه، فلا يفاخره مفاخر، ولا يدركه مسابق ولا منافر.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه، بسم الله الرحمن الرحيم {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً، الذي أكمل الحجة على جميع العالمين، ببعثة محمد خاتم النبيين، الذي أرسله رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً للمكلفين، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً إلى الناس أجمعين، نحمده على سوابغ النعم التي من أجلها الإسلام، وأتمها عند ذوي العقول والأفهام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله الصادق الأمين، أرسله بالبيان اللائح، والبرهان الواضح، إلى أمة غاوية، يعبدون الوثن، ويمحون السنن، فعلم الجاهل، وعدل المائل، وأوضح الخفي، وأرشد الغوي، فصلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عام الفيل في شهر ربيع الأول، في التاسع منه، وقيل في الثاني عشر، وقيل في السابع عشر، يوم الإثنين.

ثم استرضعته أمه في بني سعد فأرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية في سنة مجدبة شديدة، فشاهدت من بركاته وآياته الشيء الكثير، فكانت تروح أغنامها شابعة حافلة، وتروح أغنام بني سعد بشر حال جياعاً لا ضرع لها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشب شباباً مَا يشبهه أحد من الغلمان، يشب في اليوم شباب الغلام في الشهر وفي الشهر شبابه في السنة، وفي بادية بني سعد وقعت حادثة شق الصدر، فطهر الله قلبه من وساوس الشيطان وأغلال الأهواء، وغسله بماء الجنة.

وشاء الله أن يشب ويترعرع يتيماً فقد مات أبوه وهو لا يزال في بطن أمه، وتوفيت أمه وله ست سنين أثناء زيارتها لأهلها في يثرب توفيت في موضع بين مكة والمدينة يسمى الأبواء.

وكفله جده شيبة الحمد عبد المطلب، فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج إليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي وهو غلام

فيجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه فيقول لهم عبد المطلب: دعوا ابني فوالله إن له لَشأناً.

وتوفي وعمر رسول الله ثمان سنين، بعد أن أوصى به إلى ابنه أبي طالب، فقام به أحسن قيام، واهتم به أعظم اهتمام، هو وزوجته فاطمة بنت أسد، فكانا يُشبعانِهِ ويُجَوِّعَان أولادهما، ويَدهنانِه ويشعثانهم.

وسافر مع عمه أبي طالب إلى الشام فحصلت قصية بحيرا الراهب لما رأى السحابة على رأسه تسير إذا ساروا وتقف إذا وقفوا، وعلم بحيرا أنها تظلل على نبي آخر الزمان وأخبر عمه بذلك وحذره من اليهود.

ونشأ صلى الله عليه وآله وسلم سليم العقل، وافر القوى، نزيه الجانب، جامع للصفات الحميدة، والشيم النبيلة، فكان مثالاً في مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال، فامتاز بالصدق والأمانة والمروة والشجاعة والعفة والقناعة والحلم والصبر، والحياء والوفاء والتواضع، والبر والإحسان، وصلة الرحم، يقري الضيف ويعين اللهيف، محفوظاً من الله بالرعاية ومحاطاً بالصيانة، فلم يشهد أعياد الأوثان أو احتفالات المشركين، ولم يأكل مما ذبح لغير الله أو ذبح على النصب، بعيداً عن الأصنام لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى فضلاً عن عبادتها أو التقرب إليها، بعيداً عن مجالس اللهو وشرب الخمر، وأماكن الخنا والفجور، إن أئتمن لم يخن، وإن قال صدق ولم يكذب، وإن وعد وفى ولم يخلف حتى اشتهر بين قريش بالصادق الأمين، وعمل في التجارة لخديجة مع ميسرة إلى الشام فرأت من أمانته وبركته ما دفعها إلى الزواج به فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وحكَّمَتْهُ قريش في وضع الحجر الأسود وهو في خمس وثلاثين سنة.

فهذه بعض النشأة النبوية، والصفات المحمدية، قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من المقتدين المتأسين بنبينا، صلى الله عليه وآله وسلم.

١٢- حول البعثة النبوية

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم، وأوضح لنا الصراط المستقيم، وأكرمنا برسوله الكريم، فله الحمد على نعمة الدين التي هي أصل كل خير ونعيم، حمداً لا ينقطع ولا يفنى بل يبقى على مر الأزمنة ويدوم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يبرهن بها برهانه، وكلمة بينها سلطانه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى، وأمينه المجتبى، أرسله إلى أمة ضالة، يعبدون الأصنام، ويحلون الحرام، فنصح الغوي، وأفصح الخفي، وشرع الملة، وأقام الأدلة، وجاهد في الله حتى ظهر الدين، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

لما أراد الله تعالى إكرام محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة، ظهرت له المقدمات، وطلعت له طلائع التبشير بالسعادة، فكان يرى الأوضاع التي يعيشها العرب آنذاك وبالأخص قريشاً وماهم عليه من الفساد وعبادة الأوثان وغيرها، فكان يميل إلى العزلة والإنقطاع والخلوة بنفسه، فكان يخلو للعبادة والإنقطاع في غار حراء، ويمكث الأيام المتوالية ثم يعود إلى منزله بعد أن يطوف بالبيت سبعة أشواط، فلما كمل عمره أربعون سنة وهي سن الكمال كان يرى الرؤيا الصالحة فتقع كما يرى، وكان يرى النور ويسمع الصوت، وكان لا يمر صلى الله عليه وآله وسلم بحجر ولا شجر إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلاّ الشجر والحجارة، فمكث كذلك مَا شاء الله يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، إلى أن جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بجبل حِراء.

فامتثل ما حمل من أمر الله ودعا الناس إلى طاعة الله فكان أول من أجابه من الناس خديجة بنت خويلد ثم علياً عليه السلام ثم تتابع الناس في قبول الإسلام والدخول في دين

الله أفراداً وجماعات، وبقي النبي في مكة يدعو سراً ثلاث سنين لا يظهر أمر الدعوة إلا لمن يثق به ويطمئن إليه، فرأى أن هناك من يستجيب لنداء الله، وعلم أن آذاناً صاغية ورجالاً صالحين قد أجابوا دعوته وهم من صميم قريش وغيرها، فتمهدت السبل، وتهيأ الجو للدعوة العامة، ثم أمر بالجهر بالدعوة، فدخلت الدعوة مرحلة جديدة صعبة المرتقى، شديدة التحمل والعناء، كثيرة المصاعب والأذى، لما كانت تتمتع به قريش من كبرياء ونخوة، وجبروت وسطوة، وعصبية وحمية، وتشدد في أمر آلهتها وأوثانها، فاجتاز النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك الصعوبات، ولم ينظر إلى الموانع والمعوقات، بل شحذ همته، وبذل في سبيل النشر للدعوة قوته وشدته، فناداهم في المجامع والأسواق، وحاججهم في النوادي، يدعوهم إلى دين الله ويتلو عليهم آيات الله، ويظهر لهم ما أيده الله به من المعجزات المصدقة لدعواه، ويعبد الله أمام أعينهم جهاراً نهاراً، لا يخشى الغوائل، ولا يرهب جموع القبائل، فأول من قام بدعوته عشيرته الأقربين، وعصبته الأدنيهن، ورهطه الهاشميين، ثم تعدت الدعوة إلى بطون قريش، صابراً على تكذيبهم له، محتسباً الثواب في ما يتهموه به من الجنون والسحر والشعر والكذب، غير مبال بما يقولون ولا يوهن عزمه ما به ينطقون، ماثلاً أمامهم جبلاً من جبال الصبر الذي لا تحركه العواصف، ولا تزلزله القواصف، حتى أفشل بقوة تحمله وصلابة نفسه جميع مخططاتهم، وصب سمومهم في أكبادهم، ورد ادعآءتهم عليهم، وأجابه من أجاب من الضعفاء والمساكين الذين عذبوا بأنواع التعذيب، فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يصيب أصحابه من الأذى أذن الله له أن يأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، فلما كانت السنة الخامسة من البعثة هاجر أول دفعة من المسلمين وعددهم اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة، فخرجوا ليلاً ولم يشعر بهم المشركون، فلما علموا غضبوا وأسرعوا في طلبهم فلم يدركوهم حيث وهو قد عبروا البحر مع سفينتين تجاريتين كانت على ساحل البحر، ثم جاءت الهجرة الثانية إلى الحبشة بعدد أكثر وصعوبة شديدة من قبل المشركين الذين كانوا يترصدون تحركات المسلمين، فكان عدد المهاجرين اثنين

وثمانين رجلاً وثمانية عشر امرأة، بقيادة جعفر بن أبي طالب، فتمكنوا بمن الله من التخلص من المشركين حتى وصلوا إلى الحبشة، التي كانت مملكة للنجاشي الذي كان على دين المسيح وكان عادلاً لا يُظلم عنده أحد، فآواهم وأحسن استقبالهم، فحاول المشركون أن ردهم فأرسلوا بعثاً إلى النجاشي، فبآؤا بالفشل.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمي الجانب في منعة لمكان عمه أبي طالب الذي حامى وناصر ومانع قريشاً أن يصلوا إلى رسول الله بأذى، لما كان يحظى به أبو طالب من المكانة والرئاسة في قريش، فقوي بهذا جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتمكن من فعل أشياء في الدعوة، وخوله ذلك اكتساب الهيبة في قلوب المشركين، فاضطر المشركون إلى سلوك طرق سلمية في بادئ الأمر فحاولوا أن يفاوضوا أبا طالب مفاوضات عديدة فيها نوع من القسوة والشدة، ولكن أبا طالب لم يسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يلن لقريش في جانبه، ولم ينزل عند أي رغبة من رغباتهم، فعزموا على أن يغيروا لهجتهم إلى الشدة والتحدي والإنذار لأبي طالب إن لم ينه ابن أخيه عن تسفيه أحلامهم، وسب آلهتهم، والتعرض لدينهم، فسوف ينازلونه حتى يهلك أحد الفريقين، فأخبر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقالة القوم، فقال النبي مقالته المشهورة: والله يا عم لو ضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه، فقال له عمه أبوطالب مقالته المشهورة: اصدع بأمرك فلن أسلمك لهم أبداً.

ثم إن المشركين صبوا جام غضبهم وحنقهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن لمكانة رسول الله الإجتماعية بين أهله وعشيرته فقد تولى إيذائه والإعتداء عليه كبراء قريش وأئمة الكفر من المشركين ولم يجترئ عليه السفهاء والعامة.

فلما رأى المشركون إصرار رسول الله على الإستمرار والمضي في دعوته، مالوا إلى جانب آخر من محاولة صرفه عن دعوته فحاولوا مساومته بأن عرضوا له المال والجاه والملك وكل ما

أراد فكانت محاولاتهم فاشلة، فلما رأى المشركون أنهم قد اتخذوا وسلكوا كل الطرق، ومارسوا أنواع الحيل من شدة إلى لين، ومن لين إلى شدة، ومن جدل إلى مساومة، ومن ترغيب إلى ترهيب، ورأوا أنها كلها ما زادت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلا قوة وصلابة، ودينه إلا انتشاراً، ودينهم إلا ضعفاً وهواناً وانكساراً، اجتمع رأيهم على أسوء خطة وألأم مشورة وأقبح مؤامرة وهي محاولة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأى أبو طالب عزمهم على ذلك دعا بني هاشم وبني المطلب مسلمهم وكافرهم إلى حفظ النبي وحياطته من قريش، فأجابوه إلى ذلك وتعاهدوا وتعاقدوا عليه عند الكعبة، إلا أبا لهب فإنه فارقهم.

فعند ذلك اجتمعت قريش واشتوروا على أن يقاطعوا بني هاشم مقاطعة كلية تشمل الكلام والمؤاكلة والمشاربة والمناكحة، والمجالسة والمخالطة وأن لا يدخلوا بيوتهم ولا يقبلون منهم صلحاً حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقريش لتقتله، وكتبوا لهم بذلك صحيفة ومعاهدة علقوها في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى الشعب وحوصروا فيه، ومنعت عنهم الميرة، ومنع التجار من مبايعتهم، حتى وصل بهم الجهد إلى أن أكلوا أوراق الشجر والجلود، وكان النساء والصبيان يتضورون من شدة الجوع، فكان لا يصلهم شيء إلا سراً، وكانوا لا يخرجون إلا في الأشهر الحرم، واستمروا على ذلك ثلاث سنين إلى أن هيئ الله تعالى نقض الصحيفة، وأرسل الآكلة فأكلتها إلا باسمك اللهم، وأخبرهم رسول الله بذلك، فانتهى الحصار وخرج بنو هاشم وبنو المطلب من الحصار، ولكنهم لم يخرجوا من الأذى فما هو إلا أن خرجوا حتى عادت قريش فيما كانت عليه من المعاداة والأذى.

أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو الجبل الذي لا يضره رميهم، والبحر الذي لا تكدره دلاؤهم، فما هي إلا أشهر معدودة حتى مرض أبو طالب مرضه الذي مات منه والتحق بالرفيق الأعلى مؤمناً مصدقاً بالله ورسوله، فاشتد الأمر برسول الله وتفاقم عليه الخطب، وقويت عليه قريش، واستهانوا به، ولم يلبث إلا قرابة شهرين حتى ودع رفيقة دربه، وشريكة حياته، وأنسه في أتراحه وأحزانه، خديجة الكبرى بنت خويلد، فازداد

الأمر شدة، والبلاء حدة، والواقع مرارة، والوضع خطورة، فلم يعد لرسول الله من البشر ناصر، غير أولئك النفر المستضعفين الذين قد آمنوا به على خوف من قومهم، فاضطر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الخروج إلى الطائف يطلب النصرة، فقابلوه بالطرد والشتم والرمي بالحجارة، ثم رجع متخفياً إلى مكة، وكان يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج، وفي أسواقهم التي تجمعهم، يدعوهم إلى الإسلام، ورجاء أن يجد عند قبيلة من قبائل العرب الكفاءة والمقدرة في إجابة دعوته ونصرته، فكانوا يردونه، ولا يجيبونه، فمنهم من يرده رداً جميلاً ومنهم من يرده رداً قبيحاً غليظاً.

ولكن مع رد القبائل له فقد أجابه بعض الأفراد من القبائل خارج مكة، منهم ستة من أهل المدينة من الخزرج قدموا حجاجاً عام ١١ من البعثة وكان أهل المدينة يسمعون من اليهود الذين عندهم أن ذلك الزمان يظهر فيه نبي آخر الزمان، وأنه قد آن وقت خروجه، فلما كلمهم النبي بأمره وشرح لهم حقيقة الإسلام، أيقنوا أنه النبي الموعود به، فوعدوه النصرة والدعوة والقيام بدينه والمقابلة في العام القابل حتى يعودوا إلى قبائلهم وعشائرهم. فلما كان في العام المقبل سنة ١٢ من البعثة قدم اثنا عشر من المدينة عشرة من الخزرج واثنان من الأوس، فبايعوا رسول الله بيعة العقبة الأولى، فلما رجعوا إلى قومهم وأخبروهم بما رأوا من رسول الله وبعث معهم مصعب بن عمير يقرؤهم القرآن ويعلمهم معالم الإسلام، فلما كان العام المقبل ١٣ من البعثة قدم إلى مكة كثير من أهل المدينة، وكانت قريش قد شددت الحراسة على أن يمنعوا رسول الله من أن يطوف في الجبال والشعاب موسم الحج، فتسلل من أهل المدينة ثلاثة وسبعون رجلاً، اثنان وستون من الخزرج، وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان وواعدوا رسول الله في العقبة، فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وعلمهم معالم الإسلام، فأجابوا وبايعوا على عبادة الله وحده لا شريك له، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن ينصروا رسول الله إذا قدم إليهم وأن يمنعوه مما يمنعون منه

أنفسهم وأبنائهم وأزواجهم، فبايعوه على ذلك، وأخذوا على رسول الله لأنفسهم أنه منهم مهم منه في الحرب والسلم، في خطاب طويل دار بينهم، ثم طلب منهم رسول الله أن يخرجوا منهم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم كفلاء كفالة الحواريين لعيسى، وهو كفيل على قومه، فكانت هذه بيعة العقبة الثانية، التي هي الممهد الكبير للهجرة إلى المدينة، فعند ذلك بدأ المسلمون بالهجرة إلى المدينة، حتى هاجروا بأجمعهم ولم يبق سوى رسول الله وعلي عليه السلام في نفر قليل.

وهكذا عانى وقاسى رسول الله المصاعب والمتاعب من أجل أن يصل إلينا هذا الدين نقياً سليماً، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وحشرنا في زمرته ورزقنا شفاعته، وصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد والثناء، ورب الأرض والسماء، وخالق الخلق والأنام، ومدبر الليالي والأيام، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أوجبها حكم الملة، وصدقها واضحُ الأدلة.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، الأمين الميمون، أرسله هادياً لخلقه، وداعياً إلى حقه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأبرار، وعترته الأطهار.

أما بعد: أيها المؤمنون:

لقد استجاب للدعوة، وهي في مهدها وفي بداية بزوغ شمسها، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ونساء مؤمنات صادقات، من الأحرار والعبيد، ضربوا أروع أنواع البسالة والثبات، ومَثَّلُوا بصبرهم وصمودهم أقوى قوة أمام جبروت قريش وصناديدها، الذين قاموا بأنواع الأذى والتعذيب والضرب لكل من علموا بأنه آمن بمحمد أو صدقه حتى وصل بهم الحد إلى القتل والعسف بمن آمن، ومن لم يقتل أذاقوه أنواع الأذى والتعذيب، وهدف المشركين من ذلك، هو القضاء على الدعوة وهي لا تزال في أول مراحل نموه، ولكن وجدوا أمامهم دروعاً لا تؤثر فيها الشدة إلا جدة، فمنهم من قتلوه كياسر وزوجته، ومنهم من كانوا يعذبونه حتى يفقد الوعي، ومنهم من يرمونه على الحجارة المحماة بالنار، ومنهم من يضعون على صدره الحجارة التي يكاد يموت من ثقله، ومنهم من يحمون له الحديد فيضعونه على ظهره، ووصلت بهم التفاهة والحقارة والنذالة إلى أن تعدوا حتى على النساء المؤمنات فمنهن من عذبت حتى فقدت بصرها، ومنهن من عذبت حتى ماتت، كل ذلك لا يزيدهم جميعاً رجالاً ونساء، أحراراً أو عبيداً إلا تمسكاً بدينهم وثباتاً على يقينهم، وتصديقاً لنبيهم.

فقد تحدّث التاريخ عن تلك المعاناة القاسية فسجّل بفخر واعتزاز صمود أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وثباتهم على منهج الدعوة ومواصلة

السير في الطريق ذات الصعوبة، فهم الّذين سبقوا إلى الإسلام ولا عشائر لهم تمنعهم، ولا قوّة لهم يمنعون بها أو يحمون بها أنفسهم.

يروي لنا التأريخ صوراً لأولئك الصابرين فيذكر بلالَ بن رباح الحبشي، الّذي كان عبداً مملوكاً لأمَيّة بن خلف الجُمَحي، فاستنشق عبق الحرِّيّة والكرامة في مبادئ الإسلام وقيمه السّامية، فالتحق بالركب وواصل المسير فعلم أمَيّة بن خلف بذلك، فراح يُعذِّب بلالاً: فكانت إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرّمضاء على وجهه وظهره، ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتُلقى على صدره، ويستمرّ أمَيّة بن خلف في تعذيب بلال، ويستمرّ بلال على صبره وصموده وتحدِّيه، فيُخيَّر بين أن يكفر بتوحيد الله وبنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وبين أن يموت تحت الصخرة وعذاب الطّغاة، فيتعالى صوته، مظهراً لتحدي أعدائه فينادي: أحد أحد.

ويُسلِم حليف بني مخزوم ياسر وابنه عمّار وزوجته سميّة، الأسرة المستضعفة البائسة الّتي دخلت الإسلام في المرحلة السرِّيّة، أمّا الآن فقد انكشف إسلامهم وعرف الأسياد والطّغاة بذلك، فكانوا يُخرِجوَن عمّاراً وأباه وأمّه إلى الأبطح إذا حميت الرّمضاء يعذِّبونهم بحرِّ الرّمضاء، يمرّ بهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: (صبراً آل ياسر، فإنّ موعدكم الجنّة)، فمات ياسر في العذاب، وأغلظت امرأته سميّة بالقول لأبي جهل، فطعنها في قُبْلِها بِحَرْبَة في يديه فماتت، وهي أوّل شهيدة في الإسلام، وشدّدوا العذاب على عمّار بالحرِّ تارة، وبوضع الصّخرِ على صدره أُخرى وبالتغريق أُخرى.

ويُعذّبُ خَبّاب بن الارَت التميميّ، وكان أبوه من السّبايا الّذين بيعوا في مكّة، وهو من المسلمين الأوائل الّذين بادروا إلى التصديق بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذه الكفّار وعذّبوه عذاباً شديداً، فكانوا يُعَرّونه ويُلصِقون ظهره بالرّمضاء ثمّ بالرّضْفِ — وهي الحجارة المحمّاة بالنار– ولووا رأسه، فلم يُجِبهُم إلى شيء ممّا أرادوا منه.

ومن أُولئك المعذّبين الصابرين أبو فكيهة، وقد كان عبداً لصفوان بن أميّة بن خلف

الجمحي، فأخذه أُميّة بن خلف وربط في رجله حبلاً وأمر به فجرّه ثمّ ألقاه في الرمضاء، ومرّ به على جُعل، فقال له أميّة: أليس هذا ربّك؟ فقال: الله ربّي وربّك وربّ هذا، فخنقه خنقاً شديداً، ومعه أخوه أبي بن خلف يقول: زِدْهُ عذاباً حتّى يأتي محمّداً فيخلِّصه بسحره، ولم يزل على تلك الحال حتّى ظنّوا أنّه قد مات، ثمّ أفاق، فمرّ به أحد المسلمين فاشتراه وأعتقه.

وقيل: إنّ بني عبدالدار كانوا يضربونه، ويضعون الصخرة على صدره حتّى دلع لسانه فلم يرجع عن دينه.

وليست سمية هي المؤمنة الشهيدة الوحيدة الّتي دخلت ملحمة الصِّراع، وتحدّت طغيان الطّغاة، بل هناك نساء خالدات في سجل تاريخ الدعوة المحمدية والجهاد الصمودي.

فها هي النّهديّة التي كانت مولاة لبني نهد، ثم ملكتها بعد ذلك امرأة من بني عبدالدار تُنزِل بها مولاتها أشدّ العذاب، وتقول لها: لا أترك عذابك حتّى يشتريك بعض أصحاب محمّد، فيشتريها أحدهم ويُعتِقُها من العبوديّة.

وها هي (لبيبة) جارية بني مؤمل بن حبيب، يُنزِل بها عمر بن الخطّاب قبل إسلامه أشدّ ألوان العذاب ثمّ يتركها، ويقول لها: إنّي لم أدعك إلاّ سآمة، فتقول له: كذلك يفعل الله بك.

وها هي زُنّيرة: المرأة الّتي فقدت عينيها بالتعذيب، كانت مملوكة لبني عدي أو لبني مخزوم، فكان عمر بن الخطاب يعذّبها، وقيل كان أبو جهل هو الّذي يمارس التعذيب الوحشي معها، لقد ردّ الله عليها بصرها، فقال المشركون هذا من سحر محمّد.

فهذه المواقف البطولية يتعلم منها المسلم كيفية الثبات على الدين، ويتخذ منها دروساً تنير له طريق الفداء والتضحية من أجل الحق والمحقين، فأولئك صبروا في أوائل الأمر، في وقت الشدة والضيق والقلة والذلة، لما عشعش الإسلام في قلوبهم، وعرفوا عظمته فدوه بأنفسهم، فجزاهم الله عن نبيهم خير الجزاء، ورضي عنهم أحسن الرضا.

١٣- صفات النبي صلى الله عليه وآله ومعجزاته

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم، الرؤوف الرحيم، الجواد الكريم، الذي أنشأنا بحكمته، وغذانا بنعمته، وأولانا جزيل الإحسان، وهدانا سبيل الإيمان، وعودنا جميل الإمتنان، فأقررنا بإلاهيته، واعترفنا بوحدانيته، وأيقنا بحشره وحسابه، وآمنا برسوله وكتابه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مدبر الأمور ومصرف المقدور.

وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله أرسله بالهدى واليقين، ومَنَّ به على كافة المؤمنين، فبشر التقي، وأنذر الغوي، ونصح الأمة، وكشف الغمة، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: قد اتصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصفات بهرت الناس جميعاً، وحيرت أهل الشمائل الحسنة، وخلفت كل صاحب فضيلة خلفها، كيف لا وخلقه القرآن، وقد أثنى عليه الله في القرآن بقوله {وإنك لعلى خلق عظيم} فكفى بشهادة الله لنبيه، فماذا عسى أن يقول قائل أو يتكلم متكلم، ولكن لقوله تعالى {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر}، نذكر بعض صفات وشمائل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لعلنا أن نتعلم منه، ونتأدب بآدابه، ونتأسى به.

أما بالنسبة لصفته صلى الله عليه وآله وسلم الخَلْقِية الجبلية التي خلقه الله عليه: فهي كما وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيض اللون، مُشرباً بحمرة، أدعج العينين، سبط الشعر، دقيق العِرْنِين، أسهل الخدين، دقيق المسرُبة، كث اللحية، كان شعره مع شحمة أذنه إذا طال، كأنما عنقه إبريق فضة، له شعر من لبته إلى سرته، يجري كالقضيب، لم يكن في صدره ولا في بطنه شعر غيره، إلا نبذات في صدره، شثن الكف والقدم، إذا مشى كأنما يتقلع من صخر، وينحدر في صبب، إذا التفت

التفت جميعاً، لم يكن بالطويل، ولا العاجز اللئيم، كأنما عرقه اللؤلؤ، ريح عرقه أطيب من المسك، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم).

وعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أيضاً، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التميمي؛ وكان وصّافاً عن حلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: كان فخماً مفخَّماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رَجِل الشعرة، إذا انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفَّره، أزْهَر اللون، واسع الجَبِين، أَزَج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله، أشَم، كَث اللحية سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسْربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً، متماسكاً، سوي البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد مابين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول مابين متنته والسرة شعر يجري كالخيط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، سبط القضب، شَثِن الكفين والقدمين، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين رَحْب الراحة، سائل الأطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء. إذا زال قلعاً يخطو تكفياً، ويمشى الهُوَيْنَا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما يَنْحَطّ من صبب، و إذا التفت التفت جميعاً، خافض الأطراف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبتدر من لقيه بالسلام.

قلت: صف لي منطقه؟.

قال: كان رسول الله متواصل الأحزان، دائم الفكر ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصل لا فضول ولا تقصير، دمث ليس بالجافي ولا المهِيْن، يعظم النعمة وإن دَقَّت، ولا يذم منها شيئاً، لا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ومَا كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، و لا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، و إذا تعجب

قلبها، و إذا تحدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، و إذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جُلُّ ضحكه التبَسم، ويفتر عن شيء مثل حب الغمام.

وأما بعض صفاته الخُلُقية: فقد قال الحسين بن علي عليه السلام: سألت أبي عن دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: كان دخوله صلى الله عليه وآله وسلم مأذوناً له في ذلك، فكان إذا آوى إلى منزله جَزَّأَ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءً لله، وجزءً لأهله، وجزءً لنفسه، ثم جَزَّأَ جُزْءَه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدخر عنهم شيئاً، فكان من سيرته في جزء الأمة: إيثارَ أهل الفضل بإذنه، وقسمته على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، يتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألتهم عنه، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول: ((ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغه ثبت الله قدميه يوم القيامة))، لا يذكر عنده إلاّ ذلك، ولا يقبل من أحدٍ غيره، فيدخلون رُوَّاداً ولا يفترقون إلاّ عن ذواق، ويخرجون أَدِلَّة.

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

فقال: كان رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم يخزن لسانه إلاّ مما يعنيهم، ويؤلفهم لا يفرقهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس بأن يحترسهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خُلُقَه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسِّن الحسن ويقويه، ويقبح القبيح ويوهيه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا، ولا يقصر عن الحق ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارُهم، وأفضلُهم عنده أعمُّهم نصيحة، وأعظمُهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه؟

فقال: كان رسول الله لا يجلس ولا يقوم إلاّ عن ذكر، لا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي المجلس، ويأمر بذلك، ويعطي كل

جلسائه نصيبه، ولا يحسب أحدٌ من جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو أقامه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله حاجة لم ينصرف إلاّ بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس منه قسطه وخلقه، فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حكم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تُؤبن فيه الحرم ولا تُثنى فلتاته، متعادلين يتفاضلون بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

قال: قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه؟

فقال: كان رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب ولا فحّاش ولا غياب ولا مزّاح، يتغافل عمَا يشتهي، فلا يؤيس منه ولا يجيب فيه، قد منع نفسه من ثلاث: من المراء، والإكثار، ومَا لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيّره، ولا يطلب عثراته.

لا يتكلم إلاّ فيما رجى ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى كان أصحابه يستجلبونهم.

ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرشدوه إليّ، ولا يقبل الثناء إلاّ من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بنهي أو قيام.

قال: فسألته كيف كان سكوته ؟

قال: كان رسول الله على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر؛ فأما تقديره: فهي تسوية النظر، والاستماع بين الناس؛ وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى.

وجُمع له الصبر في الحلم، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه.

وجمع له الحذر في أربعة: أخذه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته، والقيام فيما جمع لهم

الدنيا والآخرة.

وروي عن علي عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله: يأكل على الأرض، ويجلس جِلسَة العبد، ويخصفُ بيدِهِ نَعله، ويرقّع ثوبَه، ويركبُ الحمارَ العاري، ويردفُ خلفه.

ومن أخلاقه ومعاملاته العظيمة التي كان يتصف بها مع أصحابه وجلسائه آداب هامة، تعلمها من القرآن، فلقد كان خُلُقهُ القرآن، وأدبه بها ربه تعالى كما روي عنه أنه قال ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)) فكان إذا فقَد الرجل من إخوانه ثلاثةً أيام سأل عنه فان كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زارَه وإن كان مريضاً عاده.

وكان لا يأخذ بالقَرف — وهي التهمة - ولا يقبَل قول أحدٍ على أحدٍ.

وكان إذا أتى باب قومٍ لم يستقبل الباب من تلقاءِ وجههِ ولكن من ركنِه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم، السلام عليكم. وكان إذا أتاه الرجل وله الاسمُ لا يحبُّهُ حوّلَه.

كان يجلس بين ظهرانيّ أصحابه فيجيءُ الغريبُ فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي أن يجعل مجلساً يعرفُه الغريبُ إذا أتاه فبنينا له دكاناً من طين فكان يجلس عليها، ونجلس بجانبيه. وكان يصافحه الرجلُ فما يتركُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يدَه حتى يكونَ هو التاركُ، فلما فَطِنوا لذلك كان الرجلُ إذا صافحَهُ مالَ بيده فنزعَها من يده كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.

فهذه قطرة من مطرة من صفاته وشمائله وأخلاقه وصفاته وهي مدونة في كتب السيرة، فمن أراد التأسي به والإقتداء فليكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدوته.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أتباعه المتأدبين بآدابه، المتبعين لسنته، **بسم الله الرحمن الرحيم {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ، فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}**.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وسعت كل شيء رحمته، وأبدعت كل خلق حكمته، حمداً دائماً لا انقطاع له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد الفرد الصمد.

وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، الأمين الميمون، أرسله هادياً لخلقه، وداعياً إلى حقه، فأدى الرسالة، وأقام الدلالة، ودعا إلى دار النعيم، وهدى إلى الصراط المستقيم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأبرار، وعترته الأطهار.

أما بعد: أيها المؤمنون:

بِعثةُ الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأمرُهُ له بأن يصدع بالدعوة، وأن يخبر الناس بأنه رسول من عند الله، شرفٌ وفخرٌ كبير، وفضيلة لا توازيها فضيلة، ومرتبة عالية لا تنال إلا باصطفاء واجتباء، فوجود المكذبين بذلك والجاحدين والحاسدين أمر متوقع حصوله بل مؤكد، فلم يكن الله تعالى ليترك مبعوثه ورسوله وسفيره إلى خلقه بدون أدلة وبينات تؤكد صدق دعواه، وأنه صادق في قوله، ولا بد أن تكون تلك الأدلة المؤكدة مما لا يستطيع بل يعجز الناس أن يأتوا بمثلها، وتكون خارقة لما يألفونه ويعتادونه، كي يعلموا أنه لم يفتعلها بنفسه ولا بمعونة غيره ممن هو قادر على تلك الفعلة، أو تكون من فعل أهل السحر أو الشعبذة، بل تكون دليلاً واضحاً أنه لا يقدر عليها وعلى فعلها إلا من أرسل الرسل وأيدهم بالآيات الظاهرة، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث أيده الله بالمعجزات الخارقة، التي لا مجال لإنكارها، وقد قيل بأن معجزاته بلغت ألف معجزة، وعدها بعض العلماء إلى ثلاثة آلاف معجزة، فأكبر معجزة هو القرآن الكريم، وهو المعجزة الخالدة الباقية إلى فناء الدنيا، والكلام حول ما تضمنته من الآيات والمعجزات يكثر ويطول، ونذكر بعضاً من المعجزات:

أولاً: إشباع الجيش الكثير بالطعام القليل، فعن أنسٍ، قال: أمر أبو طلحة أم سليم فقال: (اصنعي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه خاصةً طعاماً يأكل منه، قال: ثم

أرسلني أبو طلحة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيته وقلت: بعثني إليك أبو طلحة يا رسول الله، فقال: للقوم قوموا، قال: فلقينا أبو طلحة فقال: يا نبي الله إنما صنعت طعاماً لنفسك خاصةً، فقال: لا عليك انطلق بنا.

قال: فانطلق وانطلق القوم فجاء بالطعام، وإنما جعله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده فيه وسمى، ثم قال: ((إئذن لعشرةٍ))، فأذن لهم، فقال: ((كلوا باسم الله))، فأكلوا حتى شبعوا، ثم قاموا، ووضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده فيه كما صنع في المرة الأولى، ثم قال: ((ائذن لعشرةٍ))، حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت وتركوا سوراً).

ثانياً: نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماءٌ غير فضلةٍ، فجعلت في إناءٍ فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأدخل يده فيه وفرج بين أصابعه وقال: ((حي على أهل الوضوء فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، قال: فتوضأ الناس وشربوا، قلت لجابرٍ: كم كنتم يومئذٍ؟ قال: ألفاً وأربعمائةٍ)).

ثالثاً: كلام العجم من الحيوانات له، ومناطقتها له بما أصابها، وقد تكررت في عدد من المخلوقات، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال:

وكنت عنده صلى الله عليه وآله وسلم إذ أتاه ثلاث بهائم فسلموا عليه: بقرة وجمل وذئب:

أما البقرة: فكانت في نخل بني سالم، فلما بصرت برسول الله أقبلت إليه تلوذ به.

فقالت: يا بني سالم جاءكم رسول رب العالمين، أحاكمكم إليه فإنه قاضي الله في أرضه ورسوله إلى خلقه، ثم قالت البقرة: يا رسول الله، وضعت لهؤلاء اثني عشر بطناً، واستغنوا بي فأكلوا من زبدي، وشربوا من ألباني، ولم يتركوا نسلي، وهم الآن يريدون ذبحي، فآمن بنو سالم، وقالوا: والذي بعثك بالحق ما نريد معها شاهداً.

وأما الذئب: فإنه أقبل إلى رسول الله فشكى إليه الجوع وقال: يا رسول الله، إنما بعثك

الله رأفةً ورحمةً، وليحيي بك العباد والبلاد فاقسم لي شيئاً أناله، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرعاة وقال: ((افرضوا للذئب شيئاً)). فبخلوا ولم يفعلوا، ثم عاد فشكى عليه من الغد الجوع وأعاد الكلام، فدعا صلى الله عليه وآله وسلم الرعاة ثانياً وقال: ((افرضوا للذئب شيئاً)) فلم يفعلوا، ثم عاد إليه من الغد.

وأما الجمل: فإنه أقبل إلى رسول الله وضرب بجرانه الأرض ورغى وبكى ساجداً.

فقال القوم: سجد لك الجمل نحن أحق أن نسجد لك.

قال: ((اسجدوا لله عزَّ وجل، ولو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))، جاءني يشكو أربابه))، فبعثني مع الجمل لأنصفه إذ أقبل صاحبه أعرابي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَا بال هذا البعير يشكو أربابه))؟ قال: يا رسول الله ما يقول؟

قال: ((يقول: انتجعتم عليه صغيراً حتى صار عَوْداً كبيراً، ثم إنكم أردتم نحره)). قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما كذبك.

قال: ((يا أعرابي: إما أن تهبه لي وإما أن تبيعه مني)).

قال: يا رسول الله، أهبه لك. فكان الجمل يأتي علوفة الناس فيعتلف منها لا يمنعونه، فلما قبض رسول الله مات، فأمرت بدفنه كيلا تأكله السباع.

رابعاً: إخباره بالأمور الغيبية ووقوعها على ما أخبر وهي كثيرة جداً فمنها:

إخباره بقتل كسرى في اليوم الذي قتل فيه: وهو أن رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – كتب إليه كتاباً يدعوه إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله، فلما ورد عليه الكتاب مزقه، فلما بلغ رسول الله – صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – الخبر قال: ((مزق ملكه)) فكان كما قال صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، ثم غضب كسرى، وكتب إلى صاحبه: باذان، وكان على اليمن، يأمره بإشخاص رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – فبعث (باذان) رسولين إليه – صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – يعرفانه بالصورة، ويقولان له: أجب شاهنشاه الملوك: كسرى، فإنك إن فعلت ذلك كتب لك الملك باذان إليه،

ليسحن إليك، وإن أبيت فهو من تعلم – يعنيان كسرى – يهلكك ويهلك قومك، ويخرب ديارك، فقال لهما رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله –: ((انصرفا وعودا إليَّ غداً)) فأتاه – صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – الوحي بأن كسرى وثبه عليه ابنه: شيرويه، وقتله في ساعة كذا، ومن ليلة كذا، من شهر كذا، فلما دخلا عليه – صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – عرفهما ما نزل الوحي به من وثوب شيرويه على أبيه كسرى، وقتله له، فاستعظما ذلك وعادا إلى باذان، فقصا عليه القصص، فقال باذان: ما هذا كلام ملك، بل هو كلام نبي مرسل، لكنا ننتظر، فإن ورد الخبر بما قال فهو نبي مرسل، لا شك فيه، وإن يكن غير ذلك نرى فيه رأينا، فورد عليه كتاب شيرويه بذلك فأسلم باذان، ومن معه من الفرس.

ومنها: قصة عمير بن وهب: وهي أنه وصفوان بن أمية الجمحي قعدا في الحجر يتذاكران قتلى بدر، ويتوجعان لهم، ويقول صفوان: لا خير في العيش بعدهم، فقال عمير: لولا دَينٌ عليَّ، وما أخشى من ضيعة عيالي بعدي، كتبت إلى محمد بعلة أسير لي في أيديهم، وقتله، فقال له صفوان: فعلَيَّ دَينُك.وعيالك أسوة بعيالي، فتكاتما ذلك، وخرج عمير حتى قدم المدينة، ودخل إلى رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – متوشحاً بسيفه، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه، فلما رآه رسول الله – صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ – قال: ((أرسله يا عمير، أدن يا عمير، ما حاجتك؟.)) قال: جئت للأسير الذي في أيديكم، فقال – صلى الله عليه وعلى آله – ((أصدقني ما الذي جئت له؟.)) قال: ما جئت إلا لذلك، فقال له – صلى الله عليه وعلى آله:((بل قعدت أنت وصفوان في الحجر)) وقص عليه ما كان جرى منهما، وقال له:((جئت لتقتلني والله حائل بيني وبينك)) فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، هذا أمر ما حضره غيري وغير صفوان وما أخبرك به إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، فأسلم، وشهد شهادة الحق، وحَسُنَ إسلامه، وغيرها من المعجزات والآيات كثير جداً، لا نأتي على حصره قد كتبت في كتب السير والتواريخ.

وفقنا لاتباع سنة نبيه الأمين صلى الله عليه وآله الطاهرين، ورزقنا شفاعته يوم الدين.

رابعاً:

الخطب المتعلقة بشهر رجب

١٤- حول فضائل شهر رجب

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ، الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، الجَوَادِ الكَرِيمِ، الَّذِي أَنْشَأَنَا بِحِكْمَتِهِ، وَغَذَّانَا بِنِعْمَتِهِ، وَأَوْلَانَا جَزِيْلَ الإِحْسَانِ، وَهَدَانَا سَبِيلَ الإِيْمَانِ، وَعَوَّدَنَا جَمِيلَ الإِمْتِنَانِ، فَأَقْرَرْنَا بِإِلَاهِيَّتِهِ، وَاعْتَرَفْنَا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَيْقَنَّا بِحَشْرِهِ وَحِسَابِهِ، وَآمَنَّا بِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، مُدَبِّرُ الأُمُورِ وَمُصَرِّفُ المقْدُورِ.

وَأشهد أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَاليَقِينِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَى كَافَّةِ المؤمِنِينَ، فَبَشَّرَ التَّقِيَّ، وَأَنْذَرَ الغَوِيَّ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَكَشَفَ الغُمَّةَ، وَجَاهَدَ حَتَّى كَمُلَ الدِّينُ، وَعَبَدَ إِلَهَهُ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

نعيش وإياكم في هذه الأيام المباركة الفاضلة، في أيام شهر الخير والبركة، في شهر رجب الأصب، الذي هو من أشهر الحرم التي عظمها الإسلام تعظيماً كبيراً، كما قال الله تعالى **{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ}**، فهو المنفرد من الأربعة الحرم، وقد كانت الجاهلية تعظمه، وتستعظم انتهاك الحرمة فيه بقتل أو غدر أو نحو ذلك، فلما شق ذلك عليها كانت إذا دخل شهر من الحرم وهم في أثناء قتال انتهكوا فيه أياماً ثم جعلوا بدلاً عنها أياماً أخرى من شهر آخر ويزيدون عليها ضعفاً، كما قال تعالى **{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}**، فلما جاء الإسلام زاده تعظيماً وتشريفاً، وعاب الله تعالى على المشركين انتهاكهم لحرمة الأشهر الحرم.

وقد وردت الروايات الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضل شهر رجب،

وأنه من أوقات العبادة، وأيامه من أيام طلب الفضل والزيادة:

فعن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((رجب شهر عظيم، تضاعف فيه الحسنات، ما لا تضاعف في غيره)).

وعن أنس عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه كان إذا دخل رجب قال: اللهمّ بارك لنا في رجب وشعبان، وبلِّغنا رمضان.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ألا إنّ رجب شهر اللّه الأصمّ، وإنّما سمّي الأصمّ لانفراده من الأشهر الحرم، وشعبان شهري، ورمضان شهر أُمّتي، ألا من صام في رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان اللّه الأكبر)).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ((رجب من أشهر الحرم، وأيّامه مكتوبة على أبواب السماء السادسة، فإذا صام الرجل منه يوماً وجوّد صومه بتقوى اللّه نطق الباب ونطق اليوم فقالا: يا ربّ اغفر له، وإن لم يتمّ صومه بتقوى اللّه ولم يستغفر قالا: خُدِعتَ من نفسك)).

وعن عائشة قالت: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنّ رجب شهر اللّه ويدعا الأصمّ، وكان أهل الجاهلية إذا دخل رجب يعطّلون أسلحتهم يضعونها، فكان النّاس يأمنون وتأمن السّبل، ولا يخاف بعضهم من بعض حتّى ينقضي)).

أيها المؤمنون: شهر رجب بستان من بساتين العبادة، وشجرة تحمل أنواع الثمار اليانعة، فيقتطف الصالحون والأولياء أنواع ثلك الثمار، ويتنقلون تحت ظلال أشجار ذلك البستان، وقد وردت في رجب أنواع من العبادات، نذكر بعضها:

أولاً: مندوبية الصيام فيه، فقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في صيامه كله لمن استطاع ذلك، أو صيام بعضه:

منها: ما روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ((من صام يوماً من رجب وقام ليلة من لياليه، بعثه اللّه آمناً يوم القيامة، ومرّ على

الصراط وهو يهلّل ويكبّر، ومن صام أكثر من ذلك وقام، أَمَرَ اللّه تبارك وتعالى المنادي يوم القيامة فينادي: ألا إنّ فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن صام أكثر الشهر أعطاه اللّه تبارك وتعالى في الجنان مُدُناً وقصوراً لا يقدر وصفه الواصفون)).

وعن عبد العزيز بن سعيد، عن أبيه –وكانت له صحبة– قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((رجب شهر عظيم يضاعف فيه الحسنات، فمن صام يوماً من رجب فكأنّما صام سنةً، ومن صام منه سبعة أيّام غلّقت عنه سبعة أبواب جهنّم، ومن صام منه ثمانية أيّام فتحت له ثمانية أبواب من الجنة، ومن صام منه عشرة أيّام لم يسأل اللّه شيئاً إلاّ أعطاه إيّاه، ومن صام منه خمسة عشر يوماً نادى منادٍ من السماء: قد غُفر لك ما مضى فاستأنف العمل، ومن زاد زاده اللّه، وفي رجب حمل اللّه –تعالى ذكره– نوحاً في السفينة، فصام رجب وأمر من معه أن يصوموا، فجرت بهم السفينة ستة أشهر، آخر ذلك يوم عاشوراء هبط على الجودي، فصام نوح ومن معه والوحش: شكراً للّه تعالى ذكره.

وعن أنس بن مالك قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((من صام يوماً من رجب إيماناً واحتساباً جعل الله تبارك وتعالى بينه وبين النار سبعين خندقاً عرض كل خندق ما بين السماء إلى الأرض)).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن في الجنة نهراً يقال له رجب أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر))، فهذه الرويات تدل على فضل صيامه، وما أعده الله من الأجر والثواب للصائمين فيه.

ثانياً: مما يندب قيام أول ليلة من شهر رجب وصيام يومها الذي هو أول يوم من رجب:

فعن عطاءَ الخراساني، قال: خمس ليال من قامهن: أول ليلة من رجب يقومها ويصبح صائماً، وليلة النصف من شعبان يقومها ويصبح صائماً، وليلة الفطر يقومها ويصبح مفطراً، وليلة الأضحى يقومها ويصبح مفطراً، وليلة عاشوراء يقومها ويصبح صائماً، كتب الله له أجر شهيد في حياته وبعد مماته.

وعن الحسن قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربع ليال يفرغ الله تعالى الرحمة على عباده إفراغاً: أول ليلة من شهر رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، والأضحى)).

ثالثاً: من المندوبات في هذا الشهر الصدقةُ والذكرُ وهي تقوم مقامَ الصيامِ لمن لم يصُم، كما روى الإمام المرشد بالله عليه السلام في آخر الحديث الطويل في فضل صيام كل يوم منه: فقيل يا رسول الله فمن عجز عن صيام رجب لضعف أو علة في الرجال أو كانت امرأة غير طاهرة لينال ما وصفت؟

قال: ((يتصدق هذه الصدقة، كل يوم رغيف على المساكين، والذي نفسي بيده إنَّه إذا تصدق بهذه الصدقة كل يوم ينال ما وصفت وأكثر، إنَّه لو اجتمع جميع الخلائق كلهم من أهل السماوات والأرض على أن يقدروا قدر ثوابه ما بلغوا ما نصب في الجنان من الفضائل والدرجات))، قيل يا رسول الله: ومن لم يقدر على هذه الصدقة يصنع ما ذا لينال ما وصفته؟

قال: يسبح الله في كل يوم في شهر رجب إلى تمام ثلاثين يوماً هذا التسبيح مائة مرة:

((سبحان الإله الجليل، سبحان من لا ينبغي التسبيح الإله، سبحان الأعز الأكرم، سبحان من لبس العز وهو له أهل))، وهذا هو تسبيح رجب المشهور.

ومما يستحب من الصيام فيه: صيامُ يوم السابع والعشرين

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله صيام ستين شهراً))، وهو يوم هبط جبريل عليه السلام على محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، أول يوم هبط إليه.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، وللمؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء.

أما بعد أيها المؤمنون: لقد اعتاد الصالحون والعباد زيادة العناية بالعبادة في شهر رجب، فكانوا يصومونه ويصومون معه شهر شعبان، ونأخذ بعض عبادة الصالحين فيه، فلقد كان عابد اليمن إبراهيم بن أحمد الكينعي رحمة الله عليه يوظف لنفسه أوراداً وعبادات في شهر رجب وشعبان، وإليك كلام السيد العلامة يحيى بن المهدي بن قاسم الحسيني في كتاب صلة الإخوان في حلية عابد الزمان، قال رحمه الله: وأمَّا شهر الله المحرَّم، ورجب، وشعبان، وشهر رمضان الكريم فيلزم الخلوة في هذه الأربعة الحرم، ويوظف فيها وظائف:

منها: لا يتكلم فيها أبداً فيما عرفتُ وعلمتُ، فإن كُتِبَ إليه في حاجة مهمَّة دينية جوَّب في ظهر ورقة، أوفي عصا أو في لوح لفظات يسيرة جواباً.

ومنها: لا يدخل إليه من بني آدم أحد والذي يأتيه بالوضوء والطعام يتركه على باب منزل خلوته المباركة، أو يهيء في مكان للتجمير والتدفية، فينزل له في أي وقت أحب.

ومنها: أنه لا يفرط في ساعات الليل والنهار، بل اللحظة فيما أحسب، ويقطع علائق الكتب لا تقف عنده في هذه الخلوات، فيقرأ في كل شهر ستين ختمة، يقرأ في كل يوم ختمتين، وفي شهر رمضان -عمت بركته- تسعين ختمة، في النهار ختمتين، وفي الليل ختمة قياماً وتلاوة، ويضاعف الصلوات والأذكار التي في سائر السنة، فإذا خرج من هذه العكفة المباركة شاهدت نوراً يلمع على وجهه، ولو كشط لحمه لما ملأ الكفين، والله أعلم، ويكاد يُدْرَكُ بياضُ العظم من رقة جلده، ثم قال:

رَوَى لي بعض إخوان سيدي إبراهيم الكينعي رضي الله عنهما أنه شاهد إبراهيم صلى الشعبانية مائة ركعة بين العشاءين، وكانت الصلاة والتلاوة عليه سهلة يسيرة، وكان ذلك دأبه يصليها بين العشاءين في كل ليلة من الثلاثة الأشهر [شهر رجب، وشعبان، ورمضان].

قلت له يوماً: أنَّى يتهيأ لك هذا الختم؟ وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ((من قرأه دون ثلاثة أيام لم يفقه)) فقال: إن الله سهَّل عليَّ ذلك، وأجد خفة في لساني في الصلاة والتلاوة ولا أجدها في سائر الكلام، وإني لو أتدبر كتاب ربي لما استطعت أن أَمُرَّ بآية وعيد.

أيها المؤمنون: فإنكم في شهر عظيم، ويوم عظيم، فنحن في شهر رجب، وفي أول جمعة منه، حيث كان لأهل اليمن وخاصة قبائل همدان في أول جمعة من رجب فضيلة لا توازيها الفضائل، ومنقبة لا تساويها المناقب، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أرسل أمير المؤمنين علياً عليه السلام إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام والإيمان، فوصل إلى اليمن في غرة شهر رجب، فاجتمعت إليه قبائل همدان كلها في يوم الجمعة، وهي أول جمعة من رجب، فدعاهم إلى الإسلام، ووعظهم وذكرهم، فأسلموا جميعاً في يوم واحد، على يد أمير المؤمنين علي عليه السلام، فلما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك سجد لله شكراً، فلهذا نرى لأهل اليمن وخاصة همدان مزيدَ عناية بأول جمعة من رجب، لهذا السبب.

فأهل اليمن لم يحتاجوا في إسلامهم إلى السيف كغيرهم من أهل البلدان، بل أجابوا داعي الله مسرعين، فهم أهل السابقة والفضيلة، ولهم مناقب سامية ليست لغيرهم، ووردت فيهم روايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما روي عنه أنه قال ((إذا هاجت الفتن فعليكم باليمن)) قالوا يا رسول الله: فإذا كانت باليمن، قال ((سيطفئها الله)).

وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((الروح والفرج من هاهنا)) وأشار بيده إلى اليمن.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((اللهم بارك لنا في يمننا وشامنا)) ثلاث مرات، قالوا: وفي نجدنا يا رسول الله، قال: منه يطلع قرن الشيطان، وفي رواية أنه أشار بيده إلى نجد: وقال هاهنا الفتنة، ثلاث مرات.

١٥- خطبة أخرى حول فضائل شهر رجب

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ العَظِيْم، الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، الجَوَادِ الكَرِيمِ، الَّذِي أَنْشَأَنَا بِحِكْمَتِهِ، وَغَذَّانَا بِنِعْمَتِهِ، وَأَوْلَانَا جَزِيْلَ الإِحْسَانِ، وَهَدَانَا سَبِيلَ الإِيْمَانِ، وَعَوَّدَنَا جَمِيلَ الإِمْتِنَانِ، فَأَقْرَرْنَا بِإِلَاهِيَّتِهِ، وَاعْتَرَفْنَا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَيْقَنَّا بِحَشْرِهِ وَحِسَابِهِ، وَآمَنَّا بِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، مُدَبِّرُ الأُمُورِ وَمُصَرِّفُ المقْدُورِ.

وَأشهد أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَاليَقِينِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَى كَافَّةِ المؤمِنِينَ، فَبَشَّرَ التَّقِيَّ، وَأَنْذَرَ الغَوِيَّ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَكَشَفَ الغُمَّةَ، وَجَاهَدَ حَتَّى كَمُلَ الدِّينُ، وَعَبَدَ إِلَهَهُ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

ها هي أيام الخير والبركة قد أقبلت، وأيام الفضل والأجر قد استهلت، في هذه الأيام المباركة الفاضلة، نستقبل أيامَ شهر الخير والبركة، شهرِ رجب الأصب، الذي يصب اللهُ فيه الرحمة على عباده صباً، ها هو الشهر الأصم قد أقبل، الشهر الذي لا يقاربه ولا يدانيه في الفضل شهر من الأشهر غير رمضان، شهر رجب الذي هو الشهر المنفرد من أشهر الحرم الأربعة التي عظمها الإسلام تعظيماً كبيراً، كما قال الله تعالى **{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ}**، فثلاثة منها متتابعة وهي شعر القعدة والحجة ومحرم، وشهر منفرد وهو شهر رجب، وقد كانت الجاهلية تعظمها، وتستعظم انتهاك الحرمة فيها بقتل أو غدر أو نحو ذلك، فلما شق ذلك عليها كانوا إذا دخل شهر من الأشهر الحرم وهم في قتال انتهكوا فيه أياماً ثم جعلوا بدلاً عنها أياماً أخرى من شهر آخر ويزيدون

عليها ضعفاً، كما قال تعالى {**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**}، فلما جاء الإسلام زاد هذه الأشهر تعظيماً وتشريفاً، وعاب اللهُ تعالى على المشركين انتهاكهم لحرمة الأشهر الحرم.

أيها المؤمنون: شهر رجب هو شهر الخير والبركة، وهو العلامة على شهر رمضان، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستبشر بقدومه لفضله، ولأنه يبشر بقرب قدوم رمضان، كما روي عن أنس بن مالك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه كان إذا دخل رجب قال: ((اللهمّ بارك لنا في رجب وشعبان، وبلّغنا رمضان)).

وقد وردت روايات كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبين فضل شهر رجب، وأنه من أوقات العبادة، وأن أيامَه من أيام طلبِ الفضل والزيادة:

فعن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((رجب شهر عظيم، تضاعف فيه الحسنات، ما لا تضاعف في غيره)).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ألا إنّ رجب شهر اللّه الأصمّ، وإنّما سمّي الأصمّ لانفراده من الأشهر الحرم، وشعبان شهري، ورمضان شهر أُمّتي، ألا من صام في رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان اللّه الأكبر)).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ((رجب من أشهر الحرم، وأيّامُه مكتوبةٌ على أبواب السماء السادسة، فإذا صام الرجل منه يوماً وَجَوَّدَ صَومَه بتقوى اللّه، نَطقَ البابُ ونطقَ اليوم فقالا: يا ربّ اغفر له، وإن لم يتمّ صومه بتقوى اللّه ولم يستغفر قالا: خُدِعتَ من نفسك)).

وعن عائشة قالت: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنّ رجب شهر اللّه ويدعا الأصمّ، وكان أهل الجاهلية إذا دخل رجب يعطّلون أسلحتهم يضعونها، فكان النّاس يأمنون وتأمن السّبل، ولا يخاف بعضُهم من بعض حتّى ينقضي)).

أيها المؤمنون: فقد يسر الله تعالى لعباده سبل الهدى، وسهل لهم طرق الأجر والثواب، فما على المسلم إلا أن يسلك واضحاتِ المسالك، لينجو يوم الفزع الأكبر من الردى والمهالك، وينظمَه الله في سلك أوليائه الأبرار المستوجبين بفضل اللهِ رحمتَه، ومن تلك السبل شهر رجب، الذي فضّلَه الله بما جعل فيه من الخير لمن حرص عليه، فهو بستان من بساتين العبادة، وشجرة تحمل أنواع الثمار اليانعة، يقتطف الصالحون والأولياء منها أنواع الثمار، ويتنقلون تحت ظلال أشجار ذلك البستان، فالعبادات فيه تتنوع، والطاعات فيه تتعدد، وكلُّ طاعة وعبادة فيه أجرُها مضاعف، وثوابها مبارك، وقد وردت في رجب أنواع من العبادات، نذكر بعضها:

أولاً: مندوبية الصيام فيه

فقد حرص أعداءُ أهل البيت عليهم السلام من النواصب أن يهونوا ويوهنوا ما روي في فضلِ شهر رجب من العبادات والطاعات، مع أنها قد وردت روايات وأحاديث كثيرة صحيحة في الترغيب في صيامه كلِّه لمن استطاع ذلك، أو صيامِ بعضه:

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بصيام شهر رجب فعن ابن عبّاس رضى الله عنه أنه قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم يصوم حتّى نقول: لا يفطر، ويفطر حتّى نقول: لا يصوم.

ومن الروايات الدالة على فضل صيامه: ما روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ((من صام يوماً من رجب وقام ليلة من لياليه، بعثه اللّه آمناً يوم القيامة، ومرّ على الصراط وهو يهلّل ويكبّر، ومن صام أكثر من ذلك وقام، أمَرَ اللّه تبارك وتعالى المنادي يوم القيامة فينادي: ألا إنّ فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن صام أكثر الشهر أعطاه اللّه تبارك وتعالى في الجنان مُدُناً وقصوراً لا يقدر وصفه الواصفون)).

وعن عبد العزيز بن سعيد، عن أبيه –وكانت له صحبة– قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((رجب شهر عظيم يضاعف فيه الحسنات، فمن صام يوماً من رجب فكأنّما صام سنةً، ومن صام منه سبعة أيّام غلّقت عنه سبعة أبواب جهنّم، ومن صام منه

ثمانية أيّام فتحت له ثمانية أبواب من الجنة، ومن صام منه عشرة أيّام لم يسأل اللّه شيئاً إلاّ أعطاه إيّاه، ومن صام منه خمسة عشر يوماً نادى منادٍ من السماء: قد غُفر لك ما مضى فاستأنف العمل، ومن زاد زاده اللّه، وفي رجب حمل اللّه -تعالى ذكره- نوحاً في السفينة، فصام رجب وأمر من معه أن يصوموا، فجرت بهم السفينة ستة أشهر، آخر ذلك يوم عاشوراء هبط على الجودي، فصام نوح ومن معه والوحش: شكراً للّه تعالى ذكره.

وعن أنس بن مالك قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((من صام يوماً من رجب إيماناً واحتساباً جعل الله تبارك وتعالى بينه وبين النار سبعين خندقاً عرض كل خندق ما بين السماء إلى الأرض)).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن في الجنة نهراً يقال له رجب أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر))، فهذه الرويات تدل على فضل صيامه، وما أعده الله من الأجر والثواب للصائمين فيه.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء الأتقياء.

أما بعد أيها المؤمنون:

ثانياً: مما يندب ويستحب قيام أول ليلة من شهر رجب وصيام يومها الذي هو أول يوم من رجب:

فعن عطاءَ الخراساني، قال: خمس ليال من قامهن: أول ليلة من رجب يقومها ويصبح صائماً، وليلة النصف من شعبان يقومها ويصبح صائماً، وليلة الفطر يقومها ويصبح مفطراً، وليلة الأضحى يقومها ويصبح مفطراً، وليلة عاشوراء يقومها ويصبح صائماً كتب الله له أجر شهيد في حياته وبعد مماته.

وعن الحسن قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربع ليال يفرغ الله تعالى الرحمة على عباده إفراغاً: أول ليلة من شهر رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، والأضحى)).

ثالثاً: من المندوبات في هذا الشهر الصدقةُ والذكرُ فيه تقوم مقامَ الصيامِ لمن لم يصُم.

فقد روى الإمام المرشد بالله عليه السلام حديثاً طويلاً في فضل صيام كل يوم منه، وفي آخره: فقيل يا رسول الله فمن عجز عن صيام رجب لضعف أو علة في الرجال أو كانت امرأة غير طاهرة لينال ما وصفت؟

قال: ((يتصدق هذه الصدقة كل يوم رغيف على المساكين، والذي نفسي بيده إنَّه إذا

تصدق بهذه الصدقة كل يوم ينال ما وصفت وأكثر، إنَّه لو اجتمع جميع الخلائق كلهم من أهل السماوات والأرض على أن يقدروا قدر ثوابه ما بلغوا ما نصب في الجنان من الفضائل والدرجات.

قيل يا رسول الله: ومن لم يقدر على هذه الصدقة يصنع ما ذا لينال ما وصفته؟

قال: يسبح الله في كل يوم في شهر رجب إلى تمام ثلاثين يوماً هذا التسبيح مائة مرة: ((سبحان الإله الجليل، سبحان من لا ينبغي التسبيح الإله، سبحان الأعز الأكرم، سبحان من لبس العز وهو له أهل))، وهذا هو تسبيح رجب المشهور.

ومما يستحب من الصيام فيه: صيامُ يوم السابع والعشرين

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله صيام ستين شهراً))، وهو يوم هبط جبريل عليه السلام على محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، أول يوم هبط إليه.

أيها المؤمنون: قد اعتاد الصالحون والعباد زيادةَ العناية بالعبادة في شهر رجب، فكانوا يصومونه ويصومون معه شهر شعبان، ونأخذ بعض عبادة الصالحين فيه، فلقد كان عابد اليمن إبراهيم بن أحمد الكينعي رحمة الله عليه يوظف لنفسه أوراداً وعبادات في شهر رجب وشعبان، قال السيدُ العلامةُ يحيى بنُ المهدي بنِ القاسم الحسيني في كتاب صلة الإخوان في حلية عابد الزمان حاكياً عبادة الكينعي:

وأمَّا شهر الله المحرَّم، ورجب، وشعبان، وشهر رمضان الكريم فيلزم الخلوة في هذه الأربعة الحرم، ويوظف فيها وظائف:

منها: لا يتكلم فيها أبداً فيما عرفتُ وعلمتُ، فإن كُتِبَ إليه في حاجة مهمَّة دينية جوَّب في ظهر ورقة، أوفي عصا أو في لوح لفظات يسيرة جواباً.

ومنها: لا يدخل إليه من بني آدم أحد والذي يأتيه بالوضوء والطعام يتركه على باب منزل خلوته المباركة، أو يهيء في مكان للتجمير والتدفية، فينزل له في أي وقت أحب.

ومنها: أنه لا يفرط في ساعات الليل والنهار، بل اللحظة فيما أحسب، ويقطع علائق الكتب لا تقف عنده في هذه الخلوات، فيقرأ في كل شهر ستين ختمة، يقرأ في كل يوم ختمتين، وفي شهر رمضان -عمت بركته- تسعين ختمة، في النهار ختمتين، وفي الليل ختمة قياماً وتلاوة، ويضاعف الصلوات والأذكار التي في سائر السنة، فإذا خرج من هذه العكفة المباركة شاهدت نوراً يلمع على وجهه، ولو كشط لحمه لما ملأ الكفين، والله أعلم، ويكاد يُدْرَكُ بياضُ العظم من رقة جلده. إلى قوله:

رَوَى لي بعض إخوان سيدي إبراهيم الكينعي رضي الله عنهما أنه شاهد إبراهيم صلى الشعبانية مائة ركعة بين العشاءين، وكانت الصلاة والتلاوة عليه سهلة يسيرة، وكان ذلك دأبه يصليها بين العشاءين في كل ليلة من الثلاثة الأشهر [شهر رجب، وشعبان، ورمضان]، حكى لي هذا أخوه حسن بن موسى.

قلت له يوماً: أنَّى يتهيأ لك هذا الختم؟ وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ((من قرأه دون ثلاثة أيام لم يفقه)) فجوَّب عليَّ بجوابين:

أحدهما: أن الله سهَّل عليَّ ذلك، وأجد خفة في لساني في الصلاة والتلاوة ولا أجدها في سائر الكلام.

والثاني: أني لو أتدبر كتاب ربي لما استطعت أن أمر بآية وعيد.

فعلينا أن نغتنم هذه الفرصة، بما نقدر عليه من أعمال الخير، وأن نقدم التوبة والرجوع والإنابة إلى الله تعالى.

١٦- أول جمعة من رجب إسلام أهل اليمن

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِلْإِسْلامِ، وَأَكْرَمَنا بِالْإِيمانِ، وَبَصَّرَنا فِي الدّينِ، وَشَرَّفَنا بِالْيَقينِ، وَعَرَّفَنَا الْحَقَّ الَّذي عَنْهُ يُؤْفَكُونَ، وَالنَّبَأَ الْعَظيمَ الَّذي هُمْ فيهِ مُخْتَلِفُونَ، الَّذي لَهُ في كُلِّ صِنْفٍ مِنْ غَرائِبِ فِطْرَتِهِ، وَعَجائِبِ صَنْعَتِهِ، آيَةٌ بَيِّنَةٌ تُوجِبُ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ، وَ عَلى كُلِّ نَوْعٍ مِنْ غَوامِضِ تَقْديرِهِ وَحُسْنِ تَدْبيرِهِ دَليلٌ واضِحٌ وَشاهِدٌ عَدْلٌ يَقْضِيانِ لَهُ بِالْوَحْدانِيَّةِ.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةَ مُقرٍّ له بالعبودية خاشعاً، معترفٍ له بالوحدانية طائعاً، مستجيبٍ لدعوته خاضعاً، متضرعٍ لمشيته متواضعاً.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه الكريم، ورسوله الطاهر المعصوم، بعثه والناس في غمرة الضلالة ساهون، وفي غرة الجهالة لاهون، فقام بتبليغ الرسالة أتم قيام، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله البررة الكرام.

أما بعد أيها المؤمنون:

تمر أيام شهر رجب الخير، وتكرنا أيامُه بمناسباته وأحداثه، فقد وقعت في شهر رجب مناسبات عظيمة، وأحداث كبيرة كريمة، فمن تلك الأحداث والمناسبات الهامة، التي تعتبر من ذكريات الفرح والسرور، والغِبطة والحبور، ما حصل في أول جمعة من شهر رجب من المنقبة السامية، والمفخرة الجليلة العالية، التي لا توازيها مزية، وتضاهيها فضيلة.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أرسل إلى اليمن جماعة من الصحابة فيهم خالدُ بن الوليد يدعونهم إلى الإسلام فمكثوا ستة أشهر لم يجبهم أحدٌ من الناس، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إليهم بالرجوع والعودة، وأرسل أمير المؤمنين علياً عليه السلام إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام والإيمان، وذلك في

السنة الثامنة للهجرة، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا رسول الله، تبعثني إلى قوم أسن مني، وأنا غلام حدث السن لا علم لي بالقضاء، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره ثم قال ((اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه)) ثم قال ((يا علي: إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر)) قال علي عليه السلام ((فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين))، فلما وصل أمير المؤمنين عليه السلام اجتمعوا إليه، وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وذلك في أول جمعة من شهر رجب، فكتب أمير المؤمنين بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكتاب خَرَّ ساجِدَاً شُكْرَاً للهِ على إسلامهم، فَلَمَّا رفع رأسه من السجود قال: ((السلام على همدان -ثلاث مرات-))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((نِعم الحي همدان ما أسرعها إلى النصرة، وأصبرها على الجهد، وفيهم أبدال، وفيهم أوتاد الإسلام))، ولا خلاف بين المؤرخين وأهل السير أنَّ همدانَ أولُ شَعْبٍ من أهل اليمن اعتنق الإسلام، بدون قتل ولا قتال، ثم إن قبائل اليمن تتابعت في الدخول في الإسلام بعد همدان، ببركة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فأقام أمير المؤمنين عليه السلام فيهم يعلمهم الإسلام، ويقضي بينهم بالحق، ودخل صنعاء وأقام بها أربعين يوماً، واختط مسجد صنعاء المعروف بالجامع الكبير، ودخل عليه السلام إلى بلاد حجة ووصل إلى عدن وخطب على منبرها.

ولما استقر صلوات الله عليه باليمن، نظر في الأمر الذي ندبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إليه، وهو الحكم بين الناس، والقضاء بينهم، فقام به أتم القيام، وحكم بما ألهمه الله من الأحكام، وقد حصلت له مسائلُ عويصةٌ، وحَكَم في قضايا مستعصية، أقره عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجاز حُكمه فيها، ومدحه وأثنى عليه عليها، بما وفقه الله من حسن النظر، فمنها:

قضية الزبية -وهي الحفرة الكبيرة- التي وقع فيها أسد، فأصبح الناس ينظرون اليه

ويتزاحمون ويتدافعون حول الزبية، فسقط رجل في الزبية وتعلق بالذي يليه، وتعلق الآخر بآخر، حتى وقع فيها أربعة، فجرحهم الأسد، وتناول رجلٌ الأسدَ بحربة فقتله، فأُخرج القومُ موتى، فانطلقت القبائل الى قبيلة الرجل الأول الذي سقط وتعلق فوقه ثلاثة.

فقالوا لهم: ادوا دية الثلاثة الذين أهلكهم صاحبكم، فلولا هو ما سقطوا في الزبية.

فقال أهل الأول: إنما تعلق صاحبنا بواحد فنحن نؤدي ديته، واختلفوا حتى أرادوا القتال، فصرخ رجل منهم إلى أمير المؤمنين وهو منهم غير بعيد، فأتاهم ولامهم، وأظهر الغضب عليهم، وقال لهم: لاتقتلوا أنفسكم ورسول اللّه حي، وأنا بين أظهركم، فإنكم تقتلون أكثر ممن تختلفون فيه، فلما سمعوا ذلك منه استقاموا، فقال: إني قاض فيكم قضاء فإن رضيتموه فهو نافذ، وإلا فهو حاجز بينكم من جاوزه فلاحق له حتى تلقوا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فيكون هو أحق بالقضاء مني.

فاصطلحوا على ذلك، فأمرهم أن يجمعوا ديةً تامةً من القبائل الذين‌شهدوا الزُّبيَةَ ونصفَ دية، وثلث دية، وربع دية، فأعطى أهل الأول ربع الدية من‌أجل أنه هلك فوقه ثلاثة، وأعطى الذي يليه ثلث الدية، من أجل أنه هلك فوقه اثنان، وأعطى الثالث النصف من أجل أنه هلك فوقه واحد، وأعطى الرابع الدية تامة، لأنه لم يهلك فوقه أحد، فمنهم من رضي، ومنهم من كره.

فقال لهم علي عليه السلام: تمسكوا بقضائي إلى أن تأتوا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فيكون هو القاضي فيما بينكم.

فوافقوا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بالموقف بعرفة، فثاروا إليه فحدثوه حديثهم، فاحتبى ببرد عليه، ثم قال: أنا اقضي بينكم إن شاء اللّه.

فناداه رجل من القوم: إن علي بن أبي طالب قد قضى بيننا.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما هو؟ فأخبروه.

فقال: هو كما قضى، فرضوا بذلك.

ومن تلك القضايا والأحكام التي حصلت لأمير المؤمنين عليه السلام وهو في اليمن، ما روي أن فرساً لرجلٍ انفلتت من داره، فرمح الفرسُ رجلاً فقتله، فأخذه أولياؤه ورفعوه إلى علي عليه السلام، فأقام صاحب الفرس البينة: أن الفرس انفلت من داره فرمح الرجلَ برجله، فأبطل علي عليه السلام دمَ الرجل، فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشكون علياً عليه السلام فيما حكم عليهم، فقالوا: إِنَّ عَلِيّاً ظَلَمَنَا، وأَبْطَلَ دَمَ صَاحِبِنَا.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ((إنَّ علياً ليس بظلام، ولم يخلق علي للظلم، وإنّ الولايةَ من بعدي لعلي، والحكمَ حُكْمُهُ، والقولَ قولُهُ، لا يَرُدُّ حُكمَهُ وقولَه إلا كافر، ولا يرضى بحكمه وولايته إلا مؤمن)).

فلما سمعوا قولَ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: رضينا بقول علي وحكمه.

وبقي أمير المؤمنين عليه السلام في اليمن إلى أن جاءه الأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرجوع، فعاد صلوات الله عليه.

وليس هذا هو الإرسال الوحيد لأمير المؤمنين عليه السلام إلى اليمن، بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسله أيضاً في السنة العاشرة للهجرة في شهر رمضان، إلى قبائل مذحج، وعقد له لواء، وأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمامته فلفها مثنيةً مربعة فجعلها في رأس الرمح، ثم دفعها إليه، وعممه بيده المباركة، وقال له: امض ولا تلتفت.

فقال علي عليه السلام: ما أصنع؟!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، وادعهم إلى قول لا إله إلا الله، فإن قالوا: نعم، فأمرهم بالصلاة، فإن أجابوا، فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لئن يهدي الله على يديك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى مذحج في ثلاثمائة فارس، فلما انتهى إليهم، دعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا أصحابه عليه السلام بالنبل والحجارة، فصف عليه السلام

أصحابه، وحمل عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى قتل منهم عشرين رجلاً، وانهزموا وتفرقوا، فكف عليه السلام عن طلبهم، ثم دعاهم بعدها إلى الإسلام مرة أخرى، فأسرع جماعة من رؤسائهم إلى إجابته ومتابعته، وقالوا: نحن على مَن وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حقّ الله تعالى، فجمع عليه السلام الغنائم، وجزأها على خمسة أجزاء، ثم أخرج الخمس، وقسم بقية الغنائم بين أصحابه، ثم كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمه بذلك، فكتب إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يوافيه الموسم للحج، فرجع أمير المؤمنين عليه السلام حتى وافى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، وأحرم بما أحرم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى نجران من أرض اليمن ليأخذ الصدقات من المسلمين، ويأخذ الجزية من أهل الذمة من النصارى.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ذِي الرَّحْمَةِ الْواسِعَةِ، وَالنِّعَمِ السَّابِغَةِ، وَالْحُجَّةِ الْبالِغَةِ، وَالْأمْثالِ الْعُلْيا، وَالْأسْماءِ الْحُسْنى، له الحمد الدائم، والشكر اللازم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله.

أما بعد: أيها المؤمنون:

لما أسلم أهل اليمن على يد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكانت له المنة في رقابهم بذلك، تأصل حبُّه عندهم، وتعمق التشيع في وجدانهم، حتى نشأ وترعرع عليه صغيرهم، وشب عليه غلامهم، وشاب عليهم شبابهم، ومات على ذلك كبارهم.

فلم يزالوا يتوارثون حب أمير المؤمنين عليه السلام، خلفاً عن سلف، وصاغراً عن كابر، وقد بقي ذلك حتى تجسد في محبتهم ونصرتهم لأهل البيت عليهم السلام.

وكانت تلك الشجرة التي غرسها أمير المؤمنين عليه السلام مباركة الثمار، حلوة المجتنى، فقد صارت اليمن بعد ذلك مشتهرة بالتشيع، حتى كادت أرضها وأحجارها أن تتشيع كما قال الشاعر:

من أين يأتيك العداءُ وأنت في بلد تكاد صخورها تتشيع

ولهذا فقد حرص أعداء أمير المؤمنين علي عليه السلام على إزالة التشيع من اليمن وأهله، وحاولوا جاهدين على محوه فما استطاعوا وبآؤوا بالفشل، فها هو معاوية لعنة الله عليه يرسل بُسر بن أرطأة في جيش جرار عدده عشرون ألفاً لغرض الفتك والقتل والإستئصال لشيعة أمير المؤمنين ومحبيه، وقتل منهم من قتل، من كبارهم ومشائخهم ورجالهم وحتى من أطفالهم، ولكن لم يستطع أن يطمس ولا أن يهدم ما قد أسسه أمير المؤمنين عليه السلام.

واليمن إنما حصلت على ما حصلت عليه من الفضائل لما قد سبق في علم الله تعالى

من أنها ستكون مقراً لأهل البيت عليهم السلام، وأنها الأرض الخصبة التي ينتشر عليه مذهب الحق، ومنهج الصدق، وأن رجالها وأبنائها سيكونون أنصاراً للدين، وأنصاراً للأئمة الطاهرين من أهل البيت الأكرمين.

وقد بارك الله تعالى في الذرية النبوية التي سكنت اليمن حتى تفرقوا في المناطق اليمنية، وحلت بحلولهم البركات والخيرات، فقد انتشر أئمة أهل البيت عليهم السلام في ربوع بلاد اليمن، وطهروها من كل مبتدع وضال، وحموها من كل الغزاة والطامعين.

الفضائل والمناقب التي وردت لأهل اليمن تدل دلالة واضحة على مكانتهم في الإسلام، ولقد وردت المدائح النبوية في الثناء عليهم، فهم أهل السابقة والفضيلة، ولهم المناقب السامية التي ليست لغيرهم.

كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذا هاجت الفتن فعليكم باليمن)) قالوا يا رسول الله: فإذا كانت باليمن، قال ((سيطفئها الله)).

والمراد بالفتن هنا، هي فتنة الدين، والمعنى إذا التبس الحابل بالنابل، واختلط الحق بالباطل، ولم يدر المرء إلى أي مذهب يميل، ولا إلى أي فرقة يتجه، فإن الحق موجود في اليمن، وطريق النجاة من المحن والضلال باتباع من جعلهم الله تعالى الأمان من الضلال، وهم أهل البيت عليهم السلام، الذين هم طائفة الحق، ومذهبهم مذهب الصدق، وهم الفرقة الناجية، وهي تتمثل في أئمة الهدى عليهم السلام ومن سلك طريقتهم، وتتمثل في هذا الزمان في العلماء العاملين المخلصين ومن انتهج نهجهم، وسار على خطاهم، وأما الفتن التي بمعنى المحن فهي حاصلة في كل البلدان، ولكن طريق الخلاص منها في اليمن سهل بسبب وجود مَن جعلهم الله تعالى، سبباً للخلاص منها، واتباعهم نجاة منها، فمن أراد الخلاص فليتمسك بهم، ومن أراد التورط في حبائل الضلال فليتمسك بغيرهم.

ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((الرَّوْحُ والفرجُ من هاهنا)) وأشار بيده إلى اليمن، والمراد روح الحق، وطمأنينة الهدى، والفرج يكون من جهة اليمن.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((اللهم بارك في يمننا وشامنا)) ثلاث مرات، قالوا: وفي نجدنا يا رسول الله، قال: منه يطلع قرن الشيطان، وفي رواية أنه أشار بيده إلى نجد: وقال هاهنا الفتنة، ثلاث مرات.

فاليمن أرض الحكمة والإيمان، لأنه حلها وسكنها أهل الإيمان والحكمة، وهم أهل البيت النبوي الطاهر، لأن المراد بالحكمة هي العلم، وهم أهل العلم والعمل، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((اللهم اجعل العلم والحكمة في عقبي وعقب عقبي، وزرعي وزرع زرعي))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأنا يماني)) فهذا يدل على ما ذكرنا من أن المراد بذلك أهل البيت عليهم السلام، ولأهل اليمن مزية نصرتهم، ومحبتهم وتوليهم.

جعلنا الله وإياكم من السالكين سبيل الهدى، المتجنبين طريق الضلالة والردى، ووفقنا لصالح الطاعة والعمل، وعصمنا من الزيغ والزلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

١٧- مولد أمير المؤمنين (ع) ودعاء الإستفتاح

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خالق أمشاج النِّسَم، ومولِجِ الأنوارِ في الظُّلَم، ومخرجِ الموجودِ من العدم، والجوادِ على الخلق بسوابغ النِّعَم، والعوّادِ عليهم بالفضل والكرم، أحمده على جزيل إحسانه، وأعوذ به من حلول خذلانه، وأستهديه بنور برهانه، وأؤمن به حق إيمانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي أقرّ له بالعبودية كلُّ شيء خاشعاً، معترفاً له بالوحدانية طائعاً، مستجيباً لدعوته خاضعاً، متضرعاً لمشيئته متواضعاً، له الملك الذي لا نفاد له ولا انقضاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه والناس في غمرة الضلالة، وفي غِرة الجهالة، لا يقولون صدقاً، ولا يستعملون حقاً، فقام بعزم ثاقب، وحكم واجب، حتى أعز اللهُ جنده، وعُبِدَ وحدَه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله صلاة جليلة جزيلة، لا انقطاع لمزيدها، تنتهي إلى مقر أرواحهم، ومقام فلاحهم.

أما بعد: أيها المسلمون:

إننا في هذا الشهر الكريم تمر علينا فيه المناسبات، وتأتينا في أثنائه الأحداث والذكريات، فمن الأحداث الهامة، والمناسبات الغالية التي يتناسق وقتها مع هذه الأيام، مناسبةُ ذكرى مولد أمير المؤمنين وسيد الوصيين، علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد ولد عليه السلام يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب الأصب، سنة ثلاثين من عام الفيل، قبل البعثة باثنتي عشرة عاماً، وقبل الهجرة بخمسة وعشرين عاماً، ولم تكن ولادة أمير المؤمنين علي عليه السلام أمراً عادياً، كولادة غيره من الأطفال، بل إن ولادته عليه السلام ذات مميزات عالية، وخصائص سامية، لم يشاركه فيها أحد قبله ولا بعده، فقد أكرمه الله تعالى حال حمله وولادته بكرامات بينة، ودلائل على الفضل واضحة، فلقد كان وهو في بطن أمه إذا أرادت

السجود للأصنام، والإنحناء للأوثان يعترض في بطنها، ويرتكز في رحمها، ليمنعها من السجود لغير الله، أو الإنحناء لغير الله تعالى، إئذاناً من الله تعالى وإعلاماً، بأن هذا الحمل الطاهر، لا ينبغي أن يطأطأ رأسَه لغير الله، ولا أن ينحني صلبه خضوعاً إلا لله، فلم تكن والدتُه فاطمةُ بنتُ أسد الهاشمية تستطيع أن تسجد للأصنام منذ أن حملت به، وكان حملاً مباركاً، لم تتعب أمه في حمله كتعبها فيمن قد حملت به قَبْلَه.

ولما أن أراد الله تعالى خروج ذلك الحمل المبارك إلى الدنيا، كانت أمه تطوف بالبيت، فضربها الطَّلْقُ، وجاءها المخاض، فلم تتمكن من الخروج من المسجد لشدة الألم، وصارت في حيرة وريبة من أمرها، فهي لا تريد أن يشعر بها أحد، ولا أن يعلم بها أحد ممن كان يطوف بالبيت، حِشمةً وحياءً، فأخذت تدعو الله تعالى أن ييسر عليها ولادتها بحق البيت، ومن بناه، فلمَّا زادت كُربتُها، واشتدت مِحنَتُها، أرادت الدخولَ تحت أستار الكعبة لتستتر بها حال وضعها، وكانت مقابلةً للركن العراقي الذي يقابل ركنَ الحجر الأسود من الجهة الغربية، فاستجاب اللهُ دعاءها، فلم تنتبه إلا بحصول الأمر العظيم، والخطب المدهش الجليل، وهو انشقاق الركن وانفتاحُه، فسارعت الدخول إلى الكعبة المشرفة، من باب سِريٍّ خاص، لم يفتح لأحد قبلها، ولن يفتح لأحد بعدها، فما هو إلا أن دخلت حتى التئم الشَّقُّ، وعاد الركن كما كان، فلما رأى الناس ذلك اندهشوا لهول ما رأوا، وأسرع العباس بن عبد المطلب إلى إحضار النسوة ليساعدوا فاطمة بنت أسد على وضعها، فأرادوا فتح باب الكعبة فلم يتهيأ لهم ذلك، فهناك أمر عظيم يحصل داخل الكعبة، فقد يسر الله تعالى أمرها، فوضعت حملها في جوف الكعبة، إكراماً من الله لأمير المؤمنين علي السلام، أن لا يسقط إلا في أشرف البقاع وأطهرها، وأكرمها وأفضلها، تطهيراً من الله تعالى له، وإكراماً لوجهه، فكان عليه السلام المولودَ الأول والأخير في جوف الكعبة صلوات الله عليه، فلم يولد أحد قبله ولا بعده فيها.

جعـــل الله بيتـــه لعلـــي ... مولـــداً يالـــه عـــلاً لا يضـــاها

لـــم يشـــاركه فـــي الـــولادة فيـــه ... أحـــد ســـابقاً ولا أخراهـــا

علـــمَ الله شـــوقه لعلـــي ... علمَـــه بالـــذي بـــه مـــن هواهـــا

إذ تمنـــــت لقـــــاءه وتمنـــــى فـــــأره حبيبـــــه وأراهـــــا

ولما ولد عليه السلام بقيت أمه في جوف الكعبة أربعة أيام تأكل من ثمار الجنة، فلما أخرجته أمه من الكعبة والناس ينتظرون خروجها، ليعلموا ما الذي وضعت؟ وماذا تسميه؟ فلما خرجت من الكعبة أرادت أن تسميه باسم أبيها أسد، ولكنها سمعت نداء في جوف الكعبة يقول لها سميه علياً، فسمته بذلك، ووافق على تلك التسمية والدُه أبو طالب.

فلما نشأ علي عليه السلام كانت نشأته مباركة، فقد أحبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً، فكان يتولى أكثر تربيته، فكان يوجره اللبن عند شربه، ويحركه في المهد عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته، ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها.

فلما صار غلاماً أخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورباه في حجره، كما قال علي عليه السلام: (وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه).

وكان علي عليه السلام لا يفارق مربيَه العظيم، بل كان يتبعه اتباع الظل، كما قال صلوات الله عليه: (لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالإقتداء، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيتٌ واحد غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة).

أيها المؤمنون: لقد أجمع المؤرخون من الموالفين والمخالفين على أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام ولد في جوف الكعبة، لا يشك في ذلك منصف، ولا ينكره متعسف.

ولم تكن ولادة أمير المؤمنين علي عليه السلام في جوف الكعبة أمراً أتى مصادفة، أو حصل مجازفة، بل في ذلك من الدلائل والفضائل الشيء الكثير، فولادته في جوف الكعبة إيذان وإعلام من الله تعالى بأن من طهره الله بالولادة فيها، سيكون هو من يطهرها من الأصنام، ويقتلع أوثان الشرك من على ظهرها، وكما قيل: أحبّ علي عليه السلام أن يكافئ

الكعبة حيث ولد في بطنها، بوضع الصنم عن ظهرها، كما قال القائل:

لما دعاك الله قدماً بأن تولد في البيت فلبيته
شكرته بين قريش بأن طهرتَ من أصنامهم بيته

وكيف لا يكون ذلك كذلك، وهو الذي بسيفه قام عمودُ الدين، وهو أميرُ المؤمنين، ويعسوبُ الدين والمسلمين، ومُبيرُ الشركِ والمشركين، وغُرَّةُ المهاجرين، وصَفوةُ الهاشميين، وقاتلُ الناكثين والقاسطين والمارقين، ومولى المؤمنين، وشبيهُ هارون، ونفسُ الرسول وأخوه، وزوجُ البتول، وسيفُ الله المسلول، وأبو السبطين، وأميرُ البررة، وقاتلُ الفجرة، وقسيمُ الجنة والنار، وصاحبُ اللواء، وسيدُ العرب والعجم، وكاشفُ الكُرَب، والصديقُ الأكبر.

أكرم من ارتدى، وأشرف من احتذى، وأعلم من اهتدى، وأفضل من راح واغتدى، وأشجع من ركب ومشى، وأهدى من صام وصلى، الذي ما صَبَا في الصِّبَا، وسيفه عن قرنه ما نَبَا، ونورُ هديه ما خَبَا، ومُهْرُ شجاعته ما كَبَا، دعاه رسول الله إلى التوحيد فلبى، وسلك المحجة البيضا، وأقام الحجة الزهراء، قد جنيت ثمار النصر من علمه، والتقطت جواهر العلم من قلمه.

وفيه يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله تعالى آدم، سلك ذلك النور في صلبه فلم يزل اللهُ تعالى ينقله من صلب إلى صلب، حتى أقره في صلب عبد المطلب، فقسمه قسمين: قسماً في صلب عبد الله، وقسماً في صلب أبي طالب، فعلي مني وأنا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي، فمن أحبه فبحبي أحبه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه)).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، **بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}**، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخفِرُ من انتصر بذمته، ولا يَقْهَرُ من استتر بعظمته، ولا يُكدِي مَن أذاعَ شكر نعمته، ولا يَهلَكُ من تغمده برحمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة لدينه.

أما بعد أيها المؤمنون: قد اعتاد الأولياء والصالحون في هذا الشهر العظيم، أن يتوسلوا إلى الله تعالى فيه بالوسائل والأدعية المباركة، وكانوا يتحينون هجوم وقته للدعاء والإلتجاء إلى الله تعالى في تفريج كرباتهم، لا سيما الثلاث الأيام البيض منه فإنها من مواطن الإجابة والدعاء، فإن فيها دعاء يسمى دعاء الإستفتاح، وهو الدعاء المشهور بدعاء أم داوود، وقد توسل به الكثير من الأئمة والصالحين في كثير من قضاياهم وكرباتهم فاستجاب الله لهم وفرج عنهم.

وهذا الدعاء يسمى دعاء أم داوود واسمها فاطمة بنت عبد الله بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، ومن قصتها ما رواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام أنها قالت: لما قَتَلَ أبو جعفر الدوانيقي عبدَ اللهِ بنَ الحسنِ بنِ الحسنِ بنِ علي بن أبي طالب عليهم السلام، بعد أن قتل ابنيه محمداً وإبراهيم، جعلت لابني مكتلاً فغاب عني حيناً في العراق لم أسمع له خبراً، فكنت أدعو الله تبارك وتعالى وأتضرع إليه، وأسأل أهل الجد والإجتهاد والعبادة معاونتي بالدعاء.

قالت: فدخلت يوماً على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه أعوده في مرض نزل به، فسألته عن حاله ودعوت له.

فقال: يا أم داوود ما فعل داوود . وكنت أرضعته بلبن بعض نسائه .؟

فقلت: وأين داوود، وقد فارقته منذ مدة طويلة وهو مسجون بالعراق.

قال: وأين أنت من دعاء الإستفتاح، وإنه الدعاء الذي تفتح له أبواب السماء، ويُلقى صاحبُه بالإجابة من ساعته، وليس لصاحبه عند الله إلا الإجابة والجنة.

قلت: وكيف لي بذلك.

قال: يا أم داوود، قد دنا الشهر العظيم رجب، وهو شهر مسموع فيه الدعاء، فصومي ثلاثة أيام، ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر، ثم اغتسلي في اليوم الثالث، وصلي صلاة الزوال ثمان ركعات، تحسنين قنوتهن، ثم تصلين الظهر، وبعد الظهر ركعتين، ثم بعد الركعتين ثمان ركعات، ثم تصلي العصر، واستقبلي القبلة:

واقرأي الحمد مائة مرة، وقل هو الله أحد مائة مرة، واقرأي سورة الأنعام وسورة الكهف ويس والصافات وحم السجدة وحم عسق وحم الدخان وسورة الفتح وتبارك الذي بيده الملك، وإذا السماء انشقت وما بعدها إلى الحمد، فإذا فرغت من ذلك فقولي: فعلمها الدعاء بطوله.

ثم قال لها: فلو أن السموات والأرض كانتا رتقا، والبحار من دونهما، وكانت ذلك من وراء حاجتك لسهل الله تعالى الوصول لك إلى ذلك، ولو أن الجن والإنس أعداؤك لكفاك الله تعالى مؤنتهم، وذلل لك رقابهم، إن شاء الله تعالى.

قالت فاطمة بنت عبد الله: فكتبت الدعاء وانصرفت، ودخل شهر رجب، ففعلت كما أمرني، ثم رقدت، فلما كان آخر الليل رأيت في نومي كأن كل من صليت عليه من الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يا أم داوود أبشري، فكل من ترين أعوانك وإخوانك، وكلهم يستغفرون لك، ويبشرونك بنجح حاجتك، وأبشري فإن الله عز وجل يحفظ ولدك ويرده عليك.

قالت: فانتبهت من منامي، فما لبثت إلا مسافة الطريق من العراق إلى المدينة للراكب المجد، حتى قدم علي داوود، فسألته عن حاله، فقال:

إني كنت محبوساً في أضيق حبس، وأثقل قيد حديد، فلما كان في النصف من رجب رأيت في المنام كأن الدنيا فتقت لي، فرأيتُك على حصير صلاتك، وحولك رجال رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض، عليهم ثياب خضر، يسبحون الله تعالى حولك، فقال رجل منهم حسن الوجه، نظيف الثياب، طيب الرائحة، خلته جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا ابن العجوز الصالحة، أبشر فقد استجاب الله تعالى لأمك فيك دعائها.

فانتبهت ورسول أبي الدوانيق على الباب، فأدخلت عليه في جوف الليل، فأمر بفك الحديد عني، والإحسان إلي، وأمر لي بخمسين ألف درهم، وخرجت من يومي.

فعلينا أن نستغل هذا الشهر المبارك في التضرع إلى الله تعالى وعبادته ودعائه، فمن عنده يلتمس الفرج، ومنه الروح والمخرج.

١٨- حول حادثة الإسراء والمعراج

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناءُ بما قَدَّم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جَمَّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أَمَدُها، وتفاوت عن الإدراك أَبَدُها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاصَ تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها، الممتنعُ من الأبصار رؤيتُه، ومن الألسن صفتُه، ومن الأوهام كيفيتُه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، ابتعثه إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير رحمته، فرأى الأمم فِرَقَاً في أديانها، عُكُفَاً على نيرانها، عَابِدَةً لأوثانها، مُنكرَةً لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ظُلَمَهَا، وكشف عن القلوب بُهَمَها، وجلى عن الأبصار غُمَمَها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

من مناسبات العظيمة في شهر رجب، حادثةُ الإسراء والمعراج، المعجزةُ الخالدةُ التي تحدث عنها القرآن الكريم، في سورتين من سور القرآن، ولقد اشتملت هذه الحادثة على رحلتين عظيمتين، وآيتين كبيرتين، ومعجزتين خالدتين، كل واحدة مستقلة بالإعجاز، وفيها آيات ودلائل واضحة لأهل العقول.

فأما الرحلة الأولى: رحلة أرضية من مكة المكرمة من حجر إسماعيل من الكعبة المشرفة، إلى

أرض فلسطين إلى بيت المقدس القبلة الأولى، وكان ذلك بعد العشاء، وقطع النبي تلك المسافة الطويلة الهائلة ذهاباً وإياباً في بعض ليلة، وهي مسافة لا تقطع في تلك المدة والفترة إلا في شهر ذهاباً وآخر إياباً، أما في هذه الأزمنة المتطورة، والعصور المتقدمة، فلا يصل إليها المسافر على أحدث المواصلات البرية، إلا في ليال وأيام، فهذه الرحلة تحدث الله عنها في سورة الإسراء، وقد سمى الله تعالى هذه السورة باسم هذه الحادثة، فقال تعالى: **{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إلى آخر الآيات}**.

لتكون هذه الحادثة دليلاً كبيراً وآية واضحة على الرابطة المتصلة القوية بين دين النبي الخاتم ودين من سبقه من الأنبياء السابقين، وأنه من عند الله، أرسل به أنبياءه ورسله لهداية البشر.

وأما الحادثة والرحلة الثانية: فهي رحلة سماوية علوية، من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى، واختراقاً للسموات السبع العلياء، مروراً بالأنبياء وتسليماً عليهم، وتعريجاً على الملائكة ومصافحة لهم، ومشاهدة لكثير من الآيات، واطلاعاً على أشياء كثيرة من المغيبات المخفيات، حتى وصل سدرة المنتهى، وبلغ الدرجة والمكانة التي لم يصل إليها أحد قبله من الأنبياء صلوات الله عليه وآله، وهذه الرحلة تسمى المعراج، ولقد كان الإعراج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بروحه وجسده جميعاً، وليس معراجاً روحياً كما يقول ذلك بعض الجهلة الأفدام، الذين يحاولون إنكار شيء قد تحدث عنه القرآن، فلو كان إنما عرج بروحه فحسب، لكن ذلك مثل الرؤيا فقط، ولم يكن فيه الإعجاز العظيم على الحد الذي أخبر الله به، ولم يكن فيه الإكرام والتعظيم والتشريف على المستوى الذي أراده الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الآية العظيمة تحدث عنها القرآن في سورة النجم، في قوله تعالى **{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِندَ**

سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}، وهذا الإعراج العلوي، يبين الإتصال الوثيق والإتفاق الأكيد في الإيمان والتوحيد والإخلاص للواحد المجيد فيما بين أهل السماء وأهل الأرض، وأن دين الله واحد فيهما، وأن الأنبياء والمرسلين يتلقون أوامرهم وتكاليفهم، من حيث يتلقى الملائكة أوامرهم وتكاليفهم، ولا نريد التعرض لتفصيل حادثة الإسراء والمعراج وكيفية، وقوعها، فالكلام يطول بنا لو أردنا ذلك، ولكن نريد أن نأخذ العبر والأيات، ونستفيد الدروس الدينية والعقائدية والتشريعية في حياتنا.

فقد كان في حادثتي الإسراء والمعراج تشريعات إسلامية، تؤذن بأن لتلك التشريعات مزيد عناية إلاهية، حيث كان تشريعها سماوياً علوياً، كي يهتم المسلمون بها، ويحرصون عليها، وتلك التشريعات منها ما هو ترسيخ لمبادئ وقواعد الإسلام، ومنها ما هو من تكاليف الأحكام، ومنها ما هو داع ومرغب في صالح الأعمال، ومنها ما هو زاجر وواعظ عن قبيح الأفعال.

فمن القسم الأول: الذي هو من مبادئ وأسس العقيدة الإسلامية، إعلام الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بإمامة وخلافة ووصاية أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن ذلك من كمال الدين، وأصول عقائد المسلمين، وقد رويت في ذلك الروايات الكثيرة على ذلك:

فمنها: ما رواه الإمام الأعظم زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال لي ربي ليلة أسري بي: من خلفت على أمتك يا محمد؟ قال: قلت أنت أعلم يا رب. قال: يا محمد إني انتجبتك برسالتي، واصطفيتك لنفسي، فأنت نبيي، وخيرتي من خلقي، ثم الصديق الأكبر الطاهر المطهر الذي خلقته من طينتك، وجعلته وزيرك، وأبا سبطيك السيدين الشهيدين الطاهرين المطهرين سيدي شباب أهل الجنة، وزوجته خير نساء العالمين أنت شجرة وعلي أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها، خلقتكم من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم

إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلا حبا، قلت: يا رب ومن الصديق الأكبر؟ قال: أخوك علي بن أبي طالبٍ))، قال علي عليه السلام: ((بشرني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابناي الحسن والحسين منها وذلك قبل الهجرة بثلاثة أحوال)).

وعن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما أسري بي انتُهي بي إلى قصر من لؤلؤ، فراشه ذهب، يتلألأ؛ فأوحى إلي ربي وأمرني في علي بثلاث: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين)).

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما أسري بي إلى السماء ثم من السماء إلى سدرة المنتهى ووقفت بين يدي ربي عز وجل قال الله: يا محمد إنك قد بلوت خلقي فمن وجدت أطوعهم لك؟ قلت: رب علي، قال: صدقت يا محمد هل اتخذت لأمتك خليفة يكون فيهم من بعدك ويعلمهم من كتابي ما لا يعلمون؟ قال: قلت رب اختر لي فإن خيرتك خيرتي، قال: اخترت لك علياً فاتخذه لنفسك خليفة ووصياً.

إلى قوله: وهو أمير المؤمنين لم أُسَمِّ بها مَن كان قبله وليست لأحد بعده، يا محمد علي راية الهدى إمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني)).

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما أسري بي إلى السماء قيل لي: يا محمد من خلفت في الأرض؟ قلت: سبحانك أنت إلهي أعلم بذلك مني؛ ثم قيل لي الثانية: يا محمد من خلفت في الأرض؟ قلت: سبحانك يا إلهي أنت أعلم بذلك مني، ثم قيل لي الثالثة: يا محمد من خلفت في الأرض؟ قلت: سبحانك يا إلهي خلفت فيها خير أهلها لأهلها علي بن أبي طالب؛ فقال: يا محمد أتشتهي أن ترى علي بن أبي طالب في مقامك هذا؟ قلت: نعم إلهي، قال: فالتفت عن يمينك فالتفت فإذا بعلي يستمع ويرى)).

وعن ابن عمر، قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأي لغة خاطبك ربك ليلة

المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب؛ فألهمني أن قلت: يا رب خاطبتني أم علي؛ فقال: يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء، لا أقاس بالناس، ولا أوصف بالشبهات، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك، فاطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحب إليك من علي بن أبي طالب خاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك))

فهذه الأخبار واضحة في إمامة علي عليه السلام، ولأمرٍ ما بينه الله لنبيه قبل الهجرة في بدايات الدعوة، إعلاماً أن اعتقاد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون اعتقاداً صحيحاً تاماً كاملاً إلا باعتقاد إمامة علي عليه السلام، ومحبة وولاية أهل البيت الطاهرين، وفي هذا كفاية لمن كان له عقل أو ألقى السمع وهو شهيد.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الأعلى، رب الآخرة والأولى، خالق السماوات العلى، ومبدع الأرضين السفلى، الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ورفعه تشريفاً وتعظيماً حتى بلغ سدرة المنتهى، ورأى من آيات ربه الكبرى.

وأشهد أن لا إله إلا الله الفاعل لما يشاء، وأن محمداً عبده ورسوله المصطفى، صلى الله عليه وآله الأصفياء، الهادي إلى الطريقة المثلى، والداعي إلى الخليقة الحسنى.

أما بعد أيها المؤمنون: نكمل الدروس والعقائد والتشريعات في حادثة الإسراء والمعراج:

ومن ذلك أيضاً: تنبيه الله تعالى لعباده أنه لا يُرى، ولا تجوز رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك أن الله تعالى لو كان يجوز رؤيته لرآه أفضل الخلق وأحبهم لديه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلما لم يحصل ذلك علمنا أن انتفاء الرؤية عن الله تعالى أمر ذاتي، وأن ذاته العلية لا تطرأ عليه عوارض الأجسام والأعراض، كما روي عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: ((نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ)).

وما روي عن عائشة أنها قالت: ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قال مسروق: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ.

قَالَ مسروق: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾، ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾؟!. فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ سَادّاً عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ.

فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ {**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ**

الْخَبِيرُ}، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ **{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}** إلى آخر الخبر)).

ومن القسم الثاني: الذي هو من تكاليف الأحكام، شرعية الصلاة والأذان، لأن المسلمين قد اختلفت أقوالهم في هذا لا سيما في أمر الأذان، فمنهم من يجعله رؤيا رآها رجل من الأنصار، ومنهم من يجعله أمر استشارياً بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أصحابه فاختار هذه الألفاظ المعروفة حين أشار عليه بها أحد الصحابة، ومنهم من يقول بأنه تشريع إلاهي بتعليم سماوي، كما هو رأي أهل البيت عليهم السلام ومما يؤكد ذلك:

ما روي أنه جاء رجلٌ إلى محمد بن علي المعروف بابن الحَنَفِيَّةِ فقال له بلغنا أَنَّ الأذانَ إنما هو رؤيا رآها رجلٌ من الأنصار، فقَصَّها على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، فأمر بلالاً فأذَّنَ بتلك الرؤيا ! فقال له محمدُ بن الحنفية: إِنَّما يقول بهذا الجاهلُ من الناسِ، إِنَّ أمرَ الأذانِ أعظمُ من ذلك، إنَّه لما أسري برسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم؛ فانْتُهِيَ به إلى السماء السادسة، جمع اللّه له ما شاء مِنَ الرُّسل والملائكة، فنزل ملكٌ لم ينزل قبل ذلك اليوم، عرفتِ الملائكةُ أَنَّه لم ينزل إلا لأمر عظيم، فكان أولُ ما تكلم به حين نزل، قال: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ. فقال اللّهُ عَزَّ وجَلَّ: أنا كذلك، أنا الأكبر لاشيء أكبر مني، ثُمَّ قال: أشهد ألاّإله إلا اللّه، فقال اللّه: أنا كذلك، لاإله إلا أنا، ثُمَّ قال: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فقال اللّه: نعم هو رسولي بعثته برسالتي وائتمنته على وحيي، ثُمَّ قال: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، فقال اللّه: أنا افترضتها على عبادي وجعلتها لي رضا، ثُمَّ قال: حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، فقال اللّه: قد أفلح من مشى إليها وواظب عليها ابتغاء وجهي، ثُمَّ قال: حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ. فقال اللّه: هي أزكا الأعمال عندي، وأحبها إلي، ثُمَّ قال: قد قامت الصلاةُ. فأمَّ رسولُ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ كان عنده من الرُّسُل والملائكة، وكان المِلَكُ يؤذن مثنى مثنى، وآخر أذانه وإقامته: لاإله إلااللّه. وهو الذي ذكر اللّه في كتابه: **{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}**.

قال محمد بن الحنفية: فتمَّ له يومئذ شرفه على الخلق. ثُمَّ نزل؛ فأمر أَنْ يؤذَّن بذلك الأذان.

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: أولُ من أذَّنَ في السَّمّاءِ جبريلُ عليه السلام حين أسريَ بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال، فقال: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فقالت الملائكةُ: اللَّهُ أَكَبَرُ مِنْ خَلْقِه، فقال: أَشْهَدُ ألاّ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ أَشْهَدُ ألاّ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فقالتِ الملائكةُ: ونحن نَشْهَدُ ألاّإله إلا اللَّه، فقال: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ. فقالت الملائكة: عبد بُعِثَ، فقال جبريل: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ. فقالت الملائكة: أُمِرَ القومُ بالصلاة، فقال: حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، فقالت الملائكة: أفلح القوم، فقال: حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ، حَيَّ عَلَى خَيْرِ العَمَلِ. فقالت الملائكة: أُمِرَ القومُ بخير العمل، وأقام الصلاة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا جبريلُ، تقدَّم صلِّ بنا، فقال جبريلُ: يامحمدُ، إنَّ اللّه عز وجل أمرنا أَنْ نسجُدَ لأبيك آدم، فلَسْنا نتقدم ولَدَهَ، فتقدم رسولُ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فصلى بالملائكةِ.

ومن القسم الثالث: الذي هو الحث على الطاعات وصالح الأعمال:

ما روي عن علي عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((لما أسري بي إلى السماء قيل لي فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري فعلمني، قال: في إسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة)).

وأخرج أحمد نحوه من حديث ابن عباس ولفظه: ((يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، يختصمون في الدرجات والكفارات، قال: وما الكفارات؟ قلت: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإبلا غ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه)).

ومن القسم الرابع: وهو الزجر عن المعاصي وقبائح الأفعال، وبيان عقوبات أهلها، فهي كثيرة جداً، ونورد منها بعضاً يدل على ما سواه:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: ما هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)).

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقطع ألسنتهم بمقاريض من نار، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون بما لا يفعلون)).

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقارض من نار كلما قرضت رجعت، فقلت لجبريل: من هؤلاء، قال هؤلاء خطباء من أمتك كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون)).

وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((لما عرج به إلى السماء نظر في سماء الدنيا فإذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام قد مالت بطونهم وهم منضدون على سائلة آل فرعون يوقفون على النار كل غداة وعشي يقولون ربنا لا تقم الساعة أبداً قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء أكلة الربا من أمتك لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)).

وعن أبي سعيد قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ليلة أسري به قال: ((نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار، فيقذف في فيِّ أحدهم حتى يخرج من أسافلهم، ولهم خوار وصراخ، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟، قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)). وغير ذلك من الروايات، التي فيها المواعظ البالغات.

وفقني الله وإياكم لمرضاته، وأعاننا على طاعته، وعصمنا من معصيته.

سادساً:

الخطب المتعلقة بشهر شعبان

١٩- في فضل شعبان وليلة النصف منه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي العزة القاهرة، والألآء الغامرة، والنعم الباطنة والظاهرة، المختص بصفات الكمال، ذي العظمة والجلال، والمن والإفضال، المتعالي عن الأنداد والأمثال، رافع السماء بغير عماد، ومرسي الأرض بشوامخ الأطواد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةَ عارف معترف، لا مُنكر ولا منحرف، يَرْجُحُ بها ميزانُها، ويشهد بها ديوانُها.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه وصفيه، المبعوث بجوامع الكلم، وبدايع الحكم، وأنه أدى الأمانة، ونصح الأمة، وعَبَدَ اللهَ حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ورحمة الله وبركاته.

أما بعد أيها المؤمنون: نعيش وإياكم في هذه الأيام المباركة، أيام شهر شعبان، الذي هو موسم من مواسم فضل الله ومغفرته، وباب من أبواب رحمته، فهو الشهر الذي يسمى شهرُ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال صلوات الله عليه وآله ((شعبانُ شهري))، وسمي شعبان بهذا الاسم، لأنه يتشعب فيه خير كثير لرمضان، وهو شهرٌ تُؤذِنُ أيامُه ولياليه، باستقبال شهر رمضان، وبمرور أيامه يقترب منا شهر الخير والبركات، فكل يوم يمضي منه يقربنا ويدنينا من شهر التوبة والغفران، فهاهي الساعات والأيام والأسابيع والأشهر والأعوام تمر وتنقضي، وحالُنا لم يتغير، ولم نتقدم إلى الأحسن، بل بمرور الأيام تتدهور حالُنا، على كافة المستويات، ففي المستوى الديني لا نزداد من الله إلا بعداً، ومن الدنيا إلا قرباً، ولا نزداد من الطاعات إلا نفوراً، ولا من العبادات إلا فتوراً، ولا تزداد القلوب إلا قسوة، ولا الألباب إلا حيرةً وغشوةً.

وها هو شهر رمضان على الأبواب، فلو نظرنا في أنفسنا ماذا قدمنا في العام الماضي منذُ خروجِ رمضان الأول إلى هذا الشهر الذي قربت أيامُه، لرأينا أن أنفسنا لم تتقدم إلى

الى الأفضل خطوةً واحدة، بل لو حاسبنا أنفسنا حساباً صحيحاً، وخاطبناها خطاباً صريحاً، لوجدنا أنّا رجعنا إلى الوراء خطوات وخطوات، فالواجب علينا أن نحسِّنَ علاقتنا مع الله تعالى، وأن نهيئ أنفسنا تهيؤاً كاملاً لاستقبال شهر الخير والبركات.

وقد يقول القائل: ما هي الأعمال والترتيبات التي ينبغي أن نعدها لاستقبال شهر رمضان؟.

أيها الأحبة المؤمنون: المعلوم أن الواحد منا إذا علم بأن ضيفاً عزيزاً سيأتي إليه، فإنه بلا شك يهيئ الأمور الحسنة والجميلة، والتي تدل على كرم الضيافة وحسن الإستقبال، وإذا قصرت في الإكرام وفي واجب الضيافة دل ذلك على لؤم الطبيعة وسوء المعاملة، فلينظر الواحدُ منا ما هو الذي يليق به أن يقدمه لاستقبال ضيف كريم سينزل بنا ليُربحنا لا ليخسرنا، لينفعنا لا ليضرنا.

وسنذكر بعض الأمور الهامة التي ينبغي لنا أن نحرص عليها فيما تبقى من هذه الأيام القليلة:

أولاً: يجب علينا أن نقدم التوبة النصوح، والرجوع الصحيح إلى الله تعالى، من جميع الذنوب والخطايا، وأن نتخلص من جميع الحقوق التي تكون بين العبد وربه، وبين العبد وأبناء جنسه، سواء كانت نذوراً أو كفارات أو ديوناً، وأن يتخلص من ذلك على حسب الإمكان والقدرة، وإذا لم يكن قادراً في الحال فعليه أن يعزم بعزم صادق، ونية صحيحة على التخلص منها عند التمكن.

ثانياً: أن ينظر المكلف سواء كان ذكراً أو أنثى إلى ما عليه من صيام من رمضان الأول، فيبادر بقضائه وصيامه، قبل تعذر ذلك عليه، أو هجوم رمضان وهو لم يصم، وعلى الرجل أن ينبه زوجته أو ابنته أو أخته أو من يهمه أمرهم على ذلك، وإلا توجه إلى سؤال أهل العلم مع عدم التمكن من ذلك.

ثالثاً: ينبغي في هذه الأيام أن نحضر إلى مجالس العلم لتعلم أحكام الصيام، وكيف يكون الصيام المقبول؟، وما هي مفطرات الصوم؟، ومتى يمسك؟ ومتى يفطر؟ إلى غير ذلك من الأحكام الهامة، التي يلزم المكلف أن يعرفها، حتى لا يكون ممن قال فيه النبي صلى الله

عليه وآله وسلم ((رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر))، وأن لا يستكبر الإنسان عن السؤال فيما لا يعلم، فإن الله تعالى يقول{فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}، فالسؤال هو الطريق إلى العلم والمعرفة.

رابعاً: أن يَعُدَّ لنفسه جدولاً يوظف لنفسه فيه الأعمال والأوراد التي ينبغي أن يحرص عليها في شهر رمضان، ويجهز ما يحتاج إليه من ذلك، وأن يقسم أوقات ليله ونهاره، كي لا يفوته هذا الشهر العظيم، فيقسم أوقاته بين وقت للصلاة الواجبة والنوافل، ووقت للذكر، ووقت لقرآءة القرآن، ووقت لاستماع المواعظ وحضور مجالس العلم، ووقت لقضاء حاجته وحاجة أهله.

خامساً: أن يُعَوِّدَ نفسه على الصلوات في أوقاتها في جماعة، وأن يُعَوِّدَ لسانه على ذكر الله تعالى، والقول الطيب، والكلمة الحسنة، حتى لا يدخل رمضان إلا وقد هيأ نفسه في أجواء من العبادة والطاعة، وأن يتعود على كَفِّ لسانه عن الغيبة والنميمة والكذب، وأن يمنعه عن السب والشتم والكلام الفاحش الذي قد يبطل صومه، أو ينقص من ثوابه، أو يحبط أجره بالكلية.

سادساً: أن يتابع الآباءُ أبناءَهم ويتعاهدوهم ويراقبوهم، فمن كان منهم قد بلغ بلوغاً شرعياً إما ببلوغ خمسة عشرة سنة، أو إنبات أو احتلام، أجبروه على الصيام سواء كان ذكراً أو أنثى، ومما يختص النساء أن المرأة قد تبلغ بالحيض في سنّ التاسعة أو العاشرة.

وكذلك إذا كان الصبي قد بلغ اثنتي عشرة سنة فما فوق وهو في بنية قوية، وصحة جيدة، ويستطيع أن يصوم أن يجبروه على الصيام، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا أطاق الغلام صيام ثلاثة أيام وجب عليه الصوم)).

سابعاً: أن يعد نفسه للتفرغ من الأعمال التي تلهيه وتشغله عن العبادة، أو تضيع أكثر وقته، فالإنسان الذي يلحق شهر رمضان ببقية أشهر السنة في الإهمال والتضييع والتفريط، لا شك أنه قد بلغ في الخذلان إلى غاية كبيرة، فعلينا أن نتدارك إهمالَنا وتضييعَنا وتقصيرَنا، فإذا كان الإنسان طوال السنة يكد ويتعب خادماً للدنيا، وحريصاً على جمعها، أفلا يكفيه الجمع والإدخار مدة سنة كاملة، ليتفرغ لعبادة ربه في شهر واحد، أليست سنةٌ كاملةٌ كفيلةً

بأن تخدم شهراً واحداً، أم أن من تعود خدمة الدنيا لا يستطيع أن يترك خدمتها ليخدمه ربه وخالقه لشهر واحد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وليعلم المسلم أن رمضان يعتبر كآخر محطة أو سوق يتزود منها المسافر في نهاية طريقه، أو كأول سوق أو محطة يتزود منها لسفره، فلعله في خلال طريقه لا يعثر على محطة يتزود منها، فليكثر من الزاد من خشي الإنقطاع، فأنت لا تدري متى ستموت وينقطع عملك.

ثامناً: أن يحرص على اختيار المكان المناسب والجليس المناسب الذي يكون معيناً له على الطاعة والعبادة، ولا مكان أفضل من المساجد بيوتِ الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ولا جليس أفضل من الجلساء الصالحين المؤمنين الذين إذا نسي ذكروه، وإذا غفل وعظوه، وإذا زاغ أرشدوه، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء حامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك – أي يعطيك هدية منه– وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه رائحة خبيثة))، فليترك المسلم المجالس التي كان يألفها قبل رمضان، وليألف أماكن العبادة، ومجالس الذكر، لعله أن يحظى بلطف وتوفيق وتسديد يكون معيناً له خلال السنة كلها.

وأن يبعد نفسه وأهله عن كل الملهيات عن اكتساب الخيرات، والمضيعات للأوقات، كالدشات والتلفزيونات، وغيرها من الأشياء التي تهدر وقت الإنسان، وتضيع حياته، ولا سيما في مثل شهر الخير، شهر رمضان، وليحرص على أن يتعلم ويعلم أهله وأولاده ويدفع بهم إلى حلقات الذكر، وإلى بيوت الله عز وجل، وأن يتأدب بآداب بيوت الله، وأن يعظمها في قلبه كما ينبغي لها من التعظيم والتبجيل.

تاسعاً: أن يكون حريصاً على صفاء قلبه من الأمراض القلبية المحبطة للأعمال، من الحسد والحقد والغل والنفاق والكبر، وأن يزيل من قلبه تلك الأمراض الخبيثة التي تكون سبباً في إبعاده عن بيوت الله تعالى، وعن الجمع والجماعات، وليحرص على سلامة قلبه من هذه الآفات والعلل الخطيرة، التي إذا تشبثت بقلب أردت صاحبه وأهلكته.

وعلى الأقل أن نريح أعراض الناس وأحوالهم وشؤونهم من أذيتنا، ومن أكل لحومهم بغير حق، ونشتغل بأنفسنا وعيوبها، ولو لم يكن إلا في رمضان.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

مما ينبغي الإهتمام به في هذا الشهر المبارك هو الحرص على إحياء ليلة النصف من شعبان، لأنها من ليالي المغفرة والرحمة، وقد ورد في فضلها الرواياتُ الكثيرة، والأخبار الشهيرة:

فقد ورد في تفسير قوله تعالى {**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**}، روي أن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان، وأن الله تعالى يقدر فيها ما شاء من أحوال عباده في كل سنة، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل ما في ليلة النصف من شعبان؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فيها أنه يُكتب كلُّ مولود من بني آدم في هذه السنة، وفيها يُكتب كلُّ هالك من بني آدم في هذه السنة، وفيها ترتفع أعمالهم، وفيها تنزل أرزاقهم)).

وروي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أربعٌ لياليهن كأيامهن وأيامُهن كلياليهن، يُجزِلُ اللهُ فيها القِسَمَ، ويعطي فيها الجزيل: ليلةُ الجمعة وصبيحتُها، وليلةُ النصف من شعبان وصبيحتُها، وليلةُ القدر وصبيحتُها، وليلةُ عرفة وصبيحتُها)، فهذا الحديث يدل على أن فضل يوم الخامس عشر كفضل ليلته، ولهذا ينبغي إحياء ليلها بالعبادة، ونهارها بالصيام.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((أتاني جبريل فقال: هذه الليلةُ ليلةُ النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غَنَمِ كَلْبٍ –أي بني كلب– لا

ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسبلٍ – أي متكبر –، ولا إلى عاق والديه، ولا إلى مدمن خمر)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((مَن أحيا ليلةَ العيدين وليلةَ النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب))، وموت القلب عبارة عن غفلته، وكناية عن قسوته وحيرته في اتباع الحق واجتناب الباطل.

ومن العبادات التي وردت ورويت بالروايات الصحيحة في ليلة النصف من شعبان، صلاة مائة ركعة، يسلم في كل ركعتين، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد عشر مرات، ونذكر بعض الروايات في ذلك:

منها ما أخرجه الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني في الأمالي بسنده إلى كميل بن زياد، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صلى ليلة النصف من شعبان مئة ركعة بألف مرة ((**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**)) لم يمت قلبه يوم تموت القلوب، ولم يمت حتى يرى مئة مَلَكٍ يؤمنونه من عذاب الله، ثلاثون منهم يبشرونه بالجنة، وثلاثون كانوا يعصمونه من الشيطان، وثلاثون يستغفرون له أناء الليل والنهار، وعشرة يكيدون من كاده)).

وروي عن بعض أهل البيت عليهم السلام: أن مما ينبغي في ليلة النصف من شعبان أن تَقْرأَ بعد صلاة المغرب سورة يس ثلاث مرات: الأولى بنية طول العمر، والثانية بنية دفع البلاء، والثالثة بنية الإستغناء عن الناس.

وقد رويت فيها صلاة أخرى، عن علي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة النصف من شعبان قام فصلى أربع عشرة ركعة، ثم جلس بعد الفراغ فقرأ بأم القرآن — وهي الفاتحة– أربع عشرة مرة، و((**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**)) أربعة عشر مرة، و((**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**)) أربع عشرة مرة، و((**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**)) أربع عشرة مرة، وآية الكرسي مرة، و((**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** *

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ})).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صلى ليلة النصف من شعبان اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و((**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**)) عشر مرات، محيت عنه سيئاته، وبُورك له في عمره)، وهاتان الصلاتان لمن لم يقدر على المائة ركعة لضعف أو كبر أو مرض أن يصليها.

وفي فضل العبادة في هذه الليلة ما روي أن عيسى بنَ مريم عليه السلام مرّ على جبل فرأى فيه صخرة بيضاء، فطاف بها عيسى وتعجب منها، فأوحى الله إليه: أتريد أن أُبَيِّنَ لك أعجب مما رأيت، قال: نعم، فانفلقت الصخرة عن رجل بيده عكازةٌ خضراءُ، وعنده شجرةُ عنب، فقال: هذا رزق كل يوم، فقال له عيسى: كم تعبد الله في هذه الحَجَر، فقال منذ أربعمائة سنة، فقال: عيسى يا رب ما أظن أنك خلقت خلقاً أفضل منه.

فأوحى الله إليه: (من صلى ليلة النصف من شعبان من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين فهو أفضل من عبادته أربعمائة عام)، فقال عيسى: ليتني من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وينبغي في هذه الليلة الإكثار من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، ومن لم يقدر على هذه الصلاة المروية فعلى الأقل لا يفوته أن يصلي ما كتب الله له، ويحرص على قرآءة سورة الإخلاص ألف مرة، ويحرص على صيام يومها، فقد ورد أن مَنْ أصبح في ذلك اليوم صائماً كان له كصيام سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة).

ومن استطاع أن يصوم الثلاث البيض أو يصوم ثلاثة أيام فخير كبير، وفضل عظيم، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من صام ثلاثة أيام من الشهر أذهب الله عنه وحر الصدر)) قيل: وما وحر الصدر يا رسول الله؟ قال ((إثمه وغله)).

ومما ورد من الفضل في صيام بعض أيام شعبان، ما روي في فضل صيام آخر يوم إثنين من شهر شعبان، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من صام آخر يوم اثنين من شعبان غُفرَ له))، وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه.

خامساً:

الخطب المتعلقة بشهر رمضان

٢٠- في استقبال شهر رمضان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ، لِنَكُونَ لإحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلِيَجْزِيَنَا عَلَى ذلِكَ جَزَآءَ الْمُحْسِنِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ، وَاخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ، وَسَبَّلَنَا فِي سُبُلِ إحْسَانِهِ، لِنَسْلُكَهَا بِمَنِّهِ إِلَى رِضْوَانِهِ، حَمْداً يَتَقَبَّلُهُ مِنَّا، وَيَرْضَى بِهِ عَنَّا، وَالْحَمْدُ لِلّه الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَامِ، وَشَهْرَ الإِسْلاَمِ، وَشَهْرَ الطَّهُورِ، وَشَهْرَ التَّمْحِيْصِ، وَشَهْرَ الْقِيَامِ، الَّذِي أُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ، وَبَيِّنَات مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقَانِ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يوافق فيها القلب اللسان، والسر الإعلان.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ابتعثه الله لتبليغ الرسالة والإيمان، وأيده بالمعجزات والقرآن، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة وكشف الغمة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الأخيار، الصادقين الأبرار.

أما بعد: أيها المسلمون:

فإن الله تعالى اختص هذه الأمة بشهر رمضان، تكرمة لها، ورفعاً من قدرها، وتعظيماً لنبيها محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل الله هذا الشهر العظيم عيداً من أعياد الله المباركة على عباده، وموعداً من مواعيد المغفرة، ووقتاً من أوقات إفاضة الرحمة، وربيعاً تنزل فيه البركات والخيرات، فيه تضاعف الحسنات، ويتجاوز عن السيئات، وتقال العثرات، وتمحى الخطيئات، وتقبل التوبات، وتغفر الزلات، وتجاب الدعوات، وترفع الطاعات، وتسهل الطرق إلى الخيرات، فهو لكل خير وفضل وثواب موعد، ومن كل شر وسوء وعقاب مُبْعِد، كما قال تعالى {**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ**

وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}.

وقد جعل الله تعالى هذا الشهر الكريم وقتاً تؤدى فيه عبادة من أفضل العبادة، وقربة من أعظم القربات، وتقام فيه فريضة من الفرائض الواجبات، وركن من أركان الإسلام اللازمة المتحتمة على كافة المكلفين من المسلمين والمسلمات، التي لا يتم لأحد اسم الإسلام إلا بالقيام بها، ولا يكمل إيمان عبد إلا بتأديتها، ألا وهي الصوم، الذي افترضه الله تعالى على عباده طهرة لهم من السيئات وزكاة، وطريقاً مقربة إلى تقواه ورضاه.

وقد جعل الله تعالى ما شرع لعباده وكلفهم بتأديته من التكاليف والتشريعات، موافق لمصالحهم، مطابق لما فيه فوائدهم ومنافعهم، لعلمه تعالى بالمصالح، ولغناه أيضاً عما كلفهم به وأمرهم به، وإنما أراد تعالى بذلك أن يزيدنا من نعمه، وأن يبتلينا لينظر كيف نؤدي شكره، فالصيام واحد من تلك التشريعات التي فيها فوائد عظيمة للعباد في دينهم ودنياهم وآخرتهم:

فمن فوائده الدينية ما يلي:

أولاً: أنه يقرب العبد من الله تعالى حيث أن الصيام يروض النفس ويؤدبها، ويكبح جماحها فتكون معه أقرب إلى الهدى والتقوى، وأبعد عن المعصية والردى، كما قال تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**، لأن مع قلة الأكل تضعف الشهوات واللذات، فيكون الصائم أضعف من أن يقوم بمعصية، ومع قلة الأكل أيضاً ينشط العبد على الطاعات، لأن الشبع يورث الكسل والملل والخمول، بسبب الطعام الذي قد كثر في بطن الإنسان، ومع التقرب بالطاعات والإبتعاد عن المعاصي، يكون العبد قد اتقى الله تعالى، فالصيام من أعظم الوسائل إلى نيل التقوى، وإذا نال العبد التقوى، وصار في عداد المتقين فقد بلغ درجة عظمى عند الله تعالى، لأن المتقين هم أهل الفضائل، الذين تلين لهم الصعاب، ويضاعف لهم الثواب، وينجون في يوم القيامة من العقاب.

ثانياً: أنه يجعل العبد خائفاً من الله تعالى، بما يكون فيه من الجوع والعطش اللذين

يذكران العبد جوع يوم القيامة وعطشه، مما يجعل العبد كثير الطاعات، فاعلاً للخيرات، حتى يكون يوم القيامة من الآمنين.

ثالثاً: الصيام من أعظم الوسائل والطرق التي تقوي العلاقات الإجتماعية الإسلامية، فبجوع الصوم وعطشه يتذكر الإنسان جوع المساكين والفقراء، والأرامل والأيتام، فيبادر إلى بذل الصدقات والصلات لهم، لسد جوعتهم، ودفع بعض الحاجة عنهم، وذلك يكون دليلاً على العلاقات الإسلامية المتينة التي يشعر بها المسلمون تجاه بعضهم الآخر.

رابعاً: أن مع الصوم تكون النفوس أكثر رقة وعطفاً وحناناً، فهو سبب في اكتساب مكارم الأخلاق، والصفات الحميدة، لأن مع قلة الأكل تضعف الشراسة والشدة في الإنسان، فيدفعه ذلك إلى طيب الكلام، ولين الجناب، وخفض الجناح، والسكينة والوقار، والإشتغال بنفسه عن الآخرين، فيكون قد اكتسب بالصيام كثيراً من الأخلاق.

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، يهتمون بهذا الشهر العظيم اهتماماً كبيراً، فيعدون العدة له قبل دخوله، ويحاولون تفريغ أنفسهم من الأشغال الدنيوية، للتفرغ للأعمال الأخروية، كي لا تكون أعمال الدنيا مثبطة لهم عن اكتساب الطاعات، واغتنام الفرصة في هذا الشهر الكريم.

فعن علي عليه السلام، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر جمعةٍ من شهر شعبان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:((أيها الناس إنه قد أظلكم شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهرٍ وهو شهر رمضان، فرض الله عز وجل صيامه، وجعل قيام ليلةٍ منه بتطوع صلاةٍ كمن تطوع سبعين ليلةً فيما سواه من الشهور، وجعل لمن تطوع فيه بخصلةٍ من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضةً من فرائض الله عز وجل فيما سواه، ومن أدى فريضةً من فرائض الله عز وجل فيه كمن أدى سبعين فريضةً من فرائض الله عز وجل فيما سواه من الشهور، وهو شهر الصبر وإن الصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة وهو شهرٌ يزيد الله تعالى فيه في رزق المؤمن، ومن فطر فيه مؤمناً صائماً كان له عند الله عز

وجل بذلك عتق رقبةٍ ومغفرةٌ لذنوبه فيما مضى)).

فقيل له: يا رسول الله ليس كلنا يقدر على أن يفطر صائمًا.

فقال: ((إن الله تعالى كريمٌ يعطي هذا الثواب من لا يقدر إلا على مذقة من لبنٍ يفطر بها صائماً، أو بشربةٍ من ماءٍ عذبٍ أو تميراتٍ لا يقدر على أكثر من ذلك، ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله عز وجل حسابه، فهو شهرٌ أوله رحمةٌ، وأوسطه مغفرةٌ، وآخره إجابةٌ وعتقٌ من النار، ولا غنى بكم عن أربع خصالٍ: خصلتان ترضون الله تعالى بهما، وخصلتان لا غنى بكم عنهما.

أما اللتان ترضون الله تعالى بهما، فشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله تعالى فيه حوائجكم والجنة، وتسألون الله تعالى العافية وتتعوذون به من النار)).

عن أنس بن مالك قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذا استهل شعبان أكبوا على المصاحف، وأخذ المسلمون في زكاة أموالهم فقووا بها الضعيف والمسكين على صيام شهر رمضان، ودعا المسلمون مملوكيهم فحطوا عنهم ضرائب شهر رمضان، ودعت الولاة أهل السجون، فمن كان عليه حد أقاموا عليه، وإلاَّ خلوا سبيله، حتَّى إذا نظر المسلمون إلى شهر رمضان اغتسلوا واعتكفوا، وبعث الله عز وجل ملائكته في أول ليلة من شهر رمضان، فغلوا فيه أعفار الجن، - وفتحت فيه أبواب السماء، وأغلقوا أبواب النار وبسط فيه الرزق للعباد، ورفع فيه العذاب عن أهل القبور، فمن صام يوماً من شهر رمضان، تباعد من النار مسير مائة عام، ومن قام ليلة من شهر رمضان كان له مثل أجر ليلة القدر، ومن قام ليلة القدر كانت صلاة ليلته تلك ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر يعني عبادة، وكان المسلمون أما النهار فصيام وتسبيح وصدقة، وأما الليل فتلاوة الوحي والسجود والقيام.

قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن رمضان شهر افترض الله عز وجل صيامه، وإني

سننت للمسلمين قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه، كيوم ولدته أمه)).

اللهم رب شهر رمضان أدخله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، وأعتقنا فيه من النيران، واغفر لنا فيه كل زلل وعصيان، وتجاوز عن كل تقصير أو نسيان، إنك على كل شيء قدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {١٨٣} أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {١٨٤} شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه تعالى مَلِكٌ بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي أكرمنا بشهر رمضان من بين سائر الأمم، وأفاض علينا فيه عوائد النعم، وأجاد علينا فيه أنواع الإحسان والكرم، وجنبنا فيه الأسواء والنقم، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، ودليل المهتدين، وقدوة المتعبدين، ونور المسترشدين، وأقرب الخلق وسيلة عند رب العالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

فإن فضائل شهر رمضان كثيرة، وهي واضحة منيرة، فإذا ذكرنا شيئاً منها فإنما هو على سبيل التأكيد، وزيادة الفائدة للمسترشد المستفيد.

عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال يوماً وحضر شهر رمضان: ((أتى شهر رمضان، شهر بركة وخير، يغشيكم الله فيه الرحمة ويحط فيه الخطايا ويستجاب فيه الدعاء، ينظر الله فيه إلى تنافسكم وتباهيكم فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي كل الشقي من حرم فيه رحمة الله)).

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول لشهر رمضان، فإذا دخل شهر رمضان قالت الجنة: اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك سكناً، ويقلن الحور العين: اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجاً)).

وعن أنس، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاء شهر رمضان قال للناس: ((قد جاءكم شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتغل فيه الشياطين، ويعطى المؤمن فيه من القوة للقيام والصلاة، وهو نقمة للفاجر يغتنم فيه غفلات الناس، من حرم خيره فقد حرم)).

وعن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: « من هجم عليه شهر رمضان صحيحاً سليماً فصام يومه، وصلى ورداً من ليله، وحفظ فرجَه ولسانه، وكَفَّ يده، وغَضَّ بصره، وحافظ على صلاته مجموعة، وشهد جُمَعَه، ثم بَكَّر إلى عيده حتى يشهده، فقد استكمل الأجر، وصام الشهر، وأدرك ليلة القدر، وانصرف بجائزة الرب عزّ وجل))، قال أبو جعفر عليه السلام: أما إنها ليست كجائزة الأمراء.

وحافظ على شهر الصيام فإنه	**لَخامس أركان لدين محمد**
تغلق أبواب الجحيم إذا أتى	**وتفتح أبواب الجنان لِعُبَّد**
تزخرف جنات النعيم وحورها	**لأهل الرضا فيها وأهل التعبد**
وقد خصه الله العظيم بليلة	**على ألف شهر فضلت فتودد**
فقم ليله واطو نهارك صائماً	**وصن صومه عن كل موه ومفسد**

أيها الإخوة المسلمون: هذه قطرة من مطرة، وغيض من فيض، في فضل هذا الشهر العظيم، فهيا بنا أخي المسلم الكريم إلى اغتنام الفرصة، والمبادرة بالأعمال الصالحة قبل الغصة، وفقنا الله وإياكم للخير، ودفع عنا دواعي الشر، إنه قريب مجيب.

٢١- كيف نقضي شهر رمضان

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ أَمْرُهُ وَمَشِيتُهُ، النَّافِذِ حُكْمُهُ وَقَضِيْتُهُ، الدَّائِمِ مُلْكُهُ وَسُلْطَانُهُ، الغَامِرِ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ، الَّذِي صَوَّرَ الخَلْقَ بِلَا اسْتِرْشَادٍ، وَقَدَّرَ الرِّزْقَ بِغَيْرِ اسْتِمْدَادٍ، وَدَبَّرَ الأُمُورَ بِلَا مُشِيرٍ، وَصَرَفَ المَقْدُورَ بِلَا ظَهِيْرٍ، بَلْ بِقُدْرَتِهِ الغَالِبَةِ، وَحِكْمَتِهِ البَالِغَةِ، وَأَمْرِهِ الحَزْمِ، وَحُكْمِهِ الحَتْمِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً يُبَرْهِنُ بِهَا بُرْهَانُهُ، وَكَلِمَةً بَيَّنَهَا سُلْطَانُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المصْطَفَى، وَأَمِيْنُهُ المجْتَبَى، أَرْسَلَهُ إِلَى أُمَّةٍ ضَالَّةٍ، يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ، وَيُحِلُّونَ الحَرَامَ، فَنَصَحَ الغَوِيَّ، وَأَفْصَحَ الخَفِيَّ، وَشَرَعَ المِلَّةَ، وَأَقَامَ الأَدِلَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَتَّى ظَهَرَ الدِّيْنُ، وَعَبَدَ رَبَّهُ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِيْنُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: هذا شهر رمضان قد أظلتنا بركاته، وهبطت علينا من ربنا خيراتُه، وتواترت علينا فيه النعم الجسام، والمنن العظام، وما هو إلا هدية أهداها الله لنا نعوض فيه ما فات من تقصيرنا، ونصلح فيه ما فسد من أمورنا، ونحيي ما أماتته المعاصي من قلوبنا، ونجلو به الغشوة التي قد غطت على ألبابنا، والغفلة التي قد اشتملت علينا، فهيا بنا أيها الإخوة المؤمنون لنستغل الفرصة، ونشغل أوقاته بالطاعات، حتى يكون شاهداً لنا لا علينا، وحجة لنا لا علينا، فقد ورد الترهيب والتهديد، والوعيد الشديد، على من فرط فيه وقصر، وخرج عنه الشهر وهو في لهوه وباطله، فقد روى الإمام الشهيد السعيد زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المنبر فقال: ((يا أيها الناس، إن جبريل أتاني فاستقبلني وقال: يا محمد، من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له، فمات فدخل النار، فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين، ثم قال: من أدرك إماماً عادلاً فلم يغفر له فلعنه الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ثم قال: من لحق والديه فلم يغفر له فلعنه الله، قل: آمين، فقلت: آمين)).

أيها المؤمنون: هناك أمور لا بد أن نتنبه لها في هذا الشهر العظيم، ونذكرها على وجه النصيحة والتبيين:

أولاً: لا بد أن نعلم أن الصيام مدرسة روحية، نستفيد منها ترويض النفس على الأخلاق الإسلامية، والشمائل القرآنية، فعلى الصائم أن يعلم أن صيامه ليس من الأكل والشرب فقط، فهذه نظرة قاصرة، وفهم خاطئ للصيام، فلا بد من حفظ البدن عموماً عما يكون مبطلاً للصيام، إما يكون مفطراً للصائم، أو محبطاً لثوابه وأجره الذي يعمل من أجل أن يحصل عليه، وقد نبه على هذا النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فيما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان إذا جاء شهر رمضان خطب الناس فقال: ((إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: إن هذا الشهر المبارك الذي افترض الله صيامه قد أتاكم، ولم يفترض قيامه قد أتاكم، ألا إن الصوم ليس من الطعام والشراب وحدهما، ولكن من اللغو والكذب والباطل)).

ثانياً: على الصائم أن يتحرى وقت إفطاره، فلا يستعجل بالفطر قبل دخول الليل، فيبطل صيامه، ويمحق عبادته، فإن الصائم يمسك عن الطعام والشراب والشهوات نهاره كله، أكثر من اثني عشر ساعة، أما في أيام الصيف فيمسك أربع عشرة ساعة تقريباً، ثم يستعجل في إفطاره قبل دخول وقته فلا هو أفطر ولا هو صام.

ثالثاً: على المؤذن أن يتحرى في دخول وقت الصلاة، لا سيما في وقت المغرب والفجر، فإنه إذا أذن قبل المغرب فقد أحل للناس الإفطار قبل وقته، وأجاز الصلاة في غير وقتها، وإذا أذن قبل الفجر فقد حرم على الناس ما يحل لهم من الأكل والشرب، وأحل لهم ما لا يجوز وهو الصلاة في غير وقتها، ولهذا قال الإمام زيد بن علي عليه السلام (من أذن قبل الفجر فقد أحل ما حرم الله –أي صلاة الفجر في غير وقتها– وحرم ما أحل الله –وهو الأكل والشرب–)، ولا ينسى المؤذنون أن في البيوت من النساء والضعفة من إذا سمعوا الأذان سارعوا إلى الإفطار، أو إلى صلاة الفجر مبادرة للنوم، فاتقوا الله أيها المؤذن فإنك مؤتمن، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المؤذن مؤتمن)، فلا تخن الأمانة التي استرعاك الله تعالى إياها،

وإذا لم يكن عندك بصيرة بالأوقات فاتركها لمن يعرفها، أو تعلم من أهل المعرفة.

رابعاً: على الصائم أن يحرص كل الحرص على إدراك الصلوات في أوقاتها جماعة، فإن الفريضة في رمضان ثوابها يعدل ثواب سبعين فريضة في غير رمضان، فكيف إذا كانت جماعة في المسجد في وقتها، فإن الأجر يتضاعف، والثواب يتزايد ويتكاثر، فلو فرضنا تقديراً أن عدد من يصلي في المسجد جماعة هم عشرة أشخاص، فالجماعة تزيد على الفرادى بسبع وعشرين درجة، فنضرب ٢٧ في ١٠ يكون الناتج مائتين وسبعين درجة، ثم نضربها في ٧٠ يكون الناتج يساوي ١٨٩٠٠ ثمانية عشر ألف وتسعمائة درجة، وما زاد فالله يضاعف لمن يشاء.

وإذا كنا في غير رمضان نقصر في الجماعات، ونعتاد الجمع بين الصلوات، فلنجعل رمضان موعداً للصلوات في أوقاتها في جماعة، ومما يجدر التنبيه عليه صلاة الجمعة، فلا يجوز التهاون بها، والتقصير فيها وتضييعها، والتعلل والتعذر بالنوم والتكاسل.

خامساً: من فضل الله ورحمته بعبده الصائم أن جعل نومه كالعبادة، ونفَسَه كالتسبيح، ولكن من هو الصائم الذي نومه عبادة ونفسه تسبيح؟

هل هو الصائم الذي يتعب نفسه ويجهدها في الطاعة، وينوع لها العبادة، فتارة يصلي، وتارة يقرأ القرآن، وتارة يذكر الله، وأخرى يدعو الله، فهو في بستان الطاعة متنقل، وفي رياضها منشغل، فينام للراحة واستعادة النشاط، فهذا هو الذي يكون نومه عبادة، أما من يقطع ليله على القنوات والتلفزيونات، وفي الأسواق ومجالس اللهو واللذات، ثم يتعلل بأن نومه عبادة، فقد منى نفسه بالأماني الكاذبة.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعني وإياكم بما فيه من الذكر والبيان، إنه ولي الجود والإحسان، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنعم المحسن المجمل المفضل ذي الجلال والإكرام، ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة، وقاضي كل حاجة.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأخيار المتقين.

أما بعد: أيها المؤمنون: نكمل ما تبقى في كيفية استغلال شهر رمضان، وعدم تضييع أيامه ولياليه، فإن الهدية من حقها أن ترعى وتحفظ:

من رحمة الله بنا وتعطفه علينا، وتودده إلينا، جعل أجر النافلة في شهر رمضان كأجر فريضة في غيره، فلنحرص على التزود من النوافل والإكثار منها، لا سيما النوافل المأثورة وهي كما يلي:

أولاً: مكملات الخمسين صلاة: وهي كما رواها الإمام الأعظم زيد بن علي قال: كان أبي علي بن الحسين عليهما السلام لا يفرط في صلاة الخمسين ركعة في يوم وليلة، ولقد كان ربما صلى في اليوم والليلة ألف ركعة، قلت: وكيف صلاة الخمسين ركعة؟ قال عليه السلام: (سبعة عشر ركعة الفرائض، وثمان قبل الظهر، وأربع بعدها، وأربع قبل العصر، وأربع بعد المغرب، وثمان صلاة السحر، وثلاث الوتر وركعتا الفجر) قال الإمام زيد عليه السلام: وكان علي بن الحسين عليهما السلام يعلمها أولاده.

ثانياً: صلاة التسبيح: وهي أربع ركعات موصولة، لا يسلم إلا في آخرهن، وإن شاء أن يصلي كل اثنتين بتسليمتين فعل، وجائز أن يصليها بالليل والنهار ما لم يكن وقت نُهي عن الصلاة فيه، وقد ورد في فضلها شيء كثير، وأجر كبير، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعمه العباس ولجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم في صلاة التسبيح: (وهي أن تقرأ فاتحة الكتاب وسورة معها ثم تسبح خمس عشرة مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله

والله أكبر، ثم تركع وتسبح بها عشراً، وإذا رفع رأسه من الركوع عشراً، وإذا سجد عشراً، وإذا رفع رأسه من السجود عشراً، وإذا سجد الثانية عشراً، وإذا رفع من السجود قبل القيام عشراً، فيكون ذلك خمساً وسبعين في كل ركعة)، قال: وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فلو كانت ذنوبك مثل عدد نجوم السماء وعدد قطر الماء وعدد أيام الدنيا وعدد رمل عالج لغفرها الله لك تصليها في كل يوم مرة واحدة) قال العباس رحمه الله تعالى: ومن يطيق ذلك يا رسول الله قال: (فصلها كل يوم جمعة) قال: ومن يطيق ذلك يا رسول الله قال: (فصلها في كل شهر مرة) قال: ومن يطيق ذلك يا رسول الله حتى قال: (فصلها في عمرك مرة واحدة).

ولقد كان الصالحون قبلنا يواظبون عليها ويحافظون، فقد روي عن إبراهيم الكينعي عابد اليمن رحمه الله أنه كان يصليها بالليل مرة وبالنهار مرة، وكان شيخه حاتم بن منصور الحملاني رحمه الله يصليها كذلك، ولم يتركها حتى وهو في مرض موته، فقد فاضت روحه إلى الله وهو في أثناء صلاة التسبيح وهو مريض، فيالله من رجال عرفوا للطاعة قدرها، وطلبوا من ربهم ثوابها وأجرها، ولم يتكاسلوا في نيل ما أعد الله ووعد بل تنافسوا فيها تنافساً عظيماً.

ثالثاً: صلاة الليل: وهي ثمان ركعات في الثلث الأخير من الليل، ثم تصلي بعدها الوتر، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من صلى ثمان ركعات في جوف الليل يواظب عليهن حتى يلقى الله بهن، فتح الله له ثانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء)).

فأما صلاة التراويح في جماعة فبدعة، ولكن لا مانع من أن تصلي بعد العشاء ما شاء الله من الصلوات، فإن النوافل خير وبركة، وتقرب العبد من ربه، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إن الله عز وجل قال: من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فلئن سألني عبدي لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه)، نسأل الله أن يعيننا على ما يرضيه، ويجنبنا معاصيه، وأن يجعل صيامنا صيام الصائمين، وقيامنا قيام القائمين، إنه على ذلك قدير.

٢٢- في فضل القرآن وتلاوته

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن وسيلة إلى نيل منازل الكرامة، وسبباً نجزى به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة، حمداً دائماً متسقاً، ومتوالياً مستوسقاً، يملأ الأرض والسماء، يكون لحقه أداء، ولشكره قضاء، نستزيد به النعم، ونستدفع به النقم، ليس لأوليته انتهاء، ولا لآخريته انقضاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي عَمّ الخلائق جدواه، وَتَمّ حكمه فيمن أضل منهم وهداه، وأحاط علماً بمن أطاعه وعصاه، مقراً له بالعبودية خاشعاً، معترفاً له بالوحدانية طائعاً، مستجيباً لدعوته خاضعاً، متضرعاً لمشيته متواضعاً، له الملك الذي لا نفاد لديموميته، ولا انقضاء لعدته.

وأشهد أن محمداً عبده الكريم، ورسوله الطاهر المعصوم، بعثه والناس في غمرة الضلالة ساهون، وفي غرة الجهالة لاهون، فقام صلوات الله عليه وآله فيهم مُجِدَّاً في الإنذار، آناء الليل وأطراف النهار، بعزم ثاقب، وحكم واجب، حتى انتشر الإيمان، وتفرق حزب الشيطان، وأعز الله جنده، وعُبِدَ وحدَه، صلى الله عليه وعلى آله في كل وقت وحين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى: **{شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان}**، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((رمضان ربيع القرآن))، أي وقته وموسمه، فرمضان شهر القرآن، فيه أنزل، وفيه يتلى ويرتل، ويبين ويفسر ويفصل، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بالقرآن اهتماماً كبيراً، ويعلمه أصحابه، ويعلمهم تفسيره، وكان يتدارس القرآن مع جبريل الأمين في كل سنة في شهر رمضان، يعرض عليه ما قد نزل عليه في كل عام، فلما كان العام الذي توفي فيه صلى الله عليه

وآله وسلم قرأ القرآن مع جبريل مرتين، وعرضه عليه مرتين.

كما روي عن ابن عباس قال: (كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن)، وفي رواية أخرى (فيدارسه القرآن)، وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسر إلى ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام فقال لها: ((إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي)).

وقد اقتدى الصحابة المخلصون، والأئمة المهتدون، والأولياء والصالحون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجعلوا القرآن قوت أبدانهم، وراحة قلوبهم، وقووا به إيمانهم، وصححوا به يقينهم، فقاموا به آناء الليل، وتلوه أطراف النهار، وخشعت له جوارحهم، وسالت من الخوف والفزع مدامعهم.

وكانوا يكثرون من تلاوته في رمضان، فكان بعضهم يختم المصحف في كل ثلاثة أيام، وبعضهم في كل خمسة أيام وبعضهم في كل سبعة أيام، بل بعض العباد الذين تخلوا للعبادة كان يقرأ في كل يوم ختمتين، ختمة في الليل وختمة في النهار، فكان يختم القرآن في رمضان ستين ختمة، كما روي ذلك عن عابد اليمن إبراهيم بن أحمد الكينعي رحمة الله عليه.

ولله القائل:

فشمر ولُذْ بالله واقرأ كتابه ... ففيه الهدى حقاً وللخير جامع

هو الذخر للملهوف والكنز والرجا ... ومنه بلا شك تنال المنافع

به يهتدي من تاه في معمه الهوى ... به يتسلى من دهته الفجائع

أيها المؤمنون:

إن فضائل تلاوة القرآن كثيرة لا تحصى، فعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((خير الناس من تعلم القرآن وعلمه، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبة الله ما استطعتم؛ إن هذا القرآن حبل الله المتين وهو النور المستنير والشافع الدافع عصمة من تمسك به، ونجاة من تبعه، لايعوج فيقوم ولا يزيغ فيثبت، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الترداد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرفٍ منه عشر حسناتٍ، أما إني لا أقول: ألفٌ ولامٌ، ولكن ألفٌ عشراً ولامٌ عشرًا)).

وعن أبي أمامة، قال: حثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تعليم القرآن وحدثنا من فضله، وقال: ((تعلموا القرآن واتلوه فإن القرآن يأتي صاحبه يوم القيامة أحوج ما كان إليه، فيأتيه في صورة حسنة فيقول: هل تعرفني؟ فيقول لعلك القرآن؟ فيقول: أنا القرآن، فيتقدم بين يدي ربه فيعطيه الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع تاج السكينة على رأسه، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا أضعافاً مضاعفة، فيقولان: إن هذا لم تبلغ أعمالنا، فيقال لهما: بفضل ولدكما قرأ القرآن)).

ولابد أخي المؤمن من العمل والتطبيق للقرآن الكريم، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، حتى تظهر على صفات قارئ القرآن، وتنعكس على سلوكياته وأخلاقه ومعاملاته وعباداته، فإن القرآن كما أنه حجة لك، فهو حجة عليك، فلا بد أن يكون حامل القرآن متميزاً بصفات الفضل والفضيلة، بعيداً كل البعد عن الرذيلة، بل لا بد أن يكون أحرص على الطاعات من غيره، كما روي عن علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أحق الناس بالصلاة الكثيرة في السر والعلانية حامل القرآن، وإن أحق الناس بالخشوع الكثير في السر والعلانية حامل القرآن، وإن أحق الناس بالصوم الكثير.

وينبغي لحامل القرآن أن يعرف في ليله إذا الناس نيامٌ، وفي نهاره إذا الناس يتبطلون، وفي بكائه إذا الناس يضحكون، وفي حزنه إذا الناس يفرحون، وفي صمته إذا الناس يخلطون.

يا حامل القرآن تواضعْ لله يرفَعْك الله، ولا تتعززْ فيذلَّك الله، وتَزَيَّنْ لله يُزَيِّنْكَ الله، ولا تَتَزَيَّنْ للناس فيمْقُتْكَ الله، اللهُ أفضل لك من كل شيءٍ هو دون الله، ومن وَقَّرَ القرآن فقد وَقَّرَ الله،

ومن استخف بحق القرآن فقد استخف بحق الله، وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده.

وحملة القرآن يدعون في التوراة المخصوصين برحمة الله، الملبسين نور الله المعلمين كتاب الله، من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عاد الله، يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، ويدفع الله عن تالي القرآن بلوى الدنيا والآخرة)).

فحامل القرآن إما أن يحسن حمل تلك المسؤلية العظيمة المنوطة على عاتقه فيكون له جزاءِ لا يعلمه إلا الله، وإما أن يفرط ويقصر فيكون من الهالكين الخاسرين، أما إذا لم يجعل القرآن إلا ذريعة ووسيلة إلى نيل الدنيا، وأكل الأموال، فهي الداهية العظمى والمصيبة الكبرى، فقد روي التهديد الشديد، والوعيد الأكيد:

فعن جعفر بن محمدٍ، عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفس محمدٍ بيده للزبانية من الملائكة أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة النيران والأوثان فيقولون: يا رب بدئ بنا سورع إلينا يا رب يا رب، قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: ليس من يعلم كمن لا يعلم)).

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار)).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ القرآن كان حقاً على الله عز وجل أن لا تطعمه النار، ما لم يقل فيه، ما لم يأكل فيه، ما لم يراء به، ما لم يدع إلى غيره)).

أيها المؤمنون:

إن القرآن الكريم شفاء الصدور، والكاشف لما أبهم والتبس من الأمور، وهو فصل الخصام والخطاب، وأشرف قول وخطاب، وهو المرجع عن الإختلاف، والمخرج عند الفتن، كما روي عن الحارث بن حوط أحد أصحاب علي عليه السلام أنه قال: دخلت المسجد، فإذا الناس قد وقعوا في الأحاديث فأتيت علياً عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أنَّ الناس قد وقعوا في الأحاديث، قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال:

أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: ((ستكون فتنة))، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: ((كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَن تركه من جبار قصمه الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته إلَّا أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم)) خذ هذا إليك يا أعور.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا في هذا الشهر الكريم من عتقائه وطلقائه ونقذائه من النار.

بسم الله الرحمن الرحيم {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان}، بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعني وإياكم بما فيه من الذكر والبيان، إنه ولي الجود والإحسان.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ عَلَى الإِيمَانِ، الحَمْدُ للهِ عَلَى القُرْآنِ، الحَمْدُ للهِ حَمْدَاً كَثِيراً طَيِّبَاً مُبَارَكَاً فِيْهِ، الحَمْدُ للهِ كَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأخيار المتقين.

أما بعد أيها المؤمنون:

قارئ القرآن إما أن يجيد القرآءة ويتلوه كما أنزل، ويحفظه غيباً، فهذا لا شك في بلوغه مرتبة عظيمة، ومنزلته عند الله عالية.

وإما أن يجيد القرآءة إلا أنه لا يحفظه جميعه غيباً، وهذا في الدرجة الثانية في الفضل.

وإما أن يجد بعض الصعوبة في نطق بعض الآيات أو الكلمات، ولكنه يتعلم ويتعاهد القرآن، ويجهد نفسه في الإتقان، ويبذل وسعه، فهذا له أجران.

كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن الذي يتعاهد القرآن ويشتد عليه له أجران، والذي يقرأه وهو خفيف عليه مثل السفر الكرام البررة)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ يتتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران)).

والقارئ للقرآن يجب عليه أن يحافظ على القرآن من التفلت من صدره، وأن يتعاهده حتى لا يزول من حفظه، لأن الشيطان يحرص على محو القرآن من صدور المؤمنين، كما روي عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت)).

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((تعاهدوا القرآن فهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النَّعَم من عُقُلِها)).

وعن سعد بن عبادة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم)).

أيها المؤمنون: إن قارئ القرآن لا بد أن يطبق ويعمل بالقرآن، ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقف عند حدوده، يعمل الطاعة، ويجتنب المعصية، فهذا هو الذي نال الثواب وأمن العقاب.

وأما من يقرأ القرآن ولكنه يترك العمل به: لا يعمل بأوامره، ولا يجتنب نواهيه، ولا يقف عند حدوده، فقد باء بالوبال والخسران.

وقد بين النبي صلوات الله عليه وعلى آله جزاء من يعمل وعقوبة من يترك، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ((يأتي القرآن يوم القيامة وله لسانٌ طلقٌ ذلقٌ قائلاً مصدقاً، وشفيعاً مشفعاً، فيقول: يا رب جمعني فلانٌ عبدك في جوفه؛ فكان لا يعمل فيّ بطاعتك، ولا يجتنب فيّ معصيتك، ولا يقيم فيّ حدودك، قال: فيقول: صدقت؛ فتكون ظلمةٌ بين عينيه وأخرى عن يمينه، وأخرى عن شماله، وأخرى من خلفه تبتزه هذه وتدفعه هذه حتى تذهب به إلى أسفل دركٍ في النار.

قال: ويأتي فيقول: يارب جمعني فلانٌ عبدك في جوفه؛ فكان يعمل فيّ بطاعتك، ويجتنب فيّ معصيتك، ويقيم فيّ حدودك، فيقول: صدقت، فيكون له نوراً يصدع ما بين السماء والأرض حتى يدخل الجنة، ثم يقال له: اقرأ وارق فلك بكل حرفٍ درجةٌ في الجنة حتى تساوي النبيين والشهداء هكذا وجمع بين المسبحة والوسطى)).

قال الحسن البصري رحمه الله في كلام له في أقسام قراء القرآن:

قرأ هذا القرآن ثلاثة رجال:

فرجل قرأه فاتخده بضاعة فنقله من بلد إلى بلد ومن مصر إلى مصر يبتغي ما عند الناس.

وقوم قرأوه فَثَقَّفُوه كما يثقف القدح، أقاموا حرفه، وضيعوا حدوده، واستَدَرُّوا به ما عند

الولاة، واستطالوا به على الناس، يقول أحدهم: والله ما أسقط من القرآن حرفاً، ومتى كانت القراء كذا؟! مالهم كثر الله بهم القبور، وأخلى منهم الدور.

وقوم قرأوا القرآن فوضعوه على القلوب فهملت لذلك أعينهم، وذبلت شفاههم، وأسهروا ليلهم، وأظموا نهارهم وحنوا في برانسهم، وبكوا في محاريبهم، فبهم يسقى الغيث، وبهم يدفع الله اللأواء، وبهم يقضي الله على الأعداء، والله لهذا الضرب من القراء أعز من الكبريت الأحمر.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إن أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر المال لهم فيتحاسدوا ويقتتلوا، ويفتح لهم القرآن فيقرأه البر والفاجر والمنافق، فيجادلون به المؤمن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به، والناس في القرآن ثلاثة:

فرجل يقرؤه بلسانه ولا يسوغ به الحنجرة، فهو له إصر وعذاب وعقاب.

ورجل يقرؤه فخراً ورياء ليأكل به في دنياه فليس له منه يوم القيامة شيء.

ورجل يأخذه بسكينة ووقار فهو له حجة يوم يلقى ربه)).

فعلينا أيها المؤمنون أن نستغل هذا الشهر الكريم في قرآءة القرآن وتعلمه، وتدبره وتفهمه، والعمل به وتطبيقه، وأن لا نجعل الدنيا نصب أعيينا، أو سبب تلاوتنا، ولا بد أن نخلص لله أعمالنا، ونطهرها من كل رياء وسمعة، وغرور وعجب، حتى ننال من الله الرضاء، ونفوز بالدرجات العلياء.

نسأل الله أن يعيننا على ما يرضيه، وأن يجنبنا معاصيه، وأن يجعل صيامنا في هذا الشهر صيام الصائمين، وقيامنا قيام القائمين، إنه على كل شيء قدير.

٢٣- في العشر الأواخر واعتكافها وليلةالقدر

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يهتك حجابُه، ولا يغلق بابُه، ولا يرد سائله، ولا يخيب آمله، الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، يُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، والحمد لله قاصم الجبارين، مبير الظالمين، مدرك الهاربين، نكال الظالمين، صريخ المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، معتمد المؤمنين، الذي من خشيته ترعد السماء وسكانُها، وترجف الأرض وعمارُها، وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا إن هدانا الله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةً أَوْجَبَتْهَا شَوَاهِدُ بَقَائِهِ وَقِدَمِهِ، وَكَلِمَةً حَبَّبَهَا إِلَيْنَا عَوَائِدُ آلائِهِ وَنِعَمِهِ.

وَأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً صَلَّى الله عليه وآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ ورسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وأَنْطَقَهُ بِالصِّدْقِ، بَشِيراً لِلْمُتَّقِينَ، وَنَذِيراً لِلْمُعْتَدِينَ، فَشَرَعَ الدِّينَ، وَهَدَى الضَّالِّينَ، فَصَلَّى اللهُ علَيهِ وعلَى أهلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد أيها المؤمنون:

ها هو شهر مضان تنقضي أيامه ويُؤْذِنُ بالوداع، وتنصرم لياليه ونحن لا زالنا في غفلة عن الله وضياع، قد مضت أيام الرحمة، وتلتها أيام المغفرة، وهاهي أيام العتق من النار، فيا من قد قصر في ما مضى، أدرك نفسك فيما بقي، وويا من فرط في الأيام التي انقضت، لا زال بإمكان أن تتلافى وضعك، وتصلح أمرك.

فهيا بنا لننظر ماذا كان يفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الأيام المباركة، لنجعله لنا القدوة، ولنأخذ منه الأسوة، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها، فكان يشد المئزر، ويشمر في الطاعات، فمن

السنن النبوية، والعبادات العظيمة التي تتعلق بالعشر الأواخر من رمضان، هي الإعتكاف، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بها، فكان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى.

والإعتكاف فرصة ثمينة للتفرغ في طاعة الله، وتربية النفس، وجهاد الهوى والشهوة، والبعد عن الشواغل والصوارف عن الطاعة، وحبس النفس على عبادة الله، وترويضها وتأديبها وتعليمها كيف تتخلى للعبادة من الصلاة والدعاء والذكر وقرآءة القرآن والإستغفار وقيام الليل وغيرها من القربات، ومما ورد في فضله:

ما روي عن رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((من أعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان كان عدل حجّتين وعمرتين)).

وعن علي عَلَيْه السَّلام: (أن رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم اعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان، وأحيا الليل، وشد المئزر، وبرز من بيته، وكان يغتسل كل ليلة بين العشائين).

والإعتكاف: هو لزوم المسجد واللبث فيه، طاعة وقربة لله تعالى، ومن أحكامه:

أولاً: لزوم النية، لأنه عبادة، فلا بد من أمر يحصل به التفريق بين اللبث للإعتكاف وغيره.

ثانياً: أن يكون في مسجد، لقوله تعالى {وأنت عاكفون في المساجد}، فلا يصح في غير مسجد، والأفضل أن يكون في مسجد تقام فيه الجمعة، حتى لا يضطر إلى الخروج إليها.

ثالثاً: الصوم، فلا يصح الإعتكاف إلا بصوم.

رابعاً: يبطله مبطلات الصوم، والجماع، والخروج من المسجد لغير حاجة.

خامساً: يجوز الخروج لقضاء الحاجة، وتشييع الجنازة، وزيارة المريض، وغيرها من الطاعات التي تكون خارج المسجد، ولا يقعد إن كفى القيام، ويبادر الرجوع إلى المسجد، ولا يكون الخروج في أول النهار أو آخره، أو أول الليل أو آخره، بل في وسطه، فعن علي عَلَيْه السَّلام، قال: (إذا اعتكف الرجل فلا يرفث، ولا يجهل، ولا يقاتل، ولا

يساب، ولا يماري، ويعود المريض، ويشهد الجنازة، ويأتي الجمعة، ولا يأتي أهله إلا لغائط، أو لحاجه فيأمرهم بها، وهو قائم لا يجلس).

سادساً: ينقسم الإعتكاف إلى قسمين: إعتكاف عام: وهو ما يعم النهار والليل، وهو أفضل.

واعتكاف خاص: وهو اعتكاف النهار، واستثناء الليل، وهو جائز أيضاً، ويجوز أن يعتكف أياماً والليالي أكثر.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا في هذا الشهر الكريم من عتقائه وطلقائه ونقذائه من النار، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، بسم الله الرحمن الرحيم، {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الأعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

هذه الأيام والليالي المباركات تتزاحم فيها ملائكة الله في أماكن العبادات، ونحن نتزاحم في الأسواق، الملائكة يدعوننا إلى بيوت الله وأماكن طاعته، والشياطين يخرجوننا إلى الأسواق وأماكن اللهو واللعب، الأولياء والصالحون يتاجرون فيها مع الله، تجارة رابحة لا خسارة فيها، ونحن نتاجر مع الناس، تجارة معرضة للخسران والضياع، المساجد من الناس خالية، والأسواق منهم مكتظة ومليئة.

ها نحن في أيام وليالي ليلة القدر، ولكن أين أهلها الحريصون عليها؟، وأين الرجال المهتمون بها؟، وأين العباد المشتاقون إلى ما أعد الله فيها لأهلها؟.

قد أنزل الله تعالى في فضل ليلة القدر سورة في القرآن الكريم، تتلى آناء الليل وأطراف النهار، فهي رحمة من الله تعالى لهذه الأمة، ومن رحمته أن جعل إحياءها وقيامها خيراً من عبادة ألف شهر، ومن رحمة الله تعالى أن جعل وقتها محصوراً على رمضان، ومحصوراً على العشر الأواخر منه، بل وفي الأفراد من لياليه، وهذا من تمام النعمة والرحمة، وليلة القدر من أولها إلى آخرها في الفضل سواء، وقد ورد في فضلها أخبار كثيرة فمنها:

ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إذا كان ليلة القدر أمر الله عز

وجل جبريل عليه السلام يهبط في كوكبة من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر، فيركز اللواء على ظهر الكعبة، وله ستمائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر، فينشرهما في تلك الليلة، فيجاوزان المشرق والمغرب، ويبث جبريل عليه السلام الملائكة في هذه الأمة، فيسلمون على كل قائم وقاعد، ومصل وذاكر، ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر قال جبريل عليه السلام : يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل، فيقولون: يا جبريل ما صنع الله في حوائج المؤمنين؟ فيقول: إن الله نظر إليهم في هذه الليلة وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة: رجل مدمن خمر وعاق والديه وقاطع رحم ومشاحن)) قيل: وما المشاحن يا رسول الله؟ قال: ((المصارم)).

وعن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((إن فوق السماء السابعة حضيرةٌ يقال لها: حضيرة القدس فيها قومٌ يقال لهم: الروح، فإذا كانت ليلة القدر استأذنوا ربهم تبارك وتعالى في النزول إلى الدنيا فلا يمرون بأحدٍ يصلي أو يستقبلونه إلا أصابته منهم بركةٌ)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إذا كان ليلة القدر نزل جبريل صلى الله عليه في كوكبة من الملائكة عليهم السلام يسلمون على كل قائم وقاعد يدعون الله إلا لمدمن على خمر أو قاطع رحم)).

وعن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أنه قال: ((اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر، وهي ليلة ثلاث وعشرين، أو سبع وعشرين إن شاء اللَّه)).

فلا بد أن نفرغ أنفسنا لهذه الليلة المباركة، ولا نضيعها في الأسواق والشوارع، وأماكن اللهو والشهوات، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)).

وعن جابرٍ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((أعطي أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن من قبلي: أما واحدةٌ فإذا كان أولى ليلةٍ من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية: فإنهم يمسون وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح

المسك، وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في ليلهم ونهارهم، وأما الرابعة: فإن الله يأمر جنته أن استعدي وتزيني لعبادي فيوشك أن يذهب نصب الدنيا وأذاها عنهم ويصيرون إلى جنتي وكرامتي، وأما الخامسة: فإذا كان آخر ليلةٍ غفر لهم جميعاً، قال فقال قائلٌ: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟ قال: ألم تر إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وُفُّوا أجورَهم)).

ومما ينبغي التنبيه عليه أمور:

منها: أن اليوم الذي يصبح عن ليلة القدر يكون فضلُه كفضلها، فعن أنسٍ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربعٌ لياليهن كأيامهن وأيامهن كلياليهن يجزل الله فيها القسم، ويعطي فيها الجزيل: ليلة الجمعة وصبيحتها، وليلة النصف من شعبان وصبيحتها، وليلة القدر وصبيحتها، وليلة عرفة وصبيحتها)).

ومن علامات وأمارات ليلة القدر: أنها صافية بلجة كأن فيها قمراً، ساكنة ساجية، لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب أن يرمى به حتى تصبح، وإن أماراتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس فيها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ.

وينبغي المحافظة على صلاة العشاء والفجر، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله ((من صلى ليلة القدر العشاء والفجر في جماعة فقد أخذ من ليلة القدر بالنصيب الوافر)).

مما يحسن من الأدعية فيها أن يكثر من هذا الدعاء وهو: (اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعفو عنا)، ودعاءِ كميل، وغيرها من الأدعية المأثورة.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا وإياكم من عتقائه وطلقائه من النار.

٢٤- في التوبة ووداع رمضان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يهتك حجابُه، ولا يغلق بابُه، ولا يرد سائله، ولا يخيب آمله، الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، يُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، والحمد لله قاصم الجبارين، مبير الظالمين، مدرك الهاربين، نكال الظالمين، صريخ المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، معتمد المؤمنين، الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانُها، وترجف الأرض وعمارُها، وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا إن هدانا الله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةً أَوْجَبَتْهَا شَوَاهِدُ بَقَائِهِ وَقِدَمِهِ، وَكَلِمَةً حَبَّبَهَا إِلَيْنَا عَوَائِدُ آلائِهِ وَنِعَمِهِ.

وَأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً صَلَّى الله عليه وآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ ورسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وأَنْطَقَهُ بِالصِّدْقِ، بَشِيراً لِلْمُتَّقِينَ، وَنَذِيرَاً لِلْمُعْتَدِينَ، فَشَرَعَ الدِّينَ، وَهَدَى الضَّالِّينَ، فَصَلَّى اللهُ علَيهِ وعلَى أهلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإننا نعيش في أواخر شهر رمضان الكريم، الموسم لكل الطاعات، والوقت الصالح لجميع العبادات، وإن من أعظم العبادات التي يتقرب بها العباد في هذا الشهر الكريم، هي التوبة، وهي صالحة في كل وقت، في رمضان وفي غيره، وإنما لشهر رمضان مزيد عناية وخصوصية في قبول التوبة، لأن أبواب السماء والدعاء والخير فيه مفتوحة، وأبواب الشر فيها مغلقة، والإنسان أقرب ما يكون إلى الله مع الصيام، لأن الصيام يروض النفس ويؤدبها، ويكبح جماحها فتكون معه أقرب إلى الهدى والتقوى، وأبعد عن المعصية والردى، كما قال تعالى **{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم**

تتقون}، ويكون الصائم أضعف من أن يقوم بمعصية، فالصيام من أعظم الوسائل إلى نيل التوبة، **فهو يجعل** العبد خائفاً من الله تعالى، بسبب الجوع والعطش اللذين يذكران العبد جوع يوم القيامة وعطشه، مما يجعل العبد يخاف يوم القيامة فيتوب عن معاصيه.

وقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم بالتوبة في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**، وقال تعالى: **{وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}**، وقال تعالى: **{وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ}**، وقال تعالى **{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}**، وقال تعالى: **{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}**[النساء]، وقال تعالى: **{فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }**، وقال تعالى: **{وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}**، وقال تعالى: **{إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا}**، وغيرها من الآيات الحاثة على التوبة.

أيها المؤمنون:

إن فتح باب التوبة نعمة من نعم الله تعالى علينا، فإن العاصي والمتعدي لحدود الله، والمقصرَ في أوامر الله تعالى يكون قد أخلّ بشكر النعم التي أنعم الله عليه، والمخل

بشكر النعمة، يستحق العقاب، ولكن الله تعالى لا يريد أن يعذبنا، بل يريد بنا الخير، ويحب لنا ما فيه فائدتنا وصلاحنا في دنيانا وآخرتنا، ففتح لنا باب التوبة ودعانا إليه، ولو كثرت ذنوبنا، وتعددت خطايانا، وتنوعت سيئاتنا فهو تعالى يمحو ويعفو، كما قال تعالى: **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ}**.

ومن رحمة الله بهذه الأمة أن يسر لها طرق التوبة، وسهلها عليها، فلقد كانت الأمم السابقة، لا تقبل منهم التوبة إلا بأن يقتلوا أنفسهم بأيديهم، بأن يأخذ السيف أو آلة القتل بيده فيقتل نفسه بها، وكان الرجل منهم يصبح وقد كتب الله تعالى توبته على جبهته، توبتك أن تخرج عينك، أو تقطع أذنك، أو تقتل نفسك، كما قال الله تعالى: **{فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}**، أما هذه الأمة فقد يسر الله لها السبيل إلى التوبة.

كما روي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((من أخطأ خطيئة أو أذنب ذنباً ثُمَّ ندم فهو كفارة له)).

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((الندم توبة)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((التوبة من الذنب الندم والإستغفار، فإن العبد إذا استغفر الله من ذنب غفر له)).

أيها المؤمنون: التوبة هي الرجعة، فرض الله التوبة على الخلق إذا ذهلوا عنه، واشتغلوا بالمعاصي، بأن يرجعوا إليه عما ذهلوا به عنه، لأن التائب هو الراجع.

ولكن المشكلة التي نعاني منها في قضية التوبة هي التسويف، فإن الرجل منا يغتر

بصحته، وشبابه وصغر عمره، ويحدث نفسه بأن الوقت للتوبة لا زال متسعاً، فنؤخر التوبة إلى أن نشيب ونكبر، ونسينا أن الموت يأتي فجأة، وأن المنية تهجم بغتة.

فعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((النادم ينتظر الرحمة، والمعجب ينتظر المقت، وكل عامل سيقدم على ما قد سلف عند موته، فإنّ ملاكَ الأعمال خواتمَها، والليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغاً إلى الآخرة، وإياك والتسويف بالتوبة، وإياك والغرة بحلم الله عليك)).

وعن لقمان أنه قال لابنه: (يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من سوَّف التوبة لم يوفق إليها)).

فعلينا أن بادر بالتوبة، إذا لم نتب في رمضان فمتى سوف نتوب؟! إذا لم نتخلص في رمضان فمتى سنتخلص؟! إذا لم نرجع إلى الله في رمضان فمتى سنرجع؟!.

من لم يوفق للتوبة في رمضان فقد حُرِم رحمة الله، وهو من الأشقياء، ودخل ضمن دعاء جبريل الأمين الذي أمّن عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ((من أدرك رمضان ولم يغفر له فأبعده الله قل آمين)) فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((آمين))، ومعنى أبعده الله: أي طرده عن جنته ورحمته ورضوانه.

فما بالك بدعاء دعا به جبريل الأمين، وأمّن عليه محمد خاتم النبيين، أليس مستجاباً بدون أدنى شك ولا ريب.

فهيا بنا أيها الإخوة المؤمنون لنفتش عن أنفسنا، لنصلح فسادها، ونقوِّمُ اعوجاجها، فهذا موسم الخير يودعنا، وأيامه تتولّى عنا، وهو ينذر بالفراق، ويعلم الله من منا يدركه في عام مقبل.

بسم الله الرحمن الرحيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الأعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

ها هو رمضان يؤذن بالخروج، فماذا قدمنا فيه؟!، وها هي أيامه في أواخرها فهل قد أحسنا العمل الصالح فيه؟!، أنت أخي المؤمن شهيد على نفسك، ومؤاخذ بفعلك، ليس فعل غيرك يحسب لك، ولا فعلك يحسب لغيرك، وليست إساءتك على غيرك، ولا إسآءة غيرك عليك، كل نفس بما كسبت رهينة.

فالناس في فراق رمضان على قسمين: رجل يحزنه فراقه، لما يعلم أنه يفوته من ثوابه، وهذا هو المؤمن، الذي يؤثر فيه الصيام، ويستفيد من رمضان.

ورجل يفرح لفراقه، لأنه لم يذق حلاوة الصوم والعبادة، ولم يجهد نفسه في الطاعة ليتذوق حلاوة المناجاة لله تعالى، وهذا هو الذي ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ومن قيامه إلا السهر.

أيها المؤمنون:

إن كل عامل يوفى أجرُه إذا أكمل عمله، والله تعالى يقول في الحديث القدسي ((الصوم لي وأنا أجزي به، يترك العبد طعامه وشرابه من أجلي، وعزتي وجلالي لأرضينه))، قرب وقت تسليم أجرة العمال، طوبى لمن كلن عمله كثيراً مباركاً خالصاً مقبولاً، ويا أسفا على

من كان عمله قليلاً، وسعيه كليلاً، ويا حسرتا على من كان عمله قبيحاً.

فعن عبد الله بن مسعود أنَّه كان يقول في آخر ليلة من شهر رمضان: مَن هذا المقبول منا فنهنِّئَه، من هذا المحروم المردود فنعزِّيَه، أيها المقبول هنيئاً هنيئاً، أيها المحروم جبر الله مصيبتك.

ليت شعري مَن هو المقبول منا فيهنّا ليت شعري مَن هو المردود منا فيعزّى

إن آخر ليلة من رمضان هي ليلة الجائزة التي يوفى العباد فيها أجورهم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا كان آخر ليلة منه - أي من رمضان — نظر الله إليهم جميعاً، ومن نظر إليه لم يعذبه أبداً)) قيل يا رسول الله: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ألم تر إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وفُّوا أجورهم))، وهي ليلة الجائزة، التي يستلمها العاملون من ربهم، وليست كجوائز الملوك والسلاطين، بل هي جائزة العتق من النار، ففيها يعتق اللهُ رقاباً كثيرة من النار.

ولقد كان الصالحون والعباد يعطون هذه الليلة حقها، ويعرفون قدرها، فقد روي أن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، كان إذا دخل رمضان إذا كان ليلة العيد، جمع عبيده وأرقاءه، وقال لهم: نادوا جميعاً بأعلى أصواتكم، وادعوا الله تعالى.

واعلموا أيها المؤمنون:

أن الله تعالى جعل لأبداننا زكاة كما جعل لأموالنا زكاة، فزكاة الأبدان هي زكاة الفطر وصدقته، وهي رحمة من الله تعالى يتمم الله بها ما نقص من أجر الصيام، ويجبر بها ما حصل من خلل في الصيام، فعن أبي سعيد الخدري، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشية الَّتي تقال لها ليلة الفطر، فقال: ((إن زكاة الفطر واجبة على كل صغيرٍ وكبير، على كل حرٍ وعبد ذكر وأنثى، صاعاً من تمر أو صاعاً من أقط أو صاعاً من زبيب)).

ويجوز تقديمه قبل يوم العيد، فعلينا أن تفقد الضعفاء والمحتاجين، والفقراء والمساكين في هذه الليالي والأيام المباركة المتبقية من هذا الشهر، فكم من ضعيف مسكين لا يجد لنفسه ولا لأهله نفقة، ولا كسوة عيد، وكم فقير تنهمل دموعه على أولاده وعوائله لا

يجد لهم كسوة ولا نفقة، وكم من محتاج متعفف لا يسأل أحداً قد عصر الفقر ثيابه، وطوى الجوع بطنه، فلنغتنم هذه الأيام المتبقية في تفقد أحوال المحتاجين، والنظر في حوائج المساكين، فإن الدرهم بسبعين درهم، والله تعالى يضاعف لمن يشاء، كيف لو صادفت محتاجاً مملقاً، وفقيراً عائلاً، فأجرها عند الله كبير، وثوابها كثير، والله تعالى لا يضيع أجر العاملين، ولا يفوته شيء من أعمال المؤمنين، وقد وعد من أنفق بالخلف، وتوعد من أمسك بالتلف، فإن الله تعالى جعل في كل ليلة من هذه الليالي المباركة منادياً ينادي ((اللهم اعط كل ممسك مالاً تلفاً، واعط كل منفق مالاً خلفاً)).

نسأل الله أن يعيننا على ما يرضيه، وأن يجنبنا معاصيه، وأن يجعل صيامنا في هذا الشهر صيام الصائمين، وقيامنا قيام القائمين، إنه على كل شيء قدير.

٢٥- حول مواضيع متعددة في شهر رمضان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن وسيلة إلى نيل منازل الكرامة، وسبباً نجزى به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة، حمداً دائماً متسقاً، ومتوالياً مستوسقاً، يملأ الأرض والسماء، يكون لحقه أداء، ولشكره قضاء، نستزيد به النعم، ونستدفع به النقم، ليس لأوليته انتهاء، ولا لآخريته انقضاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي عَمّ الخلائق جدواه، وَتَمّ حكمه فيمن أضل منهم وهداه، وأحاط علماً بمن أطاعه وعصاه، مقراً له بالعبودية خاشعاً، معترفاً له بالوحدانية طائعاً، مستجيباً لدعوته خاضعاً، متضرعاً لمشيته متواضعاً، له الملك الذي لا نفاد لديموميته، ولا انقضاء لعدته.

وأشهد أن محمداً عبده الكريم، ورسوله الطاهر المعصوم، بعثه والناس في غمرة الضلالة ساهون، وفي غرة الجهالة لاهون، فقام صلوات الله عليه وآله فيهم مُجِدَّاً في الإنذار، آناء الليل وأطراف النهار، بعزم ثاقب، وحكم واجب، حتى انتشر الإيمان، وتفرق حزب الشيطان، وأعز الله جنده، وعُبِدَ وحدَه، صلى الله عليه وعلى آله في كل وقت وحين.

أما بعد أيها المؤمنون: شهر رمضان موسم لكل طاعة، ووقت لكل عبادة، فالسعيد من حرص عليه واهتم به، والشقي من غفل عنه وضيعه، و نذكر بعض الأمور الهامة التي ينبغي أن نتنبه لها في هذا الشهر الكريم:

أولاً: التوبة والرجوع:

من أعظم العبادات التي يتقرب بها العباد في هذا الشهر الكريم، هي التوبة، وهي صالحة في كل وقت، في رمضان وفي غيره، وإنما لشهر رمضان مزيد عناية وخصوصية في قبول التوبة، لأن أبواب السماء والدعاء والخير فيه مفتوحة، وأبواب الشر فيها مغلقة، والإنسان

أقرب ما يكون إلى الله مع الصيام، لأن الصيام يروض النفس ويؤدبها، ويكبح جماحها فتكون معه أقرب إلى الهدى والتقوى، وأبعد عن المعصية والردى، كما قال تعالى **{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}**، ويكون الصائم أضعف من أن يقوم بمعصية، فالصيام من أعظم الوسائل إلى نيل التوبة، **فهو يجعل** العبد خائفاً من الله تعالى، بسبب الجوع والعطش اللذين يذكران العبد جوع يوم القيامة وعطشه، مما يجعل العبد يخاف يوم القيامة فيتوب عن معاصيه.

التوبة هي الرجعة، فرض الله التوبة على الخلق إذا ذهلوا عنه، واشتغلوا بالمعاصي، بأن يرجعوا إليه عما ذهلوا به عنه، لأن التائب هو الراجع.

ولكن المشكلة التي نعاني منها في قضية التوبة هي التسويف، فإن الرجل منا يغتر بصحته، وشبابه وصغر عمره، ويحدث نفسه بأن الوقت للتوبة لا زال متسعاً، فنؤخر التوبة إلى أن نشيب ونكبر، ونسينا أن الموت يأتي فجأة، وأن المنية تهجم بغتة.

فعن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((النادم ينتظر الرحمة، والمعجب ينتظر المقت، وكل عامل سيقدم على ما قد سلف عند موته، فإنّ ملاكَ الأعمال خواتمَها، والليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغاً إلى الآخرة، وإياك والتسويف بالتوبة، وإياك والغرة بحلم الله عليك)).

وعن لقمان أنه قال لابنه: (يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من سوَّف التوبة لم يوفق إليها)).

فعلينا أن بادر بالتوبة، إذا لم نتب في رمضان فمتى سوف نتوب؟! إذا لم نتخلص في رمضان فمتى سنتخلص؟! إذا لم نرجع إلى الله في رمضان فمتى سنرجع؟!.

من لم يوفق للتوبة في رمضان فقد حُرِم رحمة الله، وهو من الأشقياء، ودخل ضمن دعاء جبريل الأمين الذي أمّن عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ((من أدرك رمضان ولم يغفر له فأبعده الله قل آمين)) فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((آمين))، ومعنى

أبعده الله: أي عن جنته ورحمته ورضوانه.

فما بالك بدعاء دعا به جبريل الأمين، وأمّن عليه محمد خاتم النبيين، أليس مستجاباً بدون أدنى شك ولا ريب.

فهيا بنا أيها الإخوة المؤمنون لنفتش عن أنفسنا، لنصلح فسادها، ونقوِّمُ اعوجاجها، فهذا موسم الخير يودعنا، وأيامه تتولّى عنا، وهو ينذر بالفراق، ويعلم الله من منا يدركه في عام مقبل.

ثانياً: القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: **{شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان}**، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((رمضان ربيع القرآن))، أي وقته وموسمه، فرمضان شهر القرآن، فيه أنزل، وفيه يتلى ويرتل، ويبين ويفسر ويفصل، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بالقرآن اهتماماً كبيراً، ويعلمه أصحابه، ويعلمهم تفسيره، وكان يتدارس القرآن مع جبريل الأمين في كل سنة في شهر رمضان، يعرض عليه ما قد نزل عليه في كل عام، فلما كان العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ القرآن مع جبريل مرتين، وعرضه عليه مرتين.

كما روي عن ابن عباس قال: (كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن)، وفي رواية أخرى (فيدارسه القرآن)، وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسر إلى ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام فقال لها: ((إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي)).

وقد اقتدى الصحابة المخلصون، والأئمة المهتدون، والأولياء والصالحون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجعلوا القرآن قوت أبدانهم، وراحة قلوبهم، وقووا به إيمانهم، وصححوا به يقينهم، فقاموا به آناء الليل، وتلوه أطراف النهار، وخشعت له جوارحهم، وسالت من الخوف والفزع مدامعهم.

وكانوا يكثرون من تلاوته في رمضان، فكان بعضهم يختم المصحف في كل ثلاثة أيام، وبعضهم في كل خمسة أيام وبعضهم في كل سبعة أيام، بل بعض العباد الذين تخلوا للعبادة كان يقرأ في كل يوم ختمتين، ختمة في الليل وختمة في النهار، فكان يختم القرآن في رمضان ستين ختمة، كما روي ذلك عن عابد اليمن إبراهيم بن أحمد الكينعي رحمة الله عليه.

ولله القائل:

فشمر ولُذْ بالله واقرأ كتابه ... ففيه الهدى حقاً وللخير جامع

هو الذخر للملهوف والكنز والرجا ... ومنه بلا شك تنال المنافع

به يهتدي من تاه في مسلك الهوى ... به يتسلى من دهته الفجائع

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، بسم الله الرحمن الرحيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، أستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الأعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

ثالثاً: الإهتمام بالمساجد:

المساجد بيوت الله في الأرض، أذن في عمارتها بالبناء والعمران، وأمر بعمارتها بالطاعات والعبادة، فهي أماكن التجمع للعبادات، فعن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((المساجد سوق من أسواق الآخرة، من دخلها كان ضيف الله، قرآؤه المغفرة، وتحيته الكرامة، فعليكم بالرتاع، قيل يا رسول الله: وما الرتاع؟ قال: الدعاء والرغبة إلى الله عز وجل)).

وعن الإمام الحسن السبط عليه السلام قال: سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((من أدمن الاختلاف إلى المساجد أصاب أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستظرفاً، أو كلمةً تدل على الهدى، أو أخرى تصرف عن الردى، أو رحمةً منتظرةً أو تركاً للذنوب)).

وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحب الله عز وجل أحب القرآن، ومن أحب القرآن أحبني، ومن أحبني أحب قرابتي وأصحابي،

ومن أحب الله وأحب القرآن وأحبني وأحب قرابتي وأصحابي أحب المساجد فإنها أفنية الله وأبنيته، أُذن في رفعها وبارك فيها، مباركة مبارك أهلها، محفوظ أهلها، ميمونة ميمون أهلها، هم في مساجدهم والله عز وجل في حوائجهم، هم في صلاتهم وفي ذكرهم، والله عز وجل يحوط من ورائهم وتكفل بأرزاقهم)).

فالناس في رمضان يتوافدون إلى المساجد بشكل أكثر من تواجدهم في غير رمضان، وقد تقع أخطاء كثيرة بسبب ذلك التجمع، فنريد أن ننبه على بعض الأخطاء، حتى نتمكن جميعاً من معالجتها، وحتى لا ينقلب ذلك التجمع إلى العكس مما حصل من أجله، ومن تلك الأخطاء:

أولاً: رفع الأصوات فيها، وهو من الأخطاء الشائعة، والتي ورد النهي عنها، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم، وبيعكم وشراكم، ورفع أصواتكم)).

ثانياً: والبيع والشراء، والمراد به عقد البيع، أو الإتفاق على ذلك، أو المساومة في السلعة، أو نحو ذلك مما هو من مقدمات البيع والشراء.

ثالثاً: وتجنيب المساجد الصبيان والمجانين، لأنهم عرضة للتنجيس، وشغلة المصلين، والمراد بالصبيان الذين لم يبلغوا حد التمييز وليس في حضورهم فائدة من تعليم أو غيره، فأما إذا كان الصبي يحضر للتعلم، أو التمرين على الصلاة، مع كونه نظيف البدن والثوب، وقد بلغ سن الثامنة، فلا مانع من ذلك.

رابعاً: وأحاديث الدنيا، وما أكثرَ الإجتماع في المساجد في هذا الزمان لأجل أحاديث الدنيا، بل أصبح البعض من الناس لا يأتي إلا لأنه يلقى من يتناول معهم أطراف الحديث، ويتناقل معهم الأخبار، وقد ورد التهديد الشديد على ذلك، كما روي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم، ليس لله فيهم حاجة)).

وعن الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم، فلا تجالسوهم، فليس لله فيهم حاجة)).

خامساً: نظافة المساجد وصيانتها من الأوساخ والأقذار، وتجنيبها من البصاق والمخاط والنخامة، وقص الأظفار، وحلق الشعر وغيرها، وقد ورد في إزالة وإخراج الأذى منها الأجر الكثير، والثواب العظيم.

فعن علي عَلَيْه السَّلام قال: (أمر رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم ببناء المساجد، وأن تطيَّب، وتطهر، وتنظّف، وأن تجعل على أبوابها المطاهر)، وقال عليه السلام: قال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((من بنى مسجداً بنى اللَّه له بيتاً في الجنَّة)).

وعن علي عَلَيْهم السَّلام قال: كانت جارية خلاسية تلتقط الأذى من مسجد رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم، ففقدها رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم؛ فسأل عنها، فقيل: توفيت، فقال: ((لذلك رأيت لها الذي رأيت، كأنها في الجنَّة تلقط من ثمرها))، ثم قال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((من أخرج أذى من المسجد كانت له حسنة، والحسنة عشر أمثالها، ومن أدخل أذى في مسجد كانت عليه سيئة، والسيئة سيئة واحدة)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((عُرضت علي أجور أعمال أمتي، حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد)).

فأما النخامة أو البصاق في المسجد فقد ورد التهديد والوعيد عليها، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها)) أي إزالتها، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه)) وفي رواية أخرى ((جاء يوم القيامة ونخامته بين عينيه)).

وعن علي عليه السلام قال: (إن المسجد ليلتوي عند النخامة، كما يلتوى أحدكم

إذا وقع به) – يعني إذا وقع به ما يكره–.

وكفارة النخامة إزالتها وضمخها بالطيب أو الزعفران أو الرائحة الطيبة، كما روي عن علي عليه السلام عن رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أنه قال: ((من وَقَّر المسجد بنخامته لقي اللَّه يوم القيامة ضاحكاً، وأعطاه كتابه بيمينه))، أي من عظم المسجد بإزالة النخامة.

سادساً: تجنب أكل ما يؤذي وينتج منه رائحة كريهة كالثوم والبصل ونحوهما، لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وقد ورد النهي عن ذلك، فعن عن علي عَلَيْهم السَّلام، قال: دخل رجل من أهل اليمن وقد أكل الثوم؛ فتأذى به رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم والمسلمون؛ فقال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((مَنْ أكل من هذه البقلةِ فلا يقرَبَنَّ مسجدنا)).

وفي رواية عن جابر ((من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، – أو فليعتزل مسجدنا)).

ولا يعني هذا تحريم أكل البصل والثوم والكراث ونحوها، وإنما كره النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم ذلك لمن حضر الجماعات في المسجد؛ لئلا يتأذى به أحد من المسلمين.

سابعاً: ومما يلزم تجنيبه المساجد، إنشاد الضالة، فعن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: أنه نهى عن إنشاد الضالة في المسجد.

أيها المؤمنون: هناك أوقات فاضلة وشريفة يهملها الناس في رمضان بسبب النوم، وهي من الأوقات التي لا ينبغي التفريط فيها، فمنها:

أولاً: من بعد الفجر إلى طلوع الشمس، فترى المصلين بعد أن يكملوا صلاة الفجر يتسابقون على الأبواب، مبادرة إلى النوم، ويتركون الذكر والدعاء في ذلك الوقت الفاضل، فقد روي عن علي (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قعد في مصلاه الذي يصلي فيه الفجر يذكر الله حتى تطلع الشمس كان له من الأجر كحاج بيت الله)).

وعن الحسن بن علي عليهما السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صلى صلاة الصبح ثم جلس في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس كان له حجاباً أو ستراً من النار)).

وعن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفس محمد بيده لدعاء الرجل بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنجح في طلب الحاجة من الضارب في الأرض بماله)).

ثانياً: وقت الإفطار، يشتغل الناس فيه بالفطر، والتجهيز للأكل، مع أنه وقت تجاب فيه الدعوة، فإن للصائم دعوة مستجابة عند إفطاره، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدعية في هذا مثل ((اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل صيامنا))، ومثل ((ذهب الظماء وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله))، ويدعو بالعتق من النار، وبخير الدنيا والآخرة.

ثالثاً: وقت السحر، فهو وقت الصلاة والدعاء والذكر.

رابعاً: وقت الأصيل: ما بعد العصر إلى المغرب.

خامساً: وقت ما بين المغرب والعشاء، وكذلك إذا دخل الإنسان الصائم ولم تقم صلاة المغرب فليتنفل بركعتين، أو يجلس فيذكر الله ويستغفر فإن وقت المغرب من أوقات الإستغفار التي وردت فيها الآثار.

وفقني الله وإياكم لطاعته، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

٢٦- حول غزوة بدر الكبرى وفتح مكة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يهتك حجابُه، ولا يغلق بابُه، ولا يرد سائله، ولا يخيب آمله، الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجي الصالحين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، يُهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، والحمد لله قاصم الجبارين، مبير الظالمين، مدرك الهاربين، نكال الظالمين، صريخ المستصرخين، موضع حاجات الطالبين، معتمد المؤمنين، الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانُها، وترجف الأرض وعمارُها، وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا إن هدانا الله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةً أَوْجَبَتْهَا شَوَاهِدُ بَقَائِهِ وَقِدَمِهِ، وَكَلِمَةً حَبَّبَهَا إِلَيْنَا عَوَائِدُ آلائِهِ وَنِعَمِهِ.

وَأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً صَلَّى الله عليه وآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ ورسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وأَنْطَقَهُ بِالصِّدْقِ، بَشِيراً لِلْمُتَّقِينَ، وَنَذِيراً لِلْمُعْتَدِينَ، فَشَرَعَ الدِّينَ، وَهَدَى الضَّالِّينَ، فَصَلَّى اللهُ علَيهِ وعلَى أهلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد أيها المؤمنون:

كما أن رمضان شهر الصلاة والصيام والعبادة فهو شهر الجهاد والإستشهاد، شهر الدفاع عن حوزة الدين، فقد وقعت في شهر رمضان غزوات هامة، وأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدة سرايا، وحصلت فيه أحداث كبيرة، فمن تلك الغزوات والسرايا:

أولاً: غزوة بدر الكبرى: التي تعد أول غزوة وقع فيها لقاء وقتال بين المسلمين والمشركين، وقد سجل الله تعالى أهم أحداث هذه الغزوة العظيمة في القرآن الكريم، وذَكَّرَ المؤمنين بما امتن عليهم من النصر والتأييد، والظفر والتسديد، فقال تعالى {وَلَقَدْ

نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}، وذكر الله تعالى في سورة الأنفال كثيراً من آياته وتأييداته، ويشرح فيها أرض المعركة في قوله تعالى {إِذْ أَنتُم} أيها المؤمنون معسكرون ومنتظرون{بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} أي بجانب الوادي القريب من طريق المدينة، {وَهُم} أي المشركون معسكرون ومتأهبون للقاءكم {بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} أي بجانب الوادي البعيد من المدينة، {وَالرَّكْبُ} أي القافلة التي خرجتم لأخذها وخرج المشركون لحمايتها، {أَسْفَلَ مِنكُمْ} أي خلفكم، {وَلَوْ تَوَاعَدتَّمْ} أي لو جعلتم بينكم وبين المشركين ميعاداً مكانياً وزمانياً للقتال {لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ} لأن كل فريق منكم يراعي ظروفه القتالية فالمسلمون كانوا في أول الأمر في غاية من الضعف والخوف، بسبب القلة وعدم الأهبة للحرب، ونزلوا بعيداً من الماء، والأرض التي نزلوا فيها أرضاً رملية تغوص أرجلهم فيها، والمشركون كانوا في غاية القوة بسبب الكثرة في العدد والعدة، وحصول الألات والأدوات القتالية، وكانوا قريباً من الماء، والأرض التي نزلوا فيها أرض صالحة للمشي، فهذه الظروف لم تكن مؤاتية للقاء الفريقين لو حصل ذلك عن ميعاد بينهم،{وَلَكِن} هيأ الله أسباب اللقاء بلا ميعاد {لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً} بإعزاز نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإظهار دينه، {لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ}، ثم ذكر الله تعالى بعض المعجزات والآيات التي حصلت، وكانت من أسباب النصر والظفر، فمنها:

أولاً: الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام في قوله تعالى {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً} فقد أرى اللّهُ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم المشركين

عدداً قليلاً، ليكون ذلك سبباً في شد عزائم المسلمين، وتقوية هممهم، ورفع معنوياتهم {وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ} بينما لو رآهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام كثيراً وأخبر أصحابه بذلك لحصل الفشل والضعف والتنازع، بأن تختلف الآراء، فالبعض قد يقول ننتظر مجيئهم فنقاتلهم، وآخرون سيقولون: بل نهجم عليهم كي لا يظنوا أنا قد جبنَّا وضعفنا عنهم، وبعض آخر قد يلتمس عذراً في الرجوع، إلى غير ذلك من أسباب الفشل، {وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، فكان هذا من تأييد الله تعالى.

ثانياً: عندما التقى الجيشان وقع مضمون الرؤيا على حقيقته فقد رأى المسلمون أن المشركين عدداً قليلاً، حتى كان المسلمون يتسآءلون فيما بينهم عن تقدير جيش المشركين، فيسأل المسلم أخاه المسلم: كم تظنهم؟ فيجيبه الآخر: أظنهم مائة أو مائتين أو قريباً من ذلك، فكان ذلك مقوياً لعزائم المسلمين في محاولة القضاء على المشركين، وفي المقابل فقد رأى المشركون قلة المسلمين على الحقيقة حتى طمعوا في القضاء عليهم، كما قال تعالى {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ}.

ثالثاً: استجاب الله دعاء المؤمنين واستغاثتهم بربهم فأمدهم بملائكته، في قوله تعالى {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، ثم قال تعالى {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}، فكان المجاهد من المسلمين يلحق المشرك يريد قتله فما ينتبه إلا برأس المشرك يتأرجح أمامه، أو الدم ينزف من جسده، والمسلمون لا يرون إلا بريق السيوف ولمعانها، أو العمائم الخضر التي ترتديها الملائكة الكرام، وفي هذا إعلام من الله تعالى بأن دينه في السماء والأرض واحد.

رابعاً: بعد وعثاء السفر، مشقة الطريق التي قطعها المسلمون حتى وصلوا إلى بدر، كانوا قد أصابهم الجهد والعطش والأرق، والمشركون قد سبقوهم إلى الأماكن الجيدة والتي يوجد بها الماء، فعوض الله المسلمين وأغاثهم بقوله تعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ} فأنزل الله عليهم النعاس وهو النوم الخفيف القليل المتقطع الذي يتخلله الإنتباه التام، فكان النعاس تأميناً من الله لهم، ومذهباً للرعب والخوف من قلوبهم، لأن الخائفَ الوَجِلَ القَلِقَ لا ينام، بينما المطمئنُ يمكنه النومُ.

ثم عوّضهم الله تعالى بدل ماء البئر بماء من السماء فقال تعالى {وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ} من النجاسات إن كانت، فتغتسلوا من الجنابة، وتتنظفوا من القذارات، وتتوضؤوا لصلاتكم، وتنظفوا به أبدانكم من آثار السفر، {وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ} ومن فوائد المطر إذهاب وإزالة وسوسة الشيطان التي قد سيطرت على قلوب المسلمين، حيث قد وسوس لهم الشيطان ما قد يكون سبباً لهزيمتهم إن استجابوا لوسوسته، {وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} ومن فوائد نزول المطر تثبيت قوبهم بأن قد حصل لهم ما يتقووا به من الماء، ولما في المطر من الإحساس بالقوة والنشاط وزوال الجهد والتعب، {وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ} وذلك أن المطر إذا نزل على الأرض اللينة اشتدت والتأم بعضها إلى بعض واستمسكت عليها حوافر الخيل وأقدام المشاة، لأن الأرض التي كان قد عسكر فيها المسلمون أرض رملية صعبة المشي عليها.

فهذه المقدمات كانت من تأييد الله تعالى، ونصره وإعانته للمؤمنين.

أيها المؤمنون: الكلام حول هذه الغزوة العظيمة يطول، ولكن نلخص بعض الأحداث الهامة التي وقعت فيها:

فقد كانت غزوة بدر في ١٧ من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة، **ومكانها:** يبعد عن المدينة ١٥٥ كم تقريباً، وهو موضع يسمى بدر، **وكان عدد جيش المسلمين:** من ٣١٠ إلى ٣١٥ رجل، معهم فرسان، وسبعون بعيراً، **بينما قوات**

العدو تفوق بالأضعاف، فكان عدد المشركين: ٩٥٠ رجل، معهم ٢٠٠ فرس، وعدد كثير من الإبل.

وكان هدف المسلمين من الغزوة: في بادئ الأمر عند خروجهم من المدينة هو: الإستيلاء على قافلة قريش التي يقودها أبو سفيان، وكان يحميها ٧٠ سبعين رجلاً، وتتكون من ١٠٠٠ بعير، وفيها مال وفير وكثير.

وأما أحداث سير المعركة:

فقد كان القائد الأعلى لجيش المسلمين هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان اللواء بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام، فلما وصل المسلمون إلى بدر اختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم موضعاً مرتفعاً يشرف منه على منطقة القتال، وبنى فيه العريش.

ثم رَتَّبَ المسلمين على شكل صفوف، وهو تنظيم جديد لم تعرفه العرب من قبل في حروبها.

وأما المشركون فلم يكن لهم قائد أو تنظيم، بل قاتلوا على شكل أفراد.

وكان المشركون أولَ من بدأ بالهجوم فحاول أحدُهم الشرب من حوض الماء فقتله المسلمون.

ثم برز أئمة الكفر وهم عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فبرز إليهم أمير المؤمنين علي وحمزة بن عبد المطلب وأبو عبيدة بن الحارث، فقتل عليٌّ الوليدَ، وقتل حمزةُ عتبةً، واختلف أبو عبيدة وشيبةُ ضربتين قتلَ كلُّ واحد منهما صاحبه.

ثم هجم المشركون على المسلمين فردهم المسلمون بوابل من السهام التي أربكتهم وجرحت رجالهم.

فلما التحم الجيشان نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من العريش ليقود الصفوف بنفسه لتقترب من المشركين الذين بدأت صفوفهم تتبعثر وقد فقدوا قاداتهم وشجعانهم.

ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين بأن يشدوا على المشركين، فطاردوا فُلول المشركين، والتحم القتال بين الفريقين التحاماً شديداً.

فلما علم الله ثبات المسلمين وعزيمتهم أَيَّدهم بالملائكة المردفين المسومين، لتثبيت

المسلمين.

فانتهت المعركة بانتصار المسلمين على المشركين، وأخذوا في جمع الغنائم والأسرى.

وقد كان لغزوة بدر دور كبير في نفوس المسلمين وتقويتهم، وشد أزرهم، فكانت نتائجُها عظيمة حيث فقد حصل الإنتصار العظيم للمسلمين على المشركين، واستُشهدَ (١٤) أربعة عشر رجلاً من المسلمين.

وقتل (٧٠) سبعون رجلاً من المشركين، وأسر (٧٠) سبعون آخرون، وقُتل من الأسرى رجلان، وأُطلق سراح الباقين، أطلقَ الأغنياءُ بالمفاداة بالمال، والمتعلمون بتعليم أطفال المسلمين القرآءة والكتابة، والفقراء بلا شيء.

وقد أدخلت هذه الغزوة الرعب الكبير في قلوب المشركين وعلموا أن الإسلام أصبح ذا قوة ومنعة.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا في هذا الشهر الكريم من عتقائه وطلقائه ونقذائه من النار، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، بسم الله الرحمن الرحيم، {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الأعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

ثانياً: من أهم الأحداث في رمضان غزوة فتح مكة: وقد تحدث عنها القرآن الكريم في سورة الفتح في آيات كثيرة، فقال تعالى{ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا {١} لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا {٢} وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا{٣}.

وهذه الغزوة من الغزوات العظيمة، بل من أكبر الغزوات وأعظمها، وفيها أبان الله تعالى أمر نبيه، وأظهر دينه، وأعادت للمسلمين المستضعفين المظلومين مكانتهم السامية، وجلبت للمشركين الذل الدائم، والخسران اللازم، فقد كان دخل المسلمون إلى مكة أعزة بعد أن أخرجهم المشركون منها أذلة، ودخلوها وهم عدد كثير، بعد أن طردوا منها وهم قلة مستضعفون، فصار المسلمون بعد ضعفهم في قوة، وبعد ذلتهم في عزهم، وبعد قلتهم في كثرة، بفضل الله تعالى.

وقد كانت هذه الغزوة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة، في مكة المكرمة.

وكان عدد جيش المسلمين: (١٠٠٠٠) عشرة آلاف مقاتل، **وجيش العدو:** مكون من قريش وحلفائها بني بكر.

والهدف من الغزوة: هو فتح مكة، والقضاء على قريش وحلفائها، بسبب نقضهم لصلح

الحديبية، حين أيدوا حلفائهم من بني بكر في هجومهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً فقتل بنو بكر عدداً من بني خزاعة، فاستغاثت خزاعةُ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلبت النصرة منه، فقال النبي صلوات الله عليه وآله: ((لا نصرت إن لم أنصركم)).

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رُسُلَهُ وبعوثَهُ إلى القبائل بأن يجتمعوا في المدينة في رمضان، فاجتمعت القبائل من جهينة ومزينة وغفار وأسلم وأشجع، وبعث إلى بني سليم فلقيته بوادي قديد.

ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن معه من أصحابه وأهل القبائل المجاورة للمدينة، وأخفى على الناس وجهته ونيته، حتى يعمى الخبرُ على قريش، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم أَعْمِ على قريش الأخبار والعيون))، فلم يدر الناس أين وِجهتهم، وبقي الأمر خافياً على قريش حتى وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجيشه إلى مر الظهران (وهو واد على بُعد ٢٢ كم اثنين وعشرين كيلو متر شمال مكة) فعسكر هناك، وأمر بإشعال النيران حتى تراها قريش، كي تُرعبَ وتجزعَ وتستسلمَ، فأُشعلت نيران كثيرة.

فلما رأت قريش النيران أرسلت من يترصد لها الخبر، فخرج أبو سفيان في رجلين معه، فلما رأى كثرة الجيش وقوته الكبيرة، ذَهُلَ وخاف، ورجع إلى قريش بعد أن رأى القبائل وهي تمر في راياتها، مدججة بسلاحها، فحذرهم من المقاومة، وأخبرهم أنه لا طاقة لهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه، وأبلغهم مقالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: ((من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)).

ثم قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجيشَ الإسلامي إلى أربعة أقسام ليدخلوا إلى مكة، ونهاهم عن القتال إلا من اضطر إليه، وكانت هذه الأقسام كالتالي:

أولاً: كتيبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتسمى الخضراء، وكان اللواءُ بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وفي تلك الكتيبة المهاجرون، فدخلوا مكة من الشمال الغربي من جهة المدينة، وتسمى اليوم كِداء.

ثانياً: كتيبة الميسرة بقيادة الزبير دخلت مكة من الشمال، من جهة مِنى.

ثالثاً: كتيبة الميمنة بقيادة خالد بن الوليد دخلت من الجنوب من جهة كُدَيّ.

رابعاً: كتيبة الأنصار بقيادة قيس بن سعد بن عبادة دخلت من الغرب جهة الحجون وجدة.

فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من باب مكة دخل متواضعاً مطأطئاً رأسه حتى كادت لحيته الطاهرة أن تمس سرج البغلة التي ركبها، ولم يركب فرساً ولا بعيراً، بل ركب بغلة إظهاراً للتواضع لله تعالى، ثم دخل المسلمون من كل جهة، وضجت أرجاء مكة وربوعُها بالتكبير، ولم يكن هناك قتال يذكر إلا بعض المقاومة التي واجهها خالد في دخوله، وبذلك تم فتح مكة عنوة.

وكانت نتائج تلك الغزوة: أن الله تعالى فتح مكةَ على نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى المسلمين، وتمّ القضاء على جبروت قريش وكفرها نهائياً.

وقد عفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل مكة، إلا رجالاً ونساء سماهم بأسمائهم، ومن ثم أسلم أهل مكة، وانتشر الإسلام فيمن جاورهم.

ثم حطم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأصنام وأزال كل مظاهر الشرك، وأخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن أبي طلحة، ودخلها وطمس آثار الشرك منها، ثم رده إليهم.

وقد استشهد اثنان من المسلمين، وقُتل ١٣ من المشركين، وجرح بعض آخرون.

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجه بعض السرايا بع فتح مكة إلى المناطق والقرى المجاورة لمكة لطمس الشرك ومظاهره، فأرسل سرية بقيادة أبي قتادة بن ربعي إلى بطن إضم، في السنة الثامنة، لصرف نظر قريش عن خطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فتح مكة.

وأرسل سريةً بقيادة خالد بن الوليد لهدم العُزى، وسرية بقيادة عمرو بن العاص لهدم صنم سُواع، وسرية بقيادة سعد بن زيد الأشهلي لهدم مناة، كل هذه السرايا كانت في رمضان من السنة الثامنة بعد الفتح، والغرض هو التذكير والتنبيه على هذه الأحداث والمناسبات العظيمة التي وقعت في شهر رمضان، لنكون على إلمام واطلاع ببعض التاريخ الإسلامي العريق.

٢٧- في آخر جمعة من شهر رمضان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العالي في وقار العز والمنعة، والدائم في كبرياء الهيبة والرفعة، والجواد بنيله على خلقه من سَعَة، ليس له حد ولا أمد، ولا يدركه تحصيل ولا عدد، ولا يحيط بوصفه أحد. أحمده على جزيل إحسانه، وأعوذ به من حلول خذلانه، وأستهديه بنور برهانه، وأؤمن به حق إيمانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي سبحت له السماوات وأكنافُها، والأرض وأطرافُها، والجبال وأعرافُها، والشجر وأغصانها، والبحار وحيتانها، والنجوم في مطالعها، والأمطار في مواقعها، ووحوش الأرض وسباعُها، ومُدَدُ الأنهار وأمواجُها، وعذبُ المياه وأجاجُها، وهبوب الرياح وعجاجُها، شهادةَ مقرٍّ له بالعبودية خاشع، معترفٍ له بالوحدانية طائع، مستجيبٍ لدعوته خاضع، متضرعٍ لمشيته متواضع، له الملك الذي لا نفاد لديموميته، ولا انقضاء لمدته.

وأشهد أن محمداً عبده الكريم، ورسوله الطاهر المعصوم، بعثه والناس في غمرة الضلالة ساهون، وفي غرة الجهالة لاهون، لا يقولون صدقاً، ولا يستعملون حقاً، قد اكتنفتهم القسوة، وحقت عليهم الشقوة، فقام محمدٌ صلوات الله عليه وآله فيهم مُجِدَّاً في إنذاره، مرشداً لأنواره، بعزم ثاقب، وحكم واجب، حتى تألق شهابُ الإيمان، وتفرق حزب الشيطان، وأعز الله جنده، وعُبِدَ وحدَه، حتى قبضه الله إليه تقيَاً زكيَاً، رَاضيَاً مرضيّاً، طاهراً نقيّاً، صلى الله عليه وعلى آله وأقربِيه، وذوي رحمه وموالِيه، صلاة جليلة جزيلة، موصولة مقبولة، لا انقطاع لمزيدها، ولا اتضاع لمِشِيدِها، ولا امتناع لصعودِها، تنتهي إلى مقر أرواحهم، ومقام فلاحهم.

أما بعد: أيها المؤمنون:

ها هو رمضان يؤذن بالخروج، فماذا قدمنا فيه؟!، وها هي أيامه في أواخرها فهل قد أحسنا العمل الصالح فيه؟!، أنت أخي المؤمن شهيد على نفسك، ومؤاخذ بفعلك، ليس فعل غيرك يحسب لك، ولا فعلك يحسب لغيرك، وليست إساءتك على غيرك، ولا إسآءة غيرك عليك، كل نفس بما كسبت رهينة.

فالناس في فراق رمضان على قسمين: رجل يحزنه فراقه، لما يعلم أنه يفوته من ثوابه، وهذا هو المؤمن، الذي يؤثر فيه الصيام، ويستفيد من رمضان.

ورجل يفرح لفراقه، لأنه لم يذق حلاوة الصوم والعبادة، ولم يجهد نفسه في الطاعة ليتذوق حلاوة المناجاة لله تعالى، وهذا هو الذي ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ومن قيامه إلا السهر.

أيها المؤمنون:

إن كل عامل يوفى أجرُه إذا أكمل عمله، والله تعالى يقول في الحديث القدسي ((الصوم لي وأنا أجزي به، يترك العبد طعامه وشرابه من أجلي، وعزتي وجلالي لأرضينه))، قرب وقت تسليم أجرة العمال، طوبى لمن كلن عمله كثيراً مباركاً خالصاً مقبولاً، ويا أسفا على من كان عمله قليلاً، وسعيه كليلاً، ويا حسرتا على من كان عمله قبيحاً.

فعن عبد الله بن مسعود أنَّه كان يقول في آخر ليلة من شهر رمضان: مَن هذا المقبول منا فنهنِّئَه، من هذا المحروم المردود فنعزِّيَه، أيها المقبول هنيئاً هنيئاً، أيها المحروم جبر الله مصيبتك.

ليت شعري مَن هو المقبول منا فيهنّا ليت شعري مَن هو المردود منا فيعزّى

إن آخر ليلة من رمضان هي ليلة الجائزة التي يوفى العباد فيها أجورهم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا كان آخر ليلة منه - أي من رمضان — نظر الله إليهم جميعاً، ومن نظر إليه لم يعذبه أبداً)) قيل يا رسول الله: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ألم تر إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وفُّوا أجورهم))، وهي ليلة الجائزة، التي يستلمها العاملون من ربهم، وليست كجوائز الملوك

والسلاطين، بل هي جائزة العتق من النار، ففيها يعتق اللهُ رقاباً كثيرة من النار.

وعن جابرٍ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((أعطي أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن من قبلي: أما واحدةٌ فإذا كان أولى ليلةٍ من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً، وأما الثانية: فإنهم يمسون وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في ليلهم ونهارهم، وأما الرابعة: فإن الله يأمر جنته أن استعدي وتزيني لعبادي فيوشك أن يذهب نصب الدنيا وأذاها عنهم ويصيرون إلى جنتي وكرامتي، وأما الخامسة: فإذا كان آخر ليلةٍ غفر لهم جميعاً، قال فقال قائلٌ: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟ قال: ألم تر إلى العمال إذا فرغوا من أعمالهم وُفُّوا أجورَهم)).

ولقد كان الصالحون والعباد يعطون هذه الليلة حقها، ويعرفون قدرها، فقد روي أن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبدا له ولا أمة، وكان إذا أذنب العبد والامة يكتب عنده: أذنب فلان، أذنبت فلانة يوم كذا. وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الادب، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب، ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا، ولم أؤدبك، أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا ابن رسول الله. حتى يأتي على آخرهم ويقررهم جميعا، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم، وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كلما عملت كما أحصيت علينا كلما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها، وتجد كلما عملت لديه حاضرا كما وجدناه كلما عملنا لديك حاضرا، فاعف واصفح كما ترجو من المليك العفو، وكما تحب أن يعفو المليك عنك، فاعف عنا تجده عفوا، وبك رحيما، ولك غفورا، ولا يظلم ربك أحدا، كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها، فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربكالحكم العدل، الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيبا وشهيدا، فاعف واصفح يعف عنك المليك

ويصفح فإنه يقول: {وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم }، قال: وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم، وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول: رب إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا، فنحن قد عفونا عمن ظلمنا كما أمرت، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نرد سائلا عن أبوابنا وقد أتيناك سؤالا ومساكين، وقد أنخنا بفنائك، وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك، فامنن بذلك علينا ولا تخيبنا، فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين. إلهي كرمت فأكرمني إذا كنت من سؤالك، وجدت بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم.

ثم يقبل عليهم ويقول: قد عفوت عنكم فهل عفوتم عني ومما كان مني إليكم من سوء ملكة؟ فإني مليك سوء، لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل. فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما أسأت. فيقول عليه السلام لهم: قولوا: " اللهم اعف عن علي بن الحسين كما عفى عنا، وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق " فيقولون ذلك. فيقول عليه السلام: (اللهم آمين يا رب العالمين) اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي، فيعتقهم، فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا في هذا الشهر الكريم من عتقائه وطلقائه ونقذائه من النار، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، بسم الله الرحمن الرحيم، {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الأعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: من آخر وصايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أوصى بها المسلمين، أن قال ((أخرجوا اليهود من جزيرة العرب))، فكان شأن هذه الوصية شأن غيرها من الوصايا التي لم يتم الإمتثال بها، ولا التطبيق لها، فجنى المسلمون ذُلّ المخالفة، فلم يزل اليهود يكيدون للإسلام وأهله، ويبغونهم الغوائل، حتى استأسد اليهود، وانتكست أوضاع المسلمين رأساً على عقب، لأنهم تنحوا عن الإسلام، وصار الدين منهم بعيداً بعيداً، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فاحتل اليهود بلدان المسلمين، وقتلوا رجالهم وأطفالهم ونسائهم، وهدموا بيوتهم، وأخذوا أموالهم، واستغلوا خيراتهم، ويوسعون مملكتَهم رويداً رويداً، حين وثق اليهودُ بما لديهم من قوةٍ، واطمأنوا إلى ما يتميزون به من تفوقٍ، ولم يعد يخيفهم شيء من ناحية المسلمين، فما الذي يخشونه؟ بعد أن أعلن المسلمون عجزهم عن مواصلة التحدي، ووقعوا على معاهدات الإستسلام والإذعان، وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

كيف تخشى إسرائيل واليهود من أناسٍ يتشاغلون ببعضهم، ويتناسون عدوهم الأكبر، بل يستمدون المعونة من عدوهم على بعضهم، فهم لن يحققوا نصراً ولن يبنوا مجداً.

إن من يظن أن خلافنَا مع اليهود هو حولَ قطعةٍ من الأرض أو نهرٍ من الماء فهو غبيٌ

ومغفل من الدرجة الأولى، لا يفقه شيئاً من كتابِ الله، ويعاني من جمود فكري وأمية فاضحةً في قراءةِ التاريخ وتتبعِ السير والأحداث.

إن خلافنا مع اليهود خلافٌ عقائديٌ في الدرجة الأولى، ولن يلتقي الخلافان في وسطِ الطريق، ولن تكونَ هناك إيجاد أو مقاربة حلول، أو نقاط التقاء، أو عوامل مشتركة، فالحل الوحيد إما أن يسلَم اليهود، أو أن يتهودَ المسلمون، {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}.

إن اليهود يريدون كلَّ شيءٍ في مقابلِ لا شيء، يريدون مزيداً من الهيمنة، ومزيداً من السيطرة، ومزيداً من الأراضي، ومزيداً من الانفتاحِ الاقتصادي، وفتحِ الأسواقِ لمنتجاتهم مقابلَ مزيدٍ من الإهانات، ومزيدِ من الإذلالات، ومزيدٍ من الصفعات! لمن؟ كلها للمسلمين.

إن ما أخذ بالقوة لا يمكنُ أن يُستعادَ إلا بالقوة، أما التباكي والتشاكي إلى أعدائنا، أو الإلتجاء إليهم في قضايانا فهو حيلةُ البائسِ الضعيف، وليس طريقاً إلى إيجاد أي حلّ، لأن في ذلك إيجاد شرعية لهم، وقداسةِ فيما يصدرونه من قرارات.

إن الطريقَ إلى القدس، واستعادةِ الأقصى الشريف، وإعادة مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حياض الإيمان، لا يكونُ بعقدِ مزيدِ من المؤتمرات العاجلة ولا الآجلة، ولا بعباراتِ الشجب والاستنكار، ولا بإرسال الوفودِ إلى العواصم الكبرى، لكسب عطفهم وتأييدهمِ، إن الطريقَ إلى القدس لا يكونُ إلا بالعودةِ الجادةِ إلى الإسلامِ، عقيدةً وشريعة ومنهجَ حياة، الطريقُ إلى القدس حين تعادُ إلى القرآن هيبتُه ومكانتُه، الطريق إلى القدس حين يعاد رفع رايات الجهاد في سبيل الله تعالى.

إن المسلمين ينتظرون الفرج والنصر {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ}، ولا يقدمون الأسباب لذلك، إن الذي يقاتل لا يسأل متى هو؟ ولكن يقول: {عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا}.

لقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بأن المعركة مستمرة مع اليهود، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ،

حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الغرقد فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)).

فما علينا إلا أن نهيء أنفسنا، ونعد العدة للقاء عدونا، ونترك إثارة الخلافات والنزعات التي غرسها اليهود فيما بيننا، ونتوجه مجتمعين معتصمين واثقين بالله ربنا، متقيدين بتعاليم ديننا، مطبقين لقرآننا، متأسين بنبينا، ومقتدين ومنقادين لأهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

إن من يكنّ العداوات للمساجد، لن يكون هو من يقوم بتحرير المسجد الأقصى.

إن من يهجر المساجد لن يكون هو من يقوم بتحرير الأقصى.

إن من لا يعظم بيوت الله ولا يعمرها بطاعة الله، لن يكون هو من يحرر الأقصى.

إن من لا يطبق تعاليم الإسلام لن يكون هو من يحرر الأقصى.

إن من يظلم الناس ويأخذ أموالهم، ويأخذهم على الظن والظنة والتهم والتهمة لن يكون هو من يحرر المسجد الأقصى.

إن من يتظاهر بالتباكي على الأقصى ليحصل على مطالبه السياسية، ومقاصده الدنيوية، وسيطرته على الناس ويجعل القدس ذريعة إلى جمع الناس إليه، لن يكون هو من يحرر الأقصى.

لن يحرر الأقصى إلا رجالاً قال الله تعالى فيهم **{وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}**، وقال فيهم: **{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}**.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلني من عباده المتقين، إنه على كل شيء قدير.

سادساً:

الخطب المتعلقة بشهر شوال

٢٨- غزوة أحد والدروس المأخوذة منها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً، وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، وَلَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ، وَإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلَادُهُ، فَهَدَى الناسَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن من نعم الله العظمى، ومننه الكبرى على عباده؛ أن بعث فيهم رسولاً أميناً، وناصحاً مشفقاً، هو محمد بن عبد الله، -صلوات الله وسلامه عليه- اختاره ربه واجتباه، وانتخبه واصطفاه؛ ليكون رسولاً للبشرية ورحمة للعالمين.

شرح له صدره، ورفع له ذكره، وجعل الذّلة والصغار على من خالف أمره، بعثه -سبحانه وتعالى- بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

ولقد تعب النبي صلى الله عليه وآله وعانى عناء شديداً حتى خلص هذا الدين ووصل إلينا، فكم من غزوة غزاها، وسرية أرسلها وقواها.

فلا بد أن نتذكر شيئاً من تلك المعاناة التي لقيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنتخذ لنا منها دروساً وعبراً في حياتنا، ولا بد أن يعرف آخر هذه الأمة ما لقيه أولها، وأن يحصل الإرتباط الوثيق بين أول الأمة وآخرها، ليحصل التأسي والإقتداء.

فمن أعظم ما عاناه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أعظم الغزوات التي دارت بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين هي غزوة أحد، التي كانت في مثل هذا الشهر، شهر شوال، في يوم السبت ١٥ من الشهر السنة ٣هـ.

فإن المشركين لما انهزموا في بدر، ولقوا فيها القتل والأسر، وحصل ما وعد الله به نبيه من الظفر والنصر، رجعوا إلى مكة يتذاكرون قتلاهم، ويتأسفون عليهم، اتفقوا على أن يجعلوا القافلة التي بسببها كانت غزوة بدر أرباحها ورؤوس الأموال فيها تجهيزاً لغزوة ينقمون الثأر فيها من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن المسلمين.

فمكثوا سنة كاملة يهيئون ذلك ويعدون له العدة، حتى جهزوا ٣٠٠٠ الآف مقاتل، بينهم ٢٠٠ فارس، و٧٠٠ دارع، ومعهم ٣٠٠٠ آلاف بعير، وأخرجوا معهم نسائهم حتى لا يفروا.

فلما وصل المشركون قريباً من المدينة نزلوا بناحية أحد، فلما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون بقدوم قريش إلى المدينة استشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين في التحصن بالمدينة ولم يرَ الخروج عنها لرؤيا كان قد رآها، وهي أنه في درع حصينة، ورأى بقراً تذبح، وثلماً في سيفه، وكأنه يردف كبشاً، فأول الدرع الحصينة بالمدينة، والبقر بقتل رجال من أصحابه، والثلم بقتل رجل من أهل بيته، والكبش بقتل كبش كتيبة العدو، ولكن الذين لم يحضروا بدراً كانوا متشهين للقاء العدو فأشاروا بالخروج عن المدينة، كي لا يتوهم المشركون أنهم عجزوا أو جبنوا عن لقائهم، فاضطر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبل رأيهم، فدخل ولبس لامة حربه، فندموا على ذلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ما كان لنبي إذا لبس لامة حربه أن يرجع حتى يفتح الله عليه).

فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن أجابه من المسلمين، فكان عدد جيش المسلمين: ٧٠٠ راجلٍ، منهم ٥٠ فارساً.

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل بالشعب من جبل أحد جاعلاً ظهره للجبل ومستقبلاً للمدينة، جاعلاً جبل الرماة على يساره.

ثم وضع على جبل عَيْنَيْن الذي يسمى(جبل الرماة) خمسين رامياً لحماية ظهور المسلمين، وأمرهم بلزوم أماكنهم وأن لا يبرحوا منها، حتى ولو رأوا الطيور تنزل من السماء فتأخذهم.

وعبأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أمام العدو، فبدأت قريش بالقتال فردهم المسلمون بهجوم قوي، فحاولوا الإلتفاف خلف المسلمين ولكن الرماة منعوهم من ذلك، واشتد الحال بالمشركين، حتى اضطروا للإنسحاب عن معسكرهم تاركين معسكرهم ونسائهم والكثير من الغنائم.

انهزم المشركون في بادئ الأمر فأخذ المسلمون في جمع الغنائم، فلما رأى الرماة ذلك سارع أكثرهم في النزول خوفاً من فوات الغنائم، فمنعهم رئيسهم عبد الله بن جبير فلم يلتفتوا إلى قوله، بل أصروا على النزول لجمع الغنائم.

فلما نزل أكثر الرماة انتهز خالد بن الوليد وكان على مجنبة جيش قريش في ٢٠٠ فارس، فعاد على الرماة فهاجم البقية وقتلهم واحتل الجبل، فرفع راية المشركين ونادى في قريش، فعاودت الهجوم في وقت انشغال المسلمين بجمع الغنائم، وقد وضعوا السيوف في أغمادها، واعتقدوا النصر وهزيمة قريش.

ثم لما عاودت قريش الكرة بعد الفرة انهالوا على المسلمين ضرباً وطعناً وقتلاً، فاضطربت صفوف المسلمين، وقتل كثير منهم، حتى أن بعضهم ليضرب بعضاً من شدة الدهش وهو لا يدري.

حاولت قريش قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يستطيعوا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سقط في حفرة من الحفر التي كان المشركون قد أعدوها ليسقط فيها المسلمون، فجرح وجهه، وكسرت رباعيته، وتخمشت ركبتاه، وسال الدم عن وجهه، وصاح صائح الشيطان بأن محمداً قد قتل، فانحاز النبي في جماعة من المسلمين إلى الشعب فصار فئة للمسلمين حتى تلاحقوا به.

خافت قريش أن يكون للمسلمين كمين آخر يفاجئهم من جهة المدينة أو أي جهة

أخرى وفيهم جراحات وقد تعبوا من الحرب، فرأت إيقاف القتال والإكتفاء بما قد أصابت والعودة إلى مكة، بعد أن علمت قريش استحالة القضاء على الإسلام فتحولت على جثث القتلى تمثل بهم، ثم انطلقوا إلى مكة راجعين.

وقد استشهد من المسلمين في تلك الغزوة(٧١) شهيداً فيهم حمزة بن عبد المطلب، سيد الشهداء، عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقتل من المشركين ٢٢ مشركاً.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد} بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعني وإياكم بما فيه من الذكر والبيان، إنه ولي الجود والإحسان، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أما بعد أيها المؤمنون: لنأتي لأخذ الدروس والعبر من هذه الغزوة العظيمة:

أولاً: كان من أسباب الهزيمة للمسلين: مخالفة رأي النبي صلى الله عليه وآله في البقاء في المدينة، واضطرارهم له إلى الخروج للقاء العدو في بادئ الأمر.

ثانياً: من أسباب الهزيمة أيضاً مخالفة الرماة لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتركم مواقعهم وأماكن حراستهم، من أجل الحصول على الدنيا، من أجل الحصول على حفنة من المال، ظانين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سينسى موقفهم، ولن يعطيهم شيئاً، فآثروا الدنيا على الآخرة، واتبعوا شهوات أنفسهم ولذاتها فكانوا سبب الهزيمة.

ثالثاً: ظهر للمسلمين كثير من المنافقين الذين كانوا مع عبد الله بن أبي الذي رجع من منتصف الطريق بثلث الجيش الذين غرهم واستهواهم.

وهكذا يلعب المنافقون دوراً كبيراً في كل زمان ومكان، في التفريق بين صفوف المسلمين، والتخذيل عن نصرة الدين.

إذا كان هذا الموقف مع رسول الإسلام، رسول الحق، نبي الرحمة، وهو يوحى إليه، وهم يشاهدون المعجزات والآيات تظهر على يديه، ثم يرجحون قول المنافقين على قوله، ويميلون معهم ويتركونه، مع أنه عدد ليس بالسهل فقد رجع مع ابن أبي ٣٠٠ مقاتل، ولم يبق مع النبي سوى ٧٠٠، فإذا كان هذا الموقف مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما

بلك بعده، ونحن في هذه العصور المتأخرة، لا شك أن الضرر أكبر بكثير وكثير.

بعد المعاناة الشديدة نجح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في الدفاع عن المدينة رغم الموقف الصعيب، والمواجهة الحرجة، وفشلت قريش في قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو القضاء على قوة المسلمين أو إحداث خسائر كبيرة فيهم.

ثم حصل الإبتلاء الشديد في اليوم الثاني من غزوة أحد وهو يوم الأحد ١٦ من شوال، حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مناديه أن ينادي (من شهد معنا يوم أحد فليخرج إلينا، ولا يخرج إلا رجل شهد الوقعة) لا مكان للمنافقين، فامتثل المؤمنون لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبادروا ممتثلين، وتسابقوا مجيبين، ولبوا داعيه مذعنين، حتى إن منهم لمن يخرج وهو لا يقدر أن يمشي إلا وهو محمول على رقاب الرجال، أو ماش يتهادى بين رجلين، أو ماش يتوكأ على سيفه من كثرة الجراح التي نالتهم، وأصيبوا بها، فلما تتاموا وكان عددهم ٦٣٠ مقاتلاً أصدر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أمراً بالمبادرة إلى الخروج لمطاردة المشركين، وهم لا يزالون مثخنين بالقتل والجراح، ودماء القتلى والجرحى لم تجف بعد، فخرج النبي في أصحابه لمطاردة المشركين إلى حمراء الأسد المنطقة التي تبعد عن المدينة ٢٠ كم تقريباً، وخرج معه جميع من خرج في أحد سوى القتلى، فلما علمت قريش بخروج المسلمين نحوهم آثروا الفرار خوفاً من المسلمين، وبقي المسلمون في حمراء الأسد ثلاثة أيام يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم عاد إلى المدينة.

ولنختم خطبتنا بكلام أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي عليه السلام:

وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاه حَفَظَتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي

طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ، فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ، وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ، لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنِ اجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَلَى الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ، وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ، وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ، وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ، الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ.

٢٩- غزوة الخندق (الأحزاب)

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الآلاء الغامرة، والنعم المتواترة، والمنن الباطنة والظاهرة، حمداً يرضى به عنا في الدنيا والآخرة، اللهم لك إنا نحمدك على كل نعمة، ونشكرك على كل حسنة، ونستغفرك من كل ذنب، ونتوب إليك من كل خطيئة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها يوم القيامة، وتنجيه من شدائد أهوال يوم الطامة.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، ونبيُّهُ ونجيُّهُ وصفيُّهُ وخليلُهُ، بلغ الرسالة، وأوضح الدلالة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة.

أما بعد أيها المؤمنون:

فإن من أهم ما يحتاج إليه المسلم في حياته الإيمانية، أن يكون عارفاً وعالماً بأهم الأحداث التي جرت في الدين الإسلامي، مطلعاً على ما لاقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المتاعب والصعاب من أجل هذا الدين، ليزداد تمسكاً بالدين، وحفاظاً على مبادئه، وحرصاً على تطبيقه والعمل بما جاء به، فإن هذا الدين لم يصل إلينا على أسهل الطرق، بل إنما وصل إلينا على جثث وهامات الأبطال، تحمله دماء الشهداء حتى وصل إلينا.

فلقد كان أعداء الإسلام يكيدون للإسلام وهو لا زال في أوائل نشوئه، وفي أوان انتشاره، وفي بداية نعومة أظفارها، بل كانت أعداء الإسلام من المشركين واليهود وغيرهم تجمعهم إرادة القضاء على الإسلام رغم عداواتهم فيما بينهم، ولكن يتناسون ذلك في سبيل القضاء على الإسلام، فكم لهم من محاولات ومكائد ردها الله عليهم، وضرب بها وجوههم.

وإن من أعظم تلك الصعاب، هي غزوة الخندق، والتي تسمى غزوة الأحزاب، التي اتحدت فيها قوى الشر والشرك، وهم قريش واليهود وبعض قبائل الجزيرة العربية المناوئة للإسلام، التي

اجتمع فيها ما يقرب من عشرة آلاف من المشركين لغرض القضاء على الدولة الإسلامية.

هذه الغزوة التي كانت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة النبوية، واستمرت قرابة شهر، فقد كان عدد المسلمن: ثلاثة آلاف رجل، وقيل ألف وخمسمائة رجل.

بينما عدد جيش الأحزاب (١٠٠٠٠) عشرة آلاف رجل من قريش وغطفان وغيرهم.

وقد بين الله تعالى ما حصل للمسلمين أثناءها من الشدة والجهد، والعناء والتعب، في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا {٩} إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا {١٠} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيداً}**.

هذه الغزوة التي كان لليهود فيها الدور الأكبر، في التحريض والتأليب ضد الإسلام، حيث ذهب نفر من يهود بني النضير إلى قريش وغطفان وألبوهم وحرضوهم على التحزب والإجتماع للقضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأجابوهم إلى ذلك، فلما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتجمع القبائل من قريش وغطفان لمحاولة القضاء على الإسلام وأنهم أتوا بالعدد والعدة الكبيرة، شاور أصحابه في الأمر، فاجتمع رأيهم على البقاء في المدينة، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ناحية جبل سلع يتبؤا مكاناً يليق بعسكر المسلمين أن يعسكروا فيه.

وأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق حول المدينة، لتكون المدينة محمية من جميع الجوانب، لأن المدينة من جهتي الشرق والغرب محصنتان بالحرتين الشرقية والغربية، ومن الجنوب بالنخيل وجزء من الحرة وبني قريظة، والجهة الشمالية هي المفتوحة، فحفر الخندق في الجهة الشمالية جهة جبل سلع، والخندق شيء لم تعرفه العرب من قبل، ولا علمته في حروبها.

وكان الخندق ممتداً من الحرة الشرقية إلى الغربية بطول ٣كم تقريباً، وكان عرضه من ٧

إلى ١٠ متر تقريباً، وعمقه من ٣ إلى ٥ متر، وكان عدد العاملين فيه ١٥٠٠ رجل، وعمل فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده الطاهرة، واستمرت عملية الحفر ٦ أيام، وأخذ المسلمون مواد الحفر من بني قريظة وهم لا زالوا في الصلح.

فلما أقبلت الأحزاب بقضها وقضيضها، وكفرها وعتوها واستكبارها، فوجئت بأن رأت الخندق، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد رتب أصحابه على مجانب الخندق على شكل كتائب، فأطاف الأحزاب بالخندق رجاء أن يروا ممراً يعبروا منه فأحجم فرسانهم وعجزوا عن العبور.

وفي أثناء ذلك حصل بين المسلمين والمشركين مناوشات خفيفة قتالية أكثرها ليلية، حاول المشركون من خلالها إما عبور الخندق، أو الوصول إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلال الوقوف أمام خيمته والضرب بالسهام نحوها، ولكن الله تعالى لم يمكنهم من ذلك فكانت كتائب المسلمين لهم بالمرصاد، يعودوا في كل ذلك خائبين.

فلما طال الحصار وعجز المشركون من العبور حاولوا الإستعانة ببني قريظة ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأرسل الأحزاب حيي بن أخطب اليهودي إليهم، فلم يزل بهم حتى نقضوا ما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصلح والعهد، فلما علم النبي صلى الله عيه وآله وسلم وأصحابه بما صنعت بنو قريظة، اهتموا واغتموا لذلك الأمر، فأصابهم من الأمر ما حكاه الله تعالى بقوله: **{إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ}** أي الأحزاب المتجمعة لقتالكم **{وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ}** وهم بنو قريظة، **{وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً}**، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل حراسة مكونة من ثلاثمائة فارس في جهة الجنوب من المدينة خوفاً من بني قريظة أن يغيروا على المدينة وليس بها إلا الأطفال والنساء، فأصاب المسلمون من الشدة في هذه الحال ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

بقيت الأحزاب تحاصر المدينة ١٥ يوماً وقيل أكثر، فلما أراد الله تعالى إذلال الأحزاب

وهزيمتها سبب الأسباب في ذلك ويسر ذلك للمسلمين، فكان من أسباب النصر ما يلي:

من ذلك: أنه حاول بعض الفرسان المعدودين في قريش أن يعبروا الخندق وهم قرابة أربعين فارساً، فرأوا فرجة بسيطة فتمكن ثلاثة منهم من العبور خلالها بفرسانهم، وهم عمرو بن عبد ود العامري، وعكرمة بن أبي جهل، والمغيرة بن نوفل المخزومي، فنادى عمرو بأعلى صوته وهو يجول بفرسه ورمحه أمام المسلمين: هل من مبارز، ألستم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، فلم يجبه أحد منهم وكأن على رؤوسهم الطير، إلا علياً عليه السلام فإنه يقول: أنا له يا رسول الله، فأذن له النبي بعد أن ناداهم العامري ثلاث مرات، فخرج إليه علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: برز الإسلام كله للشرك كله، فكره عمرو لقاء علي ولكن علياً أحب قتله وهزمه، فدعاه علي إلى الإسلام فأبى، ودعاه إلى العودة من حيث أتى، فأبى، فدعاه إلى البراز، وكان عمرو راكباً فنزل وعقر فرسه، فتناوشا وتضاربا وتصارعا وتبارزا وتنازلا وتسابقا والتحما وانفصلا، وتقاربا وتباعدا، والمسلمون والمشركون كلهم ينظرون إلى هذه المبارزة الشديدة، فثار الغبار بينهما فغطاهما، فضربه علي عليه السلام في رجله فقطعها، ثم برك على صدره، فانجلت الغبرة وعلي على صدره، وعمرو قد اشتد غضبه فبصق في وجه علي بصقة ملأت وجهه، وأمره أن يجهز عليه، ولكن علياً قام وجال في الميدان وسيفه في يده وعدوه مجدل أمامه، لكي يرى المسلمون تأييد الله تعالى لدينه، ويرى المشركون أن كبريائهم وعتوهم صار مدحوراً، ثم أجهز عليه وقتله، فكفى الله المؤمنين القتال بقتل علي عَمْرَاً، ودخل على المشركين من قتله ذُل كبير، فهرب نوفل فسقط به خيله في الخندق، فزل علي عليه السلام فقتله، وأما عكرمة فنجا.

ومن ذلك: أن الله تعالى أنعم على نعيم بن مسعود الثقفي بالإسلام، فأسلم دون أن يعلم قومه، فقدم على النبي بين المغرب والعشاء وهو يصلي، فأخبره بإسلامه وبأن يأمره بما شاء، فأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخذل بين الأحزاب ما استطاع، فتمكن من التفريق بين بني قريظة وقريش وغطفان فتمكن من ذلك، حتى أيس كل منهم من الآخر.

ومن ذلك: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما اشتد الحال بالمسلمين علمهم كيف يلجأون إلى الله تعالى في النوائب والشدائد، فقد بقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أيام هي الإثنين والثلاثاء والأربعاء يتضرع ويدعو الله في المكان الذي يسمى اليوم مسجد الفتح في المدينة، حتى جاء الفرج بالفتح يوم الخميس، حيث قذف الله الرعب في قلوب الأحزاب بأن استجاب لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم دعاءه وتضرعه، فأرسل عليهم ملائكة من عنده، وريحاً شديدة، ورعوداً وأمطاراً وعواصف اقتلعت خيامهم، وكفأت قدورهم، وأرعبت قلوبهم، فلما أصبح ارتحلوا عن المدينة، مهزومين خائبين، ورد الله كيدهم في نحورهم، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

أيها المؤمنون: هكذا لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المتاعب والمصاعب، فاستهونوا الحتوف، واستلانوا الصعاب، وبذلوا مهجهم وأموالهم دفاعاً عن الدين، وذباً عن حوزة المسلمين، حتى سطروا أروع البطولات، فلنحتذ حذوهم في الدفاع عن الدين.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب الأرباب، هازم الأحزاب، منزل الكتاب، جامع الناس ليوم الحساب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: فهذه هي غزوة الخندق التي سجلها الله تعالى في القرآن الكريم، وسجل أحداثها ليتلوها المسلمون، ويتحدثوا عنها، ويعلموا تفاصيلها، ويستفيدوا من واقعها في شتى المجالات، **فلنذكر أيها الأحبة المؤمنون:** بعض الدروس التي نتعلمها ونستفيدها من هذه الغزوة الكبرى، فهناك العبر والعظات التي لابد أن نعرفها:

فمن ذلك: أن المسلمين عليهم أن يعلموا تأصل العداوة بين المسلمين والمشركين، وبين المسلمين واليهود، وأنها عداوة قديمة، وليست حديثة يومها، أو قريبة العهد والسبب، فعداوة اليهود والمشركين شديدة، وقواعدها أكيدة، ولا يمكن في يوم من الأيام أن تنقلب تلك العداوة إلى ولاء ومحبة، ما دام المشرك على شركه واليهودي على يهودته، إلا أن يفيئوا إلى الله ويرجعوا إلى دينه، كما قال الله تعالى **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا}**، فمن لم يؤمن بالله ورسوله ويدخل في دين فهو عدو مبين، لا تؤمن غائلته، وتصدق نصيحته، فعلى المسلم أن يعرف عدوه ليحذره، وأن يتخذ الأسوة والقدوة من أنبياء الله وأولياءه، كما قال الله تعالى **{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}**.

ومن ذلك: أن المسلم لابد أن يعرف ويعلم أن أهل الباطل وإن تفرقت كلمتهم، وتعددت فرقهم، وتعادوا فيما بينهم، وتقاتلوا وتناحروا، فإن اشتراكهم في عداوة الحق تجمعهم، وتجعلهم يتناسون كل خلاف يدور بينهم، ويدفنون كل مشكلة أو إثارة تحول بينهم وبين اجتماعهم،

كما فعلت جموع الأحزاب في تجمعهم على القضاء على الدين، رغم ما بينهم من الخلاف.

ومن ذلك: أن نعلم جميعاً أن الله تعالى لابد أن يميز الخبيث من الطيب، وأن يبين الصالح من الطالح، وأن يفرق بين قوي الإيمان وثابت اليقين، وبين ضعيفه وصاحب الريب فيه، وبين من يتبع الحق عن بصيرة وتثبت، وبين من يقلد أو يتربص، ويبين تعالى حقيقة من يطلب بعمله الثواب والدار الآخرة، وبين من يكون هدفه وهم هو الدنيا، كما قال الله تعالى **{مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}**، وكما يقول تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}**، وقد تجسد هذا الإبتلاء والتمييز الشديد في غزوة الخندق، حيث كان موقف المؤمنين الصادقين الثابتين كما حكى الله عنهم، في قوله تعالى: **{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}**، بينما كان موقف المنافقين ومرضى القلوب بالعكس تماماً كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: **{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا}**، وحكى الله تعالى موقف المخذِّلين والمعوقين والمرعبين، والناصحين المشفقين كذباً وزوراً في قوله تعالى: **{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا}**، فما أشبه الليلة بالبارحة وقضية الأمس باليوم، فالقسمة هي القسمة، والحال في كل فريق ذلك الوقت هو الحال في هذا الزمان، وإنما تغير الأشخاص، وتغير الزمان.

ومن ذلك: أن على صاحب الحق أن يكثر الرجوع إلى الله والإلتجاء إليه، وأن يكون

مستعيناً بالله، ومتوكلاً على الله، وأن يدفع شر عدوه وكيده ومكره بالله تعالى لا بحوله وقوته، كما فعل النبي صلى الله عليه وآله فقد تفرغ للإبتهال والتضرع إلى الله، في تلك الحال الشديدة، حتى فرج الله عليه، وأثابه بالفتح من عنده، هزم الأحزاب، **{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}**.

ومن ذلك: أن على المسلم أن يقدم كل ما بوسعه في سبيل خدمة دينه، وإذلال عدوه، بما يمكنه من القدرة، فالشجاع ببسالته، والغني بماله، وصاحب الرأي برأيه، وذو الوجاهة والمكانة بمكانته ووجاهته، وكل مسلم بتضحيته، وأن يبذل المسلم كل ما بوسعه من طاقة وقدرة في سبيل الدفاع عن الدين، ولو سهر الليل كله، وتغرب عن أهله، وخرج من وطنه وموضع رجله ومسقط رأسه، وفارق أولاده وأحبته، فكل ذلك فداء للدين، وقربان يتقرب به المسلم عند رب العالمين كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((اجعل مالك دون عرضك، واجعل مالك وعرضك دون نفسك، واجعل مالك وعرضك ونفسك دون دينك))، كما فعل الرجال العظماء في تلك الغزوة، كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قتل عمرو بن ود ومن معه، وكما فعل نعيم بن مسعود الثقفي، الذي استغل وجاهته ومكانته في تفريق الأحزاب، وتشتيت كلمتهم، وتفريق صفهم، هذا فعل المؤمنين لا فعل المنافقين الذين يفرقون صفوف المسلمين.

أيها المؤمنون: إن الإسلام لم يصل إلينا على طبق من ذهب، وإنما وصل إلينا تحمله دماء الشهداء، وبسالة العظماء، ووفاء الأبطال الأتقياء، الذين باعوا من الله أنفسهم، وضحوا من أجل الله ورسوله ودينه بدمائهم وأرواحهم وجميع ممتلكاتهم، لينالوا الجزاء والمكافأة من الله في الآخرة، فالواجب علينا أن نحفظ ديينا، وأن نصون مبادئنا، وأن لا نفرط في شيء من ذلك، وأن نجعل ديننا هو المفدى بدنيانا، والمقدم على كل شيء عندنا، فالدين هو الأهم، والمقصود الأعظم، وكل ما سواه فالواجب علينا أن نجعله طريقاً وموصلاً إليه.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

سابعاً:

الخطب المتعلقة بشهر الحجة

٣٠- حول فضل الحج وثوابه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ، فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْضَحُ الْوَلَائِجِ.

والحمد لله الذي جعل من تلك الشرائع والسبل حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، وفرضَه على من استطاع إليه سبيلاً من الأنام، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ ولي المؤمنين.

وأشهد أن مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ، أرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الِاهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: نحن في هذه الأيام المباركة نعيش استقبال موسم من مواسم الله عزوجل، ووقت فريضة من فرائض الدين، وركن من أركان الإسلام، في هذه الأيام الكريمة يستشعر المسلمون الركن الخامس من أركان الإسلام، الذي تتوق قلوب جميع المسلمين إليه توقاً، وتستشري نفوسهم إليه شوقاً، وتتلهف إليه أفئدتهم محبة وولعاً، لما جعل الله تعالى من الرغبة الداعية، والشوق المتزايد الذي جبلت عليه قلوب المؤمنين، محبة وتعظيماً وتشريفاً لبيت الله الحرام، كما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ، وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً

أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَقَّهُ، وَأَوْجَبَ حَجَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ}.

ولما كانت فريضة الحج يحصل فيها من المشقة والكلفة والعناء والتعب ما لا يحصل في غيرها من الفرائض، وذلك أنه لا بد فيها من مفارقة الأهل والأوطان، وتجشم الخطوب والأسفار، وركوب الأهوال والأخطار، مع ما يحصل فيها من النفقة والأموال، فإن الله تعالى جعل تلك الفريضة من أسهل الفرائض والتشريعات، فلم يكلف عباده بها إلا إذا تمكنوا منها بالإستطاعة في أبدانهم وأموالهم، تخفيفاً من تعالى عى عباده، وتيسيراً منه لطرق الطاعة والعبادة، ولم يكلف الله تعالى بها المستطيع للحج إلا مرة واحدة في العمر.

أيها المؤمنون: ركنيةُ الحج وفرضيتُه مما لا نحتاج إلى الإستدلال عليها، لأنها من أركان الدين والإسلام المعلومة بالضرورة بين كافة المسلمين، وقد امتلأت السنة النبوية بالأحاديث الصحيحة التي ترغب في الحج، وتبين فضله، وما أعد الله من الأجر والثواب، والتكفير للسيئات والخطايا، لمن خرج إلى بيت الله تعالى حاجاً أو معتمراً:

فعن علي عَلَيْه السَّلام، قال: قال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((من أراد الدنيا والآخرة فليؤم هذا البيت، فما أتاه عبد يسأل اللَّه دنيا إلا أعطاه اللَّه منها، ولا يسأله آخرة إلا ادخر له منها، ألا أيها الناس عليكم بالحج والعمرة فتابعوا بينهما، فإنهما يغسلان الذنوب كما يغسل الماء الدرن على الثوب، وينفيان الفقر كما تنفي النار خبث الحديد)).

وعن علي عَلَيْه السَّلام، قال: سمعت رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم يقول: ((تحت ظل العرش يوم لاظل إلا ظله رجل خرج من بيته حاجاً أو معتمراً إلى بيت اللَّه الحرام)).

وعن النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم، أنه قال للأعرابي حين سأله عن ثواب الحج: ((أما أَمُّكَ البيتَ فإن راحلتك لن ترفع خفاً ولن تضع خفاً إلا كتب اللَّه لك به حسنة وحط عنك به

خطيئة ورفع لك به درجة، وأما موقفك بعرفات فإن اللّه يقول لملائكته عشية عرفة: انظراو إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ضاحين فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج أو مثل قطر السماء أو مثل عدد أيام الدنيا غفرت لك، وأما رميك الجمار فإن اللّه يدخره لك، وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة نوراً يوم القيامة، وأما طوافك بالبيت فإنك ترجع ولا ذنب عليك)).

وعن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ((من جهز حاجاً كان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الحج جهاد كل ضعيفٍ)).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: سمعت الطيب المبارك رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: ((يرجع صاحب الحج والعمرة كما ولدته أمه من ذنوبه قد غفرت له، واستأنف العمل في بقية عمره إذا كان العمل لله عز وجل خالصاً)).

فما أنفقته من مالك للوفادة إلى بيت الله تعالى فإن الله يعيضك ما هو خير منه في الدنيا والآخرة: كما روي عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال: ((من حج بيت اللّه ولم ينفق إلا حلالاً يطلب بحجه ما عند اللّه انصرف كما ولدته أمه من ذنوبه)).

وعن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: ((الحاج والعمار وفد اللّه يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم دعاءهم ويخلف لهم نفقاتهم في الآخرة الدرهم ألف ألف درهم)).

وعن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: ((النفقة في الحج كالنفقة في سبيل اللّه الدرهم بسبعمائة درهم))، وإذا وفد الحاج إلى بيت الله تعالى وقبض الله روحه في تلك الأماكن المقدسة أو في الطريق ذاهباً إليها أو عائداً منها فقد بشره الله على لسان نبيه

صلى الله عليه وآله وسلم بما تقر به العيون، وتتمناه القلوب: فعن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم أنه قال: ((من مات في هذا الوجه ذاهباً او جائياً أدخله الجنة ثم لم يحاسبه)).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (من مات في هذا الوجه ذاهباً وجائياً فهو شهيد).

وعن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: ((الحاج مغفور له في ذهابه ومجيئه وبعدما يرجع إلى أهله بسبعين يوماً لا يكتب عليه خطيئة فإن مات بمكة أمن من الفزع الأكبر يوم القيامة، وإن مات محرماً بعثه اللّه عز وجل يوم القيامة وهو يلبي)).

وقد تصعبت على الناس في هذه الأزمنة طرق الوصول إلى بيت الله تعالى، فمن قد حالفه الحظ السعيد فيما قد مضى من السنين فاغتنم الفرصة فقد أدرك غنيمة ونعمة عظيمة، ومن أدركته الفرصة تلو الفرصة، فلم يغتنمها بل فرط وقصر، فقد أخطأ حظ نفسه، وأنى له بتلافي ما قد فرط في أمسه، لأن الواجب على المؤمن أن يغتنم الفرصة إذا لاحت له كما روي عن ابن عباسٍ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((عجلوا الخروج إلى مكة، فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له من مرضٍ أو حاجةٍ))، وقد نبه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الحال التي يصير إليها الناس من صعوبة الحج في آخر الزمان في أحاديث كثيرة، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((حُجُّوا قبل أن لا تَحُجُّوا، قبل أن يمنع البرُّ جائِبَهُ، والبحرُ رَاكِبَهْ، ويخدعَ الصاحبُ صاحبَهُ)).

وعن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((يقول اللّه سبحانه: أي عبد أصحيت جسمه، وأوسعت عليه في الرزق يأتي عليه خمس سنين لا يفد إلي لمحروم)).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر لنا ولكم سالف ذنوبنا فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد}، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً، وَ بِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

بما أننا في أشهر الحج وأيامه التي جعلها الله تعالى وقتاً زمنياً أجاز أن يعقد الحج فيها، نريد أن نتكلم في بعض المسائل الهامة والقضايا التي تتعلق بالحج وشرعيته، وتتعلق بخلاصنا أمام الله تعالى من أمور قد تلزمنا أو قد لزمتنا وتغافلنا عنها:

أولاً: إذا كان المسلم مستطيعاً للحج متمكناً منه فلا يجوز له أن يؤخر ذلك لغير عذر يبيح له التأخير، فإن أخر بلا عذر فإنه آثم، ولا يأمن أن يدخل تحت عموم بعض النصوص النبوية في ذلك، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من وجد زاداً وراحلة يبلغانه بيت الله ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً، وإن شاء نصرانياً، وإن شاء مجوسياً، أو على إي ملة شاء)).

وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من لم يمنعه من الحج مرض حاجز، أو سلطان جائر، أو حاجة ظاهرة، حتى مات فليمت يهودياً أو نصرانياً)).

فأما إذا كان له عذر مخلص أمام الله تعالى في التأخير فإن الواجب عليه أن يكون عازماً بصدق النية على المبادرة والمسارعة إلى أداء فرض الله تعالى، وأن يحتاط بالوصية بذلك، فقد يفاجأه الموت وهو على غير أهبة.

ثانياً: البعض من الناس ممن قد وجب عليه الحج فيما مضى ولكنه فرط وقصر، ثم تصعبت عليه الحال فالواجب عليه أن يوصي بالحج، وإذا تمكن من الحج فعليه سرعة المبادرة، ولو

اضطر إلى أن يبيع شيئاً من ماله ليستدرك به ما قد فرط من الواجب عليه، فإذا كان لا يملك شيئاً أو كان يملك شيئاً يسيراً لكنه إن باعه ضاع أهله وعياله، فعليه أن يوصي بذلك.

ثالثاً: هناك الكثير من الوصايا في ذمة الكثير من الناس، وهي لا تزال عالقة في أموالهم لم يتخلصوا منها، فكم من رجل أو امرأة أوصى بحجة في ماله، ثم إن الورثة اقتسموا الأموال ولم ينظروا إلى الوصية ولم يلقوا لها بالاً، ولم يرفعوا لها رأساً، أو أن الورثة سيطروا على أموال الموصي وتصرفوا فيها، وتركوا الوصية وراء ظهورهم، بل البعض من تلك الوصايا قد درجت عليها الدرج، وتعاقبت فيها الذرية والأجيال.

أوَ لا يعلم ذلك الذي أخذ المال ولم ينفذ الوصية أنه يتصرف في حق غيره، ويأكل ما ليس له؟!

أوَ لا يعلم أن ذمته لن تبرء حتى يقوم بما هو عليه، أو يترك المال لغيره، وأنه بتفريطه قد بطلت وصايته إن كان وصياً، وانتقلت إلى غيره، وأنه يجوز لغيره من الورثة أن ينتزع المال من تحت يده لإنفاذ الوصية الواجبة.

أوَ لا يعلم أنه إن مات فحالته سيئة، ومصيره سيئ ووبيل.

والمشكلة أن البعض من الناس إنما يتساهل في هذا ويفرط فيه بسبب تعصبه، فهو يستحيي ويستكبر أن يبيع أو يخرج الحق في المال الذي أوصى به غيره، ويستمر على هذا السنين الطويلة حتى يموت، ويخلفه ورثته ثم كذلك، حتى تنسى الوصايا ولا تعلم بسبب التفريط والتعصب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

رابعاً: الواجب على من كانت حاله كما ذكرنا سابقاً، أن يبادر بتخليص الذمة، وإخراج الحق، وأن يسارع في ذلك، فإنه إن لم يستطع أن يحج بنفسه، فسيجد من يحج غيره، وإذا كان لا يستطيع أن ينفذ الوصية فليرد المال الموصى به إلى غيره ممن سيقوم بذلك، ولا يستكبر عن الحق وقبوله.

خامساً: هناك الكثير من الرجال والنساء الذين يتمنون أن يحجوا بأنفسهم، أو يحججوا عن أنفسهم، ولكن لا تزال أموالهم ومواريثهم وحقوقهم بأيدي غيرهم ممن بسط عليها، ولم يعط

كل ذي حق حقه منها، فكم من صاحب حق سواء كان رجلاً أو امرأة يموت وهو يتمنى أن يحج، ولكن لا يزال حقه عند إخوته، أو بعضهم.

مع أن البعض من أهل الحقوق لا سيما النساء لو قام أخوها بتحجيجها بنفسها، أو بالحج عنها لأسقطت كثيراً مما تستحقه مقابل ذلك الحج.

فلنتق الله في المواريث وأهلها، والحقوق وأصحابها، والوصايا وأربابها، ولنبادر التوبة قبل حلول الحوبة، وهجوم المنية، ونزول البلية، ما دمنا في دار الخيار.

ولا تثق أيها المحَمَّلُ بالحقوق بأحد، ولا تعتمد على قريب ولا بعيد أنه سيقوم بتخليصك بعد موتك، حتى ولو كان ولدك، فإن من لم يرحم نفسه، لن يرحمه غيره، ومن لم ينفع نفسه، لن ينفعه غيره، فبادر أخي المؤمن سريعاً بالتخلص، ولا تدخل نفسك في الإثم والوزر لأجل أولادك أن تخلف لهم مالاً وفي الواقع هو ليس لك، فأنت إنما تخلف لهم سحتاً، لا يجوز لهم أخذه وهم يعلمون أن غيرهم أحق به.

الرجوع إلى الحق -أيها المؤمنون- خير من التمادي في الباطل، وقبول النصيحة خير من الوقوع في الفضيحة، والحسنة خير من السيئة.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، إنه على كل شيء قدير.

٣١- الحكمة من شرعية الحج

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، والحمد لله الذي جعل من تلك الشرائع والسبل حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، وفرضه على من استطاع إليه سبيلاً من الأنام، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ ولي المؤمنين.

وأشهد أن مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بَشِيراً لِلمُتَّقِينَ، وَنَذِيراً لِلْمُعْتَدِينَ، فَشَرَعَ بِهِ الدِّينَ، وَأَقَامَ بِهِ البَرَاهِينَ، وَأَذَلَّ الشِّرْكَ، وَأَزَالَ الشَّكَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن الله تعالى شرع شرائع الإسلام، وجعل في ذلك التشريع حكمة تعبدية يبتلي عباده بها في مدى امتثالهم لربهم، وجعلها أيضاً موافقة لمصالحهم الدينية والدنيوية، يكتسبون بسببها قوة وسلامة في أبدانهم، وصحة في أجسادهم، وبركة في أموالهم، وسلامة من كثير من بلاء الدنيا ومصيباتها، ويبين ذلك أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في قوله:

(إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ، أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ

أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ).

وقد جعل الله تعالى في الحج حكماً تشريعية وتعبدية عظيمة، يبينها أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله:

(أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صلوات الله عليه إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً، ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً، وَأَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ، ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا، يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمُ، ابْتِلَاءً عَظِيماً، وَامْتِحَاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ، وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ الْأَشْجَارِ، دَانِيَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ، وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِهِ).

ففي هذا الكلام البليغ، ما يعقله اللبيب، ويستفيد منه العاقل الأريب، فقد بين أمير المؤمنين عليه السلام أن في الحج حكماً تكليفية، ومصالح هامة:

منها: مضاعفة الأجر والثواب في التكليف الشاق، فكل ما شق التكليف وصعب، عظم الأجر والثواب وضوعف، وإذا صغر البلاء صغر الجزاء.

ومنها: تعليم العباد كيف يحاربون النفس والشيطان، ويزيلون من أنفسهم الشكوك والريب بالتسليم لله، والإنقياد له، والرضا بتكليفه، وعدم الإنزعاج أو التضجر مما أمر به ونهى عنه.

ومنها: إخراج الكبر من قلوبهم، وتعليمُهم كيف يتواضعون لله تعالى ويتذللون له جل وعلا، مع ما وعدهم على ذلك وأعد لهم من الأجر والثواب الزائد على تلك الحكم والفوائد، فسبحانه من راحم عليم، قادر حكيم، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

أيها المؤمنون:

شرع الله الحج ركناً خامساً للإسلام لا يتم إلا به، ومن رحمته تعالى بعباده فقد جعله تكليفاً مشروطاً بالإستطاعة، كما قال تعالى {ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين}، ولم يجعل سبحانه وتعالى فريضة الحج الواجبة مع الإستطاعة الكاملة إلا مرة واحدة في العمر، تخفيفاً على العباد، وتيسيراً لطرق الرشاد، لما يعلمه تعالى من تعب الحج وصعوبته، وبُعد مسافة الوصول إليه ومشقته، وقد بيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما بيّن غيره من الشرائع، وأوضحه كما أوضح بقية الأركان والفرائض، فقد حج صلوات الله عليه حجة الوداع في السنة التاسعة للهجرة، وقال ((خذوا عني منا سككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا))، وقد قامت شرعية الحج على أسس قويمة، وحِكَمٍ متينة، تترسخ من خلالها مبادئ الإسلام، وتتعمق في الوجدان جذورُ الإيمان، فإن الحج مدرسة تربوية وتطبيقية، يتعلم المسلم من خلاله كيف يقوي علاقته مع الله؟ كيف يربي نفسه ويروضها على التسليم والإنقياد لأوامر الله؟ كيف يتعامل مع المسلمين الذين يشترك معهم في هذا الدين العظيم؟.

وقد يقول القائل: كيف يكون الحج سبباً في تقوية علاقة العبد مع الله تعالى؟

فنقول: يتجسد ذلك ويتضح من خلال ما يلي:

أولاً: أن الحج يعتبر درساً يتعلم منه المسلمُ أساسياتِ الخوفِ من الله، فإنه يمثل مشهداً تمثيلياً، وصورةً تقريبيةً مصغرةً للإنتقال عن هذه الدار إلى الدار الأخرى، فإن خروجه من وطنه مسافراً كخروجه من بيته ومن بين أهله وأحبائه إلى مثواه الأخير، وخلعه لثياب الزينة وارتدائه ملابس التواضع والذل كلبسه لأكفانه، ووقوفه بعرفة في وسط تلك الحشود المتزاحمة المتضائقة كمشهد مصغر للوقوف في أرض المحشر، والنفرة إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى منى كالإنسياق والذهاب إما إلى السعادة وإما إلى الشقاوة، فيجعل الإنسان من ذلك عنواناً وسبيلاً إلى الخوف من الله ومراقبته.

ثانياً: الحج مشهد من المشاهد التي تجسد عظمة الله تعالى في أجلى دلالاتها وبراهينها، فالمسلم عندما يرى المسلمين مقبلين إلى تلك المشاهد الشريفة، والمشاعر المقدسة من كل أقطار الدنيا، وبلدان العالم، بصور مختلفة، وألوان متغايرة، وأحجام متباينة، وأصوات متفاوتة، ولغات متنافرة، يعبدون رباً واحداً، ويدعون إلهاً واحداً، وينادون خالقاً واحداً، في مكان واحد، وهو تعالى خالقهم ورازقهم ومقدر آجالهم وأقواتهم، فهو تعالى يعلمُ حوائجَهم المختلفة، ويسمع أدعيتهم المتباينة والمؤتلفة، ولا تلتبس عليه مناجاتهم، ولا تختلط عليه أصواتهم، ولا يسأم من ندائهم، ويعلم الدعوة وصاحبها، والحاجة وطالبها، فيعطي من شاء ويمنع من شاء، بدون أن يغلط في صوت أحد أو دعوة أحد أو حاجة أحد فيعطيها غيره، كل هذا تجسيد للعظمة الإلهية، وتقوية للروابط الإيمانية، وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه.

بسم الله الرحمن الرحيم {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه جواد كريم، رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً، وَ بِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ، وَإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الِاهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلَامِ مَتِينَةً وَ عُرَى الْإِيمَانِ وَثِيقَةً، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: نكمل معكم بعض الحكمة التشريعية في الحج.

ومن الحج يتعلم المسلم كيف يربي نفسه ويروضها على التسليم لله؟

فعندما يقف الإنسان متأملاً في أعمال الحج ومناسكه، وكيفية القيام بها، كيف شرع الله تعالى الطواف على أحجار مبنية، والسعي بين جبلين صغيرين، والوقوف على أرض من وقت كذا إلى وقت كذا، والمبيت على جبال وصخور وفي شعاب وبين مسائل وديان من وقت كذا إلى كذا، ولزوم الخروج والإنتقال من مكان إلى آخر في وقت كذا، ورمي موضع أو مواضع من الأرض بأحجار معدودة على صفة معروفة في أوقات مخصوصة، يقف مبهوتاً متحيراً في هذه الحكمة التشريعية، التي من خلالها يعلمنا الله تعالى كيف نسلم له، ولا نعترض على حكمته، ولا نتدخل في شؤون بريته، وإنما حالنا هو التسليم والإنقياد والخضوع والإذعان، وترك الإعتراض والتشكيك والدخول فيما لا طريق لنا إليه، ولا سبيل إلى معرفته، وهذا تأديب وترويض للنفس على القبول ممن علمنا حكمته، وحسن أفعاله.

والحج يكتسب منه المسلم كثيراً من الآداب الفاضلة، والأخلاق القويمة، من تقويم اللسان، والإبتعاد عن الفواحش، كما قال تعالى **{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ**

وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ}.

ومن الحج يتعلم المسلم كيف يتعامل مع المسلمين؟

فإن الحج يتجلى في أبهى صور العدالة والمساواة بين المسلمين، وإلغاء الفوارق العنصرية، والعصبيات القبلية، والتميزات الجنسية، فالخلق خلق الله، والعبيد عبيد الله، وكلهم في قبضة الله، حيث فرض الله عليهم على مختلف طبقاتهم، وتفاوت مستوياتهم المعيشية، لباساً واحداً، لا تفرق فيه بين المالك والمملوك، ولا بين الغني والفقير، ولا بين الحر والعبد، ولا بين الملك والرعية، ولا بين المخلص والمرائي، ولا بين المؤمن والمنافق، فهذا يجعل الإنسان اللبيب ينزل نفسه منزلة العبد لربه، الذي لا يتعالى على أحد، ولا يتطاول على أحد، ولا يرى نفسه خيراً من أحد، فيزيل من نفسه شيئاً اسمه الكبر أو الفخر أو النخوة أو التعالي على عباد الله، فيعامل المسلمين كإخوة تربطه بهم علاقة الدين، التي هي أقوى العلاقات، إلى غير ذلك من الحكم التشريعية العظيمة.

ولقد ركز النبي صلوات الله عليه وآله في حجة الوداع في خطبته الشهيرة على هذه الأمور وغيرها بأبلغ العبارات، وأوضح الإشارات، فركز على أساس المساواة الإنسانية من حيث مبدأ الوحدة وإلغاء التمايز القومي، وحسن معاملة النساء والعبيد، وعدم ظلمهم، ونبه على الأمور التي من خلالها يكون أساس وحدة الأمة الإسلامية من جهة إلغاء آثار الجاهلية ومآثرها وتشريعاتها المخالفة للإسلام، وتأكيد مبدأ الأخوة والتكافؤ بين المسلمين، واحترام الذات الشخصية الإنسانية وما تملكه، المتمثلة في تحريم أعراض المسلمين ودمائهم وكراماتهم وأموالهم على بعضهم، فإن من قال لا إله إلا الله، فقد عصم ماله ودمه وحسابه على الله، وبين أيضاً وحدة الشريعة الإسلامية من خلال مبدأ أداء الأمانة، والقيام والإلتزام بقوانين الإرث، والتطبيق لقوانين الديات والقصاص، وأوضح فيها أيضاً أنه الختام للنبوات، وبه أغلقت أبوابها، وأن أمته ختام الأمم، وأنه يشهد على الأمة في الآخرة، وأن الأمة ستوافيه على الحوض ليتحقق أمر الشهادة عليها، وحذر صلوات الله عليه وآله من محقرات الأعمال التي تجر إلى

النار والوبال، ومن الكذب عليه، وأوجب التحقق فيما ينقل عنه، إلى غير ذلك.

فالحج أيها المؤمنون: عبادة تربوية أخلاقية، ذاتُ آداب وإرشادات تقوي العلاقات الإجتماعية الإسلامية عموماً، فلو تحقق هذا في أرض الواقع لهابهم عدوهم، وخضع لهم.

ومن فوائد الحج التي تعود على الإنسان ذاتياً: أنه إذا قام به خير قيام، وأداه على حسب شروطه وموصفاته كان جزاؤه عظيماً، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه))، وفي خبر آخر: ((الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))، ويعود نفعه عليه حتى في الدنيا ((من أراد الدنيا والآخرة فليؤم هذا البيت))، ((عليكم بالحج والعمرة تابعوا بينهما، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما تنفي النار خبث الحديد)).

فالمسلمون في هذه الأيام يتوافدون من كل فج عميق، مجيبين دعوة الله، وأذان خليله إبراهيم، متوجهين إلى أشرف البقاع وأطهرها، ليبوحوا بمكنونات الضمائر، ويكشفوا من مخبآت السرائر، عند من هو عالم بكل باطن وظاهر، وقد جبل الله قلوب العباد على محبة الوفادة إلى بيته العتيق، فهم يتزاحمون على الأعتاب، ويسكبون العبرات على الأبواب، ويلتصقون بالأستار والأثواب، ويمدون أيديهم ويحركون ألسنتهم إلى الملك الوهاب، ولله أمير المؤمنين ملك الفصاحة والبلاغة، ومالك أزمة الخطابة والبراعة، حيث يقول في ذكره للحج:

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ، وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ، وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَماً، وَلِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَقَّهُ، وَأَوْجَبَ حَجَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ}.

٣٢- خطبة في العشر من ذي الحجة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ، فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ، حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وَأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْداً يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلَا يُقْصَرُ دُونَكَ، حَمْداً لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن حياة الإنسان المسلم لا بد أن تكون كلُّها عبادةٌ وطاعةٌ وعملٌ صالحٌ يُقربه من الله تعالى، ويصِلُه بخالقه العظيم جل وعَلا، في كل جزئ من جزئيات حياته، وفي كل حال من أحواله، وفي كل شأنٍ من شؤونه.

فحياة المسلم تمتاز بأنها زاخرةٌ بالأعمال الصالحة، ومليئة بالعبادات المشروعة، التي تجعل المسلم في عبادةٍ مُستمرةٍ، وتحوّل حياته كلَّها إلى قولٍ حسنٍ، وعملٍ صالحٍ، وسعيٍ دؤوبٍ في رضاء الله، دونم أي كللٍ أو مللٍ، أو فتورٍ أو انقطاع.

كما قال الله تعالى: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}**، فحياة المسلم الطيبة هي التي يستمر فيها على الطاعة، فهي لا تكاد تنقطع من أداء نوعٍ من أنواع العبادة التي تُمثل له منهج حياةٍ

شاملٍ مُتكامل؛ في كل ساعة وفي كل يوم وفي كل شهر وفي كل عام، وقد يسر الله تعالى لنا أوقاتاً ومواسماً سنويةً يجب على المسلم أن يحرص على اغتنامها، والاستزادة فيها من الخير، عن طريق أداء بعض العبادات المشروعة، والمحافظة على الأعمال والأقوال الصالحة التي تُقربه من الله تعالى، وتُعينه على مواجهة ظروف الحياة بنفس طيبةٍ وعزيمةٍ صادقة.

ونحن نعيش في موسم من مواسم الخير المتجدد في حياة الإنسان المسلم، في شهر الحجة، الشهر الذي تؤدى فيه فريضة من أجل الفرائض، ويقام فيه ركن من أركان الإسلام، وهو من الأشهر الحرم التي كانت الجاهلية تعظمها فلما جاء الإسلام زادها شرفاً وتعظيماً، هذا الشهر الكريم الذي نطق القرآن بفضل أيامه ولياليه، ووردت لأيامه ولياليه فضائل كثيرة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

هذه الأيام المباركات تُعد مناسبةً سنويةً مُتكررة تجتمع فيها أُمهات العبادات التي هي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها.

وهي أيام يشترك في خيرها وفضلها الحُجاج إلى بيت الله الحرام، والمقيمون في أوطانهم، لأن فضلها غير مرتبطٍ بمكانٍ مُعينٍ إلا أعمال الحج.

فقد أقسم الله تعالى في سورة الفجر بالعشر الأولى من شهر الحجة، فقال تعالى {والفجر وليال عشر} فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها العشر الأولى من ذي الحجة، وأمر الله تعالى بالإكثار من ذكره فيها فقال تعالى {واذكروا الله في أيام معلومات} وقد ورد أنها العشر أيضاً، وهي أيام شريفة فاضلة، يسن ويندب فيها الذكر لله تعالى، والتقرب بأنواع القربات إليه جل جلاله، بل إن الذكر لله والعمل الصالح فيها لا يعدله شيء من الأعمال، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما من أيام أحبُّ إلى الله عز وجل فيهن العملَ من أيام العشر، قيل: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله: قال: ولا الجهاد في سبيل الله؛ إلاَّ رجلٌ خرج بنفسه وماله فلا يرجع من ذلك بشيء)).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ((أفضل أيام الدنيا أيام العشر – يعني عشر ذي الحجة–))، قيل: ولا مثلهن في سبيل الله ؟ قال ((ولا مثلهن في سبيل الله، إلا من عفّر وجهه في التُراب)).

وروي عن الإمام الشهيد أبي الحسين زيد بن علي عليهما السلام، قال: سمعت أبي علي بن الحسين عليهما السلام، يقول: سمعت أبي الحسين بن علي عليهما السلام، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((إذا كان يوم القيامة حشر الله الأيام على هيئة الجسم فجعل رأسَ الأيام يومَ الجمعة، ويدَها اليمنى أيامَ عرفات، ويدَها اليسرى أيامَ الترويات، وجعل أجنحتَها أيامَ الأعياد والأضاحي، وجعل قلبَها شهرَ رمضان وجعل أرجلَها أيامَ العشر))، فهذه الأيام الفاضلة هدية من الله تعالى لعباده، وسوق من أسواق المرابحة والمتاجرة مع الله تعالى، فلا ينبغي أن نضيعها ونهمل العمل فيها، بل ينبغي الحرص التزود فيها من أعمال الخير، فمما ينبغي الحرص عليه فيها والمداومة ما يلي:

أولاً: صيام أيام العشر وقيام ليلها:

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان لا يدع صيام يوم عاشوراء والعشر من ذي الحجة وثلاثة أيام من كل شهر.

وروي عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدعُ صيامَ تسعِ ذي الحجةِ ويومِ عاشوراءَ وثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهر.

وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من صام أيامَ العشرِ كُتبَ له بكل يومٍ صيامَ سنةٍ غيرِ عرفةَ، فإنه مَنْ صامَ يوم عرفةَ كُتب له صيامُ سنتين)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صيام أيام العشر وقيام ليلها أنه قال: ((يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر).

وروي عن أنس بن مالك أنه قال: كان يقال في أيام العشر: بكل يوم ألف يوم، ويوم

عرفة بعشرة آلاف يوم - يعني في الفضل.

وقال بعض السلف: بلغني أن العمل في اليوم من أيام العشر كقدر غزوة في سبيل الله؛ يُصام نهارُها، ويُحرَسُ ليلُها، إلا أن يُختَص امرؤٌ بالشهادة.

وقال بعض الصالحين: من صام هذه الأيام أكرمه الله بعشرة أشياء: البركة في عمره، والزيادة في ماله، والحفظ في عياله، والتكفير لسيئاته، والتضعيف لحسناته، والتسهيل لسكرات موته، والضياء لظلمات قبره، والتثقيل لميزانه، والنجاة من دركاته، والصعود على درجاته.

وكان السلف الصالح يعتادون قيام هذه الليالي الفاضلة، فقد كان سعيد بن جبير رحمه الله إذا دخلت العشر اجتهد اجتهاداً حتى ما يكاد يقدر عليه، ورُوي عنه أنه قال: لا تطفؤوا سُرُجَكُم ليالي العشر، كان تعجبه العبادة.

ثانياً مما يستحب ويندب: ذكر الله تعالى: وهو يشمل كل ذكر من قرآة قرآن وتسبيح وتحميد وتمجيد وتكبير وتوحيد وغيرها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحبُّ إليه العملَ فيهن، من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل))، فينبغي أن لا تخرج هذه العشر إلا وقد ختمتَ القرآن الكريم مرة على الأقل.

ثالثاً: مما يضاعف أجرُه وثوابُه في هذا الأيام: الصدقة وبذل المال في سبيل الله وطاعته: والمراد بذلك الصدقة على الضعفاء والمساكين والمحتاجين، أو إنفاق المال في الحج والعمرة، أو في شراء الأضاحي وغير ذلك من القرب المقربة إلى الله تعالى، وما أكثر حاجات الناس في العشر من النفقة والإستعداد للعيد، وطلب الأضحية ونحوها.

وبالصدقة ينال الإنسانُ البرَّ، ويُضاعفُ له الأجرُ، ويظله الله في ظله يوم القيامة، وتُفتح له بها أبوابُ الخير، وتُغلقُ عنه بها أبوابُ الشر، ويفتح له بالصدقة باب من أبواب الجنة، ويحبه الله ويحبه الخلق، ويزكي مالَه ونفسَه، ويُغفرُ له ذنبُه، ويتحرر من عبودية حب المال بإنفاقه له في سبيل الله، ويحفظه الله في نفسه وماله وولده وأهله، ويبارك له في دنياه وآخرته.

رابعاً: مما ينبغي الإهتمام به الحرص عليه والمداومة في كل وقت ولا سيما في هذه الأيام العشر، هو الدعاء والرغبة إلى الله تعالى، لا سيما في مثل هذه الأوضاع التي يعيشها الناس، فلنرجع إلى الله بقلوب خالصة، ونيات صادقة، فهو مجيب الدعوات، ودافع البليات، وهو على كل شيء قدير.

وفقنا الله لطاعته، وعصمنا من معصيته، وهدانا إلى طريق رضوانه وجنته، بسم الله الرحمن الرحيم {والفجر، وليال عشر، والشفع والوتر، هل في ذلك قسم لذي حجر}.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه كريم جواد بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

هذه الأيام المباركة جعلها الله تعالى موعد خير وبركة للمسلمين، فمن حرص عليها، واهتم بها، وقام بما ينبغي عليه تجاهها من المبادرة والمسارعة إلى أفعال الطاعات وأعمال الخير، فهو المسلم المتفهم، الحريص على جلب الخير لنفسه.

وفي هذه الأيام تَحِنُّ قلوبُ كثيرٍ من المؤمنين إلى حج بيت الله الحرام، ولعلمه سبحانه وتعالى بعدم قدرة الكثيرين على الحج كل عام فقد فرضه على المستطيع مرة واحدة، ومن رحمته الواسعة جعل فضلَ موسمِ العشر الأولى من ذي الحجة مشتركاً بين الحجاج وغيرهم، فمن عجز عن الحج في عامه فهو يقدر على تعويض بعض ما يفوته من أجر الحج وفضله بالإجتهاد في العبادة في هذه العشر، فيكون الإجتهاد فيها بالعمل الصالح أفضل من الجهاد الذي هو أفضل من الحج.

أيها المؤمنون:

إنَّ حثَّ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على الجد والإجتهاد في هذه الأيام، يُعلمنا دروساً تربوية، ويُكسبُنا فوائدَ إيمانية، ويدعونا إلى ضرورة الإهتمام والرعاية بهذه المناسبة السنوية التي لا تحصل في العام إلا مرةً واحدةً، وينبهنا على اغتنامها في عمل الطاعات القولية والفعلية، لما فيها من فُرَصٍ تُقربُ إلى الله تعالى، ولما فيها من تزويد النفس البشرية بالغذاء الروحي المعنوي الذي يرفع من الجوانب المعيشية عند الإنسان، فتُعينه بذلك على مواجهة صعوبات الحياة.

فعلينا كمسلمين مؤمنين، أن نتفاعل معها تفاعلاً إيجابياً يمكننا من خلال تحقيقه أن نُغَيِّرَ من نمط حياتنا الغافل، وأن نكسر روتينها المعتاد بما يصلِح من القول والعمل، بتنويع أنماط العبادات وتنويع الطاعات، التي تنشط وتجدد العزم، وتدعو العبد المسلم إلى استمرارية ومواصلة مشوار العبادة طيلة حياته مع خالقه العظيم، من خلال الطاعة الصادقة، والامتثال الخالص، وهذا دليلٌ على مؤكدٌ على أن حياة الإنسان المسلم كلها طاعةٌ لله تعالى من المهد أو من سن التكليف إلى اللحد، ليظل الفرد المسلم على صلةٍ دائمةٍ بخالقه، فهي خلوةٌ نفسيةٌ قصيرةٌ يتفقد فيها المرء نفسيتَه صفاءً وسلامةً.

ومن جهة أخرى: فإن هذه المواسم العظيمة، تدعو إلى الحرص وفتح باب التنافس في الطاعات، حتى يُقبِل كلُّ إنسان على ما يستطيعه من عمل الخير،كالعبادات المفروضة، والطاعات المطلوبة من حجٍ وعمرةٍ، وصلاةٍ وصيامٍ، وصدقةٍ وذكرٍ ودعاءٍ وغيرها، وفي ذلك تعليم وتربية للمسلم أن يفرغ طاقَتَه وإستطاعَتَه لبلوغ غايةِ ما يصبو إليه من الفوائد والمنافع الدنيوية المتمثلة في حصول الحياة الطيبة، والفوائد الأُخروية المتمثلة في الفوزِ بالجنة، والنجاةِ من النار.

فعلينا أن نربي أنفسنا ونروضها على أهمية إحياء السُنن والشعائر الدينية المختلفة طيلة حياتنا؛ لاسيما وأن باب العمل الصالح مفتوحٌ لا يُغلق منذ أن يكلف الإنسان وحتى يموت انطلاقاً من التوجيهات الإسلامية التي حثت على ذلك ودعت إليه.

فعلينا أن نستقبل هذه الأيام العظيمة بالتوبة الصادقة النصوح، وبالإقلاع عن الذنوب والمعاصي؛ فإن الذنوب هي التي تحرم الإنسان فضل ربه وتحجب قلبه عن مولاه.

وأن نوطِّن أنفسنا على العزم الصادق الجادّ على اغتنامها بما يُرضي الله؛ فمن صدَقَ اللهَ في عمله ونيته صَدَّقَهُ اللهُ وقَبِلَ منه، ونية المؤمن خيرٌ من عمله، فلا يدري الإنسان لعله لا يعيش إلى عام قابل يستغل فيه مثل هذه الفضائل.

٣٣- في فضل عرفة والأيام التي تليه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً، وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، وَلَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحدُ الذي لا يدخل في عدد، والفردُ الذي لا يقاسُ بأحد، علا عن المشاكلةِ والمناسبة، وخلا من الأولاد والصاحبة، قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْمِ، رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ، مَالِكُ الْمُلْكِ، رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ.

وَأشهدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه وَرَسُولُه وخِيَرَتُه مِنْ خَلْقِه، حَمَّلَهُ الرِسَالَة فَأَدَّاهَا، وَأَمَرَهُ بِالنُّصْحِ لِأُمَّتِهِ فَنَصَحَ لَهَا، أشهد أنه قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الأخيار الصادقين الأبرار.

أما بعد أيها المؤمنون:

فإننا نعيش في أيام هي عند الله من أفضل الأيام، والله تعالى يحب العمل فيهن، هذه الأيام المباركة التي يؤدي فيها الحجيج مناسك حجهم، ويقومون فيها بفرائض ربهم، إجابة لنداء إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أمره الله تعالى بذلك فقال: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}، فالمسلمون يتوافدون إلى البيت العتيق لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، طالبين الفضل من الله تعالى، وراجين منه العفو والغفران، متبعين في ذلك سنن نبيهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول ((خذوا عني مناسككم))، فقد علّم النبي أمته مناسك الحج وأركانه.

ففي الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة أعلن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم عن عزمه إلى حج بيت الله الحرام، فقدِمَ المدينة بشرٌ كثيرٌ كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعمل مثل عمله، فخرج معه صلى الله عليه وآله وسلم مائة ألف من المسلمين من الرجال والنساء، وقيل أكثر، وساق معه بعضاً من الهدي، قال جابر بن عبد الله: فخرجنا حتى أتينا ذا الحليفة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد، ثم ركب ناقته القصوى، حتى إذا استوت به ناقته في البيداء نظرتُ مُدّ بصري من بين يديه مِن ماشٍ، وعن يمينه مثلُ ذلك، وعن يساره مثلُ ذلك، ومن خلفه مثلُ ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين أظهرنا عليه يتنزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل من شيءٍ عملناه، فأهللنا بالتوحيد: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)، وأَهَلَّ الناسُ بهذا الذي يهلون به اليوم، فلم يَرُدَّ عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً منه، ولزم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تلبيته، وبقي ملبياً حتى دخل مكة المكرمة، وطاف بعدها بالبيت سبعة أشواط، واستلم الحجر الأسود وصلّى ركعتين عند مقام إبراهيم وشرب من ماء زمزم، ثم سعى بين الصفا والمروة.

وقدم علي عليه السلام من اليمن فأهل بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان معه بقية الهدي، فكان عدد الهدي مائة من الإبل.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة توجه إلى منى فبات فيها، وفي اليوم التاسع توجه إلى عرفة فصلى فيها الظهر والعصر جمع تقديم في وقت الظهر، ثم خطب خطبته الشريفة التي سميت فيما بعد بخُطبةِ الوداع، وبعد غروب شمس يوم عرفة نزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم والمسلمون إلى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير، بأذانٍ واحدٍ وإقامتين، ولم يَسبُح بينهما، ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح، ثم ركب القصوى حتى أتى المشعر الحرام،

فقام عليه واستقبل القبلة، فدعا الله عز وجل وهلله وكبره ووحده، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جدًا، ثم دفع قبل أن تطلع الشمس، ثم نزل إلى مِنى، حتى أتى الجمرة الكبرى جمرة العقبة فرماها بسبع حصياتٍ، يكبر مع كل حصاةٍ، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنةً بيده، ثم أعطى علياً فنحر ما بقي من البدن وأشركه في هديه، ثم أمر ببضعة من كل بدنةٍ فجعلت فى قدرٍ، فطبخت فأكلا من لحومها وشربا من مرقها.

ثم أفاض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى البيت فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزمٍ، فقال: ((انزعوا يا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم)) فناولوه دلوًا فشرب منه، ثم عاد إلى منى وبات بها وظل أيام منى ولياليها، ثم عاد إلى مكة وطاف طواف الوداع، ثم عاد إلى المدينة المنورة.

وعندما كان الصحابة يسألون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن بعض أعمال الحج لا يجدون منه إلا التيسير والتخفيف عليهم، وهو يقول لمن سأله: افعل ولا حرج.

أيها المؤمنون:

كان حجُّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم موافقاً ليوم الجمعة، فكان يوم التاسع من ذي الحجة الذي هو يوم عرفة يومَ الجمعة، وفي مثل ذالك المشهود اليوم خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطبة الوداع في موقف عرفة في جبل الرحمة، الخطبة العصماء التي أرسى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها قواعد الإسلام، وهدم مبادئ الجاهلية، وعظَّم حرمات المسلمين، فخطب الناس وودعهم بعد أن استقرَّ التشريع، التي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

أما بعد أيها الناس: اسمعوا مني أُبَيِّنْ لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا.

أيها الناس: إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وقضى الله أنه لا ربا، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب.

وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمدَ قَوَدٌ وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية — ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تُحَقِّرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليوطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان — ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق، لكم أن لا يواطئن فُرُشَهُم غيرَكم، ولا يُدخلْنَ أحداً تكرهونه بيوتَكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عَوَانٌ، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً — ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

فَأوصِيكُم بِمَن مَلَكتْ أَيْمَانِكُم، فَأطعِمُوهُمْ مِمَّا تَأكُلُون، وَأَلبِسُوهُم مِمَّا تَلبِسُون.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، إنَّ المسلمَ أخو المسلم، لا يَغُشُّهُ ولا يَخُونُه ولا يَغْتَابُه،

ولا يَحُلُّ لَهُ دَمُهُ، ولا شَيءٌ من مَالِهِ إلاَّ بِطِيبِ نَفسِه، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، فلا تَرْجِعُنَّ بعدى كافراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى – ألا هل بلغت...اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من ثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، مَن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبلُ منه صرفٌ ولا عدلٌ.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، قالوا: نعم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إنكم مسؤولون، فليبلغ الشاهدُ الغائبَ)).

وهي كلمات جامعة موجزة تحكي المبادئ الكبرى لهذا الدين، وتُثَبِّتُ في نفوس المسلمين أصول الديانة، وقواعد الشريعة، ونبَّه فيها بالقضايا الكبرى على الجزئيات الصغرى.

وفقنا الله لطاعته، وعصمنا من معصيته، وهدانا إلى طريق رضوانه وجنته، بسم الله الرحمن الرحيم **{وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ، أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ، لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ}**.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه كريم جواد بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي، وهو حي دائم لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

ونشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله البررة الأتقياء، الأخيار الأصفياء.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإننا في هذا اليوم العظيم، الذي هو يوم عرفة، اليوم الذي شرفه الله وعظمه، وفضله وكرمه، ينشر فيه رحمته على العباد، ويهيئ لهم فيه الأرباح ليوم المعاد، وهو المراد بقوله تعالى {والشفع والوتر} فالشفع هو يوم عرفة، والوتر هو عيد الإضحى، كما روي عن علي عليه السلام، وهو المقصود بقوله تعالى {وشاهد ومشهود} كما روي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم الجمعة))، وهو يومٌ عظيم يُعد من مفاخر الإسلام، لأنه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها، ويوم العتق من النار، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ((ما من يومٍ أكثر من أن يُعتقَ اللهُ عز وجل فيه عباداً من النار من يوم عرفة)) " وهو يوم الْمُباهاة بأهل الموقف، يُباهي اللهُ بهم الملائكةَ، فيقول: ما أراد هؤلاء؟

وهو أفضل الأيام، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أفضل الأيام يوم عرفة)).

وهذا اليوم العظيم تختص به عبادات وأذكار، فمنها:

أولاً: صيام يوم عرفة: فله مزيد فضل على بقية أيام العشر في صيامه وأذكاره، فصيامه

فيعدل صيام سنتين، سنة ماضية ومستقبلة، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((عدل صوم يوم عرفة بسنتين))، وفي حديث آخر: ((صيامُ يومِ عرفةَ أحتسبُ على الله أن يُكفِّرَ السنةَ التي قبله، والتي بعده)).

ثانياً: حفظ الجوارح عن المحرمات في هذا اليوم فيه أجر كثير، ففي الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((يوم عرفة، هذا يوم من مَلَكَ فيه سمعَه وبصرَه ولسانَه غُفر له)).

ثالثاً: ينبغي الإكثار من التوحيد لله تعالى بصدق وإخلاص: فقد ورد ليوم عرفة ذكر خاص، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر منه، كما ورد عنه أنه قال ((أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير)).

رابعاً: يبدأ من فجر يوم عرفة التكبير المعروف بتكبير أيام التشريق، وهو المراد بقوله تعالى {واذكروا الله في أيام معدودات} فقد ورد أنها أيام التشريق، وقوله تعالى { ولتكبروا الله على ما هداكم}، ووقت هذا التكبير من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق وهو اليوم الثالث عشر، وحكمه الوجوب، عند بعض الأئمة عليهم السلام كالإمام زيد والمنصور بالله والإمام مجد الدين المؤيدي، وعند الآخرين من الأئمة والعلماء أنه سنة مؤكدة، وهو يقال بعد الفرائض، وصفته كما يلي: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، والحمد لله على ما هدانا وأولانا وأحلّ لنا من بهيمة الأنعام،.

كما روي عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ((يا علي كبر في دبر صلاة الفجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق إلى صلاة العصر))، وعن علي عليهم السلام قال: ((التكبير: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد)).

وقال الإمام زيد بن علي عليهما السلام: التكبير يجب على الرجال والنساء من أهل الحضر، وأهل السفر، ومن صلى في جماعةٍ، ومن صلى وحده في دبر كل صلاة فريضةٍ، وفي دبر صلاة الجمعة، فهي فرض في الفرض، ونفل في النفل.

فيكون عدد أيام هذا التكبير خمسة أيام، وعدد الصلوات المفروضة التي يقال بعدها ثلاثٌ وعشرون فريضة، ومن فاته شيء من التكبير قضاه في أيام التشريق.

وينبغي في هذا اليوم الإكثار من الدعاء والإبتهال فإنه من أفضل الأيام، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم ((ما شرقت شمس أو غربت على يوم من أيام الدنيا أفضل من يوم عرفة))، فلنرغب إلى الله وندعوه بما نشاء، وهناك أدعية خاصة بهذا اليوم، منها الدعاء المروي عن الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك الدعاء المروي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين في الصحيفة السجادية.

أيها المؤمنون: إن حجاج بيت الله العتيق في هذا اليوم يقفون على صعيد عرفات، يسكبون العبرات، ويكررون الدعوات، ويستقيلون العثرات، ويتوبون من السيئات، ويعتذرون من الخطيئات، قلوبهم معلقة ببارئ البريات، وألسنهم لهجة بأنواع الذكر والدعاء بتنوع اللغات، وتعدد الحاجات، ينادون رباً واحداً، ويعبدون إلهاً واحداً، ويلبسون لباساً من نوع واحد، ويجمعهم مكان واحد، وهم في ذلك الإجتماع الكبير، يرعبون أعداء الله وأعداء الإسلام، ويجسدون وحدة الدين والإسلام، ويعبرون بذلك الإجتماع عن توحدهم واجتماعهم تجاه مبادئهم ودينهم، ولكن للأسف يجتمع المسلمون في تلك البقاع الطاهرة، وقلوبُهم متنافرة، وأيديهم متناحرة، وألسُنُهم متشاجرة، وعداواتهم واضحة ظاهرة، حتى طمع عدوهم فيهم، وسامهم الخسف والذل، فيا أمة الإسلام أفيقوا من رقدتكم، وانتبهوا من غفلتكم، واجمعوا على الحق والتقوى أمركم، وأغيظوا باجتماعكم عدوكم، وأرضوا ربكم، وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والنيات والهدى، إنه سميع مجيب الدعاء.

٣٤- حول إمامة علي عليه السلام وخلافته من البعثة إلى حجة الوداع

الخطبة الأولى

الحمد لله على إتمام النعمة، وإكمال الدين، الذي لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى، نحمده حمداً لا بداية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ليس له حد ينال، ولا شبه يضرب له به الأمثال.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأقام الدلالة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالدين الخاتم للأديان والشرائع، الباقي إلى يوم القيامة، وليست نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة بالمدة التي يعيشها ويدير شؤون الناس فيها، بل هي نبوة عامة إلى انقطاع التكليف، فمشروع النبوة والدعوة إليها يمثل تكوين دولة يرأسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتحتاج إلى من يخلفه من بعده ويقوم مقامه، وهذا الأمر كان مفهوماً ومعروفاً ومعلوماً عند كافة القبائل العربية أن كل أمر فيه تكوين لمدة طويلة لا بد أن يكون هناك من يخلف الرجل المؤسس لذلك الأمر الذي يراد بقاؤه، فإذا لم يوجد كان الأمر عرضة للزوال والإنتهاء، فأمر الخلافة كان مطروحاً من أول البعثة النبوية، والذي يدل على ذلك أمور:

أولاً: ما ذكره أهل السير والتواريخ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، فأتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس : والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم

أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟

فقال صلوات الله عليه وآله: الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء.

قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ! فأبوا عليه.

ثانياً: ما ذكره أهل السير أيضاً أن كندة قالت له : إن ظفرت تجعل لنا الملك من بعدك؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الملك لله، يجعله حيث يشاء.

فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئتنا به !.

ثالثاً: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يبايع الأنصار وهم أهل الإيواء والنصرة، على أن لا ينازعوا الأمر أهله، كما رواه المحدثون بطرق عديدة منها عن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم.

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يقطع أطماع الناس عن الأمر بعده، وأنه مرتبط بالنبوة، فكما أن النبوة اختيار واجتباء، فكذلك خلافتها تكون باختيار واجتباء، فبما أن الأمر راجع إلى الإختيار الإلهي، فقد كان هناك مقدمات وارهاصات وإشارات وتلويحات بل تصريحات، على من يخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمنها:

أولاً: **حديث الإسراء**: ما رواه الإمام الأعظم زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قال لي ربي ليلة أسري بي: من خلفت على أمتك يا محمد؟ قال: قلت أنت أعلم يا رب.

قال: يا محمد إني انتجبتك برسالتي، واصطفيتك لنفسي، فأنت نبيي، وخيرتي من خلقي، ثم الصديق الأكبر الطاهر المطهر الذي خلقته من طينتك، وجعلته وزيرك، وأبا سبطيك السيدين الشهيدين الطاهرين المطهرين سيدي شباب أهل الجنة، وزوجته خير نساء العالمين أنت شجرة وعلي أغصانها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها، خلقتكم

من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلا حبا، قلت: يا رب ومن الصديق الأكبر؟ قال: أخوك علي بن أبي طالبٍ)).

قال علي عليه السلام: ((بشرني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابناي الحسن والحسين منها وذلك قبل الهجرة بثلاثة أحوال)).

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما أسري بي إلى السماء ثم من السماء إلى سدرة المنتهى ووقفت بين يدي ربي عز وجل قال الله: يا محمد إنك قد بلوت خلقي فمن وجدت أطوعهم لك؟ قلت: رب علي، قال: صدقت يا محمد هل اتخذت لأمتك خليفة يكون فيهم من بعدك ويعلمهم من كتابي ما لا يعلمون؟ قال: قلت رب اختر لي فإن خيرتك خيرتي، قال: اخترت لك علياً فاتخذه لنفسك خليفة ووصياً.

إلى أن قال: وهو أمير المؤمنين لم أسم بها من كان قبله وليست لأحد بعده، يا محمد علي راية الهدى إمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني)).

ثانياً: خبر الإنذار أو خبر الدار: فعن علي عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم {وأنذر عشيرتك الأقربين}، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني مهما أبدؤهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُّ عليها حتى جاء جبريل فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ماتؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لي صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واجعل لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب، حتى أكلمهم وأبلغ ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، إلى قوله: ثم تكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم أحداً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيكم يوازرني على

هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: -وإني لأحدثهم سناً، وأرمضهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً-: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه.

فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

فقد قطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أطماع القرابة القريبة، حتى لا يجعلوها ميراثاً أو بالأكبر سناً أو نحو ذلك.

بل في مواقف كثيرة، وأحوال متعددة، ومقامات متنوعة، بعضها جماعية، وبعضها نصائح ووصايا فردية، ينبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن علياً خليفته ووصيته، إما بلفظ الخليفة أو الوصي أو الإمامة أو الأمير أو الولي وغيرها، وإليك بعضاً يدل على ما سواه:

فمنها: عن سلمان الفارسي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا نبي الله بأبي وأمي عمن نأخذ بعدك وبمن نتق قال: فسكت، ثم سأله من الغد فسكت، ثم سأله اليوم الثالث فسكت عني عشراً ثم قال: ((يا أبا عبدالله ألا أحدثك عما سألتني عنه)).

فقلت: بلى بأبي وأمي حدثني لقد خشيت أن يكون قد وَجِدْت عليَّ.

فقال: ((يا أبا عبدالله إن أخي ووارثي وخليفتي وخير من أترك بعدي علي بن أبي طالب، يقضي ديني، وينجز موعدي)).

ومنها: عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، يا أم سلمة هذا علي أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، ووعاء علمي، ووصيي، وبابي الذي أوتى منه، أخي في الدنيا والآخرة، ومعي في المقام الأعلى، يقتل القاسطين والناكثين والمارقين)).

ومنها: عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم الحديبية وهو آخذ بضبع علي بن أبي طالب: ((هذا أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، ومخذول

من خذله –ثم مد بها صوته وقال-: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الدار فليأت الباب)).

ومنها: عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ألا أدلكم على ما إن تساءلتم عليه لم تهلكوا، إن وليكم الله وإمامكم علي بن أبي طالب فناصحوه وصدقوه فإن جبريل أخبرني بذلك))، وغيرها أكثر من أن نأتي عليها.

فهذا رد واضح على كل من أنكر وصية النبي لعلي، أو ادعا أنه لا يوجد ما ينص على علي بلفظ الخلافة ونحوها، وبهذا نعلم أن خبر الغدير ليس هو الدليل الوحيد الذي لولاه لما عرفت خلافة علي عليه السلام، فهناك غيره وهو جزء مما نستدل به على إمامة علي وخلافته من الكتاب والسنة، وإنما خبر الغدير له ميزة الإشتهار والتواتر، وليكون خاتماً للأدلة الدالة على ذلك على رؤوس الناس أجمعين.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه تعالى كريم جواد بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله.

أما بعد أيها المؤمنون: لما أقبل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من مكة في حجة الوداع، نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة، فأمر بالدوحات فقمَّ ما تحتهن من شوك؛ ثم نادى((الصلاة جامعة)) فخرجنا إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في يوم شديد الحر؛ إن مِنَّا من يضع رداءه على رأسه وبعضه تحت قدمه من شدة الحر، حتى انتهينا إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فصلى بنا الظهر؛ ثم انصرف إلينا فقال ((الحمد لله، نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى؛ وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: أيها الناس، فإنه لم يكن لنبي من العمر إلا نصف ما عُمِّر مَنْ قبله، وإن عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، وإني قد أشرعت في العشرين؛ ألا وإني يوشك أن أفارقكم، ألا وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون؛ فهل بلغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟

فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنك عبدالله ورسوله، قد بلغت رسالاته وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين؛ جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

فقال: ((ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟)). قالوا: بلى.

قال: ((أشهد أن قد صدقتم وصدقتموني؛ ألا وإني فرطكم وأنتم تبعي، توشكون أن تردوا عليّ الحوض، فأسألكم حين تلقوني عن ثَقَليَّ، كيف خلفتموني فيهما؟)).

قال: فأُعيل علينا ما ندري ما الثقلان، حتى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله: ما الثقلان؟

قال: ((الأكبر منهما كتاب الله، سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسكوا به ولا تولوا ولا تضلوا؛ والأصغر منهما عترتي، من استقبل قبلتي، وأجاب دعوتي، فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولاتَقْصُرُوا عنهم؛ فإني قد سألت لهما اللطيف الخبير فأعطاني، ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليهما لي ولي، وعدوّهما لي عدوّ؛ ألا فإنها لم تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها، وتظاهر على أهل نبوتها، وتقتل من قام بالقسط منها)).

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فرفعها؛ وقال: ((من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ـ قالها ثلاثاً ـ)).

ورواة هذه الخطبة من علماء الإسلام لا يمكن حصرهم، ويتعذر ضبطهم، فلا يكاد يخلو كتاب من الكتب المعتمدة المشهورة لدى الموالف والمخالف من ذكره، فقد رواه جماعة وافرة من المحدثين عن جماعة من الصحابة، وقد ظهرت ظهور الشمس، واشتهرت اشتهار الصلوات الخمس، فليس يقدر أحد على ردها أو إنكارها، فقد قامت الحجة، واتضحت المحجة، وعليك أن تنظر لنفسك.

أيها المؤمنون: إن يوم الغدير الذي هو يوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام، من أيام الله الفاضلة، وعيد من أعياد المؤمنين، ففيه أكمل الله الدين، وأتم النعمة على المسلمين، وأنزل الله فيه قوله تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}، فلما نزلت هذه الآية الكريمة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((الحمد لله على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والوصاية لعلي من بعدي)).

ومن فضائل هذا اليوم ما روي عن جعفر الصادق عليه السلام أنه كان يقول: هو عيد الله الأكبر، وما بعث الله عزوجل نبياً إلا وتعيد في هذا اليوم، وعرف حرمته، واسمه في السماء يوم العهد المعهود، وفي الأرض يوم الميثاق المأخوذ، والجمع المشهود).

وروي أيضاً (ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل عند الله من يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وما بعث الله نبياً إلا أقام وصيه في هذا اليوم).

وفيه أعمال وطاعات وعبادات شهيرة، فمن مندوباته ومستحباته:

أولاً: الصيام فيه، فقد ورد في فضل صيامه، ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((قال: من صام يوم ثمانية عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خمٍ، لما أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ألستُ ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فقال: عمر: بَخٍ بَخٍ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولا كل مؤمن، فأنزل الله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم})).

وروي عن جعفر الصادق أنه قال: (صوم يوم غدير خم يعدل صيام عمر الدنيا، لو عاش إنسان عمر الدنيا ثم لو صام ما عمرت الدنيا كان له ثواب ذلك، وصيامه يعدل عند الله عز وجل مائة حجة ومائة عمرة.

ثانياً: ومما يستحب فيه: الغسل، ولبس النظيف والفاخر، وإظهار الزينة، والتطيب، وإظهار الأعلام البيض، والإصحار، والصدقة، وغيرها من الطاعات.

ثالثاً: فيه صلاة مخصوصة، وهي كما يلي:

يصلي قبل الزوال ركعتين، يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة، وآية الكرسي عشراً، وسورة القدر عشراً، وقل هو الله أحد عشرين مرة، وقد رويت هذه مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن علي عليه السلام، فإذا أتممت الصلاة سجدت سجدة تقول فيها:

اللهم إنا نوجه وجوهنا في يوم عيدنا الذي شرفتنا فيه بولاية مولانا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوت الله عليه، وعليك نتوكل وبك نستعين في أمورنا، اللهم لك سجدت وجوهنا وأشعارنا وأبشارنا وجلودنا وعروقنا وأعظمنا وأعصابنا ولحومنا ودماؤنا، اللهم إياك نعبد، ولك نخضع، ولك نسجد، على ملة إبراهيم، ودين محمد، وولاية علي صلواتك

عليهم أجمعين حنفاء مسلمين، وما نحن من المشركين، ولا من الجاحدين المعاندين، المخالفين لأمرك وأمر رسولك صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم العن المبغضين لهم لعناً كثيراً، لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره، اللهم صل على محمد وآله، وثبتنا على موالاتك وموالاة رسولك وآل رسولك، وموالاة أمير المؤمنين صلوات الله عليهم، اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وأحسن منقلبنا ومثوانا، يا سيدنا ومولانا.

رابعاً: الدعاء في هذا اليوم بعد أن يصلي الركعتين، أو في أي وقت منه، فيقول:

الحمد لله شكراً — عشر مرات –.

الحمد لله الذي أكرمنا بهذا اليوم، وجعلنا من الموفين بعهده إلينا، وميثاقه الذي واثقنا به، من ولاية ولاة أمره، والقوام بقسطه، ولم يجعلنا من الجاحدين والمكذبين بيوم الدين.

اللهم إني أشهدك وحملة عرشك وملائكتك وسكان سماواتك وأرضك، بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأن علياً أمير المؤمنين مولانا وولينا ومولاهم ووليهم، وصدقنا لنداء رسولك إذ نادى: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت نبيه فعلي وليه، ومن كنت وليه فعلي أميره.

ربنا قد أجبنا داعيك النذير المنذر، البشير المبشر محمداً عبدك ورسولك إلى الهادي المهدي أمير المؤمنين، وإمام المتقين، صلوات رب العالمين عليه وعلى أولاده الطيبين الطاهرين، الأئمة الراشدين، إلى يوم الدين.

٣٥- مباهلة النبي صلى الله عليه وآله مع نصارى نجران

الخطبة الأولى

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خص محمداً وآله بالفضيلة، وحباهم بالمكارم النبيلة، ورفع لهم المنازل العالية الجليلة، نحمده على أن مَنَّ علينا باتباعهم، وهدانا لاتباع طريقتهم، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد، القائل في محكم كتابه المجيد **{فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}**.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله، وأمينه على وحيه، خاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فقد وقعت في آخر شهر ذي الحجة الحرام حادثة من أعظم الحوادث الإسلامية، وقضية من أهمِّ القضايا الدينية، وأكبر الوقائع في التاريخ الإسلامي، حادثة سجَّل القرآن ذكرها، وبيّن في سورة آل عمران أمرَها، وخلّدَ على مرِّ العصور والدهور نبأها وشأنها، فمن قرأ القرآن وتدبر آياته لابد أن يسأل عنها، ويبحث عن بيانها وتفسيرها.

هذا الحادثة والقضية هي حادثة وقضية المباهلة، التي حكى الله قصتها في سورة آل عمران، في قوله تعالى { فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}، وكان وقوعُها في الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام، في السنة التاسعة للهجرة النبوية.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب كتاباً إلى أهل نجران يدعوهم فيه

إلى الإسلام، وكانوا يدينون بدين النصرانية، فكتب إلى كبيرهم وهو أُسْقفُ نجران، المسمى أبا حارثة، وكان هو القائم بشؤون الكنيسة في الحجاز بأكمله.

فلما وصل سفيرُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى نجران، سلَّم إليهم كتاب رسول الله فقرأه الأُسْقف وتأمله، فاستدعى كبار الشخصيات البارزة في نجران وما جاورها من المناطق للمشورة في هذا الأمر، واتخاذ قرار متفق عليه من جميع الأطراف.

فلما حضروا عنده استشار رجلاً يقال له شرحبيل وهو من أهل الرأي والحكمة والعقل والتدبير عندهم، فقال له الأسقف: ما تقول في هذا الأمر يا شرحبيل؟

فقال له: قد علمتَ ما وعدَ الله به إبراهيم الخليل في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمنك أن يكون هذا الرجل هو النبي الموعود.

فتشاوروا في الأمر، فاتفق رأيهم على أن يبعثوا وفداً من ذوي الرأي والحكمة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة، لينظروا في دلائل وبينات نبوته صلى الله عليه وآله وسلم، ويبحثوا في الموضوع بجدٍّ وعزم، فاختاروا ستين رجلاً، من علمائهم وعقالهم وكبارهم وأهل الرأي فيهم، وحملوا معهم الهدايا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما قدِمَ الوفد إلى المدينة، دخلوا مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يلبسون الديباج والحرير، وفي أيديهم خواتيم الذهب، ويحملون الصليب في أعناقهم، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تلك الهيئة انزعج منهم، وساءه منظرهم وهيئتهم، ولا سيما في المسجد، وانزعج المسلمون لذلك أيضاً.

فشعر الوفد وأحسوا بذلك، فسألوا عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانت بينهم صداقة قديمة، فسألا أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن سبب انزعاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقالا له:

يا أبا الحسن ما ترى في هؤلاء القوم؟

فقال علي عليه السلام: أرى أن يضعوا حللهم وحليهم وخواتيم الذهب، ثم يعودون

إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففعلوا ما أمرهم به فنزعوا ما عليهم من الحلي والحلل، ثم رجعوا فدخلوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلموا عليه، فرد عليهم السلام واحترمهم، وقدموا إليه هداياهما فقبل بعضها، ورد البعض الآخر منها.

فبينا هم كذلك إذ حضر وقت صلاتهم وهم في المسجد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك، فأذن لهم، فأراد بعض المسلمين منعهم، فزجرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فصلوا صلاتهم، وبهذا الموقف الكريم يظهر سماحة الدين الإسلامي، وسماحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما أتموا صلاتهم، عرض عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدخولَ في الإسلام، وتلى عليهم القرآن، فامتنعوا من القبول، وقالوا: قد كنا مسلمين قبلك.

فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث خلال: عبادتُكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً.

فقالوا: المسيح هو الله، لأنه أحيا الموتى، وأخبر بالغيوب، وأبرأ من الأدواء كلها، وخلق من الطين طيراً.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم.

فقال أحدهم: المسيح ابن الله، لأنه لا أب له.

فسكت رسول الله صلى اللله عليه وآله وسلم، فأنزل الله عليه قوله تعالى {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}.

فطلبوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم المباهلة وقالوا: هلمّ فلْنلاعنْكَ أيّنا أولى بالحق، فنجعل لعنة الله على الكاذب منا.

فأذن الله لنبيه في المباهلة وأنزل عليه آية المباهلة، فدعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها فقبلوا ذلك، واتفقوا على أن تكون في اليوم الثاني.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما

خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ كتاب الله عز وجل، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، **بسم الله الرحمن الرحيم {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ، فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ، إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ}**.

وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، نحمده ونستعينه ونستهديه الهدى، ونعوذ بالله من الضلالة والردى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون: نكمل معكم حادثة المباهلة:

اتفق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع النصارى على المباهلة في اليوم الثاني، وعلى أن تكون المباهلةُ خارج المدينة في الصحراء، فلما كان اليوم الثاني أقبل الناس من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم من الناس، في قبائلهم وعشائرهم وشعاراتهم، وهم في أحسن هيئة، وخرج وفد نجران إلى مكان المباهلة، ينتظرون قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أهل نجران قد اشتوروا فيما بينهم في أمر المباهلة، وقال بعضهم لبعض: انظروا محمداً فإن جاء غداً بولده وأهله وخاصته فاحذروا مباهلته، فإنه نبيء، وإن جاء بأصحابه وأتباعه فباهلوه فإنه ليس على شيء.

وهم يعنون بكلامهم هذا: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاء إلى ساحة المباهلة محفوفاً بأبهة الملك، ومتظاهراً بقوة الجيش، ومعرضاً بكثرة الجنود والأتباع، فهي دليل على عدم صدقه.

وإذا أتى بولده وأبناءه وأحبِّ الناس إليه، وأعزهم لديه، بعيداً عن كل مظاهر الخيلاء والمباهاة، فهو دليل على صدقه، وأوكد في الدلالة على ثقته بموقفه، ويقينه بمبدئه، حيث تجرأ على تعريض نفسه وأحبته وأعزته، وأفلاذ كبده، وأغلى الناس عنده على المباهلة،

التي تكون نتيجتها هلاك المبطل.

فبينما هم كذلك يتحادثون، والناس جميعاً مترقبون ومنتظرون مجيء النبيء صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يراقبون الطرق التي يمر منها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يريدون أن يعرفوا معنى وتفسير آية المباهلة، ويريدون أن يعرفوا المراد بالأبناء والنساء والأنفس المذكورين في الآية، وهم يتسآءلون في أنفسهم أو يتسائل البعض منهم يا ترى من هم الذين أُمِر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعوتهم إلى المباهلة؟ وقد يكون البعض في حالة تهيء وانتظار رجاء أن يدعوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه.

إذ جاء الجواب الفعلي، والتفسير النظري، والتطبيق على أرض الواقع للمراد من الآية، ومَنهم المقصودون فيها.

إذ طلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هيئة خاصة مثيرة، فإذا به يخرج وفي صحبته أربعة نفر، قد اختارهم من بين المسلمين دون غيرهم،لأنه ليس بين المسلمين من هو أطهر منهم نفساً، وأقرب نسباً، وأعلى مكانة، وأقوى يقيناً، وأعمق إيماناً، أقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحتضن الحسين، وآخذ للحسن عليه السلام في يده، وإذا علي وفاطمة يمشيان خلفه، وهو يقول لهم: إذا دعوت فأمِّنوا.

يا له من وفد ما أكرمه على الله، وأقربه إلى الله، وأعظمه عند الله، وأعلى منزلته في الدنيا والآخرة.

فلما رأوا النبي صلى الله عليه وآله ومعه تلك الوجوه النيرة، والشخصيات الروحانية، أخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض في حيرة ودهشة وتعجب، كيف خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابنته الطاهرة، وأفلاذ كبده، وأعز الناس إليه، فهو لا يفعل ذلك إلا وهو على ثقة من نفسه، وعلى يقين من دعوته، لأن المتردد غير الواثق لا يخاطر بأحبائه، ولا يعرضهم للبلاء والهلاك النازل.

فلما رأى وفد نجران ذلك الوفد، وتلك الوجوه المشرقة، قال كبيرهم وهو أُسْقف نجران:

يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني.

فتسارعوا متسابقين يستترون بالأشجار والأحجار والجدران مخافة أن يبدأهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمباهلة، وهم يصيحون وينادون بأعلى صوتهم:

يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نباهلك، يا أبا القاسم أقلنا أقالك الله.

فَرَقّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم، وأخذته الشفقة عليهم والرحمة بهم، رجاء أن يكونوا قد عرفوا الحق، ثم أقبلوا حتى بركوا بين يديه، ثم قالوا: أقلنا أقالك الله يا أبا القاسم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أقيلكم على أن تجيبوني إلى واحدة من ثلاث:

فقالوا: وما هي؟.

فقال: أدعوكم إلى الإسلام، فتكونون إخواننا لكم مالنا وعليكم ما علينا.

قالوا: لا سبيل إلى هذه.

قال: جزية نفرضها عليكم تؤدونها إلينا كل سنة، وأنتم صاغرون.

قالوا: لا سبيل إلى هذه، فهات الثالثة.

قال: الحرب.

قالوا: لا طاقة لنا بك، فصالحوه على ألفي حلة ألف في رجب، وألف في صفر، وعلى عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين رمحاً، وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضامن بها حتى يؤديها إليهم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفسي بيده لقد تدلّى العذاب على أهل نجران، ولو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير، ولو باهلتهم ما بقي على وجه الأرض منهم أحد، ولأضرم الله عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله، حتى الطير في رؤوس الشجر، ولقد حُشِرَ علي بالطير والعصافير من رؤوس الشجر لمباهلتهم))، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علياً عليه السلام أن يكتب لهم كتاب الصلح،

ويضمن لهم الأمان، فلما رجع وفد نجران عاد منهم السيد وهو صاحب رحلتهم، والعاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم وعن رأيه يصدرون، إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلما، وأهدى له العاقب حلةً وعصاً وقدحاً ونعلين.

فهذه الحادثة العظيمة من أعظم المناقب والفضائل لأهل البيت عليهم السلام، وفيه دلالات واضحة، وتفسير لمن أُمر النبي بدعائهم للمباهلة، وأن نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو علي عليه السلام، وأن المراد بالأبناء الحسن والحسين عليهما السلام، وهذه الآية نص صريح في ذلك، وأن المراد بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي فاطمة عليها السلام.

فهل بعد بيان الله من بيان، أو بعد برهانه من برهان، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثامناً:

الخطب المتعلقة بالأعياد

٣٦- خطبة عيد الفطر المبارك لعام ١٤٣٥هـ

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

الله أكبر ما صام صائم وأفطر

الله أكبر ما هلل مهلل وكبر

الله أكبر ما أعشب روض وأزهر

الله أكبر ما أورق غصن وأثمر

الله أكبر عدد الحصى والأشجار، الله أكبر عدد قطر الأمطار، الله أكبر ما اختلف الليل والنهار، الله أكبر عدد ما كبره المكبرون، ومجده الممجدون، وحمده الحامدون.

الحمد لله معيد الجمع والأعياد، خالق السماء ورافعها بغير عماد، وباسط الأرض وطاحيها للسكنى والمهاد، الذي هدى العباد إلى سبيل الرشاد، وحذرهم أهوال يوم المعاد، نحمده حمداً كثيراً لا حد له ولا تعداد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد الصمد المتعالي عن اتخاذ الصواحب والأولاد، والمنزه عن ظلم العباد، الصادق في قوله فلا يخلف الميعاد، شهادة أدخرها ذخراً ليوم المعاد، وأرجو بها الفوز يوم يبلو أخبار العباد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث من أشرف آباء وأجداد، وأطهر نسب وسبب من الأوائل والأواخر أهل السؤدد والسداد، بلغ الرسالة للعباد، وأدى الأمانة إلى كل حاضر من وباد، صلى الله وسلم عليه وعلى آله المطهرين أهل الجد والإجتهاد.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإنكم في يوم عظيم، له عند الله شرف جسيم، جعله لأهل الإسلام مجمعاً وعيداً، ولأهل الطاعة فرحاً وسروراً ومزيداً، وهو يوم الجوائز، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة على أفواه الطرق تنادي، يا معشر المسلمين: اغدوا إلى رب رحيم، يأمر بالخير ويثيب عليه الجزيل، أمركم بالصيام فصمتم وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا العيد نادى مناد من السماء: ارجعوا إلى منازلكم راشدين فقد غفرت لكم ذنوبكم كلها، وسمي ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة)).

وهذا يوم النفحات الربانية، فتعرضوا فيه لنفحات ربكم، واسألوا الله بتضرع وعزيمة، ففي الحديث القدسي عن الله عز وجل: ((سلوني يا عبادي فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئاً في جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم، فوعزتي لأسترن عليكم عثراتكم ما راقبتموني، وعزتي وجلالي لا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود، وانصرفوا مغفوراً لكم، قد أرضيتموني ورضيت عنكم)).

أيها المؤمنون: ها قد ودعتم شهراً كريماً، وموسماً للخيرات عظيماً، صمتم نهاره، وقمتم ما تيسر من ليله، وأقبلتم فيه على قرآءة القرآن، وأكثرتم فيه من الذكر والتضرع والدعاء، وتصدقتم بجود وسخاء، وتقربتم فيه بأنواع القربات، رجاء ثواب الله، وخوف عقابه، فكم من جهود بُذلت، وأجساد تعبت، وقلوب وجلت، وأكف رفعت، ودموع ذرفت، وعبرات سكبت.

وها هو قد مر بنا هذا الشهر الكريم، كطيف خيال، مر بخيراته وبركاته، شهر مضى من أعمارنا، هو شاهد لنا أو علينا، فلنفتح صفحة المحاسبة مع أنفسنا، ماذا عملنا فيه؟، وما مدى تأثيره على أعمالنا وسلوكياتنا؟.

فإن الصيام المقبول هو الذي يؤثر في صاحبه، وتبين آثاره في القائم به، فإن للقبول والربح علامات، وللرد والخسران علامات، يعرفها كل إنسان من نفسه، فمن حاله في الخير والإحسان، والأعمال الصالحة بعد رمضان أحسن وأفضل من حاله بعده، تائباً منيباً، مقبلاً على الخيرات، حريصاً على الجمع والجماعات، ملتزماً بالطاعات، مستقيماً

ثابتاً مستمراً على الصالحات، فهو دليل على القبول والربح والغفران.

ومن رجعت حالته بعد رمضان إلى مستواها قبله أو إلى أسوأ منها، فهو وإن أقبل على الله في هذا الشهر، فهو إقبال مؤقت،، سرعان ما ينكص على عقبيه، ويعود إلى حالته، يقيم على المعاصي، ويبتعد عن الطاعات، ويرتكب المحرمات، ويترك الواجبات، ولا يتأثر بالوعد والوعيد، ولا يخاف من التهديد، يسمع اللهو والطرب، وينطق الزور والكذب، ويتأذى من العبادات والطاعات، ويضيع الصلوات، ويهمل الجمع والجماعات، فهذه علامات الرد والخسران، ولا يزداد من الله إلا بعداً، والعياذ بالله من غضبه.

سئل بعض الصالحين عن من يتعبد في رمضان، فإذا خرج رمضان تركوا العبادة والطاعة، فقال: بئس القوم قوماً لا يعرفون الله إلا في رمضان.

أيها المؤمنون: يا من عرفتم مضاعفة الخير في رمضان كيف تزهدون فيه بعده؟!

يا من أقبلتم على ربكم في رمضان، كيف تنسونه بعده؟!

يا من عرفتم أن الصلاة واجبة في أوقاتها، وعرفتم فضيلة المحافظة عليهما في جماعة في بيوت الله في رمضان، كيف تتجاهلون ذلك بعد رمضان؟!

يا من عرفتم أن الله حرم عليكم المحرمات والمعاصي كيف ترجعون إليها؟!

يا من أقبلتم على تلاوة القرآن في رمضان كيف تهجرونه بعد رمضان؟!

أنسيتم أن رب الشهور والأيام كلها واحد، وهو على أعمالكم وأحوالكم مطلع وشاهد؟!

يا لها من مصيبة عظمى، وفادحة كبرى: أن يرجع أناس بعد الحور إلى الكور، وبعد الخير إلى الشر، وبعد الهدى إلى الضلالة، وبعد العلم إلى الجهالة، وبعد سلوك طريق النعيم، إلى سلوك طريق الجحيم، أعاذنا الله وإياكم من غضبه وعذابه.

أيها المؤمنون: إن السعيد كل السعيد، من راقب ربه فيما يبدؤ ويعيد، وخاف يوم الوعيد، وسلك طريق جنات الخلود، ورضي عنه الرب المعبود، وليس السعيد من أدرك العيد، ولبس الثوب الجديد، إذا لم يكن من صالحي العبيد.

فاتقوا الله عباد الله: واجعلوا فرحكم بالعيد فرحاً بإتمام عبادة الصيام، فرحاً بنيل الجوائز من ملك الملوك وسيد السادات، اجعلوا فرحكم بالعيد مقروناً بمراقبة الله تعالى الذي أفرحكم بالعيد فكم من أخ لكم مسلم مشغول بنفسه لم يفرح بالعيد، إما لمرض قد أقعده، أو لخوف قد أزعجه، أو فقر قد أوجعه، أو غير ذلك من عوارض الدنيا وأحوالها.

أيها المؤمنون: تذكروا من كانوا معنا في مثل هذا اليوم من العام الماضي، أخذهم الموت، وذاقوا حسرة الفوت، وضمتهم القبور بعد القصور، أكل الدود محاسنهم، وأبلى التراب أجسادهم، وقد كانوا يفرحون كما نفرح، ويتزاورون كما نتزاور، تذكروا من كانوا معنا من الآباء والأمهات، والإخوان والأخوات، والجيران والأقارب، أصبحوا رهائن الحفر في التراب، قد تقطعت عنهم الأسباب، ونسيهم الأصحاب والأحباب، انفردوا في اللحود بأعمالهم، وليس لهم أنيس إلا ما قدموا من صالح أفعالهم، وهو ينتظرون رحمة ربهم، وقد انقطعت حسناتهم إلا من علم نافع، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له،أو دعوة أخ مسلم يرسلها له، وأنتم إلى ما صاورا إليه صائرون، ومن الباب الذي دخلوه داخلون، ومن الكأس الذي شربوا منه شاربون، ولمثل سكنهم ساكنون، فتزودوا بالأعمال الصالحة، فإن الأجل قريب معدود، والعمر قصير محدود، فتزودوا لدار المقام من هذه الدار ما دام ينفع المزيد.

أيها المؤمنون: أكثروا في هذا اليوم من الذكر والتكبير، والتسبيح والتحميد، والإستغفار، فإنها من مسنونات ومشروعات هذا اليوم المبارك المشهود.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً}، أستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله اكبر.

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد

الحمد الله الذي بلغنا هذا اليوم الشريف العظيم، الفرد المبارك، الكريم المثابة، المشهود الموعود الذي أحل فيه الطعام، وحرم فيه الصيام، وجعله عيداً لأهل الإسلام، وافتتح فيه الحج إلى بيته الحرام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: فإن لهذا اليوم سنن وواجبات، وفيه قرب وعبادات:

فمن ذلك: صلة الأرحام الأحياء، من الرجال والنساء، وزيارة الأموات الذين سكنوا أطباق الثرى، ففي صلة الرحم أجر وفير، وفضل كبير، فهي زيادة في الأعمار، وعمارة للديار، وبركة في الأرزاق، ففي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيجعلها الله ثلاثاً وثلاثين، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثاً وثلاثين فيجعلها الله ثلاثاً))، والرحم تناشد أهلها بين يدي خالقها، فيقضى يوم القيامة لها، فتعاهدوا أرحامكم، وصلوا أقاربكم، ولو كان الرحم كاشحاً قاطعاً، فأجره يكون كثيراً نافعاً.

ومن ذلك: زكاة الفطر، فقد شرعت لإغناء الفقراء في هذا اليوم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((اغنوهم في هذا اليوم))، وآخر وقتها غروب شمس يوم العيد، فاحذر أن تماطل أو تتكاسل، فقبول الصيام متوقف عليها، ومعقود بها، لأنها للأبدان زكاة.

فعن علي عَلَيْه السَّلام قال: قال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((صدقة الفطر

على الرجل المسلم يخرجها عن نفسه، وعمَّن هو في عياله، صغيراً كان أو كبيراً، حراً أو عبداً، ذكراً أو أنثى)).

ويسن إخراجها عن الأموات، لا سيما الوالدين، فعن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن الحسن والحسين ابني علي عَلَيْهم السَّلام كانا يؤديان زكاة الفطر عن علي عَلَيْه السَّلام حتى ماتا، وكان علي بن الحسين وأبو جعفر يؤديان عن أبويهما.

أيها المؤمنون: إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، واحذروا الفتن فإنها قد كثرت وتعدد في هذا الزمن، وكثر الدعاة إليها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وهم في الواقع يسيؤن وهم لا يشعرون، يتبعون أهوائهم، ويميلون مع شهواتهم، ولا يبالون لو كان في فعلهم الدعاء إلى الشر والمحاربة للخير، ولو كان في ذلك تفريق الجماعة وتشتيتها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن من عباد الله من هم مفاتيح للخير مغاليق للشر، ومنهم من هو مغلاق للخير مفتاح للشر، فطوبى لمن جعل الله مفتاح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفتاح الشر على يديه)). فكانوا للخير مفاتيح، وللشر مغاليق، واحذروا العكس.

وإن من الضوابط المهمة التي يحصل بها اتّقاءُ الفتن واجتناب شرها، لزوم جماعة المسلمين، والبعد عن التفرق والاختلاف، فإن الفرقة شرٌّ، والجماعة رحمة، الجماعة –عباد الله– يحصل بها قوة لحمة المسلمين، وشدة ارتباطهم، وقوة هيبتهم، وتحقق اجتماع كلمتهم، ويحصل بها التعاون بينهم على البر والتقوى، وعلى ما تكون فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وأما الخلاف –عباد الله– فإنه يجر عليهم شرورًا كثيرة، وأضرارًا عديدة، وبلاءً لا يحمدون عاقبته في الدنيا والآخرة، ولهذا جاء عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– في غير ما حديث الوصيةُ بلزوم الجماعة، والتحذير من الفرقة، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ((عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار)).

عباد الله: وإن من الضوابط العظيمة التي يلزمُ مراعاتها لاتقاء الفتنة واجتناب شرها،

الأخذ عن العلماء الراسخين، والأئمة المحققين، وترك الأخذ عن الأصاغر من الناشئين في طلب العلم، والمقلّين في التحصيل منه، فإن العلماء الأكابر الذين رسخت أقدامهم في العلم، وطالت مدتهم في تحصيله، وأصبح لهم مكانة في الأمة، هم الذين تتقى بهم الفتن، بما آتاهم الله -عز وجلّ- من العلم والحكمة، والرزانة والأناة، والنظر في عواقب الأمور، فمن كان مُعَوِّلاً على كلمة العلماء المحققين، والأئمة الراسخين، فإنه -بإذن الله- يحمد العاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا وجّه الله -عز وجلّ- في محكم تنزيله فقال: **{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً}**.

فعليكم -عباد الله- بالإفادة من العلماء، والرجوع إلى فتاوى المحققين منهم؛ لتكون لكم السلامة والأمانة والرفعة بإذن الله -تبارك وتعالى-.

ومن الضوابط المهمة لتجنب الفتن: حسنُ الصلة بالله، ودعاؤه -جلّ وعلا-؛ فإن الدعاء مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة، ولاسيما -عباد الله- سؤال الله -تبارك وتعالى- أن يجنب المسلمين الفتن، ما ظهر منها وما بطن، والتعوذ به -تبارك وتعالى- من الفتن كلِّها؛ فإن من استعاذ بالله أعاذه، ومن سأل الله أعطاه الله سُؤله، وحقق رجاه، فإن الله -تبارك وتعالى- لا يخيب عبدًا دعاه، ولا يرد عبدًا ناداه.

أيها المؤمنون: إن حال الأمة الإسلامية اليوم يندى له الجبين، وتذرف له العيون، فأعداؤها قد سيطروا عليها، وتمكنوا من أن يفعلوا فيها ما يشاؤا، بسبب ترك الأمة لتعاليم دينها، ورفضها لأهل بيت نبيها، فأعداء الإسلام من اليهود والمشركين، يقتلون الرجال والنساء والأطفال، ويستحلون المحارم والدماء والأموال، بمرآئ من المسلمين ومسمع، ولا يخاف الكفار من المسلمين في أي محتشد ولا مجمع، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والتسليم على نبيكم محمد صلى الله عليه وآله فريضة منه واجبة، وكرامة فاضلة فقال تعالى {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا

صلوا عليه وسلموا تسليماً}.

اللهم فاجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، وأزكى تحياتك وأفضل سلامك ومعافاتك، على محمد عبدك ورسولك وصفيك ونجيك وأمينك وخيرتك من خلقك، الداعي إليك بإذنك، والهادي إلى سبيلك، والشاهد على عبادك، البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي وعدته، وبلغه الدرجة والوسيلة والكرامة والشفاعة والذراعة والفضيلة، واجعلنا ممن تشفعه فيه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم إن ذكرت اليوم آباء بأبنائهم، أو أبناء بآبائهم فاذكرنا عندك بنبيك الأمين محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين، اللهم لا تدع لي في هذه اليوم العظيم الشريف الكريم ذنباً إلا غفرته، ولا عيباً إلا سترته، ولا هماً إلا فرجته، ولا غماً إلا كشفته، ولا سؤإلا إلا أعطيته، ولا بلاء إلا دفعته، ولا كرباً إلا فرجته، ولا سوءاً إلا صرفته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا عدواً إلا كفيته، ولا غائباً إلا أديته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا طفلاً إلا ربيته، ولا فاسداً إلا أصلحته، ولا عسيراً إلا يسرته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولي فيها صلاح إلا قضيتها لي ويسرتها في عافية، إنك على كل شيء قدير.

اللهم صل على محمد وآله، واجبر مصيبتنا بشهرنا، وبارك لنا في يوم عيدنا وفطرنا، واجعله من خير يوم مر علينا، أجلبه لعفو، وأمحاه لذنب، واغفر لنا ما خفي من ذنوبنا وما علن، اللهم اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر من خطايانا، وأخرجنا بخروجه من سيئاتنا، واجعلنا من أسعد أهله به، وأجزلهم قِسْمَاً فيه، وأوفرهم حظاً منه.

اللهم إنا نتوب إليك في يوم فطرنا الذي جعلته للمؤمنين عيداً وسروراً، ولأهل ملتك مجمعاً ومحتشداً من كل ذنب أذنبناه، أو سوء أسلفناه، أو خاطر شر أضمرناه، توبة من لا ينطوي على رجوع إلى ذنب، ولا يعود بعدها في خطيئة، توبة نصوحاً خلصت من الشك والإرتياب، فتقبلها منا وارض عنا وثبتنا عليها.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

٣٧- خطبة عيد الأضحى

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ

الله أكبر ما كبر حاج ولبّى

الله أكبر ما طاف حاج على البيت وسعى

الله أكبر ما وقف الحجيج بعرفة وباتوا بمزدلفةَ ومنى

الله أكبر ما رمى حاج وحلق أو قَصَّر وضَحّى

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد، والحمدلله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسُبحان الله بُكرةً وأصيلاً

الحمد لله الذي سهل لعباده طرق الطاعة ولم يُعَسِّر، وتابع لهم مواسم الخيرات ويسَّر، له الحمد على نعمه التي لا تُعَدُّ ولا تحصر، عدد من حج البيت واعتمر، وأضعاف ذلك وأكثر، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ما خفق نجم وظهر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يحويه قطر، ولا يدركه نظر، الذي خلق فقدر، وملك فقهر، وبطن وظهر، وعلم وخبر، وكل شيء عنده مقدر.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ المنذرُ، الطاهرُ المطهرُ، صاحبُ الوجه الأنور، والجبينِ الأزهر، والحوض والمنبر، الذي بلغ الرسالة وما قصر، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله البررة الغُرر.

أما بعد: أيها المؤمنون:

وعيد الأضحى الكبير المبارك جعله الله يوم العاشر من ذي الحجة بعد الوقوف بعرفةن ركنِ الحج الأعظم، وسماه الله يوم الحج الأكبر، فبعد أن يؤدي الحجاج فريضة الحج، حيث يخرجون من بيوتهم وأوطانهم، تاركين أهليهم وأموالهم، وأولادهم، وأعمالهم،

وكل شيء من أمورهم وراء ظهورهم، ابتغاء مرضاة الله رب العالمين، فإذا أدوا فرضهم غفر الله للحجاج ذنوبهم، وعاد الحاج كيوم ولدته أمه، لذلك حق له أن يفرح بعد أداء هذه الفريضة، بهذا العيد العظيم عيد الأضحى المبارك.

فحقيقة العيد، هو العودة إلى الله تعالى بالتوبة، والرجوع والأوبة، والسلامة من الذنوب والمعاصي، فاليوم الذي لا تعصي الله فيه هو عيد، لأنك تنجو من سخط الله تعالى.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد، والحمدلله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

أيها المؤمنون: إنكم في يوم مبارك ميمون، والمسلمون فيه مجتمعون، في أقطار الأرض، يتعرضون لنفحات رحمة الله، وينتظرون عفو الله، ويطلبون الخير من الله، ويحيون فيها شعيرة من شعائر الله تعالى العظيمة الظاهرة.

العيد يتضمن معاني سامية جليلة، ومقاصد عظيمة فضيلة، وحِكماً بديعة، فمن معاني العيد في الإسلام إعلان التوحيد لله تعالى بإفراد بالعبادة لله وحده في الدعاء والخوف والرجاء والإستعاذة والإستعانة، والتوكل والرغبة والرهبة، والذبح والنذر لله تبارك وتعالى، وغير ذلك من أنواع العبادة.

ومن معاني حكم العيد ومنافعه العظيمة: شهود جمع المسلمين لصلاة العيد، ومشاركتهم في بركة الدعاء والخير المتنزل على اجتماعهم المبارك، والإنضواء تحت الرحمة الإلهية التي تغشى المصلين، والبروز والخروج لرب العالمين، إظهاراً لفقر وحاجتهم لمولاهم عز وجل، وتعرضاً لنفحات الله وهباته التي لا تُحد ولا تحصر.

من معاني العيد وحِكَمه ومنافعه العظمى: التزاور بين الأرحام، والتواصل بين المسلمين، وتقارب القلوب، وارتفاع الوحشة، وانطفاء نار الأحقاد والضغائن والحسد، فالإسلام الذي اجتمع المسلمون في مكان واحد لأداء صلاة العيد من أجله، إذا طبقه المسلمون في حياتهم فهو الذي يجمعهم على الحق، ويؤلف بين قلوبهم على التقوى، فلا

شيء يؤلف بين المسلمين سوى الحق؛ لأنه واحد، ولا يفرق بين القلوب إلا الأهواء والشهوات لكثرتها وتعددها وتنافرها، لهذا شرع في العيد أن يتزاور المسلمون والأرحام، لتجسيد معنى المحبة، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: ((وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلمُتَحَابِّينَ فِيَّ، والمتجالِسينَ فِيَّ، والمتزاورينَ فِيَّ، والمتباذلينَ فِيَّ)) وفي حديث آخر ((المتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم عليها النبيون يوم القيامة)).

فلا ينبغي في العيد أيها المؤمنون أن تكون الشحناء والبغضاء، ولا التقاطع والشحناء، ولا التدابر والقطيعة، ففي العيد ينبغي أن نحقق جميعاً معنى قول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

وعماد العيد أيها المؤمنون: يتمثل في التعاطف والتراحم والتوادّ والعطاء، والتآخي والبذل والسخاء، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ خرج لصلاة العيد، والصبيان يلعبون وفيهم صبي جالس في ناحية يبكي، وعليه ثياب خَلِقَة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((أيها الصبي، مالك تبكي ولا تلعبُ مع أترابك))، فقال له الصبي: وهو لا يعرف أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (خلِّ عني أيها الرجل، فإن أبي مات في غزوة كذا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتزوجت أمي بزوج غيره، فأصابني ما أصابني، فلما رأيت الصبيان يلعبون وعليهم الثياب، تجدد حزني وذكرت مصيبتي، فلذلك بكيت)، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يده وقال له: ((أما ترضى أن أكون لك أباً، وعليٌّ عماً، والحسن والحسين أخوين))، فقال: كيف لا أرضى يا رسول الله، فحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزله، وألبسه أحسن الثياب وزيَّنه، وأطعمه وأرضاه، فخرج مسروراً ضاحكاً يعدو إلى الصبيان فلما رآه رفاقه قالوا له: كنت الآن تبكي، فمالك صرت مسروراً؟.

فقال: كنت جائعاً فشبعت، وعارياً فاكتسيت، ويتيماً فصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي.

فقال الصبيان: ليتنا كنا مثلك، واستمر الصبي على تلك الحال حتى انتقل النبي صلى

الله عليه وآله وسلم إلى جوار ربه فخرج يبكي ويحثو التراب على رأسه ويقول: الآن أصبحت يتيماً، الآن صرت غريباً.

فلنتفقد يتامانا وفقرآءنا وغرباءنا وضعفاءنا ومساكيننا في هذا اليوم العظيم المشهود.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد، والحمدلله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

أيها المؤمنون: إن من أسباب عموم العذاب، وتسلط الأعداء، ترك شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي مدح الله أهلها والقائمين بها فقال سبحانه: **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}**، واحذروا أيها المسلمون أن تتركوه فتتشبهوا باليهود في تركهم المعروف ومداهنتهم عليه، وسكوتهم على المنكر وإغضائهم عنه، فلعنهم الله بذلك وكفرهم، فقال تعالى: **{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ، كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ، تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}**، وروي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أنه قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))، مروا بالمعروف تخصبوا، وانهوا عن المنكر ترزقوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا.

أيها المؤمنون: لئن سار القوم إلى الحج وقعدنا، وقَرُبُوا وبَعُدنا، فما يؤمننا أن نكون ممن (كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين)، يحق لمن رأى الواصلين وهو منقطع أن يقلق، ولمن شاهد السائرين إلى ديار الأحبة وهو قاعد أن يحزن.

أيها الأحبة: إن حُبستم العام عن الحج فارجعوا إلى جهاد النفوس فإنه الجهاد الأكبر، وإن

أُحصرتم عن أداء النُسُك فأريقوا على تخلفكم من الدموع ما تيسّر؛ فإن إراقة الدماء لازمة للمُحصر، ولا تحلقوا رؤوس أديانكم بالذنوب والخلاف؛ فإن الذنوب والخلاف حالقة للدين وليست حالقةً للشعر، وقوموا باستشعار الرجاء والخوف مقام القيام بأرجاء المشعر والخَيف، ومن كان قد بُعد عن حَرَمِ الله فلا يبعد نفسه عن رحمة الله بالدخول في حُرَم الله، ومَن فَاته في هذا العام القيامُ بعرفةَ، فَلْيَقُم للهِ بحقه الذي قد عَرَفَه، ومن عجز عن المبيت بمزدلفة، فليُبَيِّتْ عزمه على طاعة الله وقد قَرَّبَهُ وأزلفَه، ومن لم يمكنه القيام بأرجاء الخَيف، فليقم لله بحق الرجاءِ والخوف، ومن لم يقدر على نحر هديه بمنى فليذبح هواه هُنا وقد بلغ المنى، ومن لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد، فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه ورجاه من حبل الوريد، وإن لم نصل إلى ديار الحجيج فلنصل انكسارنا بانكسارهم، وإن لم نقدر على الوقوف بعرفات فلنستدرك من أعمالنا ما قد فات، وإن لم نصل إلى الحَجَر فليلن منا كلُّ قلب قاسٍ كالحَجَر، وإن لم نقدر على ليلة جمع ومنى، فلنقم بمأتم الأسف هاهنا، أين المنيبُ المجدُّ السابق؟ هذا يومُ يُرحمُ فيه الصادق، مَن لم يُنِبْ في هذا اليوم فمتى ينيب، ومن لم يُجب في هذا الوقت فمتى يجيب، ومن لم يتعرف بالتوبة فهو غريب، وا أسفا لعبد لم يُغْفَرْ له اليومَ ما جنى، حضر موسمُ الأفراح فما حصّل خيراً ولا اقتنى، ودخل بساتين الفلاح فما مد كفاً وما جنى، ليت شعري من منا خاب ومن منا نال المنى؟.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم {إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر}، أستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم وللمؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبرُ
الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد، والحمدلله على ما
هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسُبحان الله
بُكرةً وأصيلاً

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ،اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد، والحمدلله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسُبحان الله بُكرةً وأصيلاً

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الحمد لله المحمود على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لله عبد، فهو مستحق الشكر والحمد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد، وصفيه وخليله المسدد، وخيرته من خلقه من الأقرب والأبعد، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله أهل الشرف والسؤدد.

أما بعد: أيها المؤمنون:

إنكم في يوم عظيم، هو يوم الحج الأكبر، وهو آخر الأيام المعلومات، وأول الأيام المعدودات، فهو من أيام الله تعالى المفضلة، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أفضل الأيام عند الله يوم النحر ويوم القَرّ)) أي اليوم الثاني من النحر، وهو الذي يقر الحجيج فيه في منى، في هذا اليوم العظيم يجتمع الحجاج ليؤدوا فيه معظم مناسك الحج، ويتقربون إلى الله فيه بالعج والثج، فيه يرمون الجمرة الكبرى، وينحرون الهدايا، فيه يحلقون رؤوسهم، ويطوفون بالبيت العتيق، في هذا اليوم يشترك الحجاج وغير الحجاج في إراقة دماء الهدي والأضاحي تقرباً إلى الله عز وجل، قال الله تعالى: **{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا**

وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}، فهذا اليوم العظيم له سنن وآداب وأعمال، وقد شرعت فيه أحكام:

فمن سننه وآدابه: لُبسُ الزينة، وإظهارُ نعم الله تعالى، والترفيه على النفس والأهل، والتوسعة في النفقة، وصلة الأرحام والأقارب والمؤمنين، وأن لا يأكل شيئاً من طلوع فجره حتى يعود بعد صلاة العيد، وأن يكثر من الدعاء والتضرع والإبتهال، وهو مع أيام التشريق الثلاثة الآتية بعده أيام أكل وشرب يحرم فيها الصيام.

ومن سننه وآدابه: ومما شرعه الله تعالى فيه، وحث عليه ورغب، إراقة دماء الأضاحي، وهي سنة مشروعة، حث عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فعن ابن عباسٍ، قال: قام رسول الله فينا خطيباً يوم عرفة فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما شاء الله ثم قال: ((اشتروا الأضاحي واستعظموها واستسمنوها، ولا تماكسوا في أثمانها، فإنما تخرجونها لله، ولا يذبحن أضاحيكم إلا طاهرٌ، ولا يأكل منها إلا مؤمنٌ، واحْضُرُوهَا إذا ذُبِحَتْ، فإنه يغفر لكم عند أول قطرةٍ من دمها، فإنكم ترون دمها يسيل في الأرض وهو في حرزٍ حتى يوفى صاحبُها الأجرَ يوم القيامة، بكل قطرةٍ من دمها، وبكل بَضعةٍ من لحمها، وبكل شعرةٍ من شعرها، وبكل صوفةٍ من صوفها، حتى عظامِها وقرونِها، تروها حسناتٍ يوم القيامة في كتبكم، وثقلاً في موازينكم)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ما عمل ابن آدم يومَ النحر عملاً أحبَّ إلى الله عز وجل من هراقة دم، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها، وإن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً)) .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((ما عَمِلَ ابنُ آدم في يوم أضحى أفضل من دم يهراق إلا أن يكون رحماً يوصل))، وعن النبي صلى الله عليه وآله أن قال: ((يا فاطمة، قومي إلى أُضحيَّتِكِ، فاشهديها، فإن لك بكل قطرة من دمها ما سلف من ذنوبك)) قالت: يا رسول الله، ألنا خاصة أهل البيت، أو لنا وللمسلمين؟ قال: ((بل لنا وللمسلمين)).

أيها المؤمنون: استسمنوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم، فإنها سنة نبيكم

صلى الله عليه وآله وسلم، وتجزئ الشاة عن الرجل وأهل بيته في الأضحية، وتجزئ البدنة عن عشرة، والبقرة عن سبعة، ولا يجزئ من الضأن إلا ما تم له حول كامل أو أكثر، ويجزيء ما تم له ستة أشهر على قول بعض الأئمة عليهم السلام، ولا يجزئ من المعز إلا الثني وهو ما تم له سنتان، وقيل: يجزئ ما تم له سنة، ولا يجزيء من الإبل إلا ما تم له خمس سنين، ولا من البقر إلا ما تم له سنتان، ويستحب أن يتخير أضحية سمينة صحيحة، كما روي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ، اشْتَرَى كَبْشَيْنِ عَظِيمَيْنِ سَمِينَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوءَيْنِ - أي مخصيين-.

ولا تجزئ في الأضحية المريضةُ البَيِّنُ مرضُها، ولا العوراءُ ولا العمياء، ولا العجفاءُ، وهي الهزيلة، ولا العرجاءُ البَيِّنُ عرجُها، ولا العضباءُ التي ذهب أكثر أذنها أو قرنها، وتجزئ الجمّاء والخصي.

والسنة نحر الإبل قائمة معقولة اليد اليسرى، والبقر والغنم تذبح على جنبها الأيسر متوجهة إلى القبلة، ويقول الذابح عند الذبح: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك ولك، ويستحب أن يأكل ويدخر ثلثاً، ويهدي ثلثاً، ويتصدق بثلث، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾، ولا يُعطى الجزار أجرته منها، ولا من جلودها.

ووقت الذبح بعد صلاة العيد بالإتفاق بين المسلمين، ويمتد إلى غروب شمس اليوم الثاني عشر، وهو الثاني من أيام التشريق، وفي اليوم الثالث عشر خلاف هل هو من أيام الذبح أم لا؟ والصحيح أنه منها إلى غروب شمسه، ويكره الذبح في الليل.

ولا يجزي ذبح الأضحية قبل صلاة العيد، فمن ذبح قبل الصلاة فهي شاة لحم، وليست بأضحية، فلا يؤجر عليها أجر وثواب الأضحية، ولم يصب السنة النبوية، كما روي عن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أنه قال: ((مَنْ كَانَ ذَبَحَ أُضْحِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ أَوْ نُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ كَانَ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ)).

واعلموا أيها المؤمنون: أن الأيام الثلاثة المقبلة تسمى أيام التشريق وهي: (اليوم الحادي العشر والثاني عشر والثالث عشر)، وكانت تسمى في الجاهلية بأسماء: فيوم النحر

يسمى الفداء، والثاني: القَرِّ أي يقرون فيه بمنى، والثالث الصرم، أي ينصرم الناس وهو يوم النفر. ومن أحكامها الشرعية التي تخصها:

أنه يحرم صومها مع يوم العيد، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن صوم أيام التشريق وقال: هي أيام أكل وشرب وتبعل وذكر لله تعالى، وهي مع يوم العيد وقت لذبح الأضحية، كما تقدم، ويحرمُ على الحاج والمعتمر فيها إنشاءُ العمرة، ومن فعل لزمه دم للإساءة، وفيها أيضاً التكبير الذي قد بدأ فجر يوم عرفة وينتهي آخر أيام التشريق، فأكثروا فيها من ذكر الله تعالى بالتكبير والتهليل والتحميد في أدبار الصلوات وفي جميع الأوقات.

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد، والحمدلله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسُبحان الله بُكرةً وأصيلاً

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والتسليم على نبيكم محمد صلى الله عليه وآله فريضة منه واجبة، وكرامة فاضلة فقال تعالى {**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**}.

اللهم فاجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، وأزكى تحياتك وأفضل سلامك ومعافاتك، على محمد عبدك ورسولك وصفيك ونجيك وأمينك وخيرتك من خلقك، الداعي إليك بإذنك، والهادي إلى سبيلك، والشاهد على عبادك، البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي وعدته، وبلغه الدرجة والوسيلة والكرامة والشفاعة والذراعة والفضيلة، واجعلنا ممن تشفعه فيه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم إن ذكرت اليوم آباء بأبنائهم، أو أبناء بآبائهم فاذكرنا عندك بنبيك الأمين محمد خاتم النبيين وآله الطاهرين، اللهم لا تدع لي في هذه اليوم العظيم الشريف الكريم ذنباً إلا غفرته، ولا عيباً إلا سترته، ولا هماً إلا فرجته، ولا غماً إلا كشفته، ولا سؤإلا إلا أعطيته، ولا بلاء إلا دفعته، ولا كرباً إلا فرجته، ولا سوءاً إلا صرفته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا عدواً إلا كفيته، ولا غائباً إلا أديته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا طفلاً إلا ربيته، ولا فاسداً إلا أصلحته، ولا عسيراً إلا يسرته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى ولي فيها صلاح إلا قضيتها لي ويسرتها في عافية، إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نتوب إليك في يوم نسكنا وأضحانا، الذي جعلته للمؤمنين عيداً وسروراً، ولأهل ملتك مجمعاً ومحتشداً من كل ذنب أذنبناه، أو سوء أسلفناه، أو خاطر شر

أضمرناه، توبة من لا ينطوي على رجوع إلى ذنب، ولا يعود بعدها في خطيئة، توبة نصوحاً خلصت من الشك والإرتياب، فتقبلها منا وارض عنا وثبتنا عليها.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد، والحمدلله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسُبحان الله بُكرةً وأصيلاً

تاسعاً:

الخطب المتعلقة بالعبادة والإخلاص

٣٨- حول الحكمة من بعض التشريعات والعبادات

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً، اَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بِجَميعِ مَحامِدِكَ كُلِّها، ما عَلِمْنا مِنْها وَما لَمْ نَعْلَمْ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يُوافِي نِعَمَكَ، وَيُوافِي مَزيدَ كَرَمِكَ، حَمْداً يَزيدُ عَلى حَمْدِ جَميعِ خَلْقِكَ، حَمْداً نَبْلُغُ بِهِ رِضاكَ، وَنُؤَدّي بِهِ شُكْرَكَ، وَنَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَزيدَ مِنْ عِنْدِكَ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله لِإِنْجازِ عِدَتِهِ، وَإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلَادُهُ، فَهَدَى الناسَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: فإن الله تعالى شرع شرائع الإسلام، وجعل في ذلك التشريع حكمة تعبدية يبتلي عباده بها في مدى امتثالهم لربهم، وجعلها أيضاً موافقة لمصالحهم الدينية والدنيوية، يكتسبون بسببها قوة وسلامة في أبدانهم، وصحة في أجسادهم، وبركة في أموالهم، وسلامة من كثير من بلاء الدنيا ومصيباتها، ويبين ذلك أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في قوله:

(إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ، أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ

الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ).

أيها المؤمنون: العبادات في الإسلام تنقسم إلى قسمين: عبادات تعبدية شعائرية، وعبادات تعاملية:

فالعبادات التعبدية الشعائرية: كالصلاة والصيام والحج والزكاة، وهي تعبدية، وتتعلق بها مصالح العباد، فالصلاة هي أساس الوازع الديني وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإذا أراد الإنسان أن يعرف مدى الوازع الديني لديه فليختبر نفسه في بعض تصرفاتها، كما روي أن رجلاً أراد أن يختبر راعياً أحيراً، فقال له: أيها الراعي بعني هذه الشاة، وخذ ثمنها، فقال الراعي: إنها ليست لي، فقال الرجل: قل لصاحبها ماتت، أو أكلها الذئب، فقال الراعي: والله إني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها، ولو قلت لصاحبها ماتت، أو أكلها الذئب لصدقني، فإني عنده صادق أمين، ولكن أين أفر من مراقبة الله؟.

فانظرواهذا الراعي وضع النقاط على الحروف وضع يده على جوهر الدين، فكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى به جهلاً أن يعصيه.

والعبادات التعاملية: هي الصدق والأمانة والتواضع والعفة والعدل والإنصاف والرحمة وإنجاز الوعد، والوفاء بالعهد والتعفف عن المال الحرام، كما روي أن جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه لما دخل على النجاشي ملك الحبشة، حين هاجر المسلمون إليها فسأله النجاشي عن الدين الذي جاء به نبي الإسلام فقال له: (أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الرحم، ونسيء الجوار، حتى بعث الله فينا رجلاً، نعرف صدقه وأمانته، وعفافه ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده ونوحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء)، فمن هذا الكلام يتضح لنا تعريف التعامل الديني وأن الإيمان هو الخُلُق، فمن زاد في الخلق، زاد في الإيمان.

فتشريعات الإسلام كلها عدل ورحمة ومصلحة للعباد وحكمة، فكل قضية خرجت من العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى القسوة، ومن المصلحة إلى المفسدة، ومن الحكمة إلى العبثية، فقد خالفت الشريعة ولو حاولت إدخالها إلى الشريعة بألف تأويل.

والحقيقة الهامة: هي أن العبادات الشعائرية لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية، لأن الإسلام علم وعمل، نظرية وتطبيق، عبادة ومعاملة، الإسلام كلٌ لا يتجزأ، فبعض أوامره عبادية وبعضها تعاملية، وإذا لم يصح تعاملك مع الخلق وفق منهج الله عز وجل لن تصح عبادتك.

فلا ينبغي للمسلم أن يختصر الإسلام في صوم وصلاة وحج وزكاة، مع أن بيعه وشراءه غير شرعي، أو أن يكون حسن التعامل مع الناس، كثير الإنبساط ولكنه يقصر في صلاته وزكاته وعبادته، فهذا مخالف لتعاليم الإسلام، فلا بد من جمع حلقات السلسلة الإسلامية كي تتصل ولا تنقطع، كي تتكامل ولا ينفصل بعضها من بعض.

الصلاة والصيام والحج والإنفاق لا تجدي ولا تنفع، إذا كان الإنسان متلبساً بالمعصية.

فقد سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه فقال: أتدرون مَن المفلس؟ قالوا: (من لا درهم ولا متاع)، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا، المفلس من أتى بصلاة وصيام وصدقة، وقد أكل مال هذا، وشتم هذا، وضرب هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته، طرحوا عليه سيئاتهم حتى يطرح في النار))، لأن الله تعالى أمرنا أن نؤدي عبادته وطاعته كما يريد، ولم يكل ذلك إلينا أو إلى إرادتنا، كما ورد في الحديث القدسي: ((يا ابن آدم كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك، أنت تريد وأنا أريد، فإن سلمت لي بما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد)).

ولكن ما السبب في ضعف العبادة التعاملية حتى ضعفت عندنا العبادات جميعاً؟

والجواب: هو أنها ضعفت عندنا المعرفة بالآمر والناهي، لأن أصل الدين معرفة الله،

فنحن إذا عرفنا الآمر، ثم عرفنا الأمر، تفانينا في طاعة الآمر، أما إذا عرفنا الأمر، ولم نعرف الآمر، فإننا نتفنن في التفلت من الأمر.

وطريقنا إلى معرفة الآمر: هي التفكر في آياته الدالة على عظمته، وما أكثر آيات الله التي تقودنا إلى تعظيمه وتقديره حق قدره، وما أكثر نعم الله علينا التي توجب علينا شكره طلباً لرضاه وزيادته، وتمنعنا من معصيته، أليس الأجدر بنا أن نطلب رضاه، وأن نرجو جنته، وتتقي ناره.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه، وغفر لنا ولكم سالف ذنوبنا فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد}، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، نحمده ونستعينه ونستهديه الهدى، ونعوذ بالله من الضلالة والردى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون: إن الله يعطي الصحة والمال، والذكاء والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه لا يعطي السكينة والطمأنينة والرضا إلا لأصفيائه المؤمنين.

في قلب الإنسان وحشة لا يؤنسها ولا يزيلها إلا الأنس بالله عز وجل، ماذا يفعل المال؟ وماذا يفعل الجاه؟ وماذا تفعل القوة؟ وماذا تفعل كثرة الأهل والولد؟ إن لم يأنس قلبك بذكر الله.

في قلب الإنسان شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، كل إنسان يشعر بالضياع ما لم يقبل على الله عز وجل، لو أن الدنيا بين يديك أيها الإنسان، لو بلغت أعلى درجات القوة، فإنك تشعر بالشعث بالضياع بالتفرق، ما لم يقبل على الله عز وجل.

في قلب الإنسان حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله، وفي قلب الإنسان قلق لا يسكنه إلا الاجتماع على طاعة الله والفرار إليه.

أليس القلق والتوتر من أمراض العصر الخطيرة؟ إذا أعرض الإنسان عن ربه عوقب بالقلق، عوقب بأن يتوقع حصول المجهول، ابتلي بتوقع الخطر، فيعيش في خوف وفي قلق متزايد، فأنت من خوف الفقر في فقر، أنت من خوف المرض في مرض، القلق يأكل القلوب، الخوف من المستقبل، الخوف من المجهول، الخوف من الخطر، وكل هذا بسبب أننا نسينا

الله، وكأن الله سبحانه وتعالى لا علاقة له بما يجري، أما لو فهمنا الأمور على حقيقتها، بحيث نكون ماثقين في الله، متوكلين على الله، محسنين تعاملنا مع الله، صادقين في عباداتنا ومعاملاتنا مع الله، فإنه حينئذ يسكن القلق، ويذهب الحزن، وتذهب الوحشة.

في قلب الإنسان نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمر الله ونهيه والصبر عليهما، والرضا بقضائه الله وقدره.

في قلب الإنسان فاقة وفقر، لا يسدها إلا محبة الله عز وجل وطاعته، ليس الفقير هو الذي لا يملك، لكن الفقير هو الذي يشعر أنه لا يملك ولو كان يملك أشياء كثيرة، وليس الغني هو من يملك وهو يشعر أنه لا يملك، ولكن الغني هو من يشعر أنه يملك الأشياء الكثيرة، بسبب رضاه وقناعته ولوكان لا يملك شيئاً،، في قلب الإنسان فاقة.

أليس الله تعالى يقول: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً}، ألم يقل الله عز وجل: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}

أليس الله يقول: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}، ألم يقل الله عز وجل: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}، اليس الله تعالى يقول: {فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، آيات كثيرة تطمئن المؤمن في حياته ومماته، في دنياه وآخرته، لا يضل عقله، ولا تشقى نفسه، ولا يندم على ما فات، ولا يخشى مما هو آت، ماذا بعد هذه الخصال والمميزات.

أيها المؤمنون: أما إذا أقبل الإنسان على الدنيا، وأعرض عن ذكر ربه، وامتلئ قلبه بالحسرات، وامتلئ قلبه بالهم، وشعر بالفقر، وأحس بالوحشة، وأحس بالضياع، كما هو الحاصل في الناس في هذه الأزمنة، فإن ما يحصل لهم هو عقوبة لهم على أفعالهم وسوء تعاملهم مع ربهم، والله تعالى يقول: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

عَلَيْهَا }، أقم وجهك، كن مع الله دائماً، كلما شعرت بالزيغ عد إليه، تب إليه، أنب إليه، إذا أقمت وجهك للدين ترتاح نفسك، يطمئن قلبك، تسكن جوارحك هذه فطرة الله هذه، طبيعة النفس لا ترتاح إلا بطاعة الله، لا تطمئن إلا بتطمين الله عز وجل، لا تشعر بالأمن إلا إذا آوت إليه، لا تشعر بالثقة إلا إذا اتكلت عليه، لا تشعر بالفرح إلا إذا أطاعته، ما منا من أحد إلا وهو يبحث عن السعادة، ويبحث عن السلامة، وسلامت الإنسان وسعادته في معرفة ربه وفي طاعته لربه، وفي الإقبال عليه، وفي التقرب إليه.

٣٩- العبادة وأقسامها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله خالق العباد، ساطح المهاد، مسيل النجاد، رافع السبع الشداد بغير عماد، مثبت الأرض بالأوتاد، المنعم بسوابغ النعم التي لا تحد بتعداد، الذي لا يعجزه كثرةُ الإنفاق، ولا يُمسك خشيةَ الإملاق، ولا يَنْقُصُهُ إدرارُ الأرزاق، ولا يُدرك بأُناسِيِّ الأحداق، أحمده على جزيل إحسانه، وتواتر امتنانه، وأعوذ به من حلول خذلانه، وأستهديه بنور برهانه، وأؤمن به حق إيمانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحت له السماواتُ وأكنافُها، والأرض وأطرافُها، والجبال وأعرافُها، أقرّ له بالعبودية كلُّ شيء خاشعاً، معترفاً طائعاً، مستجيباً لدعوته خاضعاً، متضرعاً لمشيئته متواضعاً، له الملك الذي لا نفاد لمدته، ولا انقضاء لعدته.

وأشهد أن محمداً عبده الكريم، ورسوله الطاهر المعصوم، بعثه والناس في غمرة الضلالة ساهون، وفي غِرة الجهالة لاهون، لا يقولون صدقاً، ولا يستعملون حقاً، فقام صلوات الله عليه وآله فيهم مُجِدّاً في إنذاره، مرشداً لأنواره، بعزم ثاقب، وحكم واجب، حتى تألق شهابُ الإيمان، وتفرق حزب الشيطان، وأعز اللهُ جنده، وعُبِدَ وحدَه، صلى الله عليه وعلى آله وأقربيه، وذوي رحمه ومواليه، صلاة جليلة جزيلة، موصولة مقبولة، لا انقطاع لمزيدها، ولا اتضاع لمِشِيدِها، ولا امتناع لصعودِها، تنتهي إلى مقر أرواحهم، ومقام فلاحهم.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**، ويقول تعالى **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}** وقال تعالى **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}** وما أرسل الله نبياً إلا أمر

قومه بعبادة الله تعالى، فعبادة الله هي الإمتثال لأوامر الله تعالى في الإتيان بالواجبات والفرائض والمداومة عليها، واجتناب المحرمات والمعاصي وتركها دائماً.

وقد حكى الله تعالى في القرآن الكريم حالات من العبادة التي يقوم بها ويفعلها أهلها على غير دوام وثبات، ويبنونها على أسس ضعيفة سرعان ما تتهشم وتنتهي:

فمنها: عبادة الخوف المؤقتة:

يقول الله تعالى **{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}**، وقال تعالى **{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}**، وقال تعالى **{وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ}** ففي هذه الآيات الكريمة يحكي الله تعالى عن أقوام أنهم إذا أصابهم شيء من الأهوال والأفزاع والمصائب اتجهوا إلى الله، وفزعوا إليه في أن يكشف عنهم ما حلّ بهم وأصابهم، ويقطعون على أنفسهم مواعيد التوبة النصوح، والرجوع الصحيح، ولكن سرعان ما يزول ذلك، وينتهي ما هنالك إذا أمنوا ونجوا، فيعودون إلى ما كانوا عليه من المعصية وترك الطاعة.

ومنها: العبادة المبنية على المصالح: قال تعالى **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ، يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ}**.

فهناك من يعبد على طرف وناحية لكن عبادته وطاعته إذا أصابه خير وعافية، لكن إذا ابتلي بأي ابتلاء، أو ناله أي مكروه أو ضرر، طلب لنفسه الرخص والمعاذير، وترك بالكلية، أو قصر

وأهمل، وفرط وضيع، فقد حكى الله عن أهل هذا القسم أنهم من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

وما أشبه أهل هذا النوع بما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: يكون في آخر الزمان قومٌ نبغ فيهم قومٌ مرآؤن فيتقرأون ويتنسكون، لا يوجبون أمراً بالمعروف، ولا نهياً عن المنكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون زلات العلماء وما لا يضرهم في نفسٍ ولا مالٍ، فلو أضرت الصلاة والصوم وسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها، وقد رفضوا أسنم الفرائض وأشرفها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فريضةً عظيمةً بها تقام الفرائض، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين، فريضةً بها تقام الفرائض وتحل المكاسب وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، فأنكروا المنكر بألسنتكم وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائمٍ.

ثم قال: وأوحى الله عز وجل إلى نبي [هو يوشع بن نونٍ عليه السلام] من أنبيائه (عليهم السلام) أني معذبٌ من قومك مائة ألفٍ، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ؟ قال: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي.

وهناك نوع آخر: غلبت عليهم الأهواء، وطغت عليهم الشهوات، لو صببت عليه القرآن من أوله إلى آخره لما أثر فيه، ولو وعظته بأبلغ المواعظ لما نفعت لديه، لأن هواه قد استحوذ عليه فصار إلهه، فهو يفرط ويقصر في عبادة الله، ويظن أنه بفعله يضر الناس، وهو في الواقع يضر نفسه، كما قال تعالى **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}**، وكما قال تعالى **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا، وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا}**، وكما قال تعالى **{فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**.

فعلينا بالعبادة الدائمة المتواصلة، في كل حال من الأحوال، لاسيما إذا كانت في وقت

ابتعاد الناس عن الله فأجرها عظيم، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((العبادة في الهرج كالهجرة معي)).

ولنحذر معصية الله تعالى فإنها سبب كل بلاء ومصيبة، ولنأخذ على أيدي العصاة، حتى لا يعمنا الله بعذاب من عنده بسبب المداهنة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((ما من رجلٍ يجاور قوماً فيَعمل بين ظهرانيهم بالمعاصي فلا يأخذوا على يده إلا أوشك أن يعمهم الله منه بعقابٍ)).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: إنما هلك من كان قبلكم بارتكابهم المعاصي، ثم لم ينههم الربانيون والأحبار، فلما فعلوا ذلك أنزلت بهم العقوبات، ألا فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدم أجلاً، ولا يدفع رزقًا.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله.

أما بعد أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}**، فالعبادة اسم جامع يشمل كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الإعتقادات والأقوال والأعمال، والعبادة معناها يرجع إلى الطاعة والإمتثال، فالذي لا يطيع سيده، ولا يمتثل أمر مولاه هو العبد المتمرد العاصي، فنحن لله عبيد وهو سيدنا ومولانا، ونحن له مملوكون وهو مالكنا، ونحن له مربوبون وهو ربنا، وهو المنعم علينا بالنعم التي لا تعد ولا تحصى.

فهو الآمرُ ونحن المأمورون، وهو الناهي ونحن المنهيون، وهو المتصرف فينا كيف شاء، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

والعبودية لله شرف كبير، وفخر عظيم، وصف الله بها ملائكته وأنبيائه وخاصته، كما قال تعالى **{لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ}**، وقال في ملائكته **{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ}**، وقال في أنبيائه **{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ}**، وقال تعالى في نبيه نوح عليه السلام **{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}**، وقال في نبيه سليمان عليه السلام **{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**، وقال في نبيه أيوب عليه السلام **{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**، وقال في جماعة من أنبيائه **{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}**، فيا له من شرف باذخ، وعز شامخ، أن يجعلك الله من عبيده، وأن يقبلك بينهم، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام (كفاني فخراً أن تكون لي رباً،

وكفاني عزاً أن أكونَ لك عبداً)، وقد تهدد الله تعالى وتوعد المتكبرين عن عبادته فقال **{وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلُيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا}**.

وقد ذكر الله تعالى عباده في القرآن الكريم على صفات متفاوتة، وتسميات مختلفة:

القسم الأول: المكلفون من خلقه، من الجن والإنس، سواء كانوا مطيعين أم عاصين، وهذه هي العبودية المطلقة التي لا يخرج منها أحد من المكلفين، كما قال تعالى **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ}**، وكما قال تعالى **{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ}**، وقال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ}**، فلم يخرج المسرفون، والضالون، ومن يعبدون غير الله من اسم العبودية، وقال تعالى **{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}**، وقال تعالى **{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ}**، وقال تعالى **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}**، فهذه الآيات وأمثالها المراد منها عموم المكلفين من الإنس والجن، وهم الذين أقسم عليهم الشيطان أن يضلهم كما قال تعالى **{ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا * لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً}**، وقد ذكر الله تعالى أن القليل من عباده هم الشاكرون، وأن أكثرهم كافرون فقال تعالى **{وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}**.

والقسم الثاني: المطيعون الذين عملوا بمقتضى العبودية، فأثنى الله عليهم بها، وأضافهم إليه، ونسبهم إلى نفسه، في آيات كثيرة، واختصهم بالإيمان، وامتثلوا أمره، وانتهوا عند نهيه، كما قوله تعالى **{قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِّن**

قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ}، ووعدهم الجنة فقال تعالى **{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا}**، ووعدهم أن يورثهم الأرض ليعمروها بالطاعات، ويطهروها من المحرمات، فقال تعالى **{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ، إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ}**، إلى غيرها من الآيات.

القسم الثالث: العبادُ المخلَصون، الذين هم بمزيد العناية مخصوصون، الذين أخلصهم الله لعبادته، واختصهم بطاعته، فهم من الشوائب سالمون، ومن المعاصي والأرجاس مطهرون، ومن الذنوب والخطايا مبرؤون، قد قطعوا من الدنيا علائقهم، وعلقوا بالآخرة مطامعهم، فهم من كيد الشيطان آمنون، فلم يجعل الله للشيطان عليهم سبيلاً، كما قال تعالى **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}**، واستثناهم الشيطان حين أقسم أن يغوي جميع العالمين، وأعلن عجزه عنهم كما حكى الله من قوله **{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**، وأعد الله لهم نعيماً كريماً فقال تعالى **{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ، أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ، فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ، يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ، بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ، لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ}**.

فانظر أيها المؤمن من أي أنواع العباد تريد أن تكون، فشمر في السعي، وجد واجتهد في العمل لتلحق بالعباد الصالحين، وتنجو من مزالق الآبقين، وتكون في الآخرة من الفائزين.

٤٠- خطبة أخرى حول العبادة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى، وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله أئمة الهدى.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}**، فالعبادة اسم جامع يشمل كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الإعتقادات والأقوال والأعمال، والعبادة معناها يرجع إلى الطاعة والإمتثال، فالذي لا يطيع سيده، ولا يمتثل أمر مولاه هو العبد المتمرد العاصي، فنحن لله عبيد وهو سيدنا ومولانا، ونحن له مملوكون وهو مالكنا، ونحن له مربوبون وهو ربنا، وهو المنعم علينا بالنعم التي لا تعد ولا تحصى.

فهو الآمرُ ونحن المأمورون، وهو الناهي ونحن المنهيون، وهو المتصرف فينا كيف شاء، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

والعبودية لله شرف كبير، وفخر عظيم، وصف الله بها ملائكته وأنبيائه وخاصته، كما قال تعالى **{لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ}**، وقال في ملائكته

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ}، وقال في أنبيائه **{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ}**، وقال تعالى في نبيه نوح عليه السلام **{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}**، وقال في نبيه سليمان عليه السلام **{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**، وقال في نبيه أيوب عليه **السلام** **{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}**، وقال في جماعة من أنبيائه **{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}**، فيا له من شرف باذخ، وعز شامخ، أن يجعلك الله من عبيده، وأن يقبلك بينهم، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام (كفاني فخراً أن تكون لي رباً، وكفاني عزاً أن أكونَ لك عبداً)، وقد تهدد الله تعالى وتوعد المتكبرين عن عبادته فقال **{وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا}**.

أيها المؤمنون: العبادة الحقيقة، الكاملة التامة، تشتمل وتحتوي على ثلاثة معانٍ:

الأول: معرفة الله تعالى معرفة خالصة، سليمة من الشوائب.

والثاني: معرفة ما يرضيه وما يسخطه من الأقوال والأعمال.

والثالث: اتباع ما يرضيه، واجتناب ما يسخطه.

فهذه معاني العبادة، فالصلاة والصيام والحج والزكاة من العبادة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العبادة، والجهاد في سبيل الله من العبادة، وطلب العلم والعملُ به من العبادة، وغيرها مما يرضي الله تعالى، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في بعض مواعظه: ((خلقنا ولم نك شيئاً، وأخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، فغذانا بلطفه، وأحيانا برزقه، وأطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، ووضع عنا الأقلام، وأزال عنا الآثام، فلم يكلفنا معرفة الحلال والحرام، حتى إذا أكمل لنا العقول، وسهل لنا السبيل، نصب لنا العَلَم والدليل، من سماء رفعها، وأرض وضعها، وشمس أطلعها، ورتوق فتقها، وعجائب خلقها، فعرفنا الخير من الشر، والنفع من الضر، والحسن من القبيح، والفاسد من الصحيح، والكذب من الصدق، والباطل من الحق، أرسل إلينا الرسل، وأنزل علينا الكتب، وبين لنا الحلال والحرام، والحدود والأحكام، فلما وصلت

دعوته إلينا، وقامت حجته علينا؛ أمرنا ونهانا، وأنذرنا وحذرنا، ووعدنا وأوعدنا، فجعل لأهل طاعته الثواب، وعلى أهل معصيته العقاب، جزاء وافق أعمالهم، ونكالاً بسوء فعالهم {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ})).

والعبادة لله تختلف بحسب معرفة العبد بربه، وبحسب الهدف والغاية التي يريدها من العبادة:

فالعارف بالله معرفة قوية، الذي امتلأ قلبه حباً لله وتعظيماً، يعبد الله لأنه عرف وعلم وتيقن أن الله تعالى أهلٌ للعبادة، وعرف نعم الله عليه وأنه يجب عليه أن يشكرها، وأنه لا تمام للشكر إلا بالعبادة، فهو يعبد الله تعالى شكراً على النعم، وهذه أعلى درجات العبادة، التي قال الله تعالى {اعملوا آل داوود شكراً}، وكما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن كثرة عبادته لربه، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال صلوات الله عليه وآله ((أفلا أكون عبداً شكوراً))، وكما يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في مناجاته لربه ((ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن عرفتك أهلاً للعبادة فعبدتك))، وهذه درجة قد لا يصل إليها في هذا الزمان أحد إلا خلاصة الخلاصة، وهي عبادة الأحرار، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ((إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ)).

والذي يخاف من النار، ويطمع في الجنة، يعبد الله تعالى توصلاً بعبادته إلى الثواب، وهرباً من العقاب، وهذه هي الدرجة الثانية من العبادة التي يكون صاحبُها ناجياً، وعند الله فائزاً رابحاً، وهي عبادة العبيد: لأن العبد يمتثل أمر سيده خوفاً من عقابه، أو عبادة التجار الذين يطلبون المزيد من الأرباح في تجارتهم مع الله، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ((إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَإِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ)).

والعبادة المردودة، هي التي يوجهها صاحبها إلى غير الله، بأن يقصد بها الرياء والسمعة، أو لينال بها شيئاً من عرض الدنيا الزائل، وهذه عبادة الهالكين، عصمنا الله وإياكم منها، وجعلنا من المخلصين لله تعالى في كل حال من أحوالنا.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَاخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في وحدانيته وإلاهيته وعبادته.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللَّهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

عندنا فهم قاصر حول حقيقة الإسلام، لأننا نشأنا في جهل، وإذا جاء أحد ليبين لنا حقيقة الدين والإسلام استنكرنا ذلك منه أشد الإستنكار، لأن من جهل شيئاً عابه، فقد تعودنا على أن سوء أعمالنا هي الدين والإسلام، والجهل من أعظم الذنوب وأخطرها، قال الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام مبيناً أهمية العلم، الذي يبتني عليه معرفة الدين والإسلام:

العبادة بالعلم، أفضل منها بالعمل، وفي العلم من الهدى والضلال، مثل الذي منهما في الأعمال، فلما كان العلم بأحكام الله، مما يكون هدى عند الله، والجهل بأحكام الله مما يكون ضلالاً عند الله، تُرِكَ المكلفون من العباد، بعد أن نزل عليهم من الله ما نزل في ذلك من الرشاد، ليهتدوا فيها ويجهلوا، كما تُرِكوا في الأعمال ليعملوا أولا يعملوا، لكي يهتدوا فيها أو يضلوا، فأهدى الهدى فيها العلم، وأضلُّ الضلال الجهل، وهو لكل واحد منهما فيها كسب، وعمل يثاب على أيهما اكتسب أو يعاقب، ثوابه أو عقابه على غيره من أعماله، ويجزى فيه على ما صار فيما بينه وبين الله من هداه أو ضلاله.

والعلم منهما ففرض قدَّمه الله قبل فرض الأعمال، وبه وبما فرض الله منه ما أبان الله به عند المؤمنين فرق بين الحرام والحلال.

ثم قال الإمام ترجمان الدين، نجم آل الرسول، القاسم بن إبراهيم عليه السلام مبيناً

حقيقة الإسلام، ومن الذي يستحق أن يسمى من أهل الإسلام:

ما أعز الإسلام ولا أكرمه، ولا وقّره فيما وقَّره الله به ولا عظمه، مَن توهم أهل هذا الدهر من أهله؛ لأن الإسلام هو دين ملائكة الله ورسله، فمن زعم أن أهل هذا الدهر ممن يستحق اسمه، فقد أوجب لهم إخاءه وولآءه وحكمه.

فزعم أنهم مع ما هم من حالهم، وما هم عليه من سوء أفعالهم، إخوة الملائكة المقربين، وأولياء الأنبياء المرسلين، والله سبحانه يقول: {إنما المؤمنون إخوة}، فآخا منهم بين من في السماء والأرض، وقال: {المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعضٍ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم}، فوصف المؤمنين بصفة، فيها لمن أراد معرفتهم أعرف المعرفة.

فكيف يأمر بالمعروف من يميل عليه، وينهى عن المنكر من يدعو إليه، ومن هو مقيم ليله ونهاره فيه ؟!

وكيف يقيم الصلاة بحدودها ؟ في قيامها وركوعها وسجودها ؟ من شُغله بأصغر دنياه أشغل له منها! ومن هو بأقل هواه معرض به عنها!

وكيف يؤتي الزكاةَ – مَن جعلها الله له – مَن يغتصب كل مسكين نفسه وماله.

وكيف يطيع من هو مخالف، إلا في أقل القليل لله لا كيف، إلا عند عميٍّ جاهل، لا يفرق بين حق وباطل. والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وعترته الطاهرين وسلامه.

الأعمال على خواتمها، فمن وافق موتُهُ عملاً صالحاً فقد فاز وظفر بالخير، ومن وافق موته عملاً سيئاً كان من المعاقَبين النادمين الخاسرين؛ وعلى هذا لو أن عبداً كان على طريقة النجاة مُطيعاً لربّه ثمّ اعتمد معصية الله ومات عليها أنه قد أبطل عمل نفسه، وأحبط حسناته، وكان كمن لم يُطع الله، وكان من أهل النار، ولو أن عبداً كان عاصياً لربّه مُضيعاً للواجبات فاعلاً للمحرّمات ثم تاب من ظُلمه وأناب ثم مات على ذلك، كان عند الله من التائبين، وكان من الناجين الفائزين.

٤١- في معنى الإخلاص

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الآلاء الغامرة، والنعم المتواترة، والمنن الباطنة والظاهرة، حمداً يرضى به عنا في الدنيا والآخرة، اللهم لك إنا نحمدك على كل نعمة، ونشكرك على كل حسنة، ونستغفرك من كل ذنب، ونتوب إليك من كل خطيئة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها يوم القيامة، وتنجيه من أهوال الطامة.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، ونبيُّهُ ونجيُّهُ وصفيُّهُ وخليلُهُ، بلغ الرسالة، وأوضح الدلالة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}**، ويقول تعالى **{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**، ويقول الله تعالى **{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}**، فالله تعالى يأمرنا بالإخلاص في عباداتنا وأدعيتنا، في صلاتنا وزكاتنا، لأن الإخلاص من العمل بمنزلة الروح من الجسد، فكما أنه لا نفاعة في الجسد بلا روح، ولا قوام له إلا بالروح، فكذلك لا ينفع العمل من غير إخلاص.

الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته كلها لله، الإخلاص صدق النية من الله تعالى، الإخلاص نسيان رؤية الخلق والنظر إلى صدق معاملة الخالق، الإخلاص أن يعمل العبد لله لا يحب أن يُحمد عليه، الإخلاص دوام المراقبة، ونسيان الحظوظ كلها، الإخلاص معناه: ما روي عن صاحب الشريعة صلوات الله عليه وعلى آله، الذي هو معلمُ الخير، والمحيطُ بالأسرار الدينية، والمستولي على معرفة الحقائق الإلهية، لما سُئل عن الإخلاص، فقال: ((أن تستقيمَ كما أُمرت))، فقد أشار في هذه المقالة إلى أن الأصل في

الإخلاص هو إحرازُ التوحيد، والإستقامةُ على الأمر، وهو الأصل في إخلاص العمل عن كل ما يشوبهمن المحبطات، والإخلاص ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: إخلاص التوحيد لله تعالى، بإخلاص الإعتقاد، والثاني: إخلاص العمل، وهو إخلاص الإرادة.

أما إخلاص التوحيد: فهو أن لا تكون واثقاً إلا بالله، ولا راجياً إلا لله، ولا راجعاً من المهمات إلا إليه تعالى، ولا مرتكناً في الأمور إلا عليه سبحانه وتعالى، تؤثر خوفه على خوف غيره، ورضاه على رضا غيره، وترضى بقضائه، وتصبر على بلائه، وتنقاد لأمره، وأن تُحضر في قلبك أن الله تبارك وتعالى هو النافع والضار، والمعطي والمانع، والرافع والواضع، ولا أحد من خلقه شاركه في ذلك، قال تعالى **{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلْنَاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ}**، وقال تعالى **{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوْ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ}**، وقال تعالى **{ إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ}**، وقال تعالى **{مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا}**، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله هو المنفرد بالإعطاء والمنع والدفع والوضع والنفع والضر.

كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يمنعوك شيئاً أراد الله أن يصيبك به، لم يقدروا على ذلك))، فإذا استحضر المؤمن في قلبه ذلك دعاه ذلك إلى الإنقطاع إلى الله تعالى وتركِ كل ما سواه، فحينئذ تكون واثقاً بالله دون غيره من جميع الأشياء، فلا تثق بمالك ولا بولدك ولا بأهلك ولا بقوتك ولا بتدبيرك وفطنتك وحذقك وحيلتك وكدك وطلبك ولا بشيء من الأسباب التي يُتوصل بها إلى المنافع ودفعِ المضار، فإنما الأسباب بيد الله سبحانه والأمر كله لله عليه توكلت وإليه أنيب، فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبَّب، وإنما ذلك بمشيئة الله وإرادته.

ومن إخلاص التوحيد: أن لا تثق بنفسك ولا بغيرك طرفة عين، في أمور دينك ودنياك،

بل تكون واثقاً بالله تعالى مفوضاً أمرك إليه، متوكلاً في جميع الأحوال عليه، راجياً له تعالى ولخيره وفضله ورَوحه ورحمته وفرجه، فلا تطلب ذلك من غيره، ولا ترجع عند المهمات إلا إليه، ولا تَشْكِ المصيباتِ إلا إليه، ولا ترج الفرج إلا من عنده لا من عند المخلوقين والأصدقاء والأوداء، ولا ترجع عند الكرب والمصيبات إلى الأسباب، ولا تعتمد على ما أولاك الله تعالى من مال أو ولد أو قرابة أو قوة أو غير ذلك، بل يكون رجاؤك الله تعالى ورجوعك إليه، وفزعك إلى روحه ورحمته، وكذلك لا تؤثر خوف المخلوقين على خوفه، ولا رضاهم على رضاه، بل تتبع رضا الله تعالى وتنقاد لأمره، ولا تبالي بملامة اللائمين، ولا بسخط الساخطين، مهما أرضيت رب العالمين، وقمت بما يجب عليك من حقه العظيم.

فالإخلاص في التوحيد لا يتم إلا بالإنقطاع إلى الله تعالى عن كل ما سواه، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال((لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطيه، وما أخطاه لم يكن ليصيبه))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لابن عباس ((واعلم أن القلم قد جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، فلو أن الخلائق كلهم اجتمعوا على أن يضروك أو ينفعوك بأمر لم يقضه الله تعالى لم يقدروا، فاعمل لله بالرضا في اليقين، فإن لم تستطع فعليك بالصبر على ما تكره فإن فيه خيراً كثيراً))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يمنعن أحدَكم مهابةُ الناس أن يقومَ بالحقِّ إذا علمه)). وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تُرْضِيَنَّ أحداً بسخط الله، ولا تَحْمَدَنَّ أحداً على فضل الله، ولا تَذُمَّنَّ أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن رزق الله تعالى لا يسوقه إليك حرصُ حريص، ولا يصرفُه عنك كراهةُ كاره)).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من أحب أن يكون أقوى الناس فليكن بما في يد الله تعالى أوثقَ منه بما في يده))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من خاف الله، خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله تعالى خوفه الله تعالى من كل شيء))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((إن المؤمن يعطيه المنة والمحنة والمهابة في قلوب المؤمنين فيخافونه بقدر مخافته من الله تعالى))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من آثر محبة الله على محبة الناس كفاه الله تعالى مؤنة الناس))،

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من التمس رضى اللهِ تعالى بسخطِ الناس رضيَ اللهُ عنه وأرضى عنه الناسَ، ومن التمس رضا الناسِ بسخطِ الله تعالى سَخِطَ اللهُ عليه وأسخطَ عليه الناسَ))، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى ((ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات والأرض دونه، فإن سألني لم أُعطه، وإن دعاني لم أُجبه، وما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي إلا ضمنت السماوات والأرض برزقه، فإن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته، وإن استغفرني غفرت له))، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذا أراد أحدكم أنه لا يسال ربه شيئاً إلا أعطاه، فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاءً إلا عند الله تعالى، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تعادِيَنَّ أحداً حتى تنظر صنيعَه فيما بينه وبين ربه، فإن كان حسن الصنع فإن الله تعالى لا يُسلِمُه إليك بعداوتهِ إياكَ، وإن كان سيءَ الصنعِ فإن خطاياه تكفيه)).

فهذا هو إخلاص التوحيد لله تعالى، فإذا امتلأ قلبُ المؤمن بهذه الأمور كان ناجياً، وعند الله فائزاً، وللرضوان حائزاً، وما أحوجنا إلى هذه الأمور والمعاني في هذا الزمان الذي أصبحت ثقةُ الناس فيه بغير الله تعالى، بل يعتمدون على أهل الوجاهات وأهل الدنيا وأصحاب القوة والغلبة، وأرباب الأموال، وينسون الله تعالى الذي بيده مقادير كل شيء وهو على كل شيء قدير، ولا يعجزه شيء، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ولما ترك الناس الإنقطاع إلى الله تعالى وَكَلَهُم إلى أنفسهم، فساءت أحوالهم، ومعاملاتهم، وفسدت معائشهم، وكثرت همومهم، وقلت طاعاتهم، وأصبح اهتمامهم بالدنيا وجمعها، ونسوا الآخرة والعمل لها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، بسم الله الرحمن الرحيم **{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}**.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد أيها المؤمنون:

وأما القسم الثاني من الإخلاص فهو الإخلاص في الأعمال:

والإخلاص في العمل يتبع الإخلاص في التوحيد، فمن أخلص في التوحيد سَهُل عليه الإخلاص في العمل، وذلك لأن الإنسان إذا اعتقد أنه لا نافعَ ولا ضارَ، ولا رافعَ ولا واضعَ، إلا اللهُ تبارك وتعالى، انقطع طمعه عن المخلوقين، ولم يلتفت إلى ارتفاع منزلته عندهم ولا سقوطها بينهم، إذ هم لا يرفعون ولا يضعون، ولا ينفعون ولا يضرون، فليس للإنسان أن يلتفت إلى مدح الناس وذمهم، وتعظيمهم وتحقيرهم، وإكرامهم وإهانتهم، مهما كان الأمر لله تعالى والأمور كلها بيد الله لا شريك له في ذلك، فإن الإنسان لا ترتفع منزلته عند الناس إلا بما يرجوا من نفعهم، وما يخافه من مضرتهم، وإذا علم الإنسانُ أنّ الله هو النافعُ والضار، وأنه إن شاء جلب لك النفع من جهة الناس، وجعل لك منزلة في قلوبهم، ودفع عنك مضرتهم وذمهم، وإن شاء فعل لك غير ذلك فعند ذلك ينقطع الإنسان عن مراقبة الناس ولا يلتفت إليهم.

فالإخلاص في العمل: هو أن تقصد وتريد بأعمال الطاعات التي تقوم بها وجه الله ورضاه، ولا تنظر إلى الناس ولا تبالي بهم مهما كان عملك موافقاً لما يرضي الله تعالى.

وأن يكون عملك نقياً صافياً خالصاً من الشوائب والمحبطات التي تشوب الطاعات، فتكون بعيداً عن الرياء والسمعة والكبر والعجب، ومحبة المدح والثناء.

وأن لا تعمل عملاً أو تفعل فعلاً تطلب به رضاء الناس عليك، وأن لاتترك عملاً أو فعلاً خشية أن يغضب الناس عليك، فالناس ليس لهم شأن فيما بينك وبين الله من العبادات والمعاملات، فاعمل عملاً خالصاً تلقَ ثواباً وأجراً دائماً.

ومن أعظم ما يعيق الإنسان عن الإخلاص هو حب الدنيا وطول الأمل.

لأن من أحب الدنيا اشتغل بها عن الأعمال الصالحة، وألهته عن الطاعات، وكانت أعماله تبعاً لشهواته، ومطابقة لرغباته، فلا يقوم بالفريضة والواجب إلا إذا كان القيامُ بها موافقاً لشهوته، أما إذا كانت خلاف ذلك فهو يرجح الشهوة على الطاعة، يترك العبادة في مقابل أن ينام، يترك الصلاة خوفاً من البرد أو من الحر.

فالإنسان إذا كان محباً للدنيا فحبه للدنيا يجذب نيَّته وإرادته وهمته إلى الدنيا وعزها وشرفها وعلوها، وارتفاع المنزلة عند أهلها، ويمنعه ذلك من الإخلاص، ويجره إلى الرياء، وإلى حب المدح، وخوف الذم، وسقوط المنزلة، ومهما كان معرضاً عن الدنيا عظيم الرغبة في الآخرة وثوابها ونعيمها، خائفاً من عملها، كان همه وإرادته ونيته في الآخرة، ولم يكن له همٌّ سوى الآخرة والعمل لها، فيجذبه ذلك إلى الإخلاص في العمل لله تبارك وتعالى، لأن أصل الإخلاص هو الباعث والمحرك على العمل.

وطول الأمل يجعل الإنسان مؤملاً أن يطول عمره، فهو ينسى الموت، ونسيانه للموت يجعله يهمل الطاعات، ويبتعد عنها، ولا يهتم بها لأنه يؤمل أنه سيعيش مدة طويلة حتى يحسن العمل، وسببُ طولِ الأملِ هو الغفلةُ عن الموت، فإذا غفلَ الإنسانُ عن الموت طال أملُه، وإذا طال أملُه أحبَّ الدنيا وزينتها وشرفها وشهواتها، فيجذبه ذلك إلى الرياء والعمل لها.

والطريق إلى الإخلاص في العمل هو: ذكر الموت، بأن يكثر العبد ذِكرَ أشكالِه وأقرانه الذين مضوا قبله، فيذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محى الترابُ محاسنَ صُوَرِهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم، وكيف أرملوا نسائهم، وأيتموا أولادهم، وضيعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدُهم ومجالسُهم، وانقطعت آثارُهم، ويتذكر أيضاً حال كل واحد منهم قبل موته، وكيف كان نشاطه في طلبِ الدنيا وتردده فيها، وكيف كان أملُه للعيش واشتياقُه إليه، ونسيانُه للموت وانخداعُه بالأسباب، وركونُه إلى القوة والشباب، وميلُه إلى الضحك واللهو،

وغفلتُه عما يُراد منه من الموت الذريعِ المريع، والهلاكِ السريع.

ويتذكر الإنسان ما يؤولُ إليه بعد الموت، كيف تهدمت رجلاه ومفاصلُه بعد طولِ مشيه بهما، وتردده في حوائج الدنيا، وكيف أكل الدودُ لسانه بعد كثرة نطقهِ به وفصاحته وضحكه.

ويتذكر كيف يقطع الموت أمَلَه، فبينما هو يدبر لنفسه ما يحتاج إليه مدة عشرين سنة أو أكثر أو أقل في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهراً واحداً أو أكثر أو أقل من ذلك، وهو غافل عما يُراد به، فيقطعه الموت عن ذلك كله.

فهذه الأمور هي التي تُحدِثُ ذكرَ الموت في القلب حتى يغلبَ عليه، بحيث يصير الموتُ نصبَ عينيه، فعند ذلك يستعد له ويخلو عن دار الغرور، ومهما طلبَ قلبُه شيئاً من الدنيا فعليه أن يذكر أنه لا بد من مفارقته، وأن يتصورَ أحوال نفسه عند الغرغرة، والنزاع عند مفارقة الروح للجسد، وكيف يبدو بين أهله طريحاً ذليلاً، وكيف أحوالُ أهلِه وأيتامِه، كيف يبكون عليه ويندبونه، وكيف يأخذون عليه ثياب الدنيا، وكيف يطرحونه على المغتسل، وكيف يلفونه في الكفن وينزلونه في القبر، وكيف يَبلى هناك، وكيف تنبعث الدواب من الديدان والحيات في لحمه وجلده، ويتذكر أيضاً ما يرد عليه حال الموت من البشارة بجنة أو نار، ويتفكر كيف تهجم عليه شقاوة أو سعادة، وأن الموت آخر ما هو فيه من أحوال الدنيا، فإن كان إلى خير فلا يضره ما ناله في الدنيا من الشر، وإن كان إلى شر فلا ينفعه ما نال من الدنيا من خير، فإذا تفكر في هذه الأمور والأحوال هانت عليه الدنيا ومصائبها ولذاتها وخيرها وشرها، ووقع في قلبه الخوف والحزن، واهتم لأمر الآخرة، واستعد للموت، وتأهب لنزوله.

٤٢- حول حقيقة محبة الله

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلَ حبَّه أشرفَ المكاسِب، وأعظمَ المواهِب، أحمده وأشكرُه على نعمة المطاعِم والمشارِب، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزَّه عن النقائِص والمعايِب، الذي خلقَ الإنسانَ من ماءٍ دافِقٍ يخرجُ من بين الصُّلب والترائِب.

وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه الداعِي إلى أشرف الفضائل والمناقب، المنزه عن الشوائب، والمطهر عن المثالِب، صلَّى الله عليه وعلى آله وعترته الأطايب.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن الحب والبغض من صفات الإنسان، ومن طبيعة الحياة البشرية، فلا يخلو كل إنسان من حب وبغض، وغالباً ما يكون الحب والبغض مبنياً على المنفعة والمضرة، فالجهة التي تأتي الإنسان منها المنفعة، وتجلب له المصلحة، وتوافق هواه وشهوته تراه يتجه إليها حبه وتعظيمه، والجهة التي تأتي الإنسان منها المضرة، أو تجلب له المفسدة، أو تخالف هواه وشهوته تراه يتجه إليها بغضه وكراهته، ولهذا يقال (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها).

فالحب والبغض طبيعة جبلية بشرية، متأصلة في كل إنسان، ويبتني عليها الكثير من المعاملات والحقوق، وتكون الأقوال والأفعال تابعة لهما.

فإذا وجد الحب صدر عنه الائتلاف والمودة، والتعاون والرحمة، فتسعد الجماعات والأمم والأفراد، وإذا وجد البغض صدر عنه القطيعة والهجران والتفرقة والاختلاف والخذلان والقسوة والشدة، فتتفرق الجماعة وتفسد الأمم.

وقد يكون الهوى هو الذي يسير الإنسان في حب الناس وبغضهم، ويجعله يحكم تبع

أغراضه في الرضا عنهم أو كرههم، ولا يوجه حبه وبغضه إلى طريق الحق والدين والعقل.

ولكن الله تعالى جعل في الإسلام ميزاناً ومعياراً لمقياس الحب والبغض، ووضع حدوداً للرضا والسخط، حتى ترعى الحقوق ولا تضيع، فبدلاً من أن يكون الحب أو البغض سلاحاً من أسلحة الشر تحكمه الأهواء والشهوات، لابد أن يكون الحب والبغض من أسلحة الحق والعدل التي يحكمها الآيات البينات.

فالميزان الحق في ذلك أن يكون الحب والبغض لله، ومن أجل الله، فأنت تحب لله وتبغض في الله، تحب المؤمنين الصالحين، وتبغض الكافرين المفسدين، تحب أولياء الله، وتبغض أعداء الله، تحب من أحب الله ولو خالف آراءك وهواك، وتبغض من يبغضه الله ولو وافقك أحياناً، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان ولو كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عادة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً).

وأعظم المحبة وأنفعها، هي محبة العبد لربه، ومحبة الله لعبده، فمن خلالها يبتني الحب الصحيح، فلا يمكن أن يبتدئ الحب السليم إلا من خلال حبنا لله تعالى، فحبُّ الله يجب أن يكون هو الأساس عند العبد، لأن أول مقياس في حياة الإنسان هو علاقته بربه، ومن ثَمّ تبتني عليها علاقته مع الناس.

أيها المؤمنون:

نحن نفتقد في حياتنا هذه، وفي معاملاتنا معنى محبة الله تعالى، بل تكاد تكون قلوبنا خالية عن ذلك، ولهذا نرى من أنفسنا، ونلاحظ من أحوالنا أننا نفقد حلاوة معنى محبة الله، ويتجسد ذلك في عباداتنا ومعاملاتنا التي نقوم بها، فإننا نرى أن أكثر العبادات

والطاعات لم نعد نقوم بها لأنها عبادة، بل قد تحولت إلى عادة.

فقد أصبحنا ندخل المساجد، ونكبر وراء الإمام، ونقوم بأداء الركعات، ثم نسلم ونحن لم نفقه من أمر الصلاة شيئاً.

وإذا جاء شهر الصيام تناول الواحد منا السحور للصيام في النهار، ثم إذا دخل الليل نفطر، وهكذا يمر شهر رمضان ولم نستفد من الصيام شيئاً.

والسبب في ذلك: هو أننا نتمسك ونلتزم بالعبادات على غير أساس صحيح؛ نتمسك بها تقليداً لا محبة لله عز وجل، فنحن نرى مَن حولنا يصلون فنصلي، ويصومون فنصوم، ويفعلون فنفعل، ويتركون فنترك، كل ذلك تقليداً تقليداً لا حباً في الله عز وجل، فبَعد فترة من الزمن ينتكس من هذه حاله وينقلب على عقبيه.

فلا بد من أن نصحح الإلتزام بقوانين الإسلام، ونصحح طريق السير إلى الله تعالى، من خلال محبتنا لله تعالى.

فالمحبة: هي رُوح الإيمان والأعمال، فإذا خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، لأن العبادة التي ليس فيها محبة، كالجسد الذي لا روح فيه، تدخل وتخرج من العبادة بدون أي تأثير.

المحبة: هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علَمها شَمَّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروَّح العابدون فهي قوت القلوب، محبة الله هي الوقود والدافع للأعمال، وهي غذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي مَن حُرِمَها فهو في جملة الأموات، والنور الذي مَن فَقَدَه فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي مَن عَدِمه حلت به أنواع الأسقام، واللذة التي مَن لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائماً إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب، هي المنزلة التي ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة.

أيها المؤمنون:

لقد وصف الله تعالى المؤمنين بشدة حبهم له فقال تعالى **{وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ**

دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}، لأن حب يورث القلب حلاوة الإيمان فيتلذذ العبد بطاعة الله وذكره، وعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أنه قَالَ: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))، فكلما زادت المحبة لله في قلبك زاد تلذذك بطاعته وعبادته.

والقلب الذي خلا من حب الله أو ضعفت فيه تلك المحبة يرى بأن طاعة الله وعبادته ثقيلة عليه فهو ينتظر بفارغ الصبر متى تنتهي صلاة الجماعة، لثقل الصلاة على قلبه، بل يحاول الفرار من الجماعة لثقلها على جسده وقلبه، كم من هذا الصنف يرى أن صلاة الجماعة أثقل عليه من نقل الجبال والعياذ بالله، وبقدر ما يعظم حب الدنيا في القلب يكون على حساب نقصان حب الله، إذ لا يجتمع حب الله وحب الدنيا في قلب، كما قال القائل:

وحُبَّان في قلبي مُحالٌ كلاهما ... محبة فردوسٍ ودارُ غرور
ومن يرجُ مولاه ويرجوا جوَارهُ ... يسابق في الخيرات غير فتورِ
وهل صادقٌ من يدعي حب ربه ... وأمسى عن اللذات غير صبور

إن محبة الله يعطيها الله للذين يحبهم، فما من محب لله إلا والله يحبه، كما أخبر بذلك في كتابه حيث قال: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}**.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يمحض رجلٌ الإيمانَ حتّى يكون اللهُ أحبّ إليه من نفسه وأبيه وأمّه ووُلده وأهله وماله ومن النّاس كلّهم)).

وكلّما ازداد الإنسان حبّاً لله، ازداد منزلةً منه وموقعاً عنده، ولهذا روي عن جعفر الصّادق أنه قال ((من أراد أن يعرف كيف منزلته عند الله، فليعرف كيف منزلة الله عنده، فإنّ الله يُنزل العبد مثل ما ينزل العبدُ اللهَ من نفسه)).

أيها المؤمنون:

إن محبة الله ليست مجرد دعوى بلا دليل، فلها علامات ودلالات تدل عليها:

فمن علاماتها: اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والإهتداء بهديه، كما قال تعالى **{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}**، فلا يمكن لإنسانٍ أن يدعي حبّ الله وهو لا يلتزم بما جاء به رسوله صلى الله عليه وآله، فليس حبّ الله مجرد مشاعر تستولي على كيان الإنسان، من دون أن يكون لهذا الحبّ ترجمةٌ على الأرض بالأفعال، فالحبّ الذي يبقى في المشاعر والعواطف ولا يتحرّك في ساحة الحياة، ليس حباً حقيقياً، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))، فمحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تابعة لمحبة الله.

فلا تتم المحبة إلا بطاعة الله ورسوله، لأن الطاعة دليل على المحبة، فالعاصي ليس محباً:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا مُحالٌ في الفِعَالِ بديعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحبَّ لمن أحب مطيعُ

ومن علامات محبة العبد لربه: الإكثار من الحمد له تعالى والثناء على نعمه، والإستمرار والمداومة على ذكره، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره، ولهج به، ولايزال يترنم بالثناء والمدح له:

إن المليك قد اصطفا خُدّاماً ... مُتوددين مُوطئين كراما

رُزِقوا المحبة والخشوعَ لربهم ... فترى دموعهم تَسِحُّ سِجاما

يحيون ليلهم بطولِ صلاتهم ... لايسأمون إذا الأنام نياما

قومٌ إذا رقد العيون رأيتهم ... صَفُّوا لشدةِ خوفه أقداماً

وتخالهم موتى لطول سجودهم ... يخشون من نارِ الإله غراما

شُغفوا بحب الله طول حياتهم ... فتجنبوا لوداده آثاما

ولهذا فإن الله تعالى أمر المؤمنين بذكره حتى في حال لقاء العدو، في حال الخوف التي

ينسى الإنسان معها كل شيء، ويكون أكبر همه هو الهرب الذي يقي به نفسه من الهلاك، ففي تلك الحال الصعبة لن تذكر إلا من تحب، فإذا كانت محبة الله متأسسة في النفس، ومغروسة في القلب، فلن ينسى العبدُ ربه.

والذي يجعل العبد بهذه المكانة والمنزلة هو تفكره في نعم الله عليه، لأن النفس تحب من أحسن إليها، فإذا نظرنا في إحسان الله إلينا، فكم سنحصي من النعم، وكم سنعد من الإحسان، فإذا تيقن الإنسان أن النعم التي في يده حاصلة من جهة الله تعالى فإنه سيحب الله، ولكن المشكلة التي نعاني منها، هي أننا نجعل ما يحصل لنا من الأرزاق بقوتنا وحيلتنا وكدنا وتعبنا، فأدى ذلك إلى أن نجهل نعم الله علينا، وأن نؤثر دنيانا وأموالنا على طاعة الله ورضوانه، فهذه الحالة الخطيرة التي وصلنا إليها هي السبب في فقداننا لمحبة الله، بل أصبحنا نحب أنفسنا ونوفر لها وسائل الراحة في مقابل أن لا نتعبها في الطاعة.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده على فضله وإحسانه، أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فقامت به الحجة، وتمت به النعمة، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى **{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}**، في هذه الآية الكريمة يتهدد الله تعالى ويتوعد من قدم محبة ثمانية أشياء على ثلاثة أشياء، من قدم وآثر الأباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والتجارات، على محبة الله ورسوله والجهاد في سبيل دينه وشريعته.

إن من أحب الله تعالى محبة صادقة صحيحة، جعل الله جزآءه وثمرة محبته لله أن يحبه الله، ويا له من جزاء ما أعظمه وما أكرمه، ويا لها من مرتبة ما أجلها وما أرفعها، وهي الوصول إلى محبة الله تعالى لك، فإن من أحبه الله، فقد رضي عنه، من أحبه الله غفر له، من أحبه الله أعانه، من أحبه الله دافع عنه، من أحبه الله يسر أموره، من أحبه الله أزال عسره، وكم وكم من فرائد في محبة الله لنا.

لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الحديث القدسي عن ربه عز وجل: (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ

الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)) الله أكبر ما أعظمها من ثمرة فأين الراغبون؟.

إذا أحب الله عبداً وقاه من فتن الدنيا وضلالاتها وزبرجها وزخرفها، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : (إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدُكم يحمي سقيمه الماء)، وحماية الله له: هي منعه من الفتن وسلامة مخرجه منها، كما أن الإنسان يحمي المريض من تناول الماء وغيره إذا منعه الأطباء من ذلك، لأنه يضر به.

وإذا أحب الله العبد ابتلاه، زيادة في رفع درجته، فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السُّخْط).

وهذا الابتلاء يكون على قدر الإيمان، فلما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أيُّ الناس أشد بلاءً)؟ قال: ((الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يبتلَى الرجل على قدر دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وليس عليه خطيئة))، ومن فوائد الإبتلاء أن الله يوصله بذلك البلاء إلى درجة عالية في الجنة لم يكن قد وصلها بعمله، فيبتليه الله ليصل إلى تلك الدرجة والمنزلة.

وإذا أحب الله عبداً ألقى محبت في قلوب المؤمنين من أهل السموات والأرضين، كما روي عن لنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضَع له القبول في الأرض) وتجد كل الناس يحبونه؛ لأن الله قد أحبه، وأحبته الملائكة قبل أن يحبه أهل الأرض، فيحبه الجميع، أهل السماوات وأهل الأرض.

وكما ورد عن النبي صل الله عليه وآله وسلم ((إذا أحبّ الله عبداً من أمَّتي، قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكّان عرشه محبّته ليحبّوه."

ولا ينافي ذلك أن العصاة والمجرمون والظالمون يبغضون المؤمنين، لأن الله يلقي محبة

المؤمن في قلوب المؤمنين، فقد كان أنبياء الله وأولياؤه يعانون أنواع الأذى والتكذيب من قبل أعدائهم المكذبين، ولا يعني هذا أن الله لم يلق محبتهم في قلوب أولئك العصاة، ولكن ليسوا مؤهلين لأن يحبوا الأولياء والصالحين.

والحبّ لله له نتيجته في الآخرة، لذا عندما سأل رجلٌ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن السّاعة، فقال له: ما أعددت لها؟ قال: "ما أعددت لها إلا أنّي أحبّ الله ورسوله"، فقال له الرّسول: "أنت مع من أحببت."

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم بعضاً من الأعمال الصالحة التي يحبها ويحب من عمل بها، فعلينا أن نلتزم بها، فمنها قوله تعالى **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}**، فأكثر من التوبة والإنابة إلى الله.

ويقول سبحانه **{فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}** فاحرص على تقوى الله في السر والعلن .

ويقول سبحانه: **{وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}** فاصبر على طاعة ربك، واصبر على ما أصابك.

ويقول سبحانه: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}** فكن من المحسنين في كل أمورك في قولك في فعلك في عبادتك.

ويقول جل جلاله: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}** فتوكل على الله حق التوكل في كل شؤون حياتك.

ويقول سبحانه: **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}** فكن مقسطاً عادلاً في قولك وحكمك.

وفي مقابل ذلك ذكر الله أعمالاً وأقوالاً لا يحبها ولا يحب من عمل بها، بل يبغضها ويبغض من فعلها، فعلينا أن نتركها وأن نبغض من يفعلها من الأشخاص.

فمنها: قوله تعالى **{إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}**، ويقول سبحانه: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}**، ويقول تعالى: **{وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِين}**، فإياك والظلم لعباد الله، ويقول تعالى: **{وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ}**، فيجب على المؤمن، الذي يحب الله أن يبغض ما يبغضه الله، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي**

وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}، وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم}**، وقال تعالى: **{لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أولئك كتب في قلوبهم الأيمان وأيدهم بروح منه}**.

ومن الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة:

الأول: قراءة القرآن وتدبره.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكر الله على كل حال بالقلب واللسان والعمل.

الرابع: إيثار محاب الله على محاب النفس.

الخامس: التأمل في أسماء الله وصفاته، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

السادس: التأمل في نعم الله تعالى على العبد؛فإن التأمل فيها يدعوا إلى محبة المنعم.

السابع: انكسار القلب بين يدي الله تعالى.

الثامن: الخلوة بالله وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه حين يبقى ثلث الليل الأخير وختم ذلك بالاستغفار.

التاسع: مجالسة الصالحين المحبين الصادقين والاقتداء بهم.

العاشر: الابتعاد عن كل الأسباب التي تحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فاتخذوا هذه الأسباب، لتنالوا محبة رب الأرباب، وتفوزوا بالثواب، وتنجوا من العقاب.

عاشراً:

الخطب المتعلقة بالصلاة

٤٣- في الصلاة التامة

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ، العَزِيزِ الحَكِيمِ، الأَزَلِيِّ القَدِيمِ، مُحْيِي الأمْوَاتِ، وَمُخْرِجِ النَّبَاتِ، وَمُوجِبِ الأَوْقَاتِ، وَمُقَدِّرِ الأَقْوَاتِ، الَّذِي تَفَرَّدَ بِالمُلْكِ وَالبقَاءِ، وَعَدَلَ فِي الحُكْمِ وَالقَضَاءِ، وَغَمَرَ بِالجُودِ والعَطَاءِ، وَقَهَرَ بِالموْتِ والفَنَاءِ، فَعَلَا أَمْرُهُ وَشَأْنُهُ، وَعَمَّ مُلْكُهُ وَسُلْطَانُهُ، وَتَمَّ نُورُهُ وَبُرْهَانُهُ، وَكَمُلَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةً تُوجِبُهَا شَوَاهِدُ قِدَمِهِ، وَكَلِمَةً بَيَّنَتْهَا بَدَائِعُ حِكَمِهِ، فهو الأحد بغير ضد، الفرد بغير ندّ.

وَأشهدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالبَيَانِ المضِيءِ، والبُرْهَانِ القَوِيِّ، إِلَى أُمَّةٍ ضَالَّةٍ يَنْتَهِكُونَ سَبِيلَ الهُدَى، وَيَعْبُدُونَ الّلَاتَ والعُزَّى، فَنَصَحَ الخَلْقَ، وأَوْضَحَ الحَقَّ، وَأَدَّى الرِّسَالَةَ، وَأَبْدَى الدِّلَالَةَ، وَجاهَدَ حَتَّى عَزَّ الإيمَانُ، وَذَلَّتِ الأَوْثَانُ، وَقَامَ الدَّلِيلُ، وَاسْتَقَامَ السَّبِيلُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن الله تعالى يقول **{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}**، ويقول: **{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}**، ويقول أيضاً **{وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}**، ويقول أيضاً **{وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}**، ويقول تعالى **{أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً}**، ويقول تعالى **{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**، ويقول تعالى **{اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}**، وقال تعالى **{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا**

أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، إلى غير ذلك من الآيات المتكاثرة التي أمرنا الله تعالى بها في القرآن أمراً صريحاً لا يحتمل التأويل، والقال والقيل.

ويقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ((بين المؤمن والكافر ترك الصلاة))، وفي حديث آخر ((حافظوا على الصلوات الخمس، فإن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يدعوا بالعبد فأول ما يسأله عن الصلاة، فإن جاء بها تامة، وإلا زُخَّ في النار))، ومعنى زخ:. هو رُمِيَ به فيها.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم((الصلاة عمود الدين فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين)).

إلى غير ذلك من الآيات والأخبار الدالة على وجوب الصلاة، وهو معلوم من الدين ضرورة، وقد حث الله عباده على القيام والمواظبة عليها، فلا تكاد تخلو آية من القرآن يذكر فيها صفات المؤمنين والمتقين والصالحين إلا وكانت الصلاة ضمن تلك الصفات، بل أولها تقديماً.

ولكن الناس في هذا الزمان تقاصرت هممهم عن الصلاة والقيام بها، فقلَّ من يحافظ ويواظب عليها، وكثر القاطعون والمقصرون فيها، ومن لم يقطعها قصر في تأديتها، ولم يأتِ بشروطها وفروضها ولم يقم بها تامة، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد توعد الله من لم يأت بها تامة بأن مصيره النار، وهنا سؤال يطرح نفسه، واستفسار يطلب من يزيح لبسه، يتردد في نفس كل من قرأ الحديث السالف، ويشتاق إلى بيان جوابه كل عارف، ذلك السؤال هو:

ما هي الصلاة التامة التي من أداها سلم من التهديد الوارد في الحديث؟

هذا السؤال أجاب عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أخبار بَيَّنَ فيها الصلاة التامة المقبولة، ونقل ذلك لنا الرواةُ الذين رأوا صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونقلوها إلينا، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) ونحن لم نرَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي رأي عين، وإنما نقل الرواة إلينا صفة صلاته، فما روي لنا من صفة صلاته بطريق صحيح فعلينا الأخذ به، فيا ترى ماهي الصلاة التامة؟.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرد وقال ((ارجع فصل فإنك لم تصل))، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ((ارجع فصل فإنك لم تصل)) ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها))، وفي رواية: ((فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك، وما نقص من ذلك فإنما ينقص من صلاتك))، **فالصلاة التامة في هذا الحديث هي ما جمعت الشروط التالية:**

أولاً: إسباغ الوضوء، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للرجل ((إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء))، ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم((الوضوء شطر الإيمان))، وفي حديث آخر ((مفتاح الصلاة الطهور))، وفي حديث آخر ((لا صلاة لمن لا وضوء له))، وأعضاء الوضوء التي يجب غسلها هي ما تضمنته الآية الكريمة وهي قوله تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ}**.

ولا بد أن يراعي المتوضئُ إستيعاب غسل كل عضوء، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى رجلاً يصلي ورأى عَقِبَ رِجْلِه جافاً ـ بمعنى لم يصبه الماء ولم يغسله ـ قال له ((إن كنت قد غسلت رجلك فامض في صلاتك، وإن لا فارجع وتوضأ)).

ومعنى إسباغ الوضوء: هو غسل كل عضوء من أعضاء الوضوء غسلاً كاملاً، بدون أن تخل بشيء من أجزاء العضو، وأعضاء الوضوء، هي:.

الأول: غسل الفرجين، غسلاً يزول معه ما فيهما من الأقذار والنجاسات.

الثاني: المضمضة والإستنشاق: وهي تنظيف ما بداخل الفم والأنف من الأوساخ،

بإدخال الماء فيهما مع الدلك بالأصابع داخل الأنف والفم، ولا يكفي أن تدخل الماء إلى أنفك وفمك وتمج الماء بفمك فقط، بل لا بد من الدلك.

الثالث: غسل الوجه، وهو من أعلى الجبهة إلى أسفل الذقن، تغسله بالماء الذي في يديك غسلاً كاملاً، مع الدلك للعينين وخارج الأنف وتخليل اللحية حتى يصل الماء إلى البشرة، مع دلك العَنْفَقَة التي بين اللحية والفم.

الرابع: غسل اليدين إلى المرفقين، مبتدئاً باليمنى ثم اليسرى، مع تخليل الأصابع بالماء، وتنظيف الأظفار التي قد طالت، مع دلك العرقوبين الذين في اليدين، ودلك المرفقين، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول((خللوا أصابعكم بالماء قبل أن تخلل بالنار يوم القيامة)) وهو يعم تخليل أصابع اليدين والرجلين، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم ((ويل للعراقيب من النار)) وهو عام لعراقيب اليدين والرجلين فانتبه.

الخامس: مسح الرأس مقبلاً ومدبراً باليدين المبللتين بالماء، مع محاولة استيعاب جميع الرأس، مع مسح الأذنين ببقية ماء الرأس مسحاً جيداً، بأن تضع السبابتين كل واحدة داخل أذن، ثم تدلكها، وفي عطفات غظروف الأذن وخارجاً خلف الأذن إلى جهة الرأس.

السادس: غسل الرجلين غسلاً نظيفاً، بالدلك للبطون الأقدام مع العراقيب، مع دلك ظاهر القدم، وتخليل الأصابع، مع دلك الأظفار ومؤخر القدم، والوسط بين العرقوب ومؤخر القدم، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول((ويل لبطون الأقدام من النار)).

فهذه هي الفروض الواجبة وغيرها مسنون لا غير، وهو الغسل للأعضاء ثلاثاً، ومسح الرأس ثلاثاً، ومسح الرقبة، وغيرها.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، بسم الله الرحمن الرحيم **{وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}**.

أستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا مِنَ الضَّلَالِ، وبَصَّرَنا مِنَ العَمَى، الحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلاً، الحَمْدُ للهِ نَعْبُدُهُ وَنَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِي اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون، نكمل معكم بيان الصلاة التامة:

فإذا أسبغ العبد وضوءه وأراد الصلاة، فلا بد أن يستحضر نية الصلاة التي يصليها إما فريضة أو نافلة، ولا يشترط التلفظ بها بل يكفي إحضارها في القلب.

فالصلاة التامة هي التي يقوم المصلي بفروضها وواجباتها على أتم وجه وأكمل عمل، وأحسن إتقان، ونبين الآن كيفية تلك الأركان والفروض:

أولاً:. التكبير، وهو أن تقول حين الدخول في الصلاة:. الله أكبر، لأن التكبير هو تحريم الصلاة كما قال صلوات الله عليه وآله ((تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم))، وعلى المصلي أن يراعي أثناء التكبير:

تفخيم لفظ الجلالة (اللهُ) مع الضم للهاء بضمة صغيرة، لا تصل إلى الواو.

وإظهار الهمزة في (أكبر) لأنها همزة قطع.

والوقف على الراء في أكبر بالسكون أو الضم هكذا(اللهُ أكبرْ – أو اللهُ أكبرُ)، والسكون هو الأولى، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((التكبير جزم)).

ثانياً:. القرآة التامة، أن يقرأ الفاتحة وسورةً معها، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ((لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وقرآن معها))، وفي حديث آخر ((كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج)).

ولا بد من التأني حال القرآة وترك العجلة والسرعة حتى يتيقن إخراج كل حرف من مخرجه.

واعلم أيها المصلي أنّ في سورة الفاتحة أربع عشرة تشديدة نص بعض الأئمة بأن الصلاة تبطل إذا لم تشدد تلك الحروف، وهي في الكلمات التالية(لله ٢. ربِّ . الرَّحمن ٢. الرَّحيم ٢. الدِّين . إيَّاك ٢. الصِّراط . الَّذين . الضَّالِّين) فهذه الحروف المشددة لا بد من تشديدها وإلا فسدت الصلاة.

وعليك أن تحذر إشباع الحركة بالمد حتى لا تتحول حرفاً، مثل الكسرة تصير ياء، والفتحة ألفاً والضمة واواً، فتولد حرفاً من الحركة وذلك غير صحيح، وذلك في مثل(مالكِ يوم الدين . إياك نعبد)فلا تشبع الكسرة في مالك والفتحة في إياك.

وعلى المصلي الإنتباه لهمزة القطع في (صراط الذين أنعمت) فلا يَمُد النون في الذين بل يفتحها فقط ثم يقطع الهمزة في أنعمت.

وعلى المصلي التأمل لمعاني كلمات وآيات القرآن التي يقرأها، والتدبر فيها.

وعلى المصلي حال القيام والقرآءة أن يكون ساكناً رامياً ببصره موضع سجوده، ولا ينظر من عن يمينه ولا شماله، ولا يرفع بصره إلى السماء، لأنه ورد في ذلك نهي كبير كما ورد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال((ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء لئن لم ينتهوا ليختطفن الله أبصارهم))، وروي أن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم كان يرفع بصره إلى السماء إذا صلى، فنزل قوله تعالى **{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ}**.

ثالثاً:. الركوع التام، ويكون بإنحناء الظهر حتى يستوي استواء تاماً، بحيث لو وضع على ظهره قدرُ ماءٍ لما انصَبّ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا ركع سوَّى ظهره حتى لو صب عليه ماء لاستنقع.

وبوضع راحتي اليدين على الركبتين، وليس وضع الأصابع فقط، مع تفريق الأصابع، كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركع فوضع كفيه مفرقاً لأصابعهما على ركبتيه، واستقبل بهما القبلة، وتجافا في ركوعه حتى لو شاء صبي دخل بين عضديه،

واعتدل حتى لو صب على ظهره ماء لم يسل.

وبتفريج المرفقين حال الركوع إلا أن تكون في جماعة فتضمها حتى لا تؤذي المصلين.

وأن لا يرفع رأسه عن ظهره، كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله و سلم أنه قال ((لا صلاة لمن لم يتم ركوعها وسجودها))، وقال أيضاً ((لا صلاة لمن لم يقم صلبه في الركوع والسجود)) وقال أيضاً ((أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته)) قالوا يا رسول الله: وكيف يسرق من صلاته؟ قال ((لا يتم ركوعها ولا سجودها)).

رابعاً: الرفع التام من الركوع، فلابد من الإطمئنان حال الرفع قدر سبحان الله على الأقل، حتى يرجع كل مفصل إلى مكانه وإلا بطلت، كما روي أن المصلي إذا لم يقف حتى يرجع كل عضو منه إلى موضعه لعنه كل عضو منه.

خامساً: السجود التام، وكيفيته: أن يضع الجبهة ـ والأنف على بعض الأقوال ـ على الأرض أو السجادة أو الفراش الطاهر، بدون أن يغطيهما شيء، كالغترة أو العصبة أو غيرهما، أما لو غطى بعضها فقط فلا بأس.

وأن يضع راحتي اليدين والأصابع ممتدة على الأرض، فلا يقبض على أصابعه فإن ذلك لا يجزي، وأن يضع الركبتين على الأرض.

وأن يضع القدمين على أطراف الأصابع منصوبة، فلا يجزي نصب الأصابع بدون ضغطها على الأرض، أو ضغط أكثرها، وهذا يفعله الكثير من الناس، بنصب أصابعه بدون ضغط، وهذا يبطل صلاته، والبعض يصلي بالناس وهو على هذه الحالة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذه الأعضاء تسمى المساجد التي يسجد عليها المصلي، كما روي عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم أنه أمر بالسجود على سبعة أعضاء، الجبهة، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين.

وأن يمد ظهره قليلاً حتى ينفصل الفخذان عن البطن، ولا يلزق فخذيه في بطنه، لقول

النبي صلى الله عليه و آله وسلم ((لا حظ للبطن في الفخذين))، والكثير من المصلين نراه يتجاهل هذه المسألة.

وأن يرفع مرفقيه عن الأرض، فلا يفترشهما، بل يضع يديه ويرفع مرفقيه، ويعتمد على ركبتيه وكفيه، لأن النبي صلى الله عليه و آله وسلم نهى أن يفترش الرجل ذراعيه في الصلاة افتراش الكلب، لأن الكلب حال قعوده يمد ويفترش ذراعيه، وقال بعض العلماء بفساد صلاة من فعل ذلك.

وأن يضم قدميه حال السجود لكي لا تبدو عورته حال سجوده.

فهذه صفة السجود الصحيح الذي هو سجود الصلاة التامة، وغيره سجود ناقص وبعضه قد يبطل الصلاة.

سادساً:. الإعتدال بين السجدتين، وصفة الإعتدال التام:

أن يقيم ظهره وصلبه حتى يرجع كل مفصل إلى موضعه، وأن يطمئن أقل شيء قدر سبحان الله للمستعجل.

وأن يفترش رجله اليسرى ويضع وركه الأيسر عليها، وينصب أصابع رجله اليمنى أو أكثرها، وإلا بطلت صلاته، كما روي عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم أنه كان يجلس في الصلاة على رجله اليسرى، وينصب اليمنى، ويكره أن يجلس على شقه الأيسر.

وبعض المصلين ينصب الأصابع في اليمنى واليسرى وهذا يبطل الصلاة، إلا لعذر، وبعض آخر يفترش اليمنى وينصب اليسرى وهذا مبطل للصلاة أيضاً، وبعض آخر يعزل رجليه إلى اليمين ويجلس على شقه الأيسر وهذا لا يجزي إلا لعذر فيجوز.

وأن يبسط كفيه على فخذيه حال القعود بين السجدتين، وأن ينظر في موضع سجوده، ولا يرفع رأسه شاخصاً إلى السماء، أو يطأطأ رأسه حتى يضعه بين صدره.

فهذه هي الصلاة التامة، التي يكون المصلي قد أتى فيها بما أوجب الله عليه، والتزم بما أمره به، جعلنا الله وإياكم من المصلين، وتقبل منا كل صلاة، إنه رحيم غفور.

٤٤- حول صلاة الجمعة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الولي الحميد، الحكيم المجيد، الفعالِ لما يريد، علام الغيوب، وستار العيوب، وخالق الخلق، ومنزل القطر، ومدبر الأمر، رب الأرض والسماء، والآخرة والدنيا، واروث العالمين، وخير الفاتحين، الذي عظم شأنه فلا شيءٌ مثلَه، تواضع كلُّ شيء لعظمته، وذل كل شيء لعزته، واستسلم كل شيء لقدرته، وقرّ كلُّ شيء قرارَه لهيبته، وخضع كل شيء لملكه وربوبيته، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وأن تقوم الساعة إلا بأمره، وأن يحدث شيء إلا بعلمه، نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون، ونستغفره، ونستهديه.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ملكُ الملوك، وسيدُ السادات، وجبارُ الأرض والسماوات، القهار الكبير المتعال، ذو الجلال والإكرام، ديان يوم الدين، ربُّنا وربُّ آبائنا الأولين.

ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق، داعياً إلى الحق، وشاهداً على الخلق، فبلغ رسالات ربه كما أمره، لا متعدياً ولا مقصراً، وجاهد في الله أعداءه لا وانياً ولا ناكلاً، ونصح له في عباده صابراً محتسباً، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فقد كثرت في هذا الزمانِ مظاهرُ التهاونِ والغفلةِ التي غلبت على أبناءِ مجتمعاتِنا، وزادت نماذجُ الإبتعادِ عن الله، التي سيطرت على الكثيرِ من الناس، ومن تلك المظاهرِ والنماذجِ السيئةِ التهاونُ بصلاة الجمعة، وهي من أشد الأمور خطراً وضرراً على المسلم في دينه وإيمانه.

وقد عَظُمَ الخطبُ حتى أصبحنا لا نقيمُ لها في هذا الزمان وزناً، ولا نلقي لها بالاً، بل

نتكاسل ونتهاون بها، كما قد تعودنا وألفنا التهاون بنظائرها من الطاعات، ولكن هذه العبادة ليست كغيرها، فقد أوجبَ اللهُ تعالى السعيَ إليها في كتابه الكريم إيجاباً قطعياً، وأمراً حتمياً فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، فقد حرم الله البيع والشراء ونهى عنه، عند سماع النداء، وأمر بالمبادرة والمسارعة إلى إجابة داعي الله تعالى.

أيها المؤمنون:

إن الله تعالى جعل لهذه الأمة ما لم يجعله لغيرها من الأمم، فاختار لها يوم الجمعة عيداً أسبوعياً، تجتمع فيه في شتى بقاع الأرض، لتناقش أوضاعها، وتتآلف قلوبها، وتصغي إلى المواعظ والعبر، لأن الإسلام دين يدعو إلى الاجتماع والتوحد والألفة، لما في ذلك من القوة والمهابة، وقد شرع الله لتحقيق ذلك عدة اجتماعات، صغرى، ومتوسطة، وكبرى:

فالإجتماعات الصغرى: إجتماع أهلِ كلِّ حَيٍّ أو قرية في الصلوات الخمس كل يوم وليلة.

والإجتماعات الوسطى: اجتماعات أهل كل بلد: في الجمعة والعيدين.

والكبرى: اجتماعات أهل الأقطار: في الحج بعرفة ومكة.

أيها المؤمنون:

يوم الجمعة يوم عظيم عند الله، فهو اليوم الذي تفزع الدواب منه إلا شياطين الإنس والجن، وهو اليوم الذي فيه تقوم الساعة، كما روي ((ما من ملك مقرب، ولا سماء، ولا أرض، ولا رياح، ولا جبال، ولا بحر، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة)).

قال الإمام الهادي للحق يحيى بن الحسين عليه السلام:

ومن تعظيم الله لذلك اليوم أن جعله للمسلمين عيداً، وفيه ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل أنه قال: ((إن يوم الجمعة يوم القيامة، وفيه تقوم الساعة)).

ثم قال عليه السلام: ما زلت مذ رويت هذا الحديث يدخلني في كل يوم جمعة وجل وخوف، وما ذلك من سوء ظني بربي، ولا قلة معرفة مني برحمة خالقي، ولكن مخافة من

لقائه، ولم أقم بما أمرني بالقيام به، وأنهض بما حضني على النهوض فيه، وجعله أكبر فرائضه علي، وأعظمها عندي ولدي، في مباينة الفاسقين، ومجاهدة الظالمين، والنصرة لدين رب العالمين، إلى آخر كلامه عليه السلام.

يوم الجمعة سيد أيام الأسبوع، شرعت فيه صلاة الجمعة التي تعدُّ من آكد فروض الإسلام، وأعظم مجاميع المسلمين.

يوم الجمعة في الأيام كشهر رمضان في الشهور، وفيه ساعة الإجابة كليلة القدر في رمضان، وهي وقت الزوال، الذي يغفل عنه العباد.

يوم الجمعة ميزان المسلم في الأسبوع، ورمضان ميزانه في السنة، والحج ميزانه في العمر.

يوم الجمعة حوى كثيراً من الفضائل والخير لهذه الأمة، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأئمة أهل البيت وعلماؤهم يعدون له العدة، ويتهيئون فيه للعبادة وطلب المزيد.

كما روي أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام خطب في الجمعة، فقال: ألا إنّ هذا اليوم يوم جعله الله عيداً، وهو سيّد أيّامكم، وأفضل أعيادكم، وقد أمركم الله في كتابه بالسعي فيه إلى ذكره، فلتعظم رغبتكم فيه ولتخلص نيّتكم فيه، وأكثروا فيه التضرّع والدعاء ومسألة الرحمة والمغفرة، فإنّ الله عزّ وجلّ يستجيب لكلّ من دعاه، ويورد النار من عصاه، وكلّ متكبّر عن عبادته، قال الله عزّ وجل: {أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، وفيه ساعة مباركة لا يسأل الله عبد مؤمن فيها شيئاً إلاّ أعطاه.

أصبحنا لا نفقه من يوم الجمعة إلا أنه يوم إجازة للموظفين، أو راحة للعاملين، أو نوم للغافلين، أو نزهة للمترفين، فصرنا لا نعرف شيئاً من فضله ومكانته، بل قد نعطي غيره من الأيام ما لا نعطيه من الإهتمام والتعظيم.

هذا اليوم الذي كادت مكانته وهيبته وعظمته أن تسقط من قلوب المسلمين في هذه الأزمنة، فبدلاً من أن يكون للإجتماع أصبح للإفتراق، وبدلاً من أن يكون للعبادة أصبح عندنا للراحة والدعة، وبدلاً من أن يكون للموعظة والعبرة أصبح للغفلة والغرة، فصارت

أحواله عندنا على العكس تماماً مما أراده الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد أصبح الناس بالنسبة لصلاة الجمعة على أحوال متنوعة:

فمنهم من يتركها ولا يحضرها، ويزعم أن صلاة الجمعة غير واجبة، لأنه يشترط فيها شروطاً لم تتوفر عنده.

ومنهم من يتركها تكاسلاً وتهاوناً، ولا يصلي الجمعة بالكلية، وليس له عذر يبيح له الترك، وهو لا يعلم خطر فعله ذلك.

ومنهم من يحضر الجمعة ولكن لا يستشعر أهمية الجمعة وخطبتها، فهو لا يدري عن أي موضوع تحدث الخطيب، فهو يدخل المسجد ويخرج منه كما دخله.

ومنهم من لا يحضر إلا متأخراً، لأنه كان منشغلاً إما بالنوم، أو بالتسكع في الشوارع، أو الضياع في الأسواق، أو غير ذلك من الأمور الملهية.

والبعض منهم قد لا يدرك إلا الصلاة أو بعضها.

ومنهم من يحضر الجمعة، ولكن يفعل أشياء قد تكون سبباً في إحباط أجره، وإبطال ثوابه.

ومنهم من يأتي إليها مبكراً، ويحرص عليه حرصاً زائداً، فلا يؤثر عليها شيئاً من أعمال الدنيا، بل يجعلها همه الأكبر وشغله الشاغل لما قد علم من فضلها، وما أقلهم.

كما روي عن علي عليه السلام أنه قال: (الناس في إتيان الجمعة ثلاثة: رجل حضر الجمعة باللغو والمراء فذلك حظُّه منها، ورجل جاء والإمام يخطب فصلى فإن شاء الله أعطاه وإن شاء حرمه، ورجل حضر قبل خروج الإمام فصلى ما قضى له، ثم جلس بإنصات وسكون حتى يخرج الإمام إلى أن قضيت الصلاة، وهي له كفارة ما بينها وبين الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام، وذلك لأن الله تعالى يقول: {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها}.

أيها المؤمنون:

قال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام: ينبغي للمسلمين أن يُظهروا الزينة في يوم الجمعة، فيلبسوا خيار لباسهم، ويرتاشوا بأحسن رياشهم، ويتطيبوا بأطيب طيبهم،

ويأكلوا أطيب طعامهم، ويريحوا أنفسهم من أعمالهم، وكذلك فليرفهوا على أرقائهم، لأنه يومٌ عظيم البركة؛ اختاره الله عز وجل لهذه الأمة، وفضّله على سائر الأيام، وجعله عيداً لأهل الإسلام، ويجب عليهم أن يفرقوا بينه وبين غيره من أيام دهرهم؛ لأن الله عز وجل قد فرق بينه وبين غيره من أيامهم؛ نعمةً أنعم بها عليهم، وفضيلةً بيّنها لهم وفيهم.

أيها المؤمنون:

يوم الجمعة يوم يتميز فيها المطيعون من العاصين، ويتبين فيه أتباع الملائكة من أتباع الشياطين، حيث يحتدم الصراع، وتظهر المنافسة بين الملائكة وبين الشياطين، فالملائكة تدعو الناس إلى المساجد، والشياطين تدعو الناس إلى الأسواق واللهو واللعب، كما روي عن علي عليه السلام أنه قال وهو يخطب على المنبر: إذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين براياتها إلى الأسواق يأخذون الناس بالربائث، ويذكرونهم الحوائج، ويثبطونهم عن الجمعة، وتغدو الملائكة براياتها إلى المساجد يكتبون على كل رجل الساعة التي جاء فيها، فلان جاء من ساعة، فلان جاء من ساعتين، فإذا الرجل جلس مجلساً يستمكن فيه من الإستماع والنظر وأنصت ولم يلغِ كان له كِفلان من الأجر، وإذا جلس فيه مجلساً فتأدى وأنصت، ولم يلغ كان له كفلٌ من الأجر، ومن جلس مجلساً يستمكن فيه من الإستماع والنظر فَلَغا ولم ينصت كان عليه كفلان أو قال كفلٌ من وزر، ومن قال لأخيه يوم الجمعة: صَه فقد لَغا ومن لَغا فليس له من جمعته شيء، ثمّ قال في آخر ذلك: قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول ذلك.

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم الجمعة نزل أمين الله جبرئيل إلى المسجد الحرام فركز لواءه بالمسجد الحرام، وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة، فركزوا ألويتهم وراياتهم بأبواب المساجد، ثمّ نشروا قراطيس من فضّة وأقلاماً من ذهب، ثمّ كتبوا الأوّل فالأوّل ممّن بكّر إلى الجمعة، فإذا بلغ من في المسجد سبعين رجلاً، قد بكّروا طووا القراطيس، فكان أُولئك السبعون

كالذين اختارهم موسى من قومهم كانوا أنبياء.

وفي رواية أخرى: (إذا كان يوم الجمعة دفعت ألوية الحمد إلى الملائكة إلى كل مسجد يُجَمَّع فيه، فيحضر جبريل المسجد الحرام مع كل ملك منهم كتاب وجوههم كالقمر ليلة البدر معهم قراطيس فضة وأقلام ذهب يكتبون الناس على مراتبهم، فمن جاءه قبل خروج الإمام كتب من السابقين، ومن جاء بعد خروج الإمام كتب شهد الخطبة، ومن جاء بعد كتب شهد الجمعة، فإذا سلم الإمام تصفح الملك وجوه القوم، فإذا فقد الرجلَ ممن كان يكتبه فيما خلا من السابقين قال: اللهم عبدك فلان نكتبه فيما خلا من السابقين لا ندري ما خلفه، اللهم إن كان مريضاً فاشفه، وإن كان غائباً فأحسن صحابته، وإن كان قبضته فارحمه، ويؤمن الذين معه من الملائكة).

فأين المسارعون؟ وأين المسابقون؟ وأين المتنافسون؟!.

قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام:

صلاة الجمعة هي عندنا الصلاة الوسطى؛ التي ذكر الله العليُّ الأعلى، وهي من سائر الأيام الظهر، وكذلك بلغنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه، أنه قال: (الصلاة الوسطى هي صلاة الجمعة، وهي في سائر الأيام الظهر).

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ كتاب الله عز وجل، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، **بسم الله الرحمن الرحيم**، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}**.

أستغفر الله العظيم لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أحقِّ من خُشِيَ وحُمِدَ، وأفضلِ من اتُّقِيَ وعُبِدَ، وأولى مَنْ عُظِّمَ ومُجِّدَ، نحمده لعظيم عنائه، وجزيل عطائه، وتظاهر نعمائه، وحسن بلائه، ونؤمن بهداه الذي لا يخبو ضياؤه، ولا ينمهد سناؤه، ولا تُوهن عراه، ونعوذ بالله من سوء كل الريب وظلم الفتن، ونستغفره من مكاسب الذنوب، ونستعصمه من مساوئ الأعمال، ومكاره الآمال، والهجوم في الأهوال، ومشاركة أهل الريب، والرضا بما يعمل الفجار في الأرض بغير الحق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي كان في أوليته متقادماً، وفي ديموميته متسيطراً، خضع الخلائق بوحدانيته وربوبيته.

وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله عبدُه ورسوله، وخيرته من خلقه، اختاره بعلمه، واصطفاه لوحيه، وائتمنه على سره، وارتضاه لخلقه، وانتدبه لعظيم أمره، صلى الله وسلم عليه وعلى آله البررة الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون: إن من المحزن حقاً، والمؤسف جداً، ما نراه الواقع السيء الذي يعيشه شبابنا اليوم، من عدم مبالاتهم بالأوقات، وإضاعتهم للصلوات، وتفريطهم في الجمع والجماعات، مع أنهم يعلمون جيداً أن مدة الحياة قصيرة وإن طالت، وأن الفرحة ذاهبة وإن دامت، وأن الصحة سيعقبها السقم، والشباب يتلوه الهرم، فهيا لنشمر عن ساق الجد، ونعمل في الطاعات ونجتهد، لعل الله أن يرحمنا في يوم الشدة والجهد.

ولنأخذ بعضاً من الفضائل والأحكام المتعلقة بيوم الجمعة:

أولاً: فضل صلاة الجمعة والتبكير إليها

لأن من علم فضل شيء سيدفعه ذلك إلى الإهتمام به، والحرص عليه، وانتهاز الفرصة العظيمة واستغلالها بكل ما أوتي من جهد على فعل الخيرات وترك المنكرات، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن))، وعن

سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يغتسلُ رجلٌ يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من غسل واغتسل يوم الجمعة، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها))، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أنه قَال: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ غُسْلَهُ وَتَطَهَّرَ فَأَحْسَنَ طُهُورَهُ وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ وَمَسَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ طِيبِ أَهْلِهِ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ وَلَمْ يَلْغُ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى)).

ثانياً: عقوبة المتهاون بها، والمتخلف عنها:

فقد ورد التحذير الشديد، والترهيب والتهديد، لمن تخلف عن الجمعة، وتركها، في روايات صحيحة أجمع عليها الموالف والمخالف وهي كثيرة جداً:

فمنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من ترك الجمعة ثلاث مرات متواليات من غير ضرورة طبع الله على قلبه)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((لينتهين أقوام يسمعون النداء يوم الجمعة، ثم لا يأتونها أو ليطبعن الله على قلوبهم)).

وفي رواية : ((من ترك الجمعة من غير ضرورة كتب منافقاً في كتاب لا يمحى ولا يبدل)).

وفي حديث آخر: ((من سمع النداء يوم الجمعة ولم يأتها، ثم سمع النداء، ثم لم يأتها طبع على قلبه، فجعل قلب منافق)).

وعن علي عليه السلام أنّه قال: (يوشك أحدكم أن يتبدَّى حتّى لا يأتي المسجد إلاّ يوم الجمعة، ثمّ يستأخر حتّى لا يأتي الجمعة إلاّ مرّة ويدعها مرّة، ثمّ يستأخر حتّى لا يأتيها فيطبع الله على قلبه).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (من ترك الجمعة ثلاثاً متتابعة لغير علّة كتب منافقاً)، وعنه أيضاً: (من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من ترك الجمعة ثلاثَ جمع متواليات، فقد نبذ الإسلام وراء ظهره)).

وسُئل ابن عباس – رضي الله عنهما – عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار، وهو لا يشهد الجُمُعة ولا الجماعة، فقال: هو في النار.

وعن جابرٍ بن عبد الله، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم جمعةٍ فقال: ((واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في يومي هذا في شهري هذا في عامي هذا إلى يوم القيامة فمن تركها في حياتي وبعدي وله إمامٌ عادلٌ أو جائرٌ استخفافاً بها أو جحوداً لها، فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا بر له، حتى يتوب؛ فمن تاب تاب الله عليه.

فهذه بعض الروايات المتوعدة لمن تهاون وتخلف، وهي تدل على وجوب صلاة الجمعة، لأن الوعيد لا يكون إلا على ترك الواجب أو فعل المحظور.

ومن أدلة وجوبها التي ترد على من يحاول أن يجعل لنفسه عذراً مختلقاً في تركها، ما روي عن جابر: أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (مَنْ كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعةُ يومَ الجمعة، إلا مريضاً أو مسافراً، أو صبياً، أو مملوكاً).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة، إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض)).

ثالثاً: بعض الفضائل والأعمال التي ينبغي ملازمتها والحرص عليها في يوم الجمعة:

فمنها: الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، كما ورد في الروايات المتكاثرة:

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((أكثروا عليَّ من الصلاة يومَ الجمعة وليلة الجمعة، فإن أعمالكم معروضة عليّ)).

ولقد كان الصالحون يغتنمون فرصة ليلة الجمعة ويومها في أنواع العبادات، والإكثار من

الصلوات والأذكار والأدعية وغيرها.

قرآءة سورة الكهف من خصائص يوم الجمعة كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((مَن قرأ سورة الكهف يومَ الجمعة، سطع له نور من تحتِ قدمه إلى عنان السماء، يضيء له يومَ القيامة، وغفر له ما بين الجمعتين))، وكذلك سورة يسين والدخان والسجدة وتبارك.

ومن خصائص الجمعة أنها كفارة للذنوب، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربعةٌ يستأنفون العمل: المريض إذا برئ، والمشرك إذا أسلم، والمنصرف من الجمعة إيمانًا واحتساباً، والحاج)).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ثلاث لو تعلم أمتي ما لها فيها لضربت عليها بالسهام: الأذان، والغدو إلى الجمعة، والصف الأول)).

ومن خصائصها وفضائلها: أن ليلتها تختص بالفضل من أولها إلى آخرها، فيفتح باب الإجابة من أول الليل، كما روي عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله تعالى في آخر ساعةٍ تبقى من الليل يأمر ببابٍ من أبواب سماء الدنيا فيفتح ثم ينادي ملكٌ يسمع ما بين الخافقين إلا الإنس والجن: ألا هل من مستغفرٍ فيغفر له، هل من تائبٍ فيتاب عليه، هل من داعٍ بخيرٍ يستجاب له، هل من سائلٍ يعطى سؤاله، هل من راغبٍ يعطى رغبته؟ يا صاحب الخير هلم، يا صاحب الشر أقصر، اللهم أعط منفق مالٍ خلفاً، اللهم أعط ممسك مالٍ تلفاً، فإذا كانت ليلة الجمعة فتح من أول الليل إلى آخره)).

ومن مات في ليلتها أو في يومها فله خصوصية النجاة من عذاب القبر كما روي عن علي عليه السلام ((ليلة الجمعة ليلة غراء، ويومها يوم أزهر، ومن مات ليلة الجمعة كتب له برآءة من ضغطة القبر، ومن مات يوم الجمعة، كتب له برآءة من النار)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسم ((من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وُقِيَ فتنة القبر)).

فكيف يتهاون بها اليومَ مسلم بعد معرفته لهذه الفضائل والخصائص، إلا من طبع الله على قلبه فأصبح لا يعي ولا يفقه، **{فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}**، **{وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ}**، **{كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ}**، **{خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ}**.

٤٥- حول صلاة الجماعة وفضلها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي هدانا لدينه القويم، وأبان لنا الحق المستقيم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة وإن الله لسميع عليم، نحمده على نعمه الواسعةِ المدد، الكثيرةِ العدد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه دائماً أبد الأبد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفى الممَجَّد، بَلَّغَ رسالة ربه إلى كل أحد، وجاهد في سبيل الله مَن كفر وجحد، صلى الله عليه وعلى آله الركع السجد.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإننا نعيش في هذا الزمان في حالة سيئة مليئة بالبعد عن الله تعالى، والتهاون بدينه، والإبتعاد عن تعاليمه، فنحن نحاول النظر إلى الأشياء البعيدة، ونريد الإهتمام بأمور كبيرة، مع التقصير الكبير، والتهاون الشديد بالأمور الأساسية، التي تبتني عليها القضايا الكبرى، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى نعدُّ الكلام في تلك القضايا الهامة التي أصبحنا نقصر فيها ونتهاون بها، من الكلام الذي ليس يواكب العصر، بل نتصامم ونتعامى عندما نسمع الموعظة أو الخطبة حول شيء من تلك الأسس الإسلامية، ونسخر ونستهزأ ونستهين بمن يعظ في ذلك المجال، مع العلم أننا في أمس الحاجة الضرورية إلى معرفة تلك القضايا والأسس.

فإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، بدأ غريباً في تعاليمه وتشريعاته وآدابه، وهاهو اليوم أصبح غريباً في تلك التعاليم والتشريعات، فقد كان المشركون والكفار واليهود يستهزؤون ويسخرون بالمسلمين عندما يتعلمون شيئاً من تعاليم الدين التي نظن أنها بسيطة وسهلة، ولكن هي عند الله بالمكان السامي، والخطب الجسيم.

فهي عندنا حقيرة وعند الله خطيرة، عندنا أنها يسيرة وعند الله كبيرة، عندنا أنها هينة وعند الله هي عظيمة، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم.

وتلك الأمور التي أصبحنا نتساهل بها، ولا نطيق سماع الخطب والمواعظ حولها، بل ونتأفف ونتضجر عندما نسمع الكلام فيها، بل ونتصامم ونحاول الإنشغال بما يفوت فهمنا وتعقلنا لتلك المواضيع، بل نحاول أن نشغل غيرنا ونصرفه عن سماع ذلك، ولا نكتفي بأن قد أضعنا أنفسنا، بل نخدم الشيطان في إضلال العباد، فبدلاً من أن نكون أدلة رشد وصلاح، نتحول إلى موانع وشواغل عن تلك الأمور الهامة.

فمن تلك الأمور والقضايا التي زادت بها غربة الدين في هذا الزمان: التهاون بأمر الصلاة التي هي عمود الدين، وركن الإسلام، والإهمال للجماعات والهجر لبيوت الله تعالى.

أيها المؤمنون: إن الصلاة شعيرة من شعائر الله الكبرى التي لا تساويها فريضة من الفرائض.

أي فريضة إسلامية أو واجب ديني ينادى له في اليوم والليلة خمس مرات، هلموا وأقبلوا وأجيبوا إلى الصلاة، التي هي عنوان الفلاح، والتي هي خير الأعمال عند الله، فلا يعدلها عمل، ولا يساويها فعل.

بل إن جميع الأعمال من صيام وحج وزكاة وجهاد وغيرها تتوقف على الصلاة، فإن كانت الصلاة مقبولة قبلت تلك الأعمال وإلا ردت، فالمتهاون بالصلاة لا يقبل منه صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد ولا غيرها، والمحافظ والحريص عليها والمعظم لها، والمهتم بشأنها تصلح له أعماله الدينية والدنيوية.

أي الفرائض والشرائع أمر الله تعالى أن تبنى لها البيوت وتعمر لها المساجد لتؤدى فيها وتقام فيها، غير الصلاة.

أي الفرائض والشرائع لا تسقط على الكلف في أي حال من الأحوال، إلا إذا زال عقله، غير الصلاة.

أي الفرائض جعلها الله فارقاً بين الإيمان والكفر غير الصلاة، ((العهد الذي بيننا

وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر))، وحديث: ((بين العبد وبين الكفر تركُ الصلاة)).

أي الفرائض يحكم بالكفر والردة، والخروج من الملة المحمدية على من تركها بالكلية، أو ترك فرضاً واحداً منها حتى خرج وقتها، غير الصلاة، فقد أجمع علماء الأمة المحمدية قاطبة، على اختلاف آرائهم ومذاهبهم أن من ترك صلاة فرض واحد مُتعمدًا حتى يخرج وقتها، فهو كافر مُرتد، وروي أن أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يكونوا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرٌ إلا الصلاة، فقد روي: ((من ترك صلاة واحدة متعمدًا، فقد برئتْ منه ذمة الله))، وقد جاء في الحديث: ((لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة))، وقد روي عن معاذ بن جبل أنَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم – قال: ((من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا، فقد برئت منه ذمة الله)).

أيها المؤمنون:

قد يتضجر الكثير من الناس عندما ويتضايق عندما يسمع الخطبة حول الصلاة، وتضجره ذلك دليل على أنه من المتهاونين بالصلاة، يريد خطبة تتكلم عن ما يدور في العالم، أو تتحدث عما يدور في الساحة، أو تتحدث عن أمور يعدها مهمة، فبالله عليك أخي المسلم هل هناك أمر أهم من الصلاة التي أصبح التكاسل والتهاون والتساهل بأمرها منتشراً بين المسلمين.

بالله عليك أخي المسلم كيف تريد أن نتحدث عن مواضيع بعيدة ونحن لا نصلي.

كيف نتكلم عن الوضع الفاسد؟! وتهاوُنُنَا بالصلاة من أهم وأعظم أسباب ذلك الوضع.

كيف نعالج أمر الأمة الإسلامية ونسعى إلى إصلاحها في أمور بعيدة ونحن لم نحسن الإهتمام بالأمور القريبة؟!.

كيف تريد أن تصلح أموراً أنت تهدمها بيدك، وتثلمها بمعولك، وتخربها بتهاونك، تريد أن تصلح أمر الناس وأنت أول الفاسدين، تزعم أنك تحاول الإصلاح وأنت أول المخربين.

أيها المؤمنون: إن القلب يذوب أسى وحزناً عندما نرى المساجد لا يتردد عليها إلا القليل

مع أن المناطق والأحياء قد امتلأت بالسكان، فأين الشباب الذين نراهم على الأرصفة والشوارع، وفي الأندية والملاعب، وفي مجالس القات والأسواق، لماذا لا نراهم في المساجد.

كيف يكون الحضور لو دعاهم تاجر أو مسؤول.

أين الشباب الذين ينتظر منهم دينهم أن ينصروه، ونبيهم أن يذبوا ويدافعوا عنه، أترون من لم يمتثل أمر نبيه، ويجيب داعي ربه، هل سينصر الدين، هل سيذب عن حوزة الإسلام والمسلمين.

أصبح الناس يتساهلون بأهم الأمور وأعظمها، لأن الدين أصبح عندهم مهملاً متروكاً.

يعدون ما ليس من الدين ديناً، ويحسبون ما هو الدين الحق ضياعاً وضلالاً، وكأن الله تعالى وكل إلى أولئك المغرورين – الذين لا يوثق بهم في خبر بسيط– أن يبينوا ما هو الدين.

إن مما يزيد في لوعة المسلم وحسرته أن يرى التجمع في أماكن اللهو واللعب أكثر بكثير من التجمع في بيوت الله.

يسمعون منادي الله ينادي هلموا إلى بيوت الله جماعات وأفرادى وهم يتصاممون، وكأنهم لا يسمعون، بل ويستهزؤون ويسخرون، كما قال تعالى: **{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ}**.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، **بسم اله الرحمن الرحيم {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}**، أستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا مِنَ الضَّلَالِ، وبَصَّرَنا مِنَ العَمَى، الحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلاً، الحَمْدُ للهِ نَعْبُدُهُ وَنَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِي اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أيها المؤمنون:

لنقف الآن لحظات من أوقاتنا الثمينة، لنناقش مع أنفسنا بصدق وجد وصراحة بعض الأمور الهامة التي أصبح الناس يتهاونون بها في جانب الصلاة.

أولاً: سماع الأذان وإجابته.

ما أكثر المؤذنين وما أكثر الندآءات إلى الصلاة ولكن تعالوا وقت نداء المنادي إلى الصلاة فكم سترون من المصلين، لو عددت المساجد في المنطقة الواحدة، وعددت المصلين في كل المساجد لو جدت أعداد المساجد أكثر من أعداد المصلين فيها.

هل ذلك لقلة الناس، الجواب لا.

البيوت مليئة بالشباب والكهول والغلمان.

هل ذلك لانشغالهم. الجواب لا.

فهم في فراغ ليس له نظير، وقل من يكون مشغولاً أو معذوراً عذراً يبيح له الترك، لكنهم متواجدون قريباً من المساجد.

تعالوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليبين لنا حكم هذا الذي لا يجيب منادي الله.

فعن علي عليه السَّلام قال: من سمع النداء من جيران المسجد فلم يجب وهو صحيح من غير عذر فلا صلاة له.

عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم أنه قال ((من سمع النداء وهو في المسجد فخرج منه فهو منافق، إلا رجلاً يريد الرجوع إليه)).

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر، قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى)).

وعن معاذ بن أنس الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق من سمع منادي الله ينادي بالصلاة ويدعو إلى الفلاح فلا يجيبه)).

ثانياً: من الأمور التي يقع فيها التهاون أمر الصلاة في الجماعة.

إن الجماعة من السنن المؤكدة التي واظب عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم طيلة حياته، ولم يؤثر أنه صلى فرادى في أي صلاة من صلواته حتى وهو في مرضه، بل وحتى في مرض موته لم يزل مواظباً على الجماعة، خرج وهو يتهادى بين رجلين، بل كان يحذر أصحابه من التهاون بالجماعة، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يواظبون عليها، وكان حضور الرجل إلى الجماعة والصلاة في المسجد دليل على أنه بصحة جيدة، فإذا ترك الحضور علموا أنه إما مسافر فيحفظوه في أهله، وإما مريض فيعودوه إلى بيته.

بل ذهب بعض أهل العلم إلى أن صلاة الجماعة من الواجبات، وذهبوا إلى أنها فرض عين.

إن هناك تساهلاً عظيماً في الصلاة مع الجماعة فمن الناس من لا يُرى في المسجد أبداً، ثم يتعذر بأنه يصلي ولكن يصلي في بيته، وفي الحقيقة هو كاذب لا يصلي، ومنهم من لا يُرى إلا في الجمعة، أو في بعض الأحيان، ومنهم من يسهر إلى نصف الليل فإذا أقبل الفجر نام قرير العين غافلاً عن الصلاة، ومنهم من يأتي إلى الجماعة في بعض الصلوات ويتخلف عن بعضها، وخاصة عن صلاة العصر والفجر، ومنهم من يأتي إلى الصلاة مع الجماعة ولكنه دائماً يأتي متأخراً قد فاتته تكبيرة الإحرام أو فاتته الركعة والركعتان، ونرى الصلاة تقام في بعض الصلوات ولا يوجد في المسجد إلا أنفار يحسبون بأصابع اليد، ثم يأتي الناس بعد ذلك، بل وصل الحال ببعض النعرضين والغافلين أن

يشغل نفسه بالأحاديث والمجابر قاصداً حتى تفوت الجماعة، والبعض الآخر يرى أن الصلاة مع الجماعة فيه هدر لوقته الثمين، فالجماعة تؤخره عن لهوه ولعبه وغفلته، فهو يريد الإسراع لوحده، أو يريد أن لا يفوته العمل فأي بركة وأي توفيق سيكون في عمل كهذا العمل، **{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}**، ويقول سبحانه وتعالى **{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}**.

تعالوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لننظر ما حكم أولئك القوم، وأنت أخي المسلم اختر الحكم على نفسك من خلال ذلك:

فعن ابن عباس، وابن عمر أنهما سمعا النَّبِي صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمْ يقول على أعواد المنبر: ((لينتهين أقوام عَن ودعهم الجماعات – أي تركهم –، أو ليختمن اللّه على قلوبهم، ثم لَيَكُونُنَّ من الغافلين)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لقد هممت أن آمر بالصلاة أن تقام ثم آمر رجالاً من قريش فيحملون حزماً من حطب فيه نار فأحرق على قوم لا يحضرون الصلاة بيوتهم)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : ((لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلى بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : ((لولا ما في البيوت من النساء والذرية أقمت

صلاة العشاء وأمرت فتياني يحرقون ما في البيوت بالنار)).

وعن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لينتهين رجال عن ترك الجماعة أو لأحرقن عليهم بيوتهم)).

وعن أبيّ بن كعب قال: صلّى بنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يوماً الصبح فقال ((أشاهدٌ فلان؟))، قالوا: لا، قال ((أشاهدٌ فلان؟)) قالوا: لا، قال ((إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حَبْواً على الرُّكَبِ، وإنَّ الصفَّ الأوَّل على مثل صفِّ الملائكة، ولو علمتم ما فضيلته لابتدرتموه، وإنَّ صلاة الرَّجل مع الرَّجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرَّجلين أزكى من صلاته مع الرَّجل، وما كثر فهو أَحَب إلى اللّه عزّوجلّ)).

وروي عن ابن أمِّ مكتوم، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول اللّه إني رجل ضرير البصر شاسع الدار، ولي قائد لا يُلائِمُني، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال ((هل تسمع النِّداء؟)) قال: نعم، قال ((لا أجد لك رخصةً)).

وفي رواية أخرى عن ابن أم مكتوم قال: يا رسول اللّه إن المدينة كثيرة الهوامِّ والسباع، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أتسمع حيَّ على الصلاة، حَيَّ على الفلاح؟)) قال: نعم، قال ((فحيَّ هلا)).

فهذا الرجل الأعمى الضرير اجتمعت فيه ستة أعذار، هو ضرير، وبعيد الدار، وليس له قائد يقوده إلى المسجد، وبينه وبين المسجد واد مسيل فيه شجر ونخيل أضف إلى ذلك كبر سنه ورقة عظمه ووجود الهوام والسباع بالمدينة ومع ذلك كله قال له النبي صلى الله عليه وسلم ((لا أجد لك رخصة))، فكيف سيكون حالنا نحن الذين لا عذر لنا وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يرخص لهذا الرجل بالتغيب عن الجماعة فمن رخص لنا نحن بالغياب عنها والتخلف عن أدائها جماعة.

وعن جابر بن عبد الله قال: فَقَدَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوماً في الصلاة

فقال: ((ما خلفكم عن الصلاة ؟ قالوا: لحاً – أي نزاعاً أو خصومة– كان بيننا فقال: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد)).

ورُوِي عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: ((فرق ما بيننا وبين المنافقين أنَّهم لا يستطيعون حضور العشاء والصبح في جماعة)).

ثالثاً: بعض الناس يدخل إلى المسجد والصلاة قائمة وقد صلى، أو يصلي لوحده ثم تقوم الجماعة فلا يصلي معهم، فماذا قال نبينا الكريم في ذلك:.

عن يزيد بن الأسود أنه صلى مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وهو غلامٌ شابّ، فلما صلى إذا رجلان لم يصليا في ناحية المسجد، فدعا بهما فجيء بهما ترعد فرائصهما، فقال ((ما منعكما أن تصلِّيا معنا؟))، قالا: قد صلينا في رحالنا، فقال ((لا تفعلوا، إذا صلّى أحدكم في رحله ثمَّ أدرك الإِمام ولم يصلِّ فليصلِّ معه؛ فإِنَّها له نافلةٌ)).

عن يزيد بن عامر قال: جئت والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة، فجلست ولم أدخل معهم في الصلاة قال: فانصرف علينا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فرأى يزيد جالساً فقال ((ألم تسلم يا يزيد؟)) قال: بلى يا رسول اللّه قد أسلمت، قال ((فما منعك أن تدخل مع النّاس في صلاتهم؟)) قال: إني كنت قد صلَّيت في منزلي، وأنا أحسب أن قد صليتم فقال ((إذا جئت إلى الصَّلاة فوجدت النَّاس فصلِّ معهم، وإن كنت قد صلَّيت تكن لك نافلةً، وهذه مكتوبة)).

وعن محجن الديلي أنه كان في مجلس مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذن بالصلاة، فقام رسول الله فصلى، ثم رجع ومحجن في مجلسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما منعك أن تصلي مع الناس ألست برجل مسلم))، فقال له: بلى يا رسول الله، ولكني كنت قد صليت في أهلي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا جئت فصل مع الناس)).

وعن جابر بن يزيد بن الأسود، عن أبيه قال: شهدت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

حجته فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف فلما قضى صلاته وانحرف إذا هو برجلين في آخر القوم لم يصليا معه فقال: ((علي بهما فجيء بهما ترتعد فرائصهما فقال: ما منعكما أن تصليا معنا؟ فقالا: يا رسول الله إنا كنا قد صلينا في رحالنا، فقال: فلا تفعلا إذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما مسجد جماعة فصليا معهم فإنها لكما نافلة)).

أيها المؤمنون:

إذا عرفنا بما تقدم من الأدلة والروايات عِظَم شأن الصلاة ومكانتها من الدين، فيجب علينا أنْ تَهتم بها، وأنْ نُشدد على أهلنا وأولادنا وكل من لنا عليه ولاية في إقامة الصلاة وحضور الجماعة، وأن لا ندع عُذرًا في تركها، ومن لم يسمع من أولادنا ولم يطع، فعلينا أن نهَدِّده ونعاقبه، وأن نغضب عليه أشدَّ الغضب، أعظم مما نغضب عليه لو أتلف علينا مالاً، فإن لم نفعل ذلك كنا والعياذ بالله من المستهينين بحقوق الله وبدينه.

لابد أن نعيد النظر في صلاتنا وأن نؤديها في جماعة حتى نحصل على الأجر العظيم، والثواب الكبير، وحتى يخرج المتهاون من دائرة النفاق والمنافقين، وإلا فلا يلومنّ أحدٌ إلا نفسه، فاختر لنفسك ما تريد أن تدعى به من الألقاب والأسماء، فأنت بتهاونك إنما تضر نفسك لاغيرك، وتجني عليها لا على سواها.

الحادي عشر:

الخطب المتعلقة بأمراض القلوب

٤٦- قسوة القلوب وعلاجها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ وَ لَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَ لَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَ لَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أما بعد أيها المؤمنون: فإن القَلْبَ أَشْرَفُ عُضوٍ في الإِنْسَانِ، جَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى وِعَاءً قَابِلاً لما تَمْلَؤُهُ به، فَإِمَّا أنْ تَجْعَلَهُ وِعَاءً للخَيرِ وَالرَّشَادِ، فَيَكُونَ ذَاكِرًا للهِ عَامِلاً لَهُ، سَاعِيًا إِلَيهِ، فَيكُونَ قَائِدًا للجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ إلى كُلِّ صَوَابٍ وخَيْرٍ، أَوْ تجعَلَهُ وعَاءً للشَّرِّ وَالفَسَادِ، غَافِلاً عَنِ اللهِ، عَامِلاً للشَّيطَانِ، سَاعِيًا إِلَيهِ؛ فيكُونَ قَائِدَاً للجوارحِ إلى كُلِّ ضَلَالٍ وشرٍّ.

فَإِنَّ للقُلُوبِ حَيَاةٌ كَحَيَاةِ الأجْسَادِ، بَلْ هي أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَجْمَلُ، وحَاجةُ الإنسانِ إليها أكثرُ، وَلَهَا أَمْرَاضٌ كَأَمْرَاضِ الجسَدِ، بَلْ هي أَعْتَى مِنْهَا وَأَقْسَى، وَيَتَضَرَّرُ الإنسانُ منها أكثرَ، وَعَلَى قَدْرِ حَيَاةِ القَلْبِ تَكُونُ حَيَاةُ الجَسَدِ وَالرُّوحِ، وَتَصْلُحُ الأَعْمَالُ، وَتُنَالُ الدَّرَجَاتُ، وَتُغْفَرُ الخَطِيئَاتُ، وَبِقَدْرِ فَسَادِ القَلْبِ وَاسْتِحْكَامِ آفَاتِهِ وأَمْرَاضِهِ تَكُونُ عَاهَةُ الجَسَدِ وَفَسَادُه.

وإِنَّ القلبَ يَمْرَضُ كما يمرضُ البدنُ، ويَصْدَأُ كما يَصْدَأُ الحديدُ، ويَجوعُ كما يجوعُ البطنُ، وأمراضُ القلبِ كثيرةٌ، وأنواعُها مُتَعَدِّدَة، والأَمْرَاضُ القلبيةُ تختلفُ وتتنوعُ بحسبِ نوعِ المؤثراتِ التي تحيط بها، فكلَّما قَوِيَت المؤثراتُ على القلب قوي المرضُ واشتَدَّ، ويَتَدَرَّجُ المَرَضُ فيه ويَزْدَادُ حتى يُطْمَسَ ويُقْفَلَ ويُطبَعَ عليه، ويزيغَ عن الحق، وعندها يكون القلبُ قد وصلَ إلى مرحلة خطيرة هي مرحلة الموت القلبي، التي هي أسوأُ وأخطرُ المراحل؛ لأنّ القلبَ حينئذٍ لا تنفعه المواعظُ، ولا تؤثرُ فيه العبرُ، بل قد ينتقلُ صاحِبُه من الإيمان إلى ضدِّه.

ومما يهيج أمراض القلوب الحالةُ التي نَعِيشُها في هذا الزمانِ المِلِيْءِ بما يَصُدُّ ويُلهي عن

طاعةِ اللهِ، ويُقفلُ القلوبَ عما ينفعها، ويسبب في غفلتها عن الله تعالى، فإن الآفاتَ في هذا الزمان، والأمراضَ في هذا العصر كثيرةٌ لا تحصى، فمنها ما هو على الأبدان، ومنها ما هو على القلوب والأديان، وهو أشد فتكاً وخطراً.

ومن أشدِّ الأمراض التي تصيب القلوب مرض قسوة القلب، وهو مرض خطير تنشأ عنه أمراض، وتظهر له أعراض، ولا يكاد يسلم من هذا المرض إلا القليل ممن سلمه الله وأخذَ بالأسباب، فيا ترى ما هو هذا المرض؟ وما هي علاماته وأعراضه؟ وكيف يمكن توقيه العلاج؟.

أَيُّهَا المؤمنون: القَسْوَةُ فِي القَلْبِ هِيَ غِلْظَتُهُ ونَبْوَتُهُ عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ وَإِعْرَاضُهُ عَنْهُ، وَهِيَ عِقَابٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى يَصُبُّهُ ويُنْزِلُهُ عَلَى المُعْرِضِينَ عَنْ شَرْعِهِ وعبادتِهِ، المُتَعدِينَ عَنْ هَدْيِهِ وَدِينِهِ وطاعَتهِ، كما قال تعالى {**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ الأَنْبِيَاءَ بِغَيرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**}.

إِنَّ مَنِ اسْتَغْرَقَ فِي المَعَاصِي وَالآثَامِ، ونَقَضَ مَوَاثِيقَهُ مَعَ اللهِ طَرَدَهُ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ التَّقْوَى، وَأَبْعَدَهُ عَنْ مَهَابِطِ رَحْمَتِهِ، حَتَّى يَقْسُوَ قَلْبُهُ ويَعْلُوهُ الرَّانُ والظُّلْمَةُ، عقوبة من الله تعالى له على سوء أفعاله، كما روي عن بعض الصالحين أنه قال: (مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بعُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ قَسْوَةِ قَلْبٍ، ومَا غَضِبَ اللهُ عَلَى قَوْمٍ إِلاَّ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِهِم).

إِنَّ مَن يَطُولُ عَلَيه العَهْدُ وَهو يَتَقَلَّبُ فِي النِّعَمِ عَلَى فِسْقٍ وَمَعْصِيَةٍ وَنِسْيَانٍ لِرَبِّهَ، وَابْتِعَادٍ عَنْ دِينِهِ، لاَ يلْبَثُ أَنْ تعْتَرِيَهَ أَمْرَاضُ النُّفُوسِ وَأَدْوَاءُ القُلُوبِ، فَيَقْسُوَ قَلْبُهُ، فَلاَ يَخْشَعُ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ، كما قال تعالى {**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**}.

فقد شبه الله تعالى القلوب بالحجارة، بل إن القلب القاسي أشد صلابة من الحجارة، ووجه التشبيه بين القلوب والحجارة، هو عدم الإنتفاع واللين، وعدم الخشوع لله والخشية منه.

وقد يقول القائل: كيف أعرف أعراض هذه القسوة، وأنها موجودة في قلبي؟

فالجواب: للقسوة أعراض وعلامات، إذا وجدتها في نفسك فاعلم أن قلبك قد صار قاسياً، غافلاً لاهياً، وهذه الأعراض تتفاوت وتختلف من شخص لآخر، فمن أعراضها:

أولاً: التكاسلُ عن الطاعات وأعمالِ الخير، بل ربما يفرط فيها، فهو يعتبرُ الصلاةَ مجردَ حركات من قيام وقعود، وركوع وسجود، يقوم بها بلا خشوع ولا خضوع، ولا يستحضر قلبه في أذكارها، بل يضيق بها ذرعاً، كأنه يحمل فوق ظهره ثقلاً، وهو يريد التخلص منه سريعاً، وكأنه في سجن يريد الخروج منه، وقد جعل الله هذه الصفة من صفات المنافقين فقال: **{وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ}**، وقال تعالى **{وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى}**.

ثانياً: عدمُ التأثر بآيات القرآن الكريم والمواعظ، فهو يسمع آيات الوعد والوعيد فلا يتأثر ولا يخشع قلبه ولا يخبت ولا ينيب، بل ويغفل عن قراءة القرآن وعن سماعه، ويجد ثقلاً ومللاً من ذلك، ويعجل الإنصراف عنه، مع أن الله تعالى يقول: **{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}**، ومدح الله المؤمنين بقوله **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}**.

ثالثاً: إذا قسى القلبُ أصبح لا يتأثرُ بشيء مما يدور حوله من الحوادث والمزعجات، كالموت والآيات الكونية، والعجائب التي تمر عليه بين حين وآخر، فهو يرى الأموات ويمشي في المقابر وكأن شيئاً لم يكن، وكفى بالموت واعظاً، ومن لم يتعظ بالموت فلا وعظه الله، وهو يرى ويسمع الزلازل والكوارث والصواعق ولا يبالي، قال تعالى: **{أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ}**.

فإن الله تعالى يجعل بعض تلك الحوادث والآيات الكونية للعظة والعبرة، قال تعالى: **{فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}**.

رابعاً: من أعراض قسوة القلب: إيثاره الدنيا على الآخرة، فتصبح الدنيا همَّه الأكبر، وشغله الشاغل، وتكون مصالحه الدنيوية ميزاناً في حبه وبغضه وعلاقاته مع الناس، فيحسد ويحقد بسبب الدنيا، ويوالي ويعادي من أجل الدنيا.

خامساً: يضعف في القلب تعظيمُ الله جل جلاله، وتنطفئ الغيرة الإيمانية فيه، ويقل

فيه نور الإيمان، فهو يرى محارمَ الله تنتهك ولا يغضب، ويرى المنكرات يعملُ بها ولا يحرك ساكناً، ويسمع الموبقات والمحرمات وكأن شيئاً لم يكن ولم يحدث، فإذا وصل القلب إلى هذه الحالة لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، نُكِسَ فَجُعِلَ أعلاه أسفلَه.

سادساً: من أعراض القلب القاسي: الوحشة التي يجدها، وضيق الصدر، والشعور بالقلق والضيق بالناس، ولا يكاد يهنأ بعيش أو يطمئن، فيظل قلقاً متوتراً من كل شيء، يغضب لأتفه الأسباب أو بلا سبب.

سابعاً: يتهاون بالمعاصي والذنوب، فيتفنن في ارتكابها، ويجتهد في تحصيلها، ولا يبالي بما يرتكبها منها، بل يستصغر كبيرها، ويستهون عظيمها، حتى تصبح المعاصي عنده شيئاً عادياً، وأمراً مألوفاً، ومع ذلك يمني نفسه بصلاحها، وإذا ارتكب المعاصي تولدت منها أشباهها وأمثالها، وأصبح من الصعب عليه تركُها.

ومن أعراض هذا المرض الخطير: جمود العين عن البكاء من خشية الله، فهاهي العيونُ جامدةٌ لا تدمع، والقلوبُ لاهيةٌ لا تخشع، والأبدانُ متواكلةٌ لا تشكر؛ يقرأ الواحد منا صفحات تلو صفحات من كتاب الله، فلا يقف وقفةً تنهمر من عينه دمعةٌ من خشيةً الله، والتفكر والتدبر في بليغ آياته وخطابه، بل قد نرى مشاهد كثيرة تهد الجبال الراسيات، ثم نحن بعد هذا نمر بها ضاحكين غير مبالين ولا مستشعرين، أليس هذا مرضاً خطيراً؟ أليس هذا وجعاً فتاكاً؟ بلى يا عباد الله! إنه إن استمر بعبدٍ من عبادِ الله، ضيعَ عليه دنياه وآخرته.

إن القلب القاسي بعيد عن الله، بعيد عن تعاليم الله، بعيد عن الرحمة، بعيد الخشية، بعيد عن كل صفات الخير، قريب من الشيطان، قريب من الشهوات، قريب صفات الشر.

جعلني الله وإياكم من الذين ينتفعون بمواعظ الله، ويهتدون بهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بسم الله الرحمن الرحيم **{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}**، بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من البر والإحسان، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ذي المجد والثناء، والفضل والعطاء، نحمده على نعمه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: فقد عرفنا في الخطبة الأولى أعراض وعلامات قسوة القلب، فلنأت لمعرفة الأسباب التي تجعل القلبَ قاسياً، الأمور التي تسبب في صلابة القلب وعدم تقبله للطاعة، وعدم خشوعه لمولاه.

أيها الإخوة الكرام:

هناك عوامل أساسية، تسبب في قساوة القلب إذا عرفناها، تمكنا من علاجها، لأن الداء لا يمكن علاجه إلا بعد تشخيصه ومعرفة أسبابه، ومن تلك الأمور الموجبة للقساوة القلبية ما يلي:

أولاً: الغفلة: فهي داءٌ عضال، ومرض وبيل، وآفةٌ خطيرة، إذا استحوذت الغفلةُ على القلبِ، وتمكنت من النفسِ، واستأثرت على الجوراح والأعضاء، أدى ذلك إلى انغلاق أبواب الهداية، وعدم وصول المواعظ والعبر إلى القلب، وقد ذكر الله تعالى أن الغفلة هي سبب في الطبع على القلوب، فقال تعالى **{أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}**، ومن تأمل حال الخلق وجدهم كلهم إلا القليل ممن غفلت قلوبهم عن ذكر الله تعالى، واتبعوا أهواءهم، وفرطوا فيما ينفعهم ويعود بصلاحهم، واشتغلوا بما لا ينفعهم بل يعود بضررهم عاجلاً وآجلاً، فلهذا وقع الناس في الغفلة المؤدية إلى الطبع المفضي إلى القساوة، وقد أخبرنا الله تعالى عن أصحاب الغفلة أنهم أصحاب قلوب قاسية لا تَرِقُّ ولا تَلِين، ولا تنتفع بشيء من الموعظة، فهي كالحجارة أو أشد قسوة، لهم أعين يشاهدون بها ظواهر الأشياء، ولكنهم لا يبصرون بها حقائق الأمور، ولا يميزون بها بين المنافع والمضار، ولهم آذان يسمعون بها الباطل كالكذب والغناء والفحش والغيبة والنميمة، ولا ينتفعون بها في سماع الحق

من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأنى لهؤلاء الفوز والنجاة وتلك حالهم، وأنى لهم الهدى والاستقامة وتلك طريقتهم، يقول الله سبحانه **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}**.

ثانياً: كثرة الوقوع في المعاصي والمنكرات: فإن المعصية ولو كانت صغيرة تمهد الطريق لأختها حتى تتابع المعاصي ويهون أمرها، ولا يدرك صاحبها خطرها، وتتسرب واحدة وراء الأخرى إلى قلبه، حتى لا يبالي بها، ولا يقدر على مفارقتها ويطلب ما هو أكثر منها، فيضعف في قلبه تعظيم الله وتعظيم حرماته، ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب ونزع واستغفر صُقِلَ قلبُه، وإن زاد زادت حتى تعلوَ قلبَه، فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل **في قوله {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، ذنب وراء ذنب، ومعصية بعد أخرى.**

وقد مثل بعض الصالحين المعصية بالشجرة المؤذية التي تنبت في الأرض المزروعة، فإن سارع في إزالتها، هان عليه ذلك، وإن استصغرها واستهونها، قويت واشتدت، وامتدت عروقها، وغلظ جذعها بمرور الأيام والسنين، حتى تصير شجرة ضخمة لا يقتلعها إلا بتعب وعناء شديد، فكذلك المعاصي في القلب إن سارع التوبة سهل عليه ذلك، وإن تهاون بها تكاثرت وتزايدت وتداعت حتى يصعب الإقلاع عنها.

قال الإمامُ القاسمُ بنُ إبراهيمَ عليه السلام: (ما جَمَدَتِ العيونُ إلاَّ من قساوةِ القلوب، وما قست القلوبُ إلاَّ من كثرة الذنوب، وما كَثُرَتِ الذنوبُ إلاَّ بالرضا بالعيوب، وما وقع الرضى إلاَّ بعد الاجتراءِ على علامِ الغيوب، جُمُودُ العين، من وُجُودِ الرَّين.

ثالثاً: مصاحبة قرناء السوء، والجلوس في الأماكن الفاسدة: وهذا السبب من أكثر الأسباب تأثيراً على الإنسان في سلوكياته، لأن الإنسانَ سريعُ التأثر بمن حوله، فالشخصُ الذي يعيش في مجتمع أو بيئة مليئة بالمعاصي والمنكرات، ويجالس أناساً أكثر حديثهم

عن المحرمات، ويكثرون المزاح والضحك والنكات وسماع الغناء ورؤية المسلسلات الإباحية الماجنة، هذا الشخص لا بد أن يتأثر بأولئك الجلساء، وطبعه يميل إلى طبعهم، فيقسو قلبه، ويعتاد على هذه المنكرات.

عن المرء لا تسألْ وَسَلْ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمُقارِنِ يَقْتَدِي

رابعاً: من أعظم أسباب القسوة، نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله، وعذابه ونعيمه، ووضع الموازين، ونشر الدواوين، ونسيان النار وما أعد الله فيها لأصحاب القلوب القاسية، فإن نسيان الموت يجعلك تأمل في حياة ممتدة لا نهاية لها، فتدخل في الدنيا وتنسى الآخرة، لأن حب الدنيا إذا طغى على القلب أضعف إيمانه شيئاً فشيئاً حتى تصبح العبادة ثقيلة مملة، ويجد لذته وسلواه في الدنيا وحطامها حتى ينسى الآخرة بالكلية، ويغفل عن هادم اللذات، ويبدأ عنده طول الأمل، وما اجتمعت هذه البلايا في شخص إلا أهلكته، وإذا مال القلب إلى الدنيا تشعب وتمادى، حتى يبتعد عن الله عز وجل، وعند ذلك تسقط مكانته عند الله، ولا يبالي به الله في أي وادٍ من أودية الدنيا سلك وهلك والعياذ بالله، إن العبد الذي ينسي ربه، ويُقبِلُ على الدنيا، يكون قد عَظَّمَ ما لا يستحق التعظيم وهي الدنيا، واستهان بما يستحق الإجلال والتكريم وهو الله تعالى، فلذلك كانت عاقبته من أسوأ العواقب.

فهذه أيها المؤمنون، أهم أسباب القسوة، فإذا قد عرفنا أسبابها سهُل علينا علاجها.

فلنأت إلى أخذ الدواء والعلاج لإزالة القسوة، والأسباب التي تجعل القلب رقيقاً منكسراً خاشعاً لخالقه عز وجل، يُقبل على الله بعد أن كان معرضاً عنه، ويقف عند حدوده بعد أن كان مجترئاً عليها، إنّ رِقَّةَ القلب من أجلِّ النعم وأعظمها، وما من قلب يُحرم هذه النعمة إلا وقع في التهديد بالعذاب من الله في قوله **{فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}**، وما رق قلب لله وانكسر إلا كان صاحبه سابقاً إلى الخيرات، مشمراً إلى الطاعات، حريصاً على طاعة الله ومحبته، **فمن علاج القسوة، الأمور التالية:**

أولاً: الإكثار من ذكر الله وتلاوة كتابه والنظر والتفكر في آيات القرآن الكريم، فما قرأ

عبدُ القرآنَ، وكان عند قراءته حاضرَ القلب، مفكراً متدبراً إلا وَجَدَ عينَه تدمع، وقلبَه يخشع، ونفسَه تزداد إيماناً ويقيناً، وما تلا عبد القرآن حق تلاوته أو استمع إلى آياته بفكر حاضر، إلا وجدته رقيق القلب، مقشعر الجلد من خشية الله، كما قال تعالى **{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}**، وقال تعالى: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}**.

ثانياً: تذكر الموت وما بعده من الأهوال، من سؤال القبر وظلمته ووحشته وضيقه، وأهوال الموت وسكراته، ومشاهدة أحوال المحتضرين وحضور الجنائز، فإن هذا مما يوقظ النفس من رقدتها، وينبهها من غفلتها، فتعود إلى ربها وترق، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصي أصحابه بذكر الموت في أحاديث كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((**أكثروا من ذكر هادم اللذات**))، لأن القلب إذا فارق ذكر الموت فسد وقسى.

ومما يزيل القسوة: زيارة القبور والتفكر في حال أهلها، وكيف صارت أجسادهم تحت التراب، وكيف كانوا يأكلون ويتمتعون ويلبسون، فأصبحوا تحت التراب في قبورهم، وتركوا ما ملكوا من أموال وبنين، ويتذكر أنه قريباً سيكون بينهم، وأنّ مآلَه هو مآلُهم، ومصيرَه هو مصيرُهم، فزيارة القبور عظة وعبرة، وتذكير وتنبيه لأهل الغفلة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها؛ فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هُجراً))، ومن نظر إلى القبور وإلى أحوال أهلها انكسر قلبه ورق، وذهب ما به من القسوة والغفلة، وأقبل على ربه إقبال صدق وإخبات.

ومن علاج داء القسوة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى في إزالة ما به، وتصفية باطنه، كما قال تعالى **{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}**.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من أهل القلوب الواعية، التي تعرف المعروف فتتبعه، وتنكر المنكر فتجتنبه.

٤٧- حول الإعراض عن الله تعالى ودينه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي هدانا لدينه القويم، وأبان لنا الحق المستقيم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة وإن الله لسميع عليم، نحمده على نعمه الواسعةِ المدد، الكثيرةِ العدد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه دائماً أبد الأبد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفى المِمَجَّد، بَلَّغَ رسالة ربه إلى كل أحد، وجاهد في سبيل الله مَن كفر وجحد، صلى الله عليه وعلى آله الركع السجد.

أما بعد: أيها المؤمنون:

نريدُ أن نتحدثَ معكم في هذه الجمعةِ المباركةِ عن موضوعٍ من أهمِّ المواضيعِ التي نُعاني منها في هذا الزمان، ونحتاج إلى معرفته كي نحذر منه، ونجتنب أسبابه ودواعيه، لأن هذا الموضوع يتحدث عن مرض مزمن في القلوب، وقد فشى في الناس عموماً، فلا يكاد يسلم منه إلا من عصمه الله، وهذا المرض هو السبب الداعي إلى كثير من الأمراض والعلل، سواء كانت من الأمراض التي تتعلق بالقلب أو باللسان أو بالأعضاء الأخرى، هذا الداء العضال، هو الإعراض عن الله تعالى، فقد يكون الإنسانُ مصاباً بهذا الداء الخطير وهو لا يشعر، أو يظن أنه ناج منه، ولكن هو في الحقيقة مصابٌ به إصابةً شديدة، وإنما يسول له الشيطان، ويمنيه الهوى أنه بعيدٌ عنه، وهو مرتطم فيه جداً.

فالإعراضُ عن الله تعالى أصلُ كلِّ بلاء، وأساسُ كل شقاء، فالضلالُ يَمُرُّ من خلاله، والغوايةُ تأتي عبر طريقه، فالإعراضُ عادةُ الكافرين والفاسقين، وخُلُقٌ من أخلاق المنافقين.

الإعراضُ عن الله إذا عشعش في القلب وخيّمَ فيه، أفسد على العبد دنياه، وأوبقه في آخرته.

أيها المؤمنون: إنّ الإعراضَ عن الله تعالى له مراتبٌ، فقد يكون الإعراضُ بالبعد عن دين الله، أو بالاعتراضِ على أحكام الله، أو بالإستنكاف والإستكبار عن الشريعة الإلهية، أو بالبعد عن هدي القرآن، أو بالصدود عن الناصحين الواعظين بالقرآن.

وقد ذكر الله تعالى هذا المرض في آيات كثيرة من القرآن، وسماه بأسماء متعددة، فسماه إعراضاً في قوله تعالى **{فَإِنْ أَعْرَضُوْا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيْظَاً}**، وَيُسَمَّى الْإِعْرَاضُ تُوَلِّيَاً، كما قال تعالى **{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُ}**، وَيُسَمَّى صُدُوْدَاً، كما قال تعالى **{رَأَيْتَ الْمُنَافِقِيْنَ يَصُدُّوْنَ عَنْكَ صُدُوْداً}**، وَيُسَمَّى أُفُوْكَاً كما قال تعالى **{يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}**، وَيُسَمَّى إِدْبَاراً كما قال تعالى **{ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ}**، وَالْقُرْآنُ مَلِيْءٌ بِالْإِخْبَارِ عَنْ الْمُعْرِضِيْنَ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَوْصَافِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَعَاقِبَتِهِمْ.

فَالْإِعْرَاضُ: هو صرف الوجه عن الشيء كراهة له، وأما هنا فهو تركُ التطبيقِ والعملِ ببعضِ أَجْزَاءٍ مِنَ الْشَّرِيْعَةِ، لأنها لَا تُوَافِقُ هَوَى فردٍ أو جَمَاعَةٍ، فَيُعْرِضُ عَنْ حُكْمٍ لَا يُرِيْدُهُ، وَيَرُدُّ مَا فِيْهِ مِنْ الْأَدِلَّةِ إِمَّا رَدَّاً مُبَاشِرَاً، وَإِمَّا بِتَأْوِيْلِهَا وَتَحْرِيْفِ مَعَانِيْهَا، وَإِمَّا بِضَرْبِ مُحْكَمِهَا بِمُتَشَابِهِهَا، وإما بالإستهزاءِ والإستهتارِ بها.

وَأَكْثَرُ الْمُعْرِضِيْنَ يعرضون عَنْ الله تَعَالَىٰ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فيُكَذِّبُوْنَ بِآَيَاتِ الله تَعَالَىٰ وَيُعْرِضُوْنَ عَنِ دِيْنِهِ، كما قال تعالى **{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوْا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَ * فَقَدْ كَذَّبُوُا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ}**، وكما قال تعالى **{وَآَتَيْنَاهُمْ آَيَاتِنَا فَكَانُوْا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَ}**، وقال تعالى **{بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُوْنَ}**، وَيَتَكَرَّرُ مِنْهُمْ الْإِعْرَاضُ مَعَ كُلِّ آيَةٍ قُرْآنِيَّةٍ يُوْعَظُوْنَ بِهَا كما قال الله تعالى **{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ}**.

وقد أزال اللهُ عذرَهم، بإقامةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؛ فالْخَلَلُ فِيْهِمْ حين لم يقبلوا ما جاء عن الله بكل رضى وانقياد، وَفِيْ أَسْمَاعِهِمْ حيث لَمْ تَسْتَمِعْ لآيَاتِهِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَفِي أَبْصَارِهِمْ حِيْنَ لَمْ تُبْصِرْ أَعْيُنُهُمْ آيَاتِ الله تَعَالَىٰ الْكَوْنِيَّةِ، وَفِي عُقُوْلِهِمْ إذ لَمْ تُذْعِنْ قُلُوْبُهُمْ للهُ

بِالْعُبُوْدِيَّةِ، **{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ الله الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ}**.

وَقَدْ يَقَعُ الْإِعْرَاضُ مِنْ الْعَبْدِ بَعْدَ الْإِيْمَانِ وَالْإِذْعَانِ وَالْعِلْمِ بِالله، وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُوْنُ قُبْحاً، وَأَعْظَمُ مَا يَكُوْنُ كُفْراً؛ إِذْ كَيْفَ يَسْتَبِيْنُ الْحَقُّ لِلْعَبْدِ، وَيَذُوْقُ حَلَاوَةَ الْإِيْمَانِ، ثُمَّ يُفَارِقُهُ إِلَىَ ظُلُمَاتِ الْبَاطِلِ وَالْكُفْرِ وَالْنِّفَاقِ.

أيها المؤمنون: إن للإعراضاً أنواعاً وأقساماً، تختلف بحسب اختلاف المعرضين:

فالقسمُ الأولُ: هم الذين جهلوا الحقَّ فأعرضوا عنه، فجهلُهُم بالحق سببُ إعراضهم عنه، قال الله تعالى **{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ}**، ويكونُ هذا بالقلبِ واللسانِ، كالإعراض عَنْ مَعْرِفَةِ الله تَعَالَىْ، وَالْنَّظَرِ فِيْ آَيَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ أَوْ سَمَاعِ آَيَاتِهِ، وهذا حَالُ أكثر الْكُفَّارِ، والبعضُ مِنْهُمْ قد يَعْلَمُ آَيَاتِ الله تَعَالَىْ فَيُعْرِضُ مَعَ عِلْمِهِ بِهَا، وَهَذَا هُوَ الْجُحُوْدُ الَّذِيْ أخبرَ اللهُ تَعَالَىْ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}**.

والقسم الثاني: الذين عرفوا الحقّ، ثم فارقوه، وهم يدركون أَنَّهُمْ قد خرجوا من الحَقِّ إِلَى البَاطِلِ، وَمن الهُدَى إِلَى الضَّلاَلِ، وَهم يتعللون بأنهم لاَ يَسْتَطِيعُونَ اتِّبَاعَ الحَقِّ، بسبب الخِذْلانِ الَّذِي جعله الله عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى إِعْرَاضِهِمْ، كما قال تعالى **{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ}**.

والقسم الثالث: الذين عرفوا الحق، لكنَّ قبولهم له وردهم له يكون بحسب المصلحة والهوى، وهذه خصلةٌ من خصال المنافقين، قال الله عن أهلها **{وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ، وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**، فتراه يُظْهِرُ الْقَبُوْلَ لِدِيْنِ الله تَعَالَىْ وللحقِّ بِلِسَانِهِ لَكِنَّهُ يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ فِيْ تَصَرُّفَاتِهِ وَلَحْنِ قَوْلِهِ، وَهَذَا حَالُ الْمُنَافِقِيْنَ قَدِيْمَاً وَحَدِيْثَاً،

وَكُلَّمَا كَثُرَ اعْتِرَاضُ الْشَّخْصِ عَلَى أَحْكَامِ الْشَّرِيعَةِ وِرَدِّهَا وَتَأْوِيْلِهَا كَانَ ذَلِكَ دَلِيْلاً عَلَى مَرَضِ قَلْبِهِ بِالْنِّفَاقِ؛ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىْ عَنْ الْمُنَافِقِيْنَ فِيْ الْعَهْدِ الْنَّبَوِيِّ وَمَيَّزَهُمْ بِكَثْرَةِ اعْتِرَاضَاتِهِمْ عَلَى أَحْكَامِهِ سُبْحَانَهُ وَأَحْكَامِ رَسُوْلِهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هذا القسم: أن يُذْعِنُ الرجلُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ لِلشَرِيْعَةِ وللحقِّ؛ لَكِنَّهُ يَعْتَرِضُ عَلَى بَعْضِهَا إِمَّا جَهْلاً، أَوْ لَهَوَىً فِيْ نَفْسِهِ، أَوْ تَقْلِيْدَاً لِأَهْلِ الْجَهْلِ وَالْهَوَى، أو يخرجهُ تعصبُه عن القبول، وَهَذَا عَلَى خَطَرٍ عَظِيْمٍ أَنْ يُصَابَ بِفِتْنَةٍ أَوْ عَذَابٍ عَاجِلٍ؛ كما قال الله تَعَالَىْ: **{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**.

والقسم الرابع: الذين يعرفون الحقّ، ولكن في وقت الشدة والبلاء فقط، أما في وقت النعمة والرخاء فغافلون معرضون، قال الله حاكياً عن أهل هذا الصنف **{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ}**.

والقسم الخامس: الإعراض الذي يقع مِنَ أكثر الْنَّاسِ، وهو الإعراض عَنِ الْمَوَاعِظِ وَالتَّذْكِيْرِ، وَالإِشْمِئزاز مِنْهَا، ومن الاسْتِمَاعَ إِلَيْهَا، وَهَذَا الإعراض فِيْهِ تشَبُّهٌ بِالْمُشْرِكِيْنَ وَالْمُنَافِقِيْنَ، وَيُخْشَى عَلَى صاحبه مِنْ سُوْءِ الْعَاقِبَةَ، وَشُؤْمِ الْخَاتِمَةِ، فَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَىْ الْمُشْرِكِيْنَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ **{وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}**، وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ يَفِرُّوْنَ مِنَ الْمَوَاعِظِ كفِرَارِ الْحُمُرِ الْوَحْشِيَّةِ مِنْ رُمَاتِهَا الذين يصطادونها، أَوْ كفرارها مِنَ الْأُسْدِ الهاجم عليها لِئَلَّا تَفْتَرِسَهَا، كما قال تعالى **{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ *كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}**.

وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْمَوَاعِظِ وَالتَّذْكِيْرِ بِكَلَامِ اللهِ تَعَالَىْ وَكَلَامِ رَسُوْلِهِ صلى الله عليه وآله وسلم سَبَبٌ لِإِعْرَاضِ اللهِ تَعَالَىْ عَنِ الْعَبْدِ؛ كَمَا روي أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِيْ الْمَسْجِدِ وَالْنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَىَ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله

وسلم فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِيْ الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيْهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الْثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِباً، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُوْلُ الله صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ الْنَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَىَ الله فَآوَاهُ اللهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ)).

جعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم { فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}.

بارك الله العظيم لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من المواعظ والذكر الحكيم، إنه تعالى كريمٌ جوادٌ برٌّ رؤوفٌ رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لانهاية له ولا انقطاع.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صادرةً عن محض اليقين.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله المبعوث الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: قد يتقلب المرء في ظلمات الإعراض وهو لا يشعر، فتراه يعارض النصوص القرآنية ولا يذعن لها؛ اتباعاً لهواه، ثم يجادل بالباطل ليرد به الحق، فهو واقع في مصيدة الإعراض، وهذا هو الضلال بعينه، قال تعالى **{فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}**.

المعرضون عن الله عليهم أن يفتشوا عن صدورهم، فربما قد فسدت قلوبهم وارتكسوا في الآثام وهم لا يشعرون، ربما انغمسوا في النفاق وتنقلوا بين شُعَبه وهم لا يدركون.

فكم من أقوام أعرضوا عن شريعة الله فكانوا بها من الجاهلين، فأصبحت أوامرُ الدين وتشريعاتُه غريبةً عليهم، فسبب لهم ذلك إلى الطعن في الدين، والاستهزاء بالشرع.

وكم من أُناس أعرضوا عن دين الله وتعلم العلم والعقيدة، فقادهم ذلك إلى الإلحاد في ذات الله وصفاته، والتهكم بعقيدة أهل الحق في ذلك.

أيها المؤمنون: إنَّ بِدَايَاتِ الضلال والإلحاد هو الإعراض عَنْ بَعْضِ أَحْكَامِ اللهِ تَعَالَى، ثم يتَطَوَّرُ إِلَى الاعْتِرَاضِ عَلَيْهَا، ثَمَّ إلى رَدِّهَا، إِلَى أَنْ يَصِلَ الإِعْرَاضُ إِلَى الزَّيْغِ وَالضَّلالِ، وَالاسْتِهَانَةِ بِاللهِ تَعَالَى، وَرَفْضِ دينه؛ **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}**، **{فِي قُلُوبِهِم مَّرَض فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً}**، وقد توعد الله تعالى المعرضين بعقوبات دنيوية وأخروية، فمن أعظم العقوبات الدنيوية التي

تصيب أهل الإعراض عن الله تعالى:

أولاً: أن يطمس اللهُ على قلوبهم فلا تعي الذكر، ولا تبصر الحق، ولا تستمع إلى الهدى، فهم يرتكسون في الكفر، وينغمسون في النفاق والاستكبار، ويجادلون بالباطل، وفي هذا يقول الله تعالى**{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَداً}**، كل ذلك عقوبةٌ من الله تعالى لهم على إعراضهم عنه.

ثانياً: توعد بالإنتقام منهم، كما قال تعالى (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}**، وَانْتِقَامُهُ سُبْحَانَهُ مِنْهُمْ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا بِمَا يُصِيبُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَيَكُونُ فِي الآخِرَةِ بِالعَذَابِ الشَّدِيدِ؛ **{وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ}**.

ثالثاً: من عقوبة الله تعالى للمعرضين عنه أنه يُعرض عنهم عقوبة لهم، ويكلهم إلى أنفسهم الأمارة بالسوء، فتزين لهم سوء أعمالهم، فيظنونه حسنًا وهو قبيح وسيء، فتزداد ضلالًا وإعراضاً، كما قال تعالى **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}**، ومعنى نوله ما تولى، أي: نتركه وشأنه لعدم الإهتمام به.

رابعاً: من عقوبة المعرضين العاجلة في الدنيا ما يجدونه في صدورهم من الضيق والضنك الذي يجعل عيشهم مرّاً، ولو كانوا في الظاهر منعمين، كما قال تعالى **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}**.

فكم نرى من صدود المعرضين عن التذكير، ونفورهم عن مواعظ القرآن الكريم، وضيق صدورهم حين يُذَكَّرون بآياته، فلا يطيقون ذلك ولا يتحملونه، ولا يعون ما فيه ولا يفقهونه، ويعترضون عليه بكلام الخلق، ويسارعون الخروج والهروب كي لا يستمعوه.

فمن أعظم أسباب الهموم والغموم: الإعراض عن الله عز وجل، والإقبال على الدنيا، فَمَا

فِي الدنيا أَشْقَى مِنْ المعرض عن الله، وَلَا أَكْسَفُ بَالًا، وَلَا أَنْكَدُ عَيْشاً، وَلَا أَتْعَبُ قَلْباً.

وأما العقوبات الأخروية التي أعدها الله تعالى للمعرضين، فهي الشقاء والنكال، والحسرة والوبال، والخلود في العذاب الدائم المقيم، فالمعرض يحمل يوم القيامة وزر إعراضه، وإثم توليه وإدباره، كما قال تعالى **{وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا *مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا}**، وَالذِّكْرُ هُوَ الْقُرْآنُ، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَقَدْ أَعْرَضَ عَنِ اللهِ تَعَالَى.

فعليك أخي المؤمن: أن تتخيل يوم القيامة الحالة التي أخبر الله تعالى أنه يحشر المعرضين عليها، في قوله تعالى **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}**، يسلبه اللهُ عينيه في عرصات القيامة فلا يرى أمامه، كيف يسير؟ كل الخلائق ترى وهو لا يرى، فيقول: رب لم حشرتني أعمى؟ كيف أسير؟ كيف أرى كتابي؟ كيف أرى ميزاني؟ كيف أرى صحفي؟ كيف أهتدي إلى طريقي؟ فيجيبه الله تعالى **{قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}**، كما قال تعالى: **{وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}**، تجره الزبانية على وجهه، وتكبه على منخره، وهو يسمع شهيق النار، وصراخ المعذبين، ولا يرى شيئاً، لا يرى أمامه ولا خلفه ولا فوقه ولا تحته، ثم يلقى في النار على وجهه، قالوا: يا رسول الله! كيف يمشون على وجوههم؟ قال صلى الله عليه وآله: ((إن الذي أمشاهم على أرجلهم لقادر أن يُمَشِّيَهم على وجوههم)).

أيها المؤمنون:

إن المعرضين عن الله تعالى فيهم كفار ومنافقون، وفيهم دعاة إلى سلوكهم في الإعراض،

والكافر قد يلقي الشبهة على المؤمن ليصده عن السبيل، ويزين له الإعراض عن الدين، والمنافق في ذلك أخطر من الكافر؛ لأنه متلبس بالإسلام ظاهراً، ويتكلم بلسان المؤمنين، ويظهر النصح لهم، وهو يهدم دينهم من داخله، فكان الإعراض عن أهل الإعراض من الكفار والمنافقين هو العلاج الأنجح لحماية المؤمنين من فتنة الإعراض عن دين الله تعالى، وفتنة الاعتراض على حكمته وشريعته.

فقد بين الله طريقة التعامل مع المعرضين؛ لئلا يجرفَ المعرضون غيرهم إلى إعراضهم، فيصدوهم عن الحق، ويزينوا لهم الباطل.

ورأس الأمر الرباني في التعامل مع المعرضين هو الإعراض عنهم، كما قال الله تعالى **{فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الحَيَاةَ الدُّنْيَا}**، أي: لا تأس عليهم إذ لم يهتدوا؛ لأن بعض الناس في دعوته الكفار إلى الإيمان قد يتنازل عن شيء من الشريعة يعلم أن الكفار لا يريدونه؛ وذلك لترغيبهم في الإيمان، أو يكتم عنهم شيئاً لا يقبلونه حين يسألونه عنه، فينكره أو يتأوله خوفا من إعراضهم عن الإسلام بسببه، فيتنازل عن بعض المبادئ لأجل الآخرين، وهذا مزلق خطير، وقع فيه بعض من يدعون إلى الإسلام، فأرادوا أن يستدركوا على الله عز وجل، فحرفوا شريعته.

والتوجيه الرباني واضح كل الوضوح في وجوب الإعراض عمن أعرض عن دين الله تعالى، وليس مساومته على شيء من الشريعة ليقبلها. فمن تولى عن ذكر الله تعالى، وجب الإعراض عنه بنص الكتاب؛ وذلك أن مهمة الداعية إلى الحق هي البلاغ لا الهداية، فمن تولى عن سماع البلاغ أو قبوله فلا حيلة فيه، كما قال الله تعالى **{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا البَلَاغُ}**، وقوله تعالى **{فإن أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ}**، وقوله تعالى **{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ}**.

وأما الإعراض عن المنافقين فجاء في آيات كثيرة؛ لأن خطر المنافق أعظم من خطر

الكافر **{سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**، فبين سبحانه سبب الإعراض عنهم بأنهم رجس، فما يفوهون به من النفاق هو رجس وقذر تقذف به أفواههم، فينبغي للمؤمن أن يتنزه عنه، ويتباعد عن مواطنه، لئلا يتنجس بقذر قولهم، لأن المنافقين يظهرون النصح للمؤمنين، لكنهم في الحقيقة خدام لأعدائهم؛ ولذا وجب الإعراض عن قولهم، وعدم أخذ نصيحتهم، ولا اتخاذهم بطانة؛ لأنهم أهل غش وخيانة، فإذا أعرض المؤمنون عنهم، وتوكلوا على الله تعالى لم يضرهم المنافقون شيئاً مهما بلغ كيدهم، وعظم مكرهم، كما قال تعالى: **{وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً}**.

فإذا خاض المعرضون عن الله تعالى في شريعته الغراء بالسخرية منها، أو من أحكامها، أو حملتها ودعاتها، أو حاولوا تأويلها أو تبديلها أو ردها؛ وجب على أهل الإيمان الإعراض عنهم، ومجانبة مجالسهم، ومفارقة تجمعاتهم؛ لئلا يهان دين الله تعالى وهم حضور فتحل السخطة عليهم، كما قال تعالى **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}**، فأمر الله تعالى بالإعراض عمن يخوضون في آيات الله تعالى.

وأكد الله تعالى هذا الأمر في آية أخرى مذكراً بهذه الآية: **{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً}**، فجعل سبحانه من حضر تلك المجالس التي يسخر فيها بدينه، ويخاض في آياته مثل الساخر سواء بسواء: **{إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ**

المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً}، وسواء كان الخوض في آيات الله تعالى، والسخرية بدينه في مجلة أو صحيفة أو كتاب فإنه يجب على المؤمن عدم اقتنائها، ولا مطالعتها، بل مقاطعتها، وإن كانت في إذاعة أو فضائية وجب عليه عدم مشاهدتها ولا الاستماع إليها، وإن كانت في مجلس أعرض عن ذلك المجلس وفارق أهله، وهذه هي حقيقة الإعراض عن المعرضين عن دين الله تعالى، المأمور به في كتابه العزيز؛ لئلا يتلوث الحاضر أو السامع أو القارئ بشيء من قذر المنافقين ورجسهم فيلوث قلبه.

وإذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبه الوقيعة في أولياء الله، لأن أولياء الله لا يقبلون السخرية والإستهزاء والإعراض عن الله تعالى وعن ذكره، فيضطر المعرضون إلى التعريض والإتهام لأولياء الله تعالى، وهذا ديدنُ وطريقةُ أعداء الحق والدين، فإن من عادى شيئاً أو أعرض عنه عادى حملتَه والدعاةَ إليه، فإن المشركين والكفار لما أعرضوا عن الدين والهدى عادَوا الأنبياء ووقعوا فيهم وآذوهم.

فلنحذر كل الحذر من هذا الداء العضال، الذي قد استفحل في القلوب، وعلينا أن نجلوا صدأ الإعراض بالرغبة في الدين والذكر، وأن نعود أنفسنا كيف نتقرب إلى الله تعالى.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من أهل القلوب الواعية، التي تعرف المعروف فتتبعه، وتنكر المنكر فتجتنبه.

٤٨- حول الكبر

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمَىً وَ حَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، صَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

من الصفات التي اتصف الله تعالى بها، وانفرد بالإختصاص بها تسمية ووصفاً، فلا يسمى بها غير الله، ولا يوصف بها سوى الله، هي المتكبر والمتعال، فهو تعالى ذو العظمة والعلو والكبرياء، فمن نازع الله في هذه الصفات قصمه وأذله وخذله، كما روي في الحديث القدسي عن الله تعالى: ((الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيتُه في النار ولا أبالي))، فالكبرياء والعظمة صفتان لله تعالى لا يشاركه فيهما مشارك، ولا يجوز لأحد من المخلوقين أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل والعبودية، فقد حرم الله تعالى الكبر والتعالي وكلَّ ما يدعو إليهما من التجبر والطغيان.

فالكبر معصية كبيرة من أكبر الكبائر توقع العبد في مصيدة الكفر أو المعصية والمخالفة لله تعالى، فقد وقع في تلك المصيدة كثير من المكلفين، والأمم الماضين، فأول من وقع في تلك الشباك هو الشيطان، الذي تكبر عن السجود لآدم عليه السلام، حين اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ

وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ {إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ}، اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ، فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ، أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيراً.

ثم سلك تلك الطريق، ووقع في شباك ذلك المضيق الأمم الكافرة، والقرون الماضية، أولهم قوم نوح عليه السلام كما حكى الله عنهم على لسان نبيه نوح عليه السلام **{وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}**، وقال تعالى حاكياً عن قوم شعيب **{قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ}**، وقال تعالى حاكياً عن قوم صالح **{قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ}**، وقال تعالى حاكياً عن أكبر المتكبرين، الذي ملئ الأرض طغياناً وتكبراً، وارتقى به الحال إلى أن ادعى الربوبية والألوهية من دون الله **{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}**، وتبعهم على هذا النهج كفار قريش حين أمروا بالسجود لله فقالوا: **{وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا}**، وكم حكى الله تعالى عن تكبر أقوام على خلق الله فكان مصيرهم إلى الهلاك والبوار، كما قال تعالى **{وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}**.

فالكبر أيها المؤمنون: مهلكةٌ وأيُّ مهلكة، فالمتكبر يصرفه العزيز الجبار عن تدبر آياته يقول تعالى: **{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ}**، المتكبر يختم الله على قلبه فلا يميز بين الحق والباطل، كما قال تعالى: **{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}**.

فالكبر من أخلاق الكفار والفراعنة، وليس من أخلاق الأنبياء والصالحين، لأن الله تعالى يقول في وصف الكفار بالكبر **{إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لآ إِلَٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}**، وقال تعالى: **{إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ}**، وقال تعالى **{فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ}**.

أيها المؤمنون:

الكبر مرض في القلب، وإحساس بالعظمة في النفس، تظهر علاماته على الجوارح، وتنعكس صورته في المعاملات، الكبر خُلقٌ يُزَيِّنُه الشيطانُ لضعفاءِ النفوس ومرضى القلوب، فينفُخُ فيهم حتى ينتفخ أحدهم ويرتفع كالبالون، فيحسب أنه على شيء، فتتلاعب به الأهواء، ويكون عرضة للسقوط والتلاشي في أي لحظة، هذا الخُلُقُ وهذا المرضُ فسره لنا خيرُ البرية صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله بقوله: ((الكِبرُ بَطَرُ الحقِ وغَمطُ الخَلْقِ))، فالمتكبر يردُّ الحقَّ ويرفُضه ولا يقبله مهما كان مصدرُه، وسواء كان على يدي الصغير أو الكبير أو الجليل أو الحقير، ويرى من نفسه أنه الأعلى، فهو يغمط الناس: أي يستحقرهم ويستهين بهم، وينظر إليهم نظرة احتقار وازدراء.

الكبر درجات بعضها أشد من بعض: فأعظم درجاته الكبر على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والكبر عن قبول الحق، وهذا من أشد درجات الكبر التي توصل المتكبر إلى الكفر.

ومن الكبر: أن يتكبر على شريعة الله وأحكامه، فيعترض على التشريعات الإلهية ولا يقبلها، ويجادل ويخاصم، فتأتيه بالآية والحديث الدالة على خطأه، فيرفض الرجوع إلى الصواب أنفة وتكبراً، وقد يتحجج بالظروف وتغير الزمان وحالاته، كما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً يأكل بشماله فقال له: ((كل بيمينك)) فقال الرجل – تكبراً-: لا أستطيع، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم ((لا استطعت)) فَشُلَّتْ يَمِينُ الرجل، فهلا انتهى أقوامٌ عن الكبر على شريعة الله من قبل أن تحل بهم عقوبة من العزيز الجبار.

ومن الكبر: أن يتكبر عن إنصاف خصمه عند طلبه إياه في شيء من الأمور المتنازع عليها في الأمور الدنيوية، فتراه يعرض عن القبول، ويرفض الرد والإجابة، على خصمه، لأنه يراه أقل منه قدراً، أو أصغر منه شأناً، كأن يكون المطالِب صغيراً أو فقيراً أو امرأة، والمطالَب كبيراً أو غنياً أو وجيهاً، فهو يستكبر عن مواجهة خصمه، كما قال الله تعالى {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ، وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ، أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}، فجعل الله ذلك مقياساً للمطيعين من المستكبرين.

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}، أستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخفِرُ من انتصر بذمته، ولا يَقْهَرُ من استتر بعظمته، ولا يُكدِي مَن أذاعَ شكر نعمته، ولا يَهلَكُ من تغمده برحمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة لدينه.

أما بعد: أيها المؤمنون: ومن أنواع الكبر: أن يتكبر العبد بما خوله الله وأنعم به عليه من نعمه، فهو يتبختر ويتكبر ويتعالى بما قسمه الله له ووهبه له، يتكبر بنعمة من نعم الله أتاه الله إياها، فهو يتكبر إما لسعة في المال، أو حصوله على منصب وجاه، وينسى أن الله هو الذي أعطاه وهو قادر على صرف ذلك عنه، ألا يتذكر ذلك المتكبر بنعمة الله أن أوّلَه نطفةٌ مذرة، وآخرَه جيفةٌ قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة.

يا مظهرَ الكبرِ إعجاباً بصورته انظر خلاك فإنَّ النتنَ تَثرِيبُ

لو فكّر الناسُ فيما في بطونِهِمُ ما استشعرَ الكِبْرَ شُبَّانٌ ولا شِيبُ

هل في ابنِ آدمَ مثلُ الرأسِ مَكرُمَةٌ وهو بخمسٍ من الأقذارِ مضروبُ

أنفٌ يسيلُ وأذنٌ ريحها سَهَكٌ والعينُ مُرفَظَّةٌ والثَّغْرُ ملعُوبُ

يا ابنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غداً أَقصِرْ فإنَّك مأكولٌ ومشرُوبُ

ومن أشد المتكبرين مقتاً وهواناً على الله: نوع لم يُؤتَوا من أسباب الكبر شيئاً، ومع ذلك تأبى نفوسهم المريضة إلا الكبر، وهو الفقير المتكبر، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ ولا يُزكيهم ولا ينظرُ إليهم ولهم عذابٌ أليم، وذكرَ منهم: وعائلٌ (أي فقير) مستكبر)).

وقد ذم الله تعالى المتكبرين في القرآن الكريم في آيات كثيرة، وعلى لسان النبي الأمين

صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث متعددة:

فقال تعالى **{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}**، وقال تعالى **{إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيه}**، وقال تعالى **{ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}**، وقال تعالى **{إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا}**.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))، فقال رجل: يا رسول الله: إني أحب أن يكون ثوبي غسيلاً، ورأسي دهيناً، وشراك نعلي جديداً، أذلك من الكبر يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((ذلك من الجمال، إن الله جميل يحب الجمال الكبر: بطر الحق وغمط الناس))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط، وغني لا يؤدي الزكاة، وفقير فخور))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر))، العتل: هو الغليظ الجافي، والجواظ: هو الذي يمنع النصفة من نفسه، والمستكبر: معروف، فهذه صفة أهل النار.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((بينما رجل يمشي في حُلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل – أي يغوص وينزل – في الأرض إلى يوم القيامة)).

ومن هوان المتكبرين على الله، أنه يجعل لهم يوم القيامة حالة من الذل والهوان يعرفون بها بين أهل المحشر، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((يُحشرُ المتكبرونَ على أمثالِ الذّرّ (أي صغار النمل) في صُورِ الرجالِ يغْشاهمُ الذّلُ من كلِ مكان، يساقونَ إلى سَجنٍ في جهنمَ يُقالُ له بُولَسٌ، تعلوهم نار الأنيار يُسقونَ مِنْ عُصارَةِ أهلِ النارِ، طينةُ الخبال)).

وقد أعد الله للمتكبرين عذاباً أليماً، ومثوى في جهنم مقيماً، فقال تعالى **{أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ}**، وقال تعالى **{قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}**، وجعل الجنة محرمة عليهم، كما قال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ، لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}**، وجعل الدار الآخرة والجنة الفاخرة للمتواضعين، فقال تعالى **{تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}**.

الثاني عشر:

الخطب المتعلقة بالخصال الحميدة ومكارم الأخلاق

٤٩- خطبة حول العلم وفضله

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، نحمده على جزيل النعم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الأولوهية والقدم، إلهاً واحداً، فرداً صمداً.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلى آخر الأمم، أفضلُ من عَلِمَ وعَلَّم، صلى الله عليه وعلى آله سادات الأمم، وأصحابه المتأدبين بآدابه وشرف وسلم وكرم.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن كمالَ الإنسان إنما هو بالعلم، الذي يضاهي به ملائكةَ السماء، ويستحقُّ به رفيعَ الدرجات في العُقْبَى، مع جميل الثناء في الدنيا، ويتفضلُ مدادُه على دماءِ الشهداء، وتضعُ الملائكةُ أجنحتها تحت رجليه إذا مشى، ويستغفرُ له الطيرُ في الهواء، والحيتانُ في الماء، ويَفْضُلُ نومُ ليلة من لياليه على عبادة العابد سبعين سنة، وناهيك بذلك جلالة وعظماً.

فقد امتن الله تعالى على الإنسان بالعلم وجعله من أكبر النعم وأجلها، بل ذكرها الله تعالى وامتن بها على الإنسان بعد نعمة الخلق والإيجاد، فقال تعالى: **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَق اقْرَأْ ورَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ}**.

فقد افتتح الله كتابه الكريم المجيد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، بنعمة الإيجاد للإنسان، ثم أردفها بنعمة العلم، فلو كان هناك مِنَّةٌ أعظم من العلم، أو توجد نعمة، بعد نعمة الإيجاد هي أعلى من العلم، لذكرها الله تعالى بدلاً عن العلم، فنعمة الإيجاد هي الأولى، وبعدها نعمة العلم، إذ لا فرق بين الإنسان وبين سائر الموجودات من الجمادات والحيوانات إلا بالعلم.

فقد ذكر الله تعالى في هذه السورة الكريمة أولَ حالٍ للإنسان وهي كونه علقة مع أنها أخس الأشياء، وآخر حالةٍ وهي صيرورته عالماً وهو أجل المراتب، فكأنه تعالى قال كنتَ

في أول حالك في تلك الدرجة التي هي في نهاية الدناءة وغاية الخساسة، فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف والنفاسة، وهذا حيث علمه بالقلم، وعلمه ما لم يعلم، بأن جعله قابلاً للتعلم، مؤهلاً للفهم، وهذا دليل واضح على أن العلمَ أشرفُ المراتب، وأعلى المناقب، إذ لو كان غيره أشرف لذكره الله تعالى وامتن به.

ومن فضل العلم: أن الله سبحانه قرن أولي العلم بنفسه وملائكته فقال: **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إلهَ إِلّا هُوَ والْمَلائِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ}**، وزاد في إكرامهم على ذلك مع الاقتران المذكور بقوله تعالى **{وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ والرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}**، وبقوله تعالى **{قُلْ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وبَيْنَكُمْ ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ}**، وقال تعالى **{يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجات}**، **وقد خص الله سبحانه في كتابه العلماء بخمس مناقب:**

الأولى: الإيمان: قال تعالى: **{والرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ}**.

الثانية: التوحيد والمعرفة لله: قال تعالى: **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ والْمَلائِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ}**.

الثالثة والرابعة: البكاء والحزن والخشوع: {**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**}.

الخامسة: الخشية لله تعالى: قال تعالى: **{إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ}**.

وقال تعالى مخاطباً لنبيه – مع ما آتاه من الله العلم والحكمة، أمره أن يطلب الإزدياد من العلم، فقال تعالى **{وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً}**.

ومن فضل العلم: أن حملته مخصوصون بما لم يختص به غيرهم من اليقين والبيان والإطمئنان إلى الهدى، والمعرفة لكثير مما أراده الله تعالى في كتابه من المعاني والمقاصد، كما قال تعالى: **{بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}**، وقال تعالى: **{وتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ}**.

وقد رغب الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المرتبة العالية،

والمنقبة السامية، في أحاديث كثيرة، نذكر منها بعضاً لعلها تكون دافعة لنا إلى الإهتمام بهذه التجارة الرابحة، التي أصبحت أسواقُها في هذا الزمان كاسدة، وأحوالها عند أكثر الناس فاسدة، بل أصبح الناس يهتمون بأشياء لا تصلح إلا بالعلم، دون أن يهتموا بالأصل الذي هو العلم، ولقد راج الجهل عند الناس، وأصبح مألوفاً معتاداً عندهم وهو لا يشعرون، فرغم تطور الثقافات، وتنوع المعلومات، وتفاووت الحضارات، إلا أن الجهل الديني لا زال يسيطر على مشاعرنا، وتظهر ملامحه وعلاماته في جميع حالاتنا، وإن كنا نتظاهر بخلاف ذلك، فكم من صاحب منظر حسن، وصاحب سمت رائق، وصاحب لسان منطيق، ولكن هو كالبيضة الفاسدة، ظاهرها أبيض، وباطنها منتن، لو سألته عن أبسط مسائل الدين وأسهلها، في عباداته اليومية التي يتعبد اللهَ بها، أو في معاملاته اليومية التي يتعامل بين الناس بها، لوجدته عارياً عن لباس العلم، وإن تردى بلباس الزينة، خالياً عن ثقافة الدين، وإن امتلأ بثقافة العصر، بعيداً عن مجال الكتاب والسنة وقوانينها، وإن اقترب من القوانين العصرية وأحسن حفظها، وهذا أمر صعب وخطير على كافة المسلمين، حيث يهتمون بالأدنى، ويتركون الأهم الأعلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولنستمع إلى بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل العلم، والحث على التزود منه:

فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: بابٌ من العلم نتعلَّمُه أحبُّ إلينا من ألفِ ركعةٍ تطوعاً، وقال سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إذا جاء الموتُ طالبَ العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً)).

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من غدا إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه، كان له أجر معتمر تام العمرة، ومن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو ليعلمه فله أجر حاج تام الحجة)).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أحب الخلائق إلى الله عز وجل لشابٌ حديثُ السِّنِّ، في صورةٍ حسنةٍ جعلَ شبابَهُ وجمالَهُ في

طاعة الله، ذلك الذي يباهي به اللهُ الملائكة يقول: هذا عبدي حقاً)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من خرج يطلب باباً من العلم ليرد به باطلاً إلى حق، وضالاً إلى هدى كان عمله كعبادة أربعين عاماً)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين، فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة، وبنى الله له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض وهي تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفوراً له، وشهدت الملائكة أنهم عتقاء الله من النار)).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((من طلب العلم فهو كالصائم نهاره القائم ليله، وإن باباً من العلم يتعلمه الرجلُ خيرٌ له من أن يكون له أبو قُبيسٍ ذهباً فأنفقه في سبيل الله))، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة في الجنة)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((فضل العالم على العابد سبعون درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعين عاماً، وذلك لأن الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فيزيلها، والعابد يقبل على عبادته)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في الماء ليصلون على معلم الناس الخير)).

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله نحمدُهُ ونستعينُه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، حمداً يكون أرضى الحمد له، وأتم الحمد لديه.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة لدينه.

أما بعد: أيها المؤمنون: العلم شيءٌ عظيم لا يقاس به شيء من أمور الدنيا، لا يقاس به ملك ولا مال ولا سلطان، ولا جنود ولا أعوان، فهو الكنز الباقي الذي يبقى بعد فناء أهله، كما روي عن جعفرِ الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم، فاطلبوا العلمَ في مَظَانِّه، واقتبسوه من أهله، فإنَّ تَعَلُّمَهُ لله تعالى حسنةٌ، وطلبَه عبادةٌ، والمذاكرةَ به تسبيحٌ، والعملَ به جهادٌ، وتعليمَه من لا يَعْلَمُهُ صدقةٌ، وبذلَهُ لأهله قربةٌ إلى الله تعالى، لأنه معالمُ الحلالِ والحرامِ، ومنارُ سبيلِ الجنة، والمؤْنِسُ في الوَحْشَة، والصاحبُ في الغربةِ والوحدة، والمحَدِّثُ في الخَلْوَة، والدليلُ على السراء والضراء، والسلاحُ على الأعداء، والزَّينُ عند الأخلاء، يرفعُ اللهُ به أقواماً فيجعلهم في الخير قادةً، تُقْتَبَسُ آثارُهم، ويُقتدَى بفعالِهم، ويُنْتَهَى إلى آرائهم، ترغبُ الملائكةُ في خُلَّتِهم – أي صحبتهم –، وبأجنحتها تمسَحُهم، وفي صلواتها تُبارِكُ عليهم، يستغفرُ لهم كلُّ رَطْبٍ ويَابس، حتى حيتانِ البحر وهوامِّه، وسباعِ البَرِّ وأنعامِه، إنَّ العلمَ حياةُ القلوب من الجهل، وضياءُ الأبصار من الظلمة، وقوةُ الأبدان من الضَّعفِ، يَبلُغُ بالعبد منازلَ الأخيار، ومجالسَ الأبرار، والدرجاتِ العلا في الآخرة والأولى، الذكرُ فيه يعدلُ بالصيام، ومدارستُه بالقيام، به يطاعُ الربُّ ويُعْبَدُ، وبه تُوصَلُ الأرحامُ، ويعرفُ الحلالُ والحرام، والعلمُ إمامٌ والعملُ تابِعُهُ، يُلْهَمُهُ السعداءُ، ويُحْرَمُهُ الأشقياء، فطوبى لمن لم يُحْرِمْهُ اللهُ من حَظِّه)).

وروي أن مما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام في الإنجيل: ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه، كيف يحشر مع الجهال إلى النار؟! اطلبوا العلم وتعلموه فإن العلم إن لم يُسْعِدْكُم لم يُشْقِكُم، وإن لم يَرفَعْكُم لم يَضَعْكُم، وإن لم يُغْنِكُم لم يُفْقِرْكُم، وإن لم يَنْفَعْكُم لم يَضُرَّكُم، ولا تقولوا نخافُ أنْ نعلَمَ فَلَا نَعْمَلُ، ولكن قولوا نرجو أن نعلَمَ ونعمَلَ، والعلمُ يشفعُ لصاحبه، وحقٌّ على الله أن لا يُخْزِيَه، إنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يا معشرَ العلماءِ ما ظُنُّكم بربكم؟، فيقولون: ظننا أن يرحَمَنا ويغفرَ لنا، فيقول تعالى: فإني قد فعلت، إني قد استودعتُكُم حِكْمَتِي لا لشرٍّ أردْتُهُ بكم بل لخيرٍ أردته بكم، فادخلوا في صالح عبادي إلى جَنَّتِي برحمتي).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (**العلم أفضل من المال بسبعة**:

الأول: أنه ميراث الأنبياء والمال ميراث الفراعنة، **الثاني**: العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص بها، **الثالث**: يحتاج المال إلى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه، **الرابع**: العلم يدخل في الكفن ويبقى المال، **الخامس**: المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل إلا للمؤمن.

السادس: جميع الناس يحتاجون إلى العالم في أمر دينهم ولا يحتاجون إلى صاحب المال.

السابع: العلم يقوي الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه).

وعن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه الباقر، عن جده زين العابدين، عن أبيه الحسين السبط عليهم السلام، قال: قال لي علي عليه السلام: قِوَامُ الدنيا بأربعة: بعالمٍ ناطقٍ بعلمِهِ عامِلٍ به، وبغنيٍ لا يبخلُ بفضلِ ماله على أهلِ دِيْنِ اللّه، وبفقيرٍ لا يبيعُ آخرتَه بدنياه، وبمتعلمٍ لا يستكبرُ عن طلبِ العِلْم.

فإذا بخلَ العالمُ بعلمه، وبخلَ الغنيُّ بفضلِ مالِهِ على أهلِ دينِ اللّهِ، وباعَ الفقيرُ آخرتَه بدنياه، واستكبرَ الجاهلُ عن طلب العِلْم، رجعت الدنيا إلى بدئِهَا، فلا تغرَّنَّكُم كثرةُ المساجِدِ، وأجسادٌ مختلفة، قيل: يا أمير المؤمنين، فما العيش في ذلك الزمان؟ قال: خالطوهم في الظاهر، وخالفوهم في الباطن، وتوقعوا فيما بين ذلك الفَرَجَ من اللّهِ عز وجل.

العِلْم زَيْنٌ وتشريفٌ لصاحبِهِ فاطْلُبْ هُديتَ فُنونَ العِلْمِ والأَدَبَا

لا خيرَ فيمن له أصلٌ بلا أَدَبٍ حتى يَكُونَ على ما زَانَهُ حَدِبَا

العِلْمُ كنزٌ وذُخرٌ لا نفادَ له نِعْمَ القرينُ إذا ما صَاحِبٌ صَحِبَا

قد يجمعُ المرءُ مالاً ثمَّ يُحْرَمُهُ عما قليلٍ فيلقى الذُّلَّ والحَرَبَا

وجامعُ العِلْمِ مغبوطٌ به أَبَدَاً ولا يُحَاذِرُ منه الفوتَ والسَّلَبَا

يا جامعَ العِلْمِ نعمَ الذُّخرُ تجمَعُهُ لا تَعْدِلَنَّ به دُرَّاً ولا ذَهَبَا

فالعلم كنز لا يساويه كنز في الدينا، وهو أنفع شيء في الدنيا، وهو ذخر يبقى بعد فناء الدنيا، فعلينا بالعلم إن أؤدنا الفوز في الآخرة والأولى، ونسأل الله أن يفتح قلوبنا للعلم وتعلمه، والعمل به وتطبيقه، إنه على كل شيء قدير.

٥٠- فضل الأعمال اليسيرة المتهاوَن بها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، مخرجِ الموجودِ من العدم، والسابقِ الأزليةِ بالقدم، والجوَادِ على الخلق بسوابغِ النعم، والعوَّادِ عليهم بالفضل والكرم، الذي لا يعجزه كثرةُ الإنفاق، ولا يُمسكُ خشية الإملاق، ولا يَنْقُصُه إدرارُ الأرزاق، ولا يُدرك بأُناسِيِّ الأحداق، أحمده على جزيل إحسانه، وأعوذ به من حلول خذلانه، وأستهديه بنور برهانه، وأؤمن به حقَّ إيمانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يحويه حدٌّ ولا يدركُه نظر، ولا يُتَصَوَّرُ في الفِكَر، ولا يتمثلُ بجسم أو قُدَر، أو يُنسبُ إلى عرضٍ أو جوهر.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، المنتجبُ المصطفى، صلى الله عليه وعلى آله ما بقي الأنام، وما تعاقبت الأيام، وتناوبت الأعوام، وما خطرت الأوهام، وتدبرت الأفهام.

أما بعد: أيها المؤمنون: فإنّ من كريمِ فضلِ الله علينا، وجزيلِ عطائه وثوابِه لدينا، أنه تعالى تعبَّدنا بأمورٍ يسيرة في أدائها، عظيمةٍ في أجرها وثوابها؛ وذلك لمحبته تعالى للمؤمنين، وإكرامه لهم، بما أعدّ لهم من الثواب العظيم في جنته، وتلك الأعمالُ اليسيرةُ تزيدُ المؤمنَ إيماناً ومداومةً على المسابقة إلى فعل الخيرات، والطمعِ في مرضاة الله، والبحثِ عن الأعمال التي تُكَثرُ الحسنات وتكفرُ السيئات.

لأن الله تعالى هو الذي يضاعف الدرجات، ويقبل التوبة من عباده، ويحبّ التوَّابين، ويتجاوز عن المذنبين المسيئين إن صدقوا التوبة ولم يصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون.

وتلك الأعمال اليسيرة قد فرط فيها الكثير من الناس إما جهلاً لفضلها، أو انشغالاً بما يلهي عنها، أو استثقالاً لها، لأنها وإن كانت أعمالاً سهلة، ولكن ثوابها كثير، فالشيطان يحرص على إبعاد الإنسان عن التسبب في الأجر الكثير، كما أنه يسعى ليوقعه في العذاب الكبير.

وسنذكر إخوة الإيمان، بعضاً من تلك الأعمال التي نتساهل عنها، ونورد شيئاً من الثواب الذي وعد الله عليها، تنبيهاً للغافلين، وتأكيداً على المواظبين، وطمعاً في تعليم الجاهلين:

فمن ذلك: متابعة المؤذن في أذانه:

فإن الكثير من الناس إذا سمع النداء ولو كان في المسجد ينتظر الصلاة، وكان في أثناء حديث مع غيره فإنه لا يقطع حديثه ويتابعُ المؤذن، بل يستمر فيما بينهم من الحديث والكلام، ويُعرضُ عن متابعة المؤذن، فيفوته الفضل والأجر، وإليك أخي المسلم ما أعد الله من الثواب على متابعة المؤذن:

عن أمير المؤمنين علي عَلَيْه السَّلام، قال: (ثلاث لا يدعهن إلاَّ عاجز: رجل سمع مؤذناً لا يقول كما يقول، ورجل لقي جنازة لا يسلم على أهلها، ويأخذ بجوانب السرير، فإنه إذا فعل ذلك كان له أجران، ورجل أدرك الإمام ساجداً لم يكبر ثم يسجد معه، ولا يعتد بها).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ((إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ مرةً صلى الله عليه بها عشراً)).

وروي أن رجلاً قال يا رسول الله: إن المؤذنين يفضُلُوننا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((قل كما يقولون فإذا انتهيت فسل تُعْطَه)).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ((من قال حين يسمعُ النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له الشفاعةُ يومَ القيامة)).

وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقول ((من الجفاء أربعة: أن يسمع المؤذن يقول الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فلا يقول مثل ما يقول.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من سمِعَ المؤذِّنَ وقال مِثلَ قوله كان له كأجرِهِ، وإذا قال المؤذِّن: أشهدُ أن محمداً رسولُ الله، فقال مَن سمِعَه: وأنا أشهدُ، رضِيتُ بالله ربًّا، وبمُحمَّدٍ رسولاً، وبالإسلام دينًا؛ غُفِرَ له ذنبُه)).

ومن ذلك: الصلاة على الجنازة وتشييعها ودفنها

فإن البعض من الناس يتساهل بفضل وأجر الصلاة على جنازة المؤمن، لأنه قد تقرر في الأذهان أنها فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين، فيكون هذا سبباً في أن يفوت الإنسان كثيراً من الأجر والثواب، فإن من شهدَ جنازة مؤمن حاز على عدة

أعمال من الطاعات، فمنها الصلاة على الجنازة، ومنها التشييع لها، ومنها حمل الجنازة، ومنها الدفن والحثي بالتراب عليها، ومنها الإنتظار والبقاء حتى إكمال الدفن، وفي كل واحدة من هذه الطاعات والأعمال الصالحات أجر كبير، وثواب كبير، وإليك أخي المسلم شيئاً من الأخبار الواردة في فضل تلك الأعمال:

فعن أمير المؤمنين علي عَلَيْه السَّلام، قال: قال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((من غسل أخاً له مسلماً، فنظَّفه فلم يقذره، ولم ينظر إلى عورته، ولم يذكر منه سوءاً، ثم شيعه وصلى عليه، ثم جلس حتى يدلى في قبره خرج من ذنوبه عطلاً)).

وعن علي عَلَيْه السَّلام أنه كان إذا حثى على ميت قال: (اللهم إيماناً بك، وتصديقاً برسلك، وإيماناً ببعثك، هذا ما وعد اللَّه ورسوله، وصدق اللَّه ورسوله) ثم قال: (من فعل ذلك كان له بكل ذرة من تراب حسنة).

وروى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام قال: بلغنا عن رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أنه قال: ((من حثى على قبر أخيه ثلاث حثيات من تراب كُفِّر عنه من ذنوبه ذنوبُ عام)).

ومما يتركه الناس استعجالاً هو المسارعة إلى الإنصراف قبل إتمام الدفن، أو لا يتبعون الجنازة، فيفوت المسلم أجراً عظيماً لأجل عجلة بسيطة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان)). قيل: وما القيراطان؟ قال: ((مثل الجبلين العظيمين)).

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخفِرُ من انتصر بذمته، ولا يَقْهَرُ من استتر بعظمته، ولا يُكدِي مَن أذاعَ شكر نعمته، ولا يَهلَكُ من تغمده برحمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة لدينه.

أما بعد: أيها المؤمنون:

من الأعمال التي يحصل فيها التهاونُ الكبيرُ هي السننُ المؤكدةُ التي سنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وداوم عليها، فيتهاون الكثير من المصلين بسنة المغرب والظهر والوتر، والعجب أن ذلك التهاون ليس له عذرٌ ولا موجب، والمشكلةُ الكبرى أنّ ذلك التهاونُ والتركُ ليس مرة أو مرتين بل على الإستمرار، فترى الكثير ممن يجمع بين الصلاتين يترك تلك السنة المؤكدة بدون عذر وبلا سبب، وقد اعتاد ذلك الكثير من الناس، وهذا التهاون بالسنن المؤكدة هو من الأسباب التي جعلتنا نتهاون بالفرائض، فلو حافظنا على النوافل لدعتنا للحفاظ على السنن المؤكدة، ولو حافظنا على السننِ المؤكدة لسهلت علينا المحافظةُ والإهتمامُ بالفرائض الواجبة، وبسبب تهاون الآباء بالسنن يشب الأولاد وهم لا يعرفون عنها شيئاً، فإن الولد حين يرى أباه أو غيره من الناس يبادر الخروج من باب المسجد بعد الفريضة بدون أن يتسنن فإنه سيفعل مثله، ويَشِبُّ ويَشِيبُ وهو لا يعرف شيئاً عن تلك السنن، وإليك أخي المسلم بعضاً من الأدلة على أهمية تلك السنن المؤكدة:

فمن ذلك صلاة الوتر: فإنها من آكد السنن، التي داوم عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى توفي، ولم يتركها في سفر ولا حضر، بل وكان يتنفل وهو على دابته فإذا أراد أن يوتر نزل من دابته وصلى الوتر مستقراً، ومما يدل على أهمية الوتر أن جماعة من أهل العلم

ذهبوا إلى وجوبها، ولكن هي عندنا ليست بواجبة ولكن هي سنة لا ينبغي التهاون بها، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (إن الوتر ليس بحتم كالصلاة المكتوبة، ولكن سنةٌ، فلا تدعوها)، وفي رواية أخرى عن علي عليه السلام: (ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن الله وَتْرٌ يحبُّ الوَتْرَ، فأوتروا يا أهل القرآن)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إن الله قد أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم)) قالوا: وما هي يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((الوتر ما بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر)).

وصلاة الوتر هي ثلاث ركعات متتالية، كما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوتر بثلاث ركعات لا يسلم إلا في آخرهن، يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة قل هو الله أحد والمعوِّذتين).

ووقتها ممتد من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، فيوتر بعد العشاء أو في نصف الليل أو في وقت السحر من آخر الليل، كما روي عن علي عليه السلام أنه قال (مِن كُلِّ الليلِ قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى انتهى وتره إلى السحر)، فالذي يقوم قبل الفجر تأخيره له أفضل، والذي يخشى أن يفوته الوتر فلا ينام إلا وقت أوتر، كما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم فليوتر آخر الليل)).

وقد يسأل البعض من الناس عمن طلع عليه الفجر ولم يوتر، هل يوتر بعد الفجر أم لا؟

فالجواب: أنه إذا نام عن الوتر حتى طلع الفجرُ فيجوز له الوتر إلى قبلِ طلوعِ الشمس، ومن فاته الوتر ليلاً جاز له أن يقضيه في النهار، كما روي عن علي عليه السلام قال: ((أتى رجل فقال: إنّ أبا موسى الأشعري يزعم أنه لا وتر بعد الفجر. فقال علي عليه السلام: (لقد أغرق في النزع وأفرط في الفتوى؛ الوتر ما بين الآذانين).

يعني ما بين صلاة العشاء إلى صلاة الفجر إلى الإقامة.

قال الإمام زيد عليه السلام: والوتر ليس بحتمٍ، ولا ينبغي للعبد أن يتعمد تركه، ومن رأى أنه يفرغ من وِتره ومن ركعتي الفجر ومن الفجر قبل طلوع الشمس فليفعل، وليبدأ بالوتر)).

وسئل الإمامُ زيدُ بنُ عليٍّ عليه السلام عن الرجل ينام عن وتره أو ينساه؟.

فقال الإمام زيد عليه السلام: يوتر من النهار – يعني قضاء-.

ولكن لا ينبغي للمؤمن أن يتعمد التأخير إلى بعد الفجر، إلا لعذر أو نسيان، أما بدون ذلك فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من أدركه الوتر فلم يوتر، فلا وتر له))، والمعنى من تمكن من الوتر فتركه متعمداً بدون نوم أو نسيان حتى ذهب وقته فلا وتر له.

أعاننا الله وإياكم على الطاعات، وجنبنا المعاصي والمنكرات، إنه ولي الحسنات ودافع السيئات، وغافر الذنوب والخطيئات.

٥١- حول العقل وأهميته

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي لا تُدْرِكُ الْاَوْهامُ صِفَتَهُ، الَّذي ذَهَلَتِ الْعُقُولُ عَنْ مَبْلَغِ عَظَمَتِهِ، الْواحِدِ بِغَيْرِ تَشْبيهٍ، الْعالِمِ بِغَيْرِ تَكْوينٍ، الْباقي بِغَيْرِ كُلْفَةٍ، الْمَوْصُوفِ بِغَيْرِ غايَةٍ، الْمَعْرُوفِ بِغَيْرِ مُنْتَهى، رَبِّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ، وَرَبِّ الْاَنْبِياءِ وَالْمُرْسَلينَ، وَرَبِّ الْاَوَّلينَ وَالْاخِرينَ.

اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بِجَميعِ مَحامِدِكَ كُلِّها، ما عَلِمْنا مِنْها وَما لَمْ نَعْلَمْ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يُوافي نِعَمَكَ، وَيُوافي مَزيدَ كَرَمِكَ، حَمْداً يَزيدُ عَلى حَمْدِ جَميعِ خَلْقِكَ، حَمْداً نَبْلُغُ بِهِ رِضاكَ، وَنُؤَدّي بِهِ شُكْرَكَ، وَنَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمَزيدَ مِنْ عِنْدِكَ.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ اِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ، لَهُ شَهادَةَ الْحَقِّ وَكَلِمَةَ الْإِخْلاصِ، شَهادَةً أَرْجُو بها النجاةَ يومَ المعادِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهِرينَ.

أما بعد أيها المؤمنون: خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وركبه أحسن تركيب، وفضله على سائر المخلوقات بما وهب له من العقل، الذي جعله أساس التكليف، وأناط به الأحكام والتشريع، وجعله هادياً إلى الرشاد، ومميزاً بين الأضداد، من التمييز بين الحق والباطل والخير والشر، وداعياً إلى مكارم الأخلاق، وجعله آلة التفكير والتنبيه، وهو نعمة من أتم النعم، وحجة من أبلغ الحجج، وجعله هادياً إلى طريق النجاة.

والعقل هو الحجة الكبرى التي امتنَّ الله تعالى بها على عباده، والمنحةَ الإلهيةَ العظيمةَ التي يستطيع المرء معها أن يفكر وينظر، وهو الأداة الوحيدة التي يكون الإنسان من خلالها متأملاً ومفكراً، وفاهماً وناظراً معتبراً، فالمرء الذي يحاول أن ينظر في المسائل والأدلة بآلة أخرى غير العقل لا يُمْكِنُهُ أن ينظر أو يفكر؛ لأنَّه قد ضيَّعَ الأداة التي لا بدَّ له من استخدامها.

ولقد مدح الله تعالى أصحاب العقول والبصائر، الذين يستعملون عقولهم في النظر

والتفكر والإعتبار، في آيات كثيرةٍ من القرآن الكريم، فوصفهم بأنهم المتذكرون، فقال تعالى **{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}**، وأنهم العالمون فقال تعالى **{لآية لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** ، في آيات كثيرة، وأنهم المتفكرون فقال سبحانه **{نُفَصِّلُ الآيَاْتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**، وقال تعالى **{وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ}** ووجَّه إليهم الخطابات الكثيرة، حتى كأنهم المخاطبون فقط دون غيرهم.

وقد شحن الله تعالى كتابه العزيز بوجوب استخدام العقل وأهميته، وكذلك النظر والتأمل، وذلك لأهمية العقل، هذا العنصر الكبير في حياة الإنسان، سواء الدينية أو الدنيوية.

وقد شنَّع الله تعالى على من لَمْ يتأملْ ويَنظرْ في آياته عز وجل، وأعرض عن النظر فيها، فقال تعالى **{وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ}**.

وقد أعطانا الله تعالى هذه الآلة العظيمة لنستطيع من خلاله إلى التوصل إلى معرفة الله وعبادته، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ((العقل آلة أُعطيناها لاستعمال العبودية لا لإدراك الربوبية، فمن استعملها في إدراك الربوبية فاتته العبودية ولم ينل الربوبية)).

ولما كان العقل هو الطريق إلى معرفة الله تعالى، فهناك تلازم وارتباط بين الإيمان والعقل، فمن عمل عقله كمل إيمانه، ومن نقص إيمانه فذلك دليل على سوء استخدامه لعقله.

كم روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((قسم الله العقل ثلاثة أجزاء، فمن كُنَّ فيه فهو عاقل، ومن لم يكُنَّ فيه فلا عقل له، حسن المعرفة بالله عز وجل، وحسن الطاعة، وحسن الصبر لله)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم، وتواضعوا بالعقل تعرفون ما أمرتم به وما نهيتم عنه)).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا تقرَّب الناس إلى خالقهم بأنواع البر، فتقرَّب إلى الله بأنواع العقل، تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا، وعند الله في الآخرة)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((كم من عاقلٍ عقل عن الله أمره وهو حقيرٌ عند الناس دميم المنظر ينجو غداً، وكم من ظريف اللسان جميل المنظر عند الناس يهلك غداً في القيامة)).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((والله لقد سبق إلى جنات عدن أقوامٌ فما كانوا بأكثر الناس صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا اعتماراً، ولكنهم عقلوا عن الله مواعظه، فوجلت منهم القلوب، وخشعت منهم الجوارح، واطمأنت منهم النفوس، ففاتوا الخليقة برفيع الدرجات، وعظيم المنزلة عند الله في الآخرة)).

فالعاقل: هو من استخدم عقله في ما يجلب له الخير، ويدفع عنه الشر، ولا خير أعظم من ثواب الله وجنته، ولا شر أعظم من عقاب الله وناره.

أيها المؤمنون: الإنسان المكلف يعمل ما يعمله من الأعمال وهو في حالة اختيار كاملة، وهو يعرف ما يعمله هل هو صواب أو أخطأ، وهل هو طاعة أو معصية.

فبعقلك أيها الإنسان تعرف حسن أفعالك وقبحها.

فأنت عندما تعمل الطاعات، وتفعل الخيرات، تعلم بعقلك حسن فعلك، وترتاح نفسك على ما قمتَ به من طاعة لربك..

وعندما تعمل المعاصي، أو تقصر في الطاعات، تعلم بعقلك قبح فعلك.

عقلك يعاتبك على الإخلال بالواجبات، عقلك يلومك عندما تنام عن الصلوات، عقلك يؤنبك عندما تترك الجماعات، عقلك ينبهك عندما تؤثر الدنيا على الآخرة.

عقلك يصدر لك علامات التحذير عندما تهم بما لا يرضي ربك، ولكن أنت الذي تتجاهل تلك المؤشرات، وتتساهل بتلك التحذيرات، ولا تقف بصراحة وجد مع نفسك التي تأمرك وتدعوك إلى المخالفات.

فما من عاقل لبيب إلا وهو يجد ذلك في نفسه، لأن الله تعالى يقول {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها} فأنت إنما تغالط نفسك، وتمكر بها، عندما تنصاع لأوامرها، وتتجاهل

تحذيراتِ العقل وتنبيهاته، وإذا حاولت المغالطة فأنت إما ناقص عقل أو سيء تفكير وتدبير.

لأن العقل والنفس خصمان متعاديان، فالعقل مجبول على الخير، والنفس مجبولة على الشر، العقل محبول على ما ينفع، والنفس مجبولة على خلاف ذلك.

فكل واحد منهما ينازع الآخر، فإن غلب العقل على النفس صير النفس من جنوده، وسهل لها الخيرات، وأبعدها عن الشبهات، وأخضعها وأدبها على تحمل الطاعات، وأكرهها على المشاق من العبادات، لكي ترتاح عند الجزاء في الآخرة.

وإن تغلَّبت النفسُ على العقل، صيرت العقل من جنودها، وجعلته خادماً لها في ألاعيبها، فبدلاً من أن يكون آلة لخلاصك تُصَيِّرُهُ النفسُ آلةً لتورطك وهلاكك.

وبدلاً من أن يكون العقل آلة للتفكير في أساليب الطاعة، وتنوع العبادة، تصيره النفس آلة للتفكير في أساليب المعصية، وطرق استخدامها، والمهارة فيها، وتجعل من العقل وسيلةً للتفكير في التحيل على الناس، وابتزاز أموالهم، وأخذ حقوقهم، واستنتاج الأساليب المبتكرة في ذلك.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه كريم جواد بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ذي المنن التي لا يحصيها العادون، والنعم التي لا يجازيها المجتهدون، والصنائع التي لا يستطيع دفعها الجاحدون، والدلائل التي يستبصر بنورها الموجودون، أحمده جاهراً بحمده، شاكراً لرفده، حمد موفق لرشده، وأثق بوعده، له الشكرُ الدائمُ، والأمرُ اللازم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى وسلم عليه وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

أيها المؤمنون: عندنا قصور كبير في مفهوم العقل والذكاء، فالذكي عندنا وفي مفهومنا، هو البصير بجمع الدنيا والحريص عليها، والمحب لها، والمتفنن في ادخارها وجمعها، فنصفه بالحاذق، وبالذكي، وبالرجل الحكيم، وإن أخل بدينه، وقصر في أمر آخرته، حتى وإن أضاع الصلوات، وترك الجمع والجماعات، ومنع الزكوات، وهجر كتاب الله الليالي والأيام المتتابعات، فهذا عندنا رجل حكيم، وذكي ألمعي.

بينما إذا رأينا رجلاً لا يبالي بالدنيا، ولا يهتم بشؤونها، ولا يحرص على جمعها، وهو مكبٌّ على الطاعة، منشغل بالعبادة، حريص على الصلوات، مهتم يالجمع والجماعات، عاكف على تلاوة السور والآيات، ملازم لجمع العلوم، وصفناه بالأوصاف التي لا تليق به، فهو عندنا وفي مفهومنا، إنسان مضيع، وأبلهٌ، وقليل التدبير.

ولكن إذا رجعنا إلى المفهوم الديني الصحيح وجدنا أن الرجل اللبيب والعاقل هو الحريص على الآخرة، المؤثرُ لها على الدنيا، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأصحابه يوماً ((مَن أكيَسُ الناس)) يعني أذكاهُم وأحذقَهم وأفطنَهم، فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((أكثركم ذكراً للموت، وأشدكم استعداداً له)).

النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنة كانوا أعقل الناس، قال: قلنا يا رسول الله وكيف كانوا أعقل الناس؟ قال: كانت همتهم

المسابقة إلى ربهم، والمسارعة إلى ما يرضيه، وزهدوا في الدنيا وفضولها ورياستها ونعيمها، وهانت عليهم فصبروا قليلاً واستراحوا طويلاً)).

عن أبي ذر في حديثٍ فيه تواريخ الأنبياء (عليهم السلام) وذكر كتبهم، قال: قلت: يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: ((كانت أمثالاً كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعضٍ، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها، وإن كانت من كافرٍ.

وكان فيها: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعةٌ يناجي فيها ربه، وساعةٌ يحاسب فيها نفسه، وساعةٌ يتفكر فيها في صنع الله، وساعةٌ يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب.

وعلى العاقل أن لا يكون ضاعناً إلا لثلاثٍ: تزودٍ لمعادٍ أو مرمةٍ لمعاشٍ أو لذةٍ في غير محرمٍ.

وعلى العاقل أن يكون بصيراً في زمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه)).

فقال لي: يا رسول الله إن السلام يقرؤك السلام ويقول لك: أتحب أن يجعل لك تهامة ذهباً وفضةً تزول معك حيث تزول، ولا ينقصك ذلك مما وعدتك في الآخرة جناح بعوضةٍ، فقلت له: هل أعمر ما خرب الله، يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ويجمعها من لا عقل له، فقال جبريل: وفقك الله يا رسول الله، لقد أخبرني بكلامك هذا إسرافيل تحت العرش من قبل أن آتيك)).

وروي أن رجلاً صالحاً قال لصديق له: يا فلان، هل أنت على حال ترضاها للموت؟ قال: لا. قال: فهل عزمت على التحول من حالك هذا إلى حال ترضاها للموت؟ قال: لا. قال: فهل تدري متى الموت نازل بك؟ قال: لا. قال: فهل بعد الموت دار مستعتب؟ قال: لا. قال: ما رأيت مثل هذه الخصال رضي بها عاقل.

فالعقل نعمة سيسألنا الله عنها، فلنستخدمها فيما يكون مخلصاً في الجواب يوم القيامة، قبل حلول الحسرة والندامة.

٥٢- حول انتظار الفرج

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ، والبَلَاءَ والمحنَ بالفرجِ والنصرِ، لمن ثبتَ وصَبَرَ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

الناس يعيشون في هذه الأزمنة في شدائد وفتن، وملمات ومحن، وعوارض وإحن، وأسباب ذلك كله من العباد، فأعمالهم السيئة، وأفعالهم القبيحة، وغفلتهم المتراكمة، وابتعادهم عن الرجوع إلى الله تعالى، هي التي تهيج أسباب النوائب، وتفتح أبواب المصائب، كما قال الله تعالى **{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}**، وكما قال تعالى **{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا، وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا}**، ولكن الله تعالى برحمته يمهلنا ولا يعاجلنا، لعلنا أن نرجع ونتوب كما قال تعالى **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}**، فالشدائد والمصائب لا تزول ولا تكشف ولا تفرج إلا بالرجوع إلى الله تعالى والأوبة، وصدق الإنابة والتوبة، التي تمحى بها الحوبة.

ولكن الغالب على الناس أنهم لا يتذكرون الرجوع إلى الله، ولا يهتمون بالتوبة والدعاء والذكر إلا إذا ألمت بهم الملمات، ودهمتهم المصيبات، كما يقول الله تعالى **{لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ}**، ويقول تعالى **{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ}**، ويقول تعالى **{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}**، فالله تعالى هو القادر وحده على كشف ما يصيب الناس، كما قال تعالى **{قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ}**، ويقول تعالى: **{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}**، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عن معنى قوله تعالى **{يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}**، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((من شأنه أن يغفر ذنباً، ويكشف كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين))، وروي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى **{وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}**، أنه قال: له وجهان: أحدهما: أن ذكر الله لكم أكثر من ذكركم إياه.

والثاني: أن ذكر الله تعالى لكم أكبر من كل عبادة سواه.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إن يونس عليه السلام، حين بدا له أن يدعو الله عز وجل بالظلمات، حين ناداه وهو في بطن الحوت، فقال: اللهم، "لا إله إلاّ أنتَ، سبحانك إنّي كنت من الظالمين"، فأقبلت الدعوة تحف بالعرش، فقال الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف مكروب، من بلاد غربة.

فقال: أما تعرفون ذاك ؟ قالوا: ومن هو ؟ قال: ذاك عبدي يونس، الذي لم يزل يرفع

له عمل متقبل، ودعوة مجابة، فقالوا: يا رب، أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء، فتنجيه من البلاء ؟ قال: بلى، فأمر الحوت فطرحه بالعراء، فأنبت الله عليه شجرة اليقطينة.

فبيد الله مفاتيح الفرج، ومن عنده يلتمس المخرج، ومنه تُستمد الإعانة، وهو العالم بأحوال العباد، والقادر على كشف ما أصابهم، وهو تعالى الذي ينزل البلاء على العباد، إما ابتلاء واختباراً، ليبلوهم ويختبرهم من الذي يصبر ومن الذي يجزع؟، وإما أن يكون عقوبة وانتقاماً من العصاة المجرمين.

فالمحن للمؤمنين فيها تمحيص من الذنوب، وتنبيه من الغفلة، وتعريض للثواب بالصبر، وتذكير بالنعمة، واستدعاء للمثوبة، فالمؤمن إذا ابتلي صبر، لأنه يعلم أن الإبتلاء تعريض له على الصبر، والصبر أجره عظيم، فهو من أعظم العبادات، ولأن مفتاح الفرج مع الصبر، وهو مقدمة النصر، لأنّ النصرَ مع الصبر.

فعن بعض الأنبياء عليهم السلام، أنه قال: (المحن تأديب من الله، والأدب لا يدوم، فطوبى لمن تصبر على التأديب، وتثبت عند المحنة، فيجب له لبس إكليل الغلبة، وتاج الفلاح، الذي وعد الله به محبيه، وأهل طاعته).

وروي عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((سلوا الله عز وجل من فضله، فإن الله يحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج من الله تعالى)).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عز وجل)).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال له في حديث ذكره: ((واعلم أن النصر مع الصبر، والفرجَ مع الكرب، وأن مع العسر يسراً)).

فالإبتلاء من الله تعالى يكون على قدر الإيمان، والمعونة من الله للعبد المؤمن تكون على قدر البلاء، والفرج يكون على قدر البلاء، كما روي عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن المعونة من الله عز وجل، تأتي العبد على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتي

على قدر شدة البلاء))، وفي رواية: ((إن الفرج يأتي من الله تعالى، على قدر شدة البلاء)).

اصبر على الدهر إن أصبحت منغمساً بالضيق في لججٍ تهوي إلى لجج

فإن تضايق أمر عنك مرتتجٌ فاطلب لنفسك باباً غير مرتتج

لا تيأسنّ إذا ما ضقت من فرجٍ يأتي به اللّه في الروحات والدلج

فما تجرّع كأسَ الصبر معتصمٌ باللّه إلاّ أتاه اللّهُ بالفرج

غفر الله لنا ولكم سالف آثامنا فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، ووضعنا عنك وِزْرَكَ، الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك، فإنّ مع العسر يسراً، إنّ مع العسر يسراً، فإذا فرغتَ فانصب، وإلى ربّك فارغب}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، نحمده ونستعينه ونستهديه الهدى، ونعوذ بالله من الضلالة والردى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والقائم بلا عناء، والدائم بلا فناء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون:

أنزل الله تعالى سورة الشرح التي قرأناها في آخر الخطبة الأولى، تلك السورة الكريمة أنزلها الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم يذكره فيها بما امتنّ به عليه من المنن العظام، والنعم الجسام، التي منها شرح صدره بعد الغم والضيق، ووضع وزره وهو الإثم عنه، بعد أن أثقل الظهر، ورفع اللهُ تعالى ذكرَ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بحيث جعله مذكوراً معه، في الشهادتين والأذان وغيرها من المواضع الشريفة، وبعد هذه المنن العظيمة، أعلم الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالبشارة له ولأمته، بأن مع العسر الواحد يسرين، إذا رغبوا إلى الله تعالى ربهم، وأخلصوا له طاعاتهم ونياتهم.

وقد روي عن علي عليه السلام، أنه قال: (لا يغلب العسرُ الواحد يسرين)، يريد أن العسر الأول هو الثاني، وأن اليسر الثاني هو غير الأول، وذلك أن العسر معرفة، فإذا أعيد، فالثاني هو الأول، لأن الألف واللام لتعريفه، ويسر، بلا ألف ولام، نكرة، فإذا أعيد، فالثاني غير الأول.

وقال الله تعالى: **{سيجعلُ اللّهُ بعد عسرٍ يسراً}**، وقال تعالى: **{ومن يتّقِ اللّهَ يجعل له مخرجاً، ويرزُقْهُ من حيث لا يحتسب، ومن يتوكّل على اللّه فهو حسبُهُ}**.

روي أن كسرى غضب على حكيم فحبسه عند غضبه، في بيت كالقبر ظلمة وضيقاً، وصفده بالحديد، وألبسه الخشن من الصوف، وأمر أن يقتر عليه في الطعام والشراب، ولا يزاد كل يوم، على قرصين خبزاً شعيراً، وكف ملح جريش، ودورق ماء، وأن تحصى ألفاظه فتنقل إليه، فأقام ذلك الحكيم في السجن شهوراً، لا تسمع له لفظة.

فقال كسرى: أدخلوا إليه أصحابه، ومروهم أن يسألوه، ويفاتحوه في الكلام، واسمعوا ما يجري بينهم، وعرفونيه.

فدخل إليه جماعة من أصحابه المختصين به، فقالوا له: أيها الحكيم، نراك في هذا الضيق والحديد والصوف والشدة التي وقعت فيها، ومع هذا فإن سحنة وجهك، وصحة جسمك، على حالهما، لم تتغيرا، فما السبب في ذلك ؟

فقال: إني عملت لي دواء من ستة أخلاط، آخذ منه كل يوم شيئاً، فهو الذي أبقاني على ما ترون.

قالوا: فصفه لنا، فعسى أن نبتلى بمثل بلواك، أو أحد من إخواننا، فنستعمله ونصفه له.

قال: الخلط الأول: الثقة بالله عز وجل، والخلط الثاني: علمي بأن كل مقدر كائن، والخلط الثالث: الصبر خير ما استعمله الممتحنون، والخلط الرابع: إن لم أصبر أنا فأي شيء أعمل، ولم أُعِن على نفسي بالجزع، والخلط الخامس: قد يمكن أن أكون في شر مما أنا فيه، والخلط السادس: من ساعة إلى ساعة فرج.

قال: فبلغ كسرى كلامه، فعفا عنه.

وكتب الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى عامله على المدينة، أن يضرب الإمام الحسن الرضا بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، خمسمائة سوط في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخرجَ الإمامَ الحسن الرضا إلى المسجد، فبينما هو يقرأ على الناس كتاب الوليد بن عبد الملك، إذ جاء علي بن الحسين عليهما السلام، مبادراً يريد الحسن الرضا، فدخل والناس معه إلى المسجد، واجتمع الناس، حتى انتهى إلى الحسن فقال له: يا ابن عم، ادع بدعاء الكرب.

فقال: وما هو يا ابن عم ؟ قال: قل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين.

فأخذ الإمام الحسن يكررها، فلما انتهى العامل من قراءة الكتاب ونزل عن المنبر، قال للناس: أرى رجلاً مظلوماً، ثم أطلقه ولم يضربه، وكتب إلى الوليد يعتذر للإمام الحسن الرضا.

فمن توكل على الله كفاه، ومن وثق به تعالى نجَّاه.

٥٣- أسباب البلاء ودوافعه

الخطبة الأولى

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ أَهْلِ الحَمْدِ والثَّنَاءِ، وَربِّ الأَرْضِ والسَّمَاءِ، وخَالِقِ الخَلْقِ وَالأَنَامِ، وَمُدَبِّرُ اللَّيَالِي والأَيَّامِ، الَّذِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَتُه، وَأَبْدَعْتْ كُلَّ خَلقٍ حِكْمَتُهُ، وَقَهَرَ كُلَّ ذِي سُلْطَانٍ سُلْطَانُهُ، وَبَهَرَ كُلَّ بُرْهَانٍ بُرْهَانُهُ، وَدَلَّتْ بَدَائِعُ صَنْعَتِهِ، وَمَوَاقِعِ خِلْقَتِهِ، عَلَى أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ مَوْجُودٍ، وَإِلَهُ كُلِّ مَعْبُودٍ، وَمَنْشِئ كُلِّ مَحْسُوسٍ وَمَعْقُولٍ، وَمُحْدِثُ كُلِّ عِلَّةٍ وَمَعْلُولٍ.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً أَوْجَبَهَا حُكْمُ الْمِلَّةِ، وَكَلِمَةً صَدَّقَهَا وَاضِحُ الأَدِلَّةِ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الأَمِينُ الْمَيْمُونُ، أَرْسَلَهُ هَادِياً لِخَلْقِهِ، وَدَاعِياً إِلَى حَقِّهِ، فَأَدَّى الرِّسَالَةَ، وَأَقَامَ الدَّلَالَةَ، وَدَعَا إِلَى دَارِ النَّعِيمِ، وَهَدَى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ الأَبْرَارِ، وَعِتْرَتِهِ الأَطْهَارِ.

أما بعد: أيها المؤمنون: فإننا في زمان كثيرةٍ محنُه، شديدةٍ فتنُه، متعددةٍ فيه أنواع البلاء، متنوعةٍ فيه أسباب الشدائد والأواء، مصاعبُه تتصاعد، ومصائبُه تتزايد، فلا بد من أن نتخذ لنا منه جُنَناً واقية، ونعدّ لنا عليه لردّ قسوته أسلحة ماضية، وأن نتدرع بدروع قوية حامية، فإننا نجد في هذه الأزمنة أنواعاً من البلاء لم تكن عند من قبلنا معروفة، وليست عند من سبقنا مألوفة، من أمراض يصعب علاجها، ومصائب متلونة أعراضها، ومعيشة صعبة، وقلة بركة في الثمار، وانتزاع البركة من الأموال، وغلاء في الأسعار، وكل ذلك أسبابه بأيدينا، وعلاجه سهل ويسير علينا، كما يقول الله تعالى {**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**}، ونحن نريد أن نتكلم في هذه الخطبة المباركة عن (أسباب البلاء وكيف ندفعه).

أخي المسلم: إن للبلاء أسباباً، وللمصائب أبواباً، فلا بد أن نتعرف على أسبابه كي

نحذرها ولا نقعَ فيها، وأن نغلق أبوابه حتى لا نتورط في الدخول فيها، فإن ما عُرِفَت أسبابه هان وسهُل علاجه، وما اتضح وبان قَرُب تقويم اعوجاجه.

فأما أسباب البلاء فكثيرة: ولنقف مع المصطفى صلوات الله عليه وآله وهو يبينها لأمته كي تحذرها، فعن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ((إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة فقد حل بها البلاء))، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال ((إذا كان المِغْنَمُ دولاً، وإذا كانت الأمانةُ مَغنمَاً، والزكاةُ مغرمَاً، وأطاع الرجلُ زوجته وعقّ أمه، وبرّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصواتُ في المساجد، وكان زعيمُ القوم أرذلهم، وأُكرِمَ الرجلُ مخافة شره، وشُربت الخمر، ولُبس الحريرُ، واتُخِذَتِ القيناتُ والمعازفُ، ولَعَنَ آخرُ هذه الأمة أَوّلَها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، و خسفاً ومسخاً)).

وعن الإمام الشهيد زيد بن علي، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إذا كان زعيمُ القوم فاسقَهم، وأكرم الرجل اتقاء شره، وعُظِّم أربابُ الدنيا، واستُخِفّ بِحَمَلة القرآن، وكان تجارتُهم الرِّبا، ومأكلُهم أموالَ اليتامى، وعطلت المساجد، وأكرم الرجل صديقه وعَقَّ أباه، وتواصلوا على الباطل، وقطعوا الأرحام، واتخذوا كتاب اللّه مزامير، وتُفُقِّهَ لغير الدين، وأكل الرجل أمانته، وأُتُمِنَ الخونةُ، وخُوِّنَ الأمناءُ، واستعلت كلمةُ السفهاء، ورفعت الأصوات في المساجد، واتُخِذَتِ طاعةُ اللّه بضاعةً، وكَثُرَ القراءُ، وقَلّ الفقهاءُ، فعند ذلك توقعوا ريحاً حمراء، وخسفاً وزلازل، وأموراً عظاماً).

أخي المسلم: إذا وقفنا مع أنفسنا وقفة الصدق والمحاسبة، فإنا نجد أن هذه الخصال إذا لم تكن قد وجدت برمتها وأجمعها، فقد حصل ووقع أكثرها، ومارس الناس أنواعاً متعددة منها، صدقت يا حبيب القلوب، ويا رسول الرحمة والهدى، قد أصبحت أمتك تتعامل بما نهيتها عنه، وحذرتها منه، وتركت أوامرك خلفها ظهرياً، ونبذت كل نصيحة وهداية منك نبذاً ظاهراً جلياً، فالمعاصي يعملونها ظاهراً، ويتخذونها مثلاً سائراً، فالأمانة قد أضيعت، حيث وقعت في أيدي غير الأمناء، وحيث تولى أمور الناس وشؤونهم الخونة

الأشقياء، وهاهم أهل الأموال والتجارات يعتبرون إخراج الزكاة غرماً موجعاً ونقصاً لأموالهم، وأكثرهم لا يخرجونها بطيبة من أنفسهم، وقد أتخذ أكثر الناس طاعة الله تعالى سلعة وبضاعة لهم يستأكلون بها الأموال، ويستحلون بها الحرام، ويتظاهرون بالصلاح.

ونرى القراء كثيرين، ولكن أهل الدراية بالعلم، وأهل الفقه والفهم قليلون بل أقل من القليل، ولم تحفظ حرمة حملة القرآن الذين يقرؤونه لله، ويعلمونه من أجل الله، ويقيمون حدوده، ويقفون عند نواهيه وزواجره، ويعملون بأحكامه وأوامره.

ونرى الحقوق قد أضيعت وأهملت، فحقوق الوالدين لا ترعى ولا تحترم، بل بفضل الرجل زوجته على أمه، ويطيعها ويعصي أمه، ويحسن إليها ويسيء إلى أمه، ويحترم الرجل صديقه ولا يحترم أباه، ويمتثل أمر صديقه ويرجحه ويعمل به على أمر أبيه.

وقطعت الأرحام بدون سبب، وفشت العداوات بينهم بالبهتان والكذب، فقطعوا التواصل والزيارة، والسلام وحلو العبارة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وعطلت المساجد من العبادات، وتركت من الطاعات، وأهملت من الجماعات، واجتمع الناس فيها لأحاديث الدنيا، واستبدلوا اللهو فيها بالطاعة، والفرادى بالجماعة، ورفعت فيها الأصوات بدون الذكر، بل بالدنيا وأحاديثها.

وأصبح زعيمُ القوم والقائمُ بأمورهم، والمعتني بشؤونهم أرذلَهُم رأياً، وأشدَّهم عسفاً، وأسفههم عقلاً، وأكلت أموال اليتامى ظلماً، وأكل الربا جهراً، وتعامل الناس به بيعاً وشراء، وشربت الخمور باسمها وبغير اسمها، فقد وقع ما أخبره بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وقعت أيضاً العقوبات الموعودة على العمل بهذه الخصال الذميمة، وهي الخسف والزلازل، التي هي عبارة عن الفتن والمشاكل، وكثرة الفساد والرذائل.

فالواجب على المسلم أن يجتنب هذه الخصال، وأن يكون منها على أشد الحذر والإبتعاد.

جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}**، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مالك الملك، مجري الفلك، مسخر الرياح، فالق الإصباح، ديان الدين، رب العالمين، الحمد لله على حلمه بعد علمه، والحمد لله على عفوه بعد قدرته، والحمد لله على طول أناته في غضبه، وهو قادر على ما يريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله المنتخب المصطفى للرسالة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المسلمون:

فبما أننا وإياكم قد عرفنا الأسباب التي عمنا بها البلاء، فلنأت لتناول الدواء، كي نستأصل ذلك الداء، ولنذهب وإياكم إلى طبيب القلوب وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله لنأخذ منه وصفات طبية، علاجية روحية، لنصلح بها ديننا ودنيانا، فمن تلك العلاجات:

أولاً:. قرآءة القرآن:

وهو الدواء الكافي، والعلاج الشافي، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: ((يدفع اللّه عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، ويدفع اللّه عن تالي القرآن بلوى الآخرة)).

وعنه عليه السلام، أنه قال: (من قرأ فاتحة الكتاب، فقال الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، صرف الله عنه سبعين نوعاً من البلى، أهونها الهمّ).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قرأ آية الكرسي وخواتم البقرة عند الكرب أغاثه الله عز وجل، ومن قرأها إذا أوى إلى فراشه فإنه لا يزال عليه من الله حافظ، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله)).

وعن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي: أكثر من قراءة ياسين فإن في قراءة ياسين

عشر بركات، ما قرأها قط جائع إلاَّ شبع، ولا قرأها ظمآن قط إلاَّ روي، ولا عار إلاَّ كسي، ولا مريض إلاَّ برئ، ولا خائف إلاَّ أمن، ولا مسجون إلاَّ أخرج، ولا عزب إلاَّ روج، ولا مسافر إلاَّ أعين على سفره، ولا قرأها أحد ضلت له ضالة إلاَّ وجدها، ولا قرئت عن رأس ميت قد حضر أجله إلاَّ خفف الله عليه، ومن قرأها صباحاً كان في أمان حتَّى يمسي، ومن قرأها مساءً كان في أمان حتَّى يصبح.

وروي أيضاً أن من قرأ هذه الآية وهي قوله تعالى **{حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}** من قرأها سبعاً حين يصبح وحين يمسي كفاه الله ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة.

وكذلك سورة قل هو الله أحد، ورد أن مَن قرأها حين يأخذ مضجعه وكل الله به خمسين ألف ملك يحفظونه حتى يصبح.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليله كفتاه)).

ثانياً: الدعاء: فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكثر منه، ويعلم أصحابه الكثير من الأدعية والأذكار والتعوذات، التي تربط علاقتهم مع الله وتقويها، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، ويعلمها أصحابه.

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)).

وعن الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع)).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ((إن الدعاء يردُّ القضاء، وإن البِرَّ يزيد في العمر، وإن الحج لينفي الفقر، وإن صدقة النهار تدفع ميتة السوء، وإن صدقة الليل تطفي غضب الرَّب تبارك وتعالى)).

وعن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((من لزم الإستغفار، جعل اللّه له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب)).

ثالثاً: الصدقة، وصلة الرحم، وصنائع المعروف: من الأدوية النافعة من أضرار البلاء، والمانعة من وصوله إلى أهلها:

فعن علي عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((بادروا بالصدقة، فإن البلاء لا ينحط إليها)).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة)).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: ((أربع من تمسك بهن فقد تمسك بالعروة الوثقى)). فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ماهي؟ قال ((الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة، وصلة الرحم، وصدقة الليل تدفع غضب الرب ويبعث اللّه صاحبها من الآمنين يوم القيامة لا يأتي باباً من أبواب الجنة إلا دخل من أيها شاء)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((إِنَّ اللَّهَ لَيَدْرَأُ – أَيْ يَدْفَعُ – بِالصَّدَقَةِ سَبْعِينَ بَابًا مِنْ مِيتَةِ السُّوءِ)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خُفْيا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ)).

وعن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من أحب أن يملأ له في عمره، ويبسط له في رزقه، ويستجاب له الدعاء، ويدفع عنه ميتة السوء، فليطع أبويه في طاعة الله، وليصل رحمه)).

رابعاً: الذكر لله تعالى: فإن ذاكر الله قريب من الله، ويحوطه الله بأنواع الحراسة والحماية والحفظ، وذكر الله كثير، فهو تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير، وتقديس وتمجيد، فعن زيد بن علي عن آبائه، عن علي عليهم السلام، قال (من سبَّح الله تعالى في كل يومٍ مائة مرة، وحمده مائة مرة، وكبَّره مائة مرة، وهلله مائة مرة، وقال لا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم مائة مرة، رفع الله عنه من البلى سبعين نوعاً، أدناها القتل، وكتب له من الحسنات عدد ما سبح سبعين ضعفاً، ومحى عنه من السيئات سبعين ضعفاً).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهم السلام عن أبي ذر رحمة اللّه عليه، قال: أوصاني رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: أن أكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) فإنها كنز من كنوز الجنة، ويدفع اللّه بها تسعاً وتسعين باباً من أبواب البلاء أدناها وأيسرها الهم والحزن.

وعن علي عليه السلاَّم، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ((يا علي: ألا أعلمك كلمة إذا وقعت في ورطة فقلتها)). قلت: بلى يا رسول الله، جعلني الله فداك، فرب خير علمتني. قال ((فإذا وقعت في ورطة قل: بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلايا))، وفي رواية عن ابن عباس ((صرف الله عنه سبعين بابًا من البلاء أولها الهم والغم واللمم)).

وعن عبدالله بن جعفر، قال: علمتني أمي أسماء بنت عميس شيئاً أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله عند الكرب ((الله ربي لا أشرك به شيئاً)).

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرمضاء فلم يُشْكِنا –أي لم يرفع شكوانا– وقال ((أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها تدفع تسعة وتسعين باباً من الضر أدناها الهم والفقر)).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من قال لا إله إلا الله قبل كل شيء، ولا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء، عوفي من الهم والحزن)).

وعن أسماء بنت عميس قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((هل في البيت إلا أنتم يا بني عبد المطلب)) قلنا: لا يا رسول الله، قال ((إذا نزل بأحدكم هم أو غم أو سقم أو أزل أو لأواء)) قال: وذكر السادسة ونسيتها ((فليقل: الله الله ربي لا أشرك به شيئاً)).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، من قالها عشر مرات حين يصبح كتب له بها مائة حسنة، ومحي عنه بها مائة سيئة، وكانت له عدل رقبة، وحفظ بها يؤمئذ حتى يمسي، ومن قال مثل ذلك حين يمسي كان له مثل ذلك)).

خامساً: فعل الصالحات: بأن يحافظ المسلم على الطاعات، ولا سيما أن يعمل نقيض تلك الأسباب التي تسبب البلاء، فيؤدي الأمانة بدلاً عن الخيانة، والبر بدلاً الفجور، والصلة بدلاً عن القطيعة، وأكل الحلال بدلاً عن الحرام، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لا تزال أمتي بخير ما تحابُّوا، وأدُّوا الأمانة، واجتنبوا الحرام، وأقروا الضيف، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، فإن لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالسنين والقحط)).

٥٤- مكفرات الذنوب

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المذكور بكل لسان، المشكور على كل إحسان، المعبود في كل مكان، مدبر الأمور، ومقدر الدهور، والعالم بما تُجِنُّه البحور، وتُكِنُّه الصدور، ويخفيه الظلام ويبديه النور، الذي حار في علمه العلماء، وسَلَّمَ لحكمه الحكماء، وتواضع لعزته العظماء، وفاق بسعة فضله الكرماء، وساد بعظيم حلمه الحلماء، ذي المنن التي لا يحصيها العادون، والنعم التي لا يجازيها المجتهدون، والصنائع التي لا يستطيع دفعها الجاحدون، والدلائل التي يستبصر بنورها الموجودون، أحمده جاهراً بحمده، شاكراً لرفده، حمد موفقٍ لرشده، واثِقٍ بوعده، له الشكرُ الدائمُ، والأمرُ اللازم.

اللهم إني أُشهدك وأنت أقرب الشاهدين، وأشهد ملائكتك المقربين، وعبادك الصالحين، من الجِنَّةِ والناس أجمعين، أني أَشهد بسريرةٍ زكيةٍ، وبصيرةٍ من الشك بريَّةٍ، شهادةً أعتقدها بإخلاص وإيقان، وأعدُّها طمعاً في الخلاص والأمان، أُسِرُّها تصديقاً بربوبيتك، وأظهرها تحقيقاً لوحدانيتك، لا أَصُدُّ عن سبيلها، ولا أَلحدُ في تأويلها، أنك أنت اللهُ ربي لا أشرك بك أحداً، ولا أجد من دونك ملتحداً، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الذي لا يدخل في عَدَد، والفردُ الذي لا يقاس بأحد، علا عن المشاكلة والمناسبة، وخلا من الأولاد والصاحبة.

وأشهد أن محمداً نبيُّه المرسلُ، ووليُّه المفَضَّلُ، وشهيدُه المعَدَّلُ، المؤيد بالنور المضي، والمسدَّدُ بالأمر المرضي، بعثه بالأوامر الشافية، والزواجر الناهية، والدلائل الهادية، التي أوضح برهانها، وشرح بيانها، في كتاب مهيمن على كل كتاب، جامع لكل رشد وصواب، فيه نبأ القرون، وتفصيل الشؤون، وفرض الصلاة والصيام، والفرق بين الحلال والحرام، فدعى إلى خير سبيل، وشفى من هيام الغليل، حتى علا الحقُّ وظهر، وزهق الباطلُ وانحسر، صلى الله عليه وآله صلاة دائمة ممهدة، لا تنقضي لها مدة، ولا تنحصر لها عدة.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}**، ويقول تعالى: **{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**، ويقول تعالى: **{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ}**، الذنوب حجاب عن رحمة الله، وهي أعظم أسباب البعد عن الله، وأشد المقسيات للقلوب، وهي التي تمنع الإنسان من الإستجابة لداعي الله، والتأثر بالمواعظ والعبر، والذنوب تجعل حجاباً بين العبد وبين ربه، وتحول بينه وبين كل ما يحبه، الذنوب سموم مهلكة، وسهام مسمومة، والسبب في دخول الإنسان في النار وخلوده في العذاب والخزي والهوان، وهي جرأة على الله، ومجاوزة للحدود، ومخالفة للمعبود، وسلوك لطريق الكفران والجحود، لأن العاصي المرتكب للذنوب مخلٌ ومقصرٌ وتاركٌ للشكر الواجب عليه للمنعم الذي مَنّ عليه بأصول النعم، والشكرُ هو بالطاعةِ والإمتثال، والمعصيةُ مخالفةٌ، والمخالفةُ كفرٌ للنعمة، ولْيعلم العبدُ العاصي أنَّ مجموعَ الضرر الدنيوي والأخروي حاصلٌ بسبب الذنوب، فإذا علم الإنسانُ هذا فعليه أن يثير لواعج الخوف في قلبه، ويحرك آثار الفزع في لبه، ليكون ذلك داعياً إلى الإقلاع في الحال عن الذنوب، وسرعة المبادرة في الرجوع إلى علام الغيوب، فإذا أحاطت الحسرة والندامة بالقلب حصل التأسف على التفريط فيما مضى، والتلهف على ما فاته في ما قد سلف وانقضى، فيدعوه ذلك إلى أن يندم ندماً يظهر على جوارحه، ويبين على صفحات وجهه وقواسمه، ويرسل القلب من خلال ذلك الندم والحسرة والأسف أوامرَ إلى العين أن تذرف دمعها، لتبرد لوعةَ الموقف، ويبين بها صدق الإعتراف من التائب المعترف، وبعد الندم يحصل للقلب حالة العزم على فعل الطاعة والإقلاع عن المعصية في الحال والإستقبال، عزماً قوياً لا يشوبه الوهن، وانطلاقاً صريحاً لا يختلجه خدع ولا مكر ولا سوء ظن.

فإذا وصل العبد إلى هذه الحال يكون قد ألم بالتوبة من جميع الأطراف، وأحاط بجوانبها إحاطة أحكمها صحة الإعتراف، فيطلق عليه حينئذ اسم التائب، ومن تاب فلن

يكون من عفو الله ورحمته بخائب، فما عليه إلا الإستمرار، والإكثار من الذكر والدعاء والإستغفار، والتنحي والبعد عن دواعي الذنوب والأوزار، ومراقبة الله في الإعلان والإسرار، حتى يذوق حلاوة الرجوع، وتسيل قسوة القلب بالخوف والجزع والخشوع، ويظهر لله التذلل والإنابة والخضوع، ويقمع داعي الشهوة فيرفض بها الولوع.

والإنسان - أيها الأحبة المؤمنون — مُعَرَّضٌ في كل يوم لزيادة الذنوب، وتراكم العيوب، كيف لا، وأعداؤه يحيطون به من كل جانب، فالشيطان يوقعه في العظائم، والهوى يجعله يرتطم في شباك المصائب، والنفس الأمارة بالسوء تسول له وتسهل عليه تلك المطالب، وقرناء السوء يعينونه على المعاصي، فلا بد أن نجعل لنا ما يكون للذنوب مكفراً، وللخطايا غافراً.

ومن رحمة الله بنا، وتفضله علينا، فقد هيء لنا أسباباً، وفتح لنا أبواباً، إذا أخذنا بتلك الأسباب، ودخلنا تلك الأبواب، كفر عن الذنوب والسيئات، ومحى عنا الأوزار والخطيئات، وأقال لنا العثرة، فإليك أخي المؤمن الحريص على نفسه بعض مكفرات الذنوب، التي تمحو الأدران، وتنفع الإنسان، وتقربه إلى الرحمن:

فأول المكفرات: هو التوبة: وهي أعظم طاعة يقدمها العبد أمام ذنوبه، وأقوى ماسح يمسح بها غشوات عيوبه، والتوبة هي مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول أقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين.

فعن أنس بن مالك، قال، قيل: يا رسول اللّه، الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب، قال: ((ما من آدمي إلا وله خطايا وذنوب يقترفها، فمن كانت سجيّته العقل، وغريزته اليقين، لم تضره ذنوبه)) قيل: وكيف ذاك يا رسول اللّه؟ قال: ((لأنَّه كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة، وندامة على ما كان منه، فيمحو ذلك ذنوبه، ويبقى له فضل يدخل به الجنة)).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: ((يا علي ما من دار فيها فرحة إلا تبعتها ترحة، وما من هَمٍّ إلا وله فرج إلا هم أهل النار، وما من نعيم إلا وله زوال إلا نعيم أهل الجنة، فإذا

عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها سريعاً وعليك بصنائع الخير؛ فإنها تدفع مصارع الشر)).

الثاني من مكفرات الذنوب: هو الإستغفار:

فعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، عن أبيه الحسين عن علي عليهم السلام، قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((لكل داء دواء، ودواء الذنوب الإستغفار)).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من ختم يومه يقول عشر مرات: أستغفر الله العظيم التواب الرحيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم أستغفره وأتوب إليه اللهم اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم، إلا غفر له ما كان منه في يومه، ومن قال لها في الليل إلا غفر له ما كان منه في ليلته)).

وقبول الإستغفار وصدقه، مترتب على صدق التوبة، فإذا خلصت التوبة، كان الإستغفار صحيحاً، وإذا لم تخلص كان الإستغفار مشوباً، وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه.

بسم الله الرحمن الرحيم **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم شأنه، الواضح برهانه، أحمده على حسن البلاء وتظاهر النَّعماء، وأستعينه على ما آتانا من الدنيا والآخرة، وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي وهو على كل شيء قدير إلهاً واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يشرك في حكمه أحداً، رب كل شيء، وربنا ورب آبآئنا الأولين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلى الله عَلَيه وَآلِه وسلم أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ارتضاه لنفسه، وانتجبه لدينه، واصطفاه على جميع خلقه لتبليغ الرسالة بالحجة على عباده، فصلى الله عليه وعلى أهل بيته الأخيار الصادقين الأبرار.

أما بعد أيها المؤمنون: نواصل معكم بقية مكفرات الذنوب:

الثالث: إسباغ الوضوء وإتمام الصلاة

فإن للعبادة والطاعة دور كبير، ومجال واسع، في محو الذنوب وتكفيرها، فالطاعة ضد للمعصية، والمعصية ضد للطاعة، والطاعة تسبب في الثواب والحسنات، والحسنات يذهبن السيئات، والوضوء والصلاة من أعظم الطاعات، وأيسر العبادات، المكفرة للخطيئات، وهي متكررة في اليوم والليلة خمس مرات، لا يبقى معها شيء من الأوزار لمن تاب وأناب.

فعن علي عليه السلام، قال: قال النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((ألا أدلكم على ما يكفِّر اللّه به الذنوب والخطايا: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلك الرباط)).

وعن أبي سعد الخدري، قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ((ألا أدلكم على ما يكفر اللّه به الخطايا، ويزيد به في الحسنات؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطَى إلى المسجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فما منكم من

رجل يخرج من بيته متطهراً فيُصَلّ في الجماعة مع المسلمين، ثم يجلس في مجلسه ينتظر الصلاة الأخرى، إلا والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، فإذا قمتم إلى الصلاة فسووا صفوفكم، وسدوا الفُرَج، فإني أراكم من وراء ظهري، وإذا قال إمامكم: اللّه أكبر. فقولوا: اللّه أكبر، فإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع اللّه لمن حمده. فقولوا: ربنا لك الحمد، وخير صفوف الرجال المقدَّم، وشرها المؤخَّر، وخير صفوف النساء المؤخَّر، وشرها المقدَّم)).

وعن عبد اللّه بن مسعود أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، قال: ((إذا توضأ العبد المؤمن، خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه، خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه، قال: ثم كان مشيه إلى المسجد نافلة له)).

وعن الإمام الشهيد زيد بن علي، عن آبائه، عن عَليّ كرم الله وجهه قال:(الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتُنبَت الكبائر، وهي التي قال الله تعالى **{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}**.

الرابع من مكفرات الذنوب: قيام الليل:

فعن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أذنب ذنباً فذكره فأفزعه، فقام في جوف الليل فصلى ما كتب الله له، ثم قال: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، غُفِرَ له ما لم تكن مظلمة فيما بينه وبين عبد مؤمن، فإن ذلك إلى المظلوم)).

وعن بلال قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: « عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله وتكفير للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة لداعي الحسد)).

الخامس من المكفرات: ذكر الله تعالى:

فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما على الأرض رجل يقول لا اله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كفرت عنه ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر)).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من قال في سوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له بها ألف ألف حسنة ومحا عنه بها ألف ألف سيئة وبنى له بيتا في الجنة)).

وعن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((أيعجز أحدكم أن يكسب في اليوم ألف حسنة قال: ومن يطيق ذلك قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة وتمحى عنه ألف سيئة)).

فهيا بنا أيها الأحبة لنأخذ بهذه النصائح والإرشادات النبوية، كي نحصل لنا الكثير من الحسنات التي نحتاج إليها بعد الممات، وأثناء الحساب في العرصات، قبل أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين.

وها نحن نستقبل وإياكم شهر التوبة والصيام، فلنستقبله بالتوبة، والرجوع والأوبة، حتى يدخل علينا وقد طهرنا أنفسنا من الذنوب، وسترنا أحوالنا من العيوب، حتى نعمل الصالحات فتكون مقبولة، ونثابر على الطاعات بصدق وعزيمة.

وفقني الله وإياكم للتوبة، وعصمنا من الخطايا والحوبة، إنه على كل شيء قدير.

٥٥- الصدق والكذب

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ ذِي المجْدِ والثَّنَاءِ، وَالفَضْلِ وَالعَطَاءِ، الَّذِي عَمَّتْ نِعْمَتُهُ، وَفَاضَتْ رَحْمَتُهُ، وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ، مُبْدِئُ الخَلْقِ وَالبَشَرِ، وَمُنْبِتُ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَمُنْشِئُ الغُيُوثِ والسَّحَائِبِ، وَمُدَبِّرُ الأَفْلَاكِ وَالكَوَاكِبِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً تَخْلُصُ بِهَا الطَّوِيَّةُ، وَكَلِمَةً تَدْعُو بِهَا البَرِيَّةُ.

وأشهدَ أَنَّ مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالبَيَانِ اللائِحِ، والبُرْهَانِ الوَاضِحِ، إلى أُمَّةٍ غَاوِيَةٍ، يَعْبُدُونَ الوَثَنَ، وَيَمْحُونَ السُّنَنَ، فَعَلَّمَ الجَاهِلَ، وعَدَّلَ المائِلَ، وأَوْضَحَ الخَفِيَّ، وَأَرْشَدَ الغَوِيَّ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: لقد جاءَ الإسلامُ آمراً بمكارم الأخلاق وداعياً إليها، وحاثاً ومرغباً فيها، وناهياً ومحذراً عن مساويء الأخلاق، ألا وإنَّ من مكارم الأخلاق لزومَ الصدق في الأقوال والأفعال، فإنَّ الصدقَ يهدي إلى البر، والبرُّ يهدي إلى الجنة، ولا يزالُ الرجل يصدُقُ، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ولقد أمر الله بالصدق، وأثنى على أهله فقال تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}**، وقال تعالى: **{وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ، لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ}** ولقد رفع الله للصادقين ذكرهم في حياتهم وبعد مماتهم، فهم محلُّ ثَقَةِ الناس، وبذكرهم تطيب المجالس ويثنى عليهم كلُّ أحد، فالإنسانُ الصادقُ معتبرٌ بين الناس في حياته ومماته فهو موضع ثقتهم، في أخباره ومعاملته، وموضع ثناء حسن، ويترحمُ عليه الناسُ بعد وفاته.

أيها المؤمنون: إن من مساويء الأخلاق أن يكون الإنسان كاذباً في قوله وفعله، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا، ولقد أخبر الله تعالى في كتابه أن الكذب من صفات من لا يؤمنون بالله

فقال تعالى **{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}**، وقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكذب من علامات النفاق حيث فقال ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)) والله سبحانه وتعالى بحكمته وضع الكاذبين في الموضع اللائق بهم، فكانوا محلاً للقدح وعدم الثقة، وذلك جزاء الكاذبين.

فالصدقُ من أخلاق المؤمنين، وعلاماتِ المتقين، وسيماء الأولياء والصالحين، يتحرون الصدق ولو على رقابهم، ولو كان فيه هلاكهم في الدنيا، ولكن يتيقنون أن فيه نجاتهم في الآخرة، يتبعون النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ((تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة)).

والصدق درجة ومنزلة يحكم العقل والفطرة بحسنها، ووجوب التعامل بها، لأن العقل يقضي بالأمور الحسنة، وينهى عن الأمور السيئة القبيحة، ولقد كان للصدق وأهلِه مرتبةً عاليةً، ومكانةً ساميةً حتى قبل ورود الشرع الشريف بذلك، فقد كان أهل الجاهلية يمدحون الصادق ويحبونه، انظروا في الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله فإنه لما امتاز واشتهر في الجاهلية بالصدق لقب بالصادق الأمين، وكان لقباً مميزاً له عند الناس أجمعين.

وفي نقيض ذلك فإن المؤمن لا يمكن أن يكذب، لأنه يؤمن بآيات الله، يؤمن برسوله، يؤمن بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)).

ما أقبحَ غايةَ الكذب، وما أسفلَ مرتبةَ الكاذب، الكذبُ يفضي إلى الفجور وهو الميل والإنحراف عن الصراط السوي، ثم مصيرُ صاحبه إلى النار، وبئس القرار، ويا ويلَ أهلِ النار، والكاذبُ سافلٌ ساقط من عين رحمة الله ورعايته، لأنه مكتوب عند الله كذابًا، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً))، وبئس هذا الوصف لمن اتصف به، إن الإنسان لينفر أن يقال له بين

الناس يا كاذب، فكيف يرضى أن يكتب عند خالقه كذابًا، وإن الكاذب لمحذور في حياته لا يوثق به في خبر ولا معاملة، وإنه لموضع الثناء القبيح بعد وفاته.

أيها المؤمنون: هناك بعض الأحوال التي يتساهل بها الناس، ويعدونها من الأمور الجائزة وهي من الكذب المنهي عنه، الذي ورد التهديد والوعيد عليه، ونذكر منها ما يلي:

أولاً: البعض من الناس يتخذ الكذب مهنة ليضحك به القوم فيألف ذلك ويعتاده، لما يرى من ضحك الناس عليه، ويستمر على عمله فيهون عليه، وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ثم ويل له)).

ثانياً: البعض من الناس يكذب على الصبيان، لأنهم لا يوجهون إليه النقد، ولكنه في الحقيقة أوقع نفسه في الكذب، وفتح لهم باب التهاون به، والتربي عليه، فعن عبد الله بن عامر أن أمه دعته ذات يوم فقالت له: تعالَ أعطك، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما أردت أن تعطيه))، قالت: تمرًا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أما إنك لو لم تعطه شيئاً لكتبت عليك كذبةً)).

ثالثاً: من أنواع الكذب الكذبُ في الرؤيا، فالبعض قد يخترع حلماً، أو يزيد فيه ما ليس فيه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إِنَّ مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ))، والْفِرْيَةُ: هي الْكِذْبَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يُتَعَجَّب مِنْهَا، ومعنى الحديثِ أنَّ من أعظمِ أنواعِ الكذبِ أن يقولَ الإنسانُ: رأيتُ في منامي كذا وكذا وهو في الحقيقةِ كاذب، لأن الرؤيا الصالحةَ جزءٌ من ستةٍ وأربعينَ جُزءًا من النبوةِ، وجزاءُ من يكذِب في إحدى أجزاءِ النبوةِ هو ما قاله رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ))أي من ادعى حلماً لم يره، فإن عقابه وعذابه أن يكلف أن يعقد بين شعرتين، كما يعقِد بين حبلين ولا يستطيعُ أحد أن يعقِدَ بين شعيرتينِ.

رابعاً: البعض من الناس يقسم الكذب إلى كذبة بيضاء، وكذبة سوداء، فتراه يكذب ويفتري وإذا تبين كذبه قال هذه كذبة بيضاء، مع أن الكذب لا يحل منه شيء في أي

حالة من الحالات إلا على جهة التعريض في بعض الحالات كالخدعة في الحرب أو لأجل الإصلاح بين الناس.

والعجب من بعض الناس الذي يتخذ الكذبَ شطارةً ومهارةً، فيقابل هذا بوجه، وهذا بوجه، وشرُّ الناس ذو الوجهين، ثم يفتي نفسه بأن الكذبَ مباح، فيجمع بين الكذب على الناس، والكذب على الشريعة، وإن من أقبح الكذب أن يقرن الكاذب قوله باليمين الكاذبة، وأقبح من ذلك أن يتضمن كذبه أكلاً للمال بالباطل أيضاً، فيجتمع له ثلاث مساويء الكذب، والحلف عليه، وأكل المال بغير حق، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان)).

وفي هذه الأزمنة يكثر الكذب عند البيع والشراء والخصومة، فتجد البائع أو المشتري يكذب أن سلعته سيمت بكذا، أو دفع فيها كذا وكذا وهو كاذب، وقد يزيد على ذلك يميناً فاجرة، وقصده أن بنفق سلعته، أو يأخذ من أموال الناس زيادة في الثمن بسبب يمينه.

ويرى بعض الناس أن الغش والخداع حذق وعقل وفطانة، وغنيمة وكسب، فيفرح إذا غش غيره أو خدعه، ويرى أن ذلك منقبة له ورفعة، والواقع أن الغش والخداع سَفَهٌ وغُرْمٌ، ووضيعةٌ وهلاكٌ وخسارةٌ ودمارٌ، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إذا كَذَبَ العبدُ تباعدَ عنه المَلَكُ ميلاً من نَتَنِ ما جاءَ به)).

جعلني الله وإياكم من الصادقين، وجنبنا طبائع الكاذبين، إنه على كل شيء قدير، وهو بكل شيء عليم، بسم الله الرحمن الرحيم **{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}**، بارك الله العظيم لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من المواعظ والذكر الحكيم، إنه تعالى جواد كريم، بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، ولي الحمد وأهله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين والأنبياء، صلوات الله عليه وعلى آله الأصفياء الأتقياء.

أما بعد أيها المؤمنون: إن من علاماتِ الساعة أن يفشوَ الكذبَ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لا تقوم الساعةُ حتى تظهرَ الفتنُ، ويكثرَ الكذبُ، وتتقاربَ الأسواقُ، ويتقاربَ الزمانُ، ويكثُرَ الهرجُ))، قيل: وما الهرجُ؟ قال: ((القتل))، ومن علاماتِها أن يصدَّقَ الكاذبُ، وتستقبِله وسائلُ الإعلامِ ليتكلم بالكذب، وفي المقابلِ يُكذَّبَ الصادقُ، ويُتهم بما ليس فيه، ولا يسمحُ له بالكتابةِ أو الظهورِ للإدلاء بكلمة الحق والصدق، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن أمامَ الدجالِ سنينُ خَدَّاعةٌ؛ يُكَذَّبُ فيها الصادقُ، ويُصدَّقُ فيها الكاذبُ، ويُخَوَّنُ فيها الأمينُ، ويُؤتمنُ فيها الخائنُ، ويَتَكلمُ فيها الرويبضةُ))، قيل: وما الرويبضةُ؟ قال: ((الفويسقُ يتكلمُ في أمرِ العامةِ)).

فاحذروا رحمني الله وإياكم من الكذب، فإنه بئس الطريقة والمذهب، والكذب أنواع وأقسام، فمنها الكذب في عبادة الله، فاحذروا أن تعبدوا الله رياءً أو سمعةً أو خداعًا ونفاقًا، ومنها الكذب في اتباع رسول الله لا تبتدعوا في شريعته ما ليس فيها، ولا تخالفوه في هديه فتضلوا، ومنها الكذب على الناس لا تخبروهم بخلاف الواقع، ولا تعاملوهم بخلاف الحقيقة.

أيها المؤمنون: الكذب من خصال المنافقين، كما قال تعالى **{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}**، وكما يقول تعالى **{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}**، وكما يقول جل جلاله: **{إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}**.

والعجب من بعض المنخدعين الذين يستمرؤون الكذب، ويفتون أنفسهم بحله وجوازه، ويتساهلون في أمره: فترى الرجل يكذب إما تهاوناً بالكذب، وهو معصية خطيرة، وأشد الذنوب ما تهاون به صاحبه، وتراه يكذب إما لاعتقاد فاسد: حيث يظن أن الكذب لا يحرم إلا إذا تضمن أكل مال الغير، أو الإضرار بالغير، وتراه يكذب لطمع مادي يتمتع به في دنياه، وإما لتقليد أعمى لا هداية فيه، وكل ذلك خداع للنفس، وتضليل للفكر، فالتهاون بالكذب عنوان الرذيلة، فالكذبة الواحدة تخرق السياج الحائل بينك وبين الكذب، حتى لا يبقى دونه حائل، فالكذب كغيره من المعاصي تستوحش منه النفس المطمئنة الراضية المرضية، فإذا وَقعتَ في الكذب مرةً هان عليك شأنه، ثم تقع فيه ثانيًا فيهون عليك أكثر، حتى يصبح أمراً مألوفاً، كأنه سجية وطبيعة، فيكذب ويتحرى الكذب بدون حياء من الله ولا حشمة من الناس.

أيها المؤمنون: الكذب مراتبُ ودرجاتٌ متفاوتةٌ في القبح:

فأعظمُ الكذبِ وأشدُّه الكذبُ على الله كما قال تعالى **{فَمَنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** ويقول تعالى **{انظُرْ كَيفَ يَفتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا}** وقال تعالى**{قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ}**، ومن الكذب على الله تعالى الفتوى والحكم بغير ما أنزل الله، والتغرير والتلبيس على الناس بأنه من الصالحين، وأهل التقوى واليقين، وهو بخلاف ذلك.

ويتلوه في القبح والجرأة الكذبُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو من الذنوبِ الموجبةِ لدخولِ النارِ، وذلك بأنْ يقولَ: قالَ رسولُ الله وهو كاذبٌ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إنَّ كَذِبًا عَليَّ ليسَ كَكَذِبٍ على أحدٍ، فمن كَذَبَ عليَّ متعمدًا فليتبوأْ مَقْعَدَه من النارِ)).

ثم يأتي بعده الكذب على أئمة الهدى وعلى العلماء العاملين لكي يزين للناس قبح فعله الذي يلومه عليه الناس، فيأتي لينسب فعله ذلك إلى العالم ليصدقه الناس ويتبعوه في

كذبه، وما أكثر الكذب على الله ورسوله وعلى أهل العلم في هذه الأزمنة.

ومن جملة الكاذبينَ: من ينقلُ حديثًا وهو يعلمُ أنه كَذِب، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((من حَدَّثَ حديثًا وهُو يرى أنَّه كَذِب فهو أحدُ الكاذبينَ))، وهذا يدلُّ على وجوبِ التثبتِ، وعدمِ نشرِ ما يغلِبُ على الظنِ كَذِبُه، إما لبُعدِه وغرابتِه، أو لصدورِهِ من معروفٍ بالكذبِ، أو لكونه في مؤمن يبعُدُ أن يقعَ منه ذلكَ، وكذلك الثرثارُ الذي يحدِّثُ بكل ما سمعَ هو من جملة الكاذبينَ أيضًا، قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كفى بالمرءِ كذِبًا أن يحدِّثَ بكلِّ ما سمِع)).

أيها المؤمنون: للكذب دابَّة يسيرُ عليها، ومَطِية ينتشرُ بها، وهي أن يقول: قالوا أو سمعنا أو قرأنا أو نحوِ ذلك من العباراتِ الناتجة عن تخمين وعدم يقين، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ((بئس مَطِيَّةُ الكَذِبِ زعموا))، أي بئس المطيةُ للكذب كلمةَ زعموا، قال عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه: (إنَّ الشيطانَ ليتمثلُ في صورةِ الرجلِ، فيأتي القومَ فيحدِّثُهم بالحديثِ من الكَذِبِ، فيتفرقون، فيقولُ الرجلُ منهم: سمعتُ رجلاً أعرفُ وجهَهُ ولا أدري ما اسمُه يحدِّث).

فإذا كان في المجتمعِ من ينقُل الأخبارَ وهو يعلمُ كَذِبها، ومَن يحدِّثُ بكلِّ ما سمعَ، ومَن يجعل مطيته في كذبه زَعموا أو قالوا أو سمعنا أو قرأنا، إذا كانَ هذا في المجتمعِ ترعرعتْ الإشاعات، وبلَغَتْ عَنانَ السماءِ، ولا يخفى على عاقلٍ خطرُ الإشاعات الكاذبة في المجتمعِ، فكم من بيتٍ حطَّمتْ سمُعَته، وكم من مسلمٍ ظلمتْه، وكم من بريء اتهمته، وكم من عِرضٍ هتكته، وقد أعد الله تعالى لمن ينشر الإشاعات الكاذبة عذاباً عظيماً في القبر، وهو أن يقومَ عليه قائمٌ بكَلّوبٍ من حديدٍ، فيُدْخِلُ ذلك الكلّوبَ في شِدْقِه، فيُشَرْشِرُ أحدَ شِدْقَيهِ حتى يبلُغَ قَفاه، ثم يَفْعَلُ بالشدقِ الآخرِ مثلَ ذلك، ثم يعودُ للشدقِ الأولِ فإذا هو قدْ التئمَ على هيئتِهِ الأولى، فيُشرشِرُه إلى قفاه، ثم يعودُ إلى الآخرِ، كما جاءَ ذلك الوعيد عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا يُعَذَّبُ في القبر، لأنَّه يَكذِبُ الكِذْبةَ فتنتشر بين الناس.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمونَ، واحذروا الشائعاتِ ونشرَها، فإن أعظم الفساد أن يتكلمَ الإنسانُ بكلِ ما سمعَ.

وكثيرًا ما تكونُ الإشاعات مواكبةً للأزماتِ، ومتكاثرةً في أوقاتِ النكباتِ، والمشكلاتِ الشخصيةِ والعائليةِ، فتبدأُ عناكِبُ الفساد بنسجِ القِصصِ والمواقفِ النابعةِ من تصوراتِهم وخيالاتِهم وتحليلاتِهم، وتنشُرُها بين الآخرينَ، إما بغرَضِ التسليةِ، أو بغرضِ التشهيرِ، أو بغرض التشفي، لتجدَ الجميعَ في النهاية يتحدثونَ فيها زوراً وكذباً.

وأخطرُ الإشاعاتِ أن تكونَ على يدِ من نثِقُ بهم، ويعتبرُهم المجتمعُ أهلَ العلمِ والمعرفةِ والثقافةِ، فهؤلاءِ أكثرُ خطرًا باعتبارِهم أكثرَ تأثيرًا في نفوسِ الآخرينَ، فلا بدَّ من التريُّثِ والانتباهِ لكلِّ ما نتلقاه، ولابد أن نلجأُ إلى إعمالِ العقلِ والتفكيرِ، لا أن نكونَ مجردَ إمّعاتٍ نتلقى ونقلّدُ وننشُرُ، فخطرُ الإشاعةِ على المجتمعِ يفوقُ أخطرَ الأمراضِ، فهي أكبرُ فتكًا وأكثرُ تأثيرًا، وتستحِقُّ منا حِرصًا ووعيًا وإدراكًا نصل به إلى جادةِ الحقِ والصوابِ.

وقد أعد الله لمن ترك الكذب ثواباً عظيماً كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أَنَا زَعِيمٌ —أي كفيل وضامن— بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ —أي في أدنى الجنة— لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ))، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم ((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ، فإن الصدقَ طمأنينةٌ، وإن الكَذِبَ ريبةٌ)).

فاتقوا الله أيها المسلمون، والزموا الأخلاق الفاضلة، وتجنبوا الأخلاق السافلة، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، وفقني الله وإياكم لمكارم الأخلاق ومحاسن الخلال، ورزقنا الصدق في الأقوال والأعمال، وجنبنا منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء، إنه جواد كريم.

٥٦- الأمانة

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الْمُسْتَحْمِدِ لِفَضْلِهِ، الْمُسْتَعْبِدِ لِعَزِيمَةِ سُلْطَانِهِ، الدَّائِمِ فِي مُلْكِهِ وَبَقَائِهِ، العَدْلِ فِي حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ، الَّذِي خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِحِكْمَتِهِ، وَرزَقَ الأَحْيَاءَ بِرَحْمَتِهِ، وَأَمْضَى الدُّهُورَ عَلَى مَشِيئَتِهِ، لَا يُرَادُّ فِي حُكْمِهِ، وَلَا يُضَادُّ فِي عِلْمِهِ، وَلَا يُشَارَكُ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُغَالَبُ فِي بُرْهَانِهِ، لَهُ الْمِنَّةُ العَالِيَةُ، وَمِنْهُ النِّعْمَةُ السَّابِغَةُ، بِيَدِهِ رِزْقُ البَشَرِ، وبِإِذْنِهِ يَجْرِي القَدَرُ.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةً أَوْجَبَتْهَا شَوَاهِدُ بَقَائِهِ وَقِدَمِهِ، وَكَلِمَةً حَبَّبَهَا إِلَيْنَا عَوَائِدُ آلائِهِ وَنِعَمِهِ.

وَأشهد أَنَّ مُحَمَّدَاً صَلَّى الله عليه وآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ ورسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالحَقِّ، وأَنْطَقَهُ بِالصِّدْقِ، بَشِيراً لِلْمُتَّقِينَ، وَنَذِيراً لِلْمُعْتَدِينَ، فَشَرَعَ الدِّينَ، وَهَدَى الضَّالِّينَ، فَصَلَّى اللهُ علَيهِ وعلَى أهلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المسلمون:

من المواضيع ذات الأهمية البالغة التي نحتاج إليها في حياتنا ومعاملاتنا، هي الأمانة، وهي من مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، بل من علامات الإيمان، ودلالات الفضل والإحسان.

قال الله عز وجل {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}، وقال سبحانه {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}، وقال تعالى في صفات المؤمنين: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}، ولقد كانت الأمانة من صفات ملائكة الله المقربين، كما وصف الله جبريل الأمين بها في قوله تعالى {مُطَاعٍ ثَمَّ

أَمِيْن}، وقوله تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}.

والأمانة أيضاً صفة الأنبياء عليهم السلام، لأنهم لما كانوا متحملين لأعباء الرسالة والتبليغ فلا بد أن تتوفر فيهم هذه الصفةُ الهامة، فقد وصف الله بها أنبيائه عليهم السلام، وكانوا أيضاً معروفين بها بين قومهم، فهود عليه السلام يقول لقومه {وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ}، ونوح وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام كل واحد منهم يقول لقومه {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}.

فشخصية المسلم تتميز بالأمانة لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)) ولِعِظَم الأمانة وضخامتها وما تشتمل عليه من أحكام الدين الشرعية، فإن ضعاف الشخصيات لا يستطيعون حملها.

ولأهمية الأمانة فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم تضييعها من علامات الساعة، في قوله: ((إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة، قالوا: وكيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله، فانتظروا الساعة)).

ولحاجة الناس إليها في دينهم ودنياهم، فإنها أول ما يفقدون من أحوالهم وشؤونهم، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخرها الصلاة))، وروي عنه أنه قال ((يصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن من بني فلان رجل أمين)).

ومكانُ الأمانةِ صدورُ الرجال وأعمالهم تدل عليها، ومنها يتعلم الرجل الوفاء وصفات الخير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الأمانة نزلت في جذور قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة)).

وقد أمرنا بأداء الأمانة، ولو إلى من يخون، ونُهينَا أن نقابله بالضد، كما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)).

ولقد أصبحنا في هذا الزمان الذي قلت فيه الأمانة بل عدمت، وأصبح أهله من حثالة الحثالة، كما قد أخبر بذلك النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيما روي عنه أنه قال

لأصحابه ذات يوم ((كيف بكم وبزمان، – أو يوشك أن يأتي زمان –، يغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس، قد مَرَجَت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه))، فقالوا: كيف بنا يا رسول الله، فقال: ((تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم)).

وفي رواية أخرى: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ ذكر الفتنة فقال: ((إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا))، وشبك بين أصابعه، قال الراوي: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: ((الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة)).

فقد شبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحال الذي يصل إليه الناس إذا فسد العهد، وفسدت الأمانة، بالاضطراب والتشابك وتَعَقُّد الأمور، فشبك النبي صلى الله عليه وسلم بين أصابعه لكي يعطي تصوراً للواقع الذي تصل إليه الأمة، وأيُّ سوء لواقع ولوضع لا يُعرف فيه الأمين من الخائن؟!، ولا يُعرف البر من الفاجر؟!، ولا الصالح من الطالح؟!، أي مصيبة لوضع وحال تكثر فيه الخيانات، وتضعف فيه العهود على مختلف الطبقات والمستويات، ويكثر فيه القيل والقال، يصل الحال إلى حد التشابك والإختلاط، التشابك في التصورات، والتشابك في الرؤى، والتشابك في معرفة العلاج لكثير من صور الخيانات، ونقض العهود، كيف يكون حال الأمة إذا أصبحت الخيانة هي السلعة الرائجة، وكيف حال مجتمع يقدم فيه الخائن، ويؤخر فيه الأمين.

إذا قَلَّت الأمانة عند الناس، أو انعدمت عند البعض الآخر، فإنه لا يتورع حينئذ فيما يأخذ وفيما يدع، كم في المجتمعات من أبرياء ومساكين، يشتكون أنهم قد سلبت حقوقهم، وأخذت أموالهم.

أيها المؤمنون: الأمانة مسئولية عظيمة، إنها عبء ثقيل إلا على من خففها الله عليه

لقد أصاب مفهومُ الأمانة ما أصاب غيره من المفاهيم الإسلامية، من سوءِ الفهم، وسوءِ المعرفة، فأصبح مفهومُ الأمانة محصوراً في حدودٍ ضيقة، ومفاهيم قاصرة.

الأمانة ليست مقصورة على أداء الأموال، والوفاء بالعهود فقط، ورد الودائع فقط، بل هي تسع المشارق والمغارب بكل معانيها، فهي لؤلؤة نفيسة، وجوهر نقي، ومعدن أصيل في يد صائغ نبيل.

فالأمانة لها معان في العبادات والمعاملات:

فالأمانة في العبادات: هي الأمانة التكليفية، التي ألزمك الله بها وحملك إياها، وهي أن تقوم بطاعة الله تعالى مخلصًا له، متبعًا لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه، تخشى الله في السر والعلانية، تخشاه حيث يراك الناس وحيث لا يرونك، ولا تكن ممن يخشى الله في العلانية ويعصيه في السر، فالأمانة تعني المحافظة على العبادات والمعاملات.

جعلني الله وإياكم ممن يؤدون الأمانة، ويجتنبون الخيانة، فإنه ولي الإحسان، وفقنا وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين، وأثني عليه ثناء الذاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليلُه، المبعوث إلى الثقلين أجمعين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها الإخوة المؤمنون:

الأمانة في المعاملات: قوة وكفاءة في حفظ الحقوق، كما قال يوسف عليه السلام لما قال له مَلِكُ مصر (إنك اليوم لدينا مكين أمين، قال: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم)، فلم يستند يوسف عليه السلام في استحقاقه منصب الولاية المالية إلا إلى أنه يحسن الحفظ والرعاية للمال من الضياع والتفريط والإهمال، وإلى علمه بإدارة شؤون المال والتصرف فيه، وأين يضعه وفيما يضعه، ومتى يمنعه وممن يمنعه، وهذا يعني الكفاءة والخبرة، وكما قالت ابنة شعيب لأبيها لما رأت من موسى القوة على حفظ الأمانة: {يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين}، فقد علمت ابنة شعيب قوة نبي الله موسى من تمكنه لوحده من نزع الماء من البئر بدون مساعدة أحد، وعلمت أمانته من عفته ونزاهته مع فقره وشدة حاجته، حيث لم ينظر إليه بسوء، ولم يأخذ من أغنامها شيئاً مقابل عمله، فالأمانة إذاً تعني وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، أي أن نختار للأعمال أحسن الناس قيامًا بها، وأكملهم في أدائها.

فالأمانة تعني: أن يحرص الرجل على أداء عمله المنوط به كاملاً، وأن يحسن فيه تمام الإحسان بدون تقصير ولا إهمال ولاتوانٍ، بل بإخلاص وجد واجتهاد، لأن استهانة الفرد بما كلف به هو من أسباب انتشار الفساد في كيان الأمة ومن أسباب تداعيه وتطوره.

وخيانة الأعمال تتفاوت إثمًا ونكراً، وأشدها شناعة، خيانة الدين، وخيانة المسلمين، وخيانة البلدان والمجتمعات.

ومن أهم معاني الأمانة أن يتعفف المسلم عن استغلال المنصب، وأن يحرص على رفض المكاسب المشبوهة وتركها، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوق كان غلولاً يأتي به يوم القيامة)).

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استعمل رجلاً على الصدقات، فلما جاء حاسبه، فقال: هذا مالُكم، وهذا هدية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً) ثم خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد: فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتي فيقول: هذا مالكم، وهذا هدية أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاًبغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر)، ثم رفع يده حتى رؤي بياض إبطه، وهو يقول: ((اللهم هل بلغت)).

ومن الأمانة في المعاملة: أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، من النصح والبيان، وأن تكون حافظًا لحقوقهم المالية وغير المالية من كل ما استؤمنت عليه ولو كان أمراً سهلاً.

فمن الأمانة: أن تحفظ حقوق المجالس التي تحضرها، فلا تفشي أسرارها، ولا تنشر أخبارها، فكم من حبال موصولة تقطعت، ومصالح تعطلت، بسبب استهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وتكون الأمانة بين الرجل وصاحبه يفضي له بحديث يأتمنه عليه، ولا يحب أن يطلع عليه أحد، ثم يفشي سره ويحدث به الناس، وفي الحديث ((إذا حدث الرجل رجلًا بحديث ثم التفت فهو أمانة))، لأن التفاته دليل على أنه لا يحب أن يسمعه ولا يعلم به أحد.

وتكون الأمانة حتى بين الرجل وزوجته، كما قال صلوات الله عليه وآله: ((إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها))، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوماً والرجال عنده، والنساء قعود عنده في ناحية فقال: ((لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها))، فأَرَمَّ القوم أي

سكتوا وَجِلِيْن فقالت أسماء بنت يزيد: إي والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن، قال: ((فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون)).

ومن أهم الأمانة: المحافظة على الأبناء وتربيتهم تربية سليمة وتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة، وتذكيرهم بثواب الله، وتخويفهم من عقاب الله حتى ينشأ الفتى دائم المراقبة لله.

فأين الأمانة من كثير من الأولياء اليوم.

أين الأمانة ممن ينصب في بيته الأجهزة التي تبث البرامج التي تغضب الله عز وجل؟، وتسعى في نقض عرى الإسلام عروة عروة، وتسبب في غرس تقاليد الكفار وعاداتهم ومحاربة الفضائل الشريفة.

أين هذا من أمانة الأولاد، فلنتق الله ولننظر إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت، هو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة))، {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ}.

ومن الأمانة صون العلم ورعايته، وتعليمه ونشره، كما يفعل العلماء العاملون الأبرار، وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)).

وتكون الأمانة في البيع والشراء والإجارة والاستئجار فلا يجوز للبائع أن يخون المشتري بنقص في الكيل أو الوزن، أو زيادة الثمن، أو كتمان العيب، أو تدليس في الصفة، ولا يجوز للمشتري أن يخون البائع بنقص في الثمن، أو إنكار أو مماطلة مع القدرة على الوفاء، ولا يجوز للمؤجر أن يخون المستأجر بنقص شيء من مواصفات الأجرة أو غير ذلك، ولا يجوز للمستأجر أن يخون المؤجر بنقص الأجرة أو إنكارها، أو تصرف يضر المستأجر من دار أو دكان أو آلة أو غير ذلك.

وتكون الأمانة في الوكالات فيجب على الوكيل أن يتصرف بما هو أحسن ولا يجوز أن

يخون موكله، فلا يبيع السلعة الموكل في بيعها بأقل من قيمتها محاباة للمشتري، أو يشتري السلعة الموكل في شرائها بأكثر من قيمتها محاباة للبائع.

فالأمانة بمعناه الأعم تكون في كل شيء يكون الإنسان واليًا عليه، سواء كان أمراً خاصاً أو عاماً، فهو أمين عليه يجب أن يؤدي الأمانة فيه، فالقاضي أمين، وولي اليتيم أمين، وناظر الأوقاف أمين، وأوصياء الوصايا كذلك، فالأمناء يجب عليهم أن يقوموا بالأمانة التي عليهم بأحسن قيام.

والذي يدل على هذا: ما روي عن عبد الله بن مسعود قال ((القتل في سبيل الله يُكفر الذنوب كلها إلا الأمانة، يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال: أدّ أمانتك، فيقول: أي رب، كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه، فيراها فيعرفها فيهوي في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه، حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والكيل أمانة، وأشد ذلك الودائع؛ قال الراوي: فأتيت البراء بن عازب فقلت: ألا ترى ما قال ابن مسعود؟! قال البراء: صدق أما سمعت الله يقول: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ}.

إن عدم استشعار المسئولية الملقاة على العاتق، والتساهل والتهاون بالأمانة التي حملنا الله إياها، هو الذي أوصلنا إلى هذا الحال المتدني على أبلغ المستويات، فمن لا تجد لديه الإحساس بعظم الأمانة يقل إحساسه بغيرها بل يعدم.

أيها المؤمنون: الصفة الذميمة التي تقابل الأمانة، وهي ضد لها هي صفة الخيانة، فقد ذم الله تعالى الخيانة وأهلها، كما يقول تعالى {إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا}، وقال تعالى {وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ}، معناها: أن كل خائن لا بد أن تعود خيانته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتبين أمره، ويقول تعالى {إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ}.

وبما أن الأمانة من صفات المؤمنين فالخيانة من صفات وعلامات المنافقين كما قال النبي

صلى الله عليه وآله وسلم ((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستعيذ من الخيانة في دعائه ويعلم أصحابه ذلك، فكان يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة؛ فإنها بئست البطانة)).

وليس ضرر الخيانة مقصوراً على الدنيا فقد بل الخائن والغادر فضيحته يوم القيامة أكبر، وغدرته أشهر، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان)).

فاتق الله أيها المسلم اتق الله في نفسك، واتق الله في مجتمعك، واتق الله في دينك، ألم تعلم أن الدين يظهر في أهله، وتبين علاماته على من ينتمي إليه، فإذا كان مظهر الأمة الإسلامية مظهر الكذب والخيانة، والتقليد الأعمى، وأكل مال الغير بغير حق، فأين المظهر الإسلامي، أرأيت إذا ظهر المسلمون بهذا المظهر المشين عند أعدائهم، أليس ذلك سببًا للتنفير عن دين الإسلام، إذا رأوهم على هذه الحال كذب في المقال، وخيانة في الأمانة، وغدر في العهد، وفجور في الخصومة، إن أعداء الإسلام ليفرحون ويفخرون إذا رأوا أهل الإسلام يقلدونهم في رذائل الأخلاق التي يحذرهم الإسلام منها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيها الإخوة: إن من مكارم الأخلاق أن يعامل الرجل الناس بالنصيحة والمعاملة الحسنة، يعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، يعاملهم بالصراحة، فلا يخون ولا يغدر، ولا يغش، فالخيانة والغدر والغش أخلاق ذميمة يحذر منها الدين، ويستقبحها كل عقل سليم، وهي من الفساد في الأرض، وقد أخبر الله تعالى في كتابه أن الله لا يهدي كيد الخائنين، ولا يصلح عمل المفسدين، وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ((من غشنا فليس منا))، وقال ((ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت، وهو غاش رعيته، إلا حرم الله عليه الجنة)).

٥٧- حقوق الجار

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يسَّر للسالكين إليه الطرق والأسباب؛ وفتح لهم من خزائن رحمته كل باب.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إقرار لا شك فيها ولا ارتياب.

وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله الذي منّ الله به على المؤمنين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الحكمة والكتاب، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحابته الراشدين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحساب وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

يقول الله تعالى **{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَبِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَالْجارِ ذِي الْقُرْبى وَالْجارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا فَخُوراً}** ففي هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى بعضاً من الحقوق الإسلامية والمعاملات الإنسانية، التي أصبحت منسية في هذا الزمان، وأصبحنا جميعاً نتهاون بها ولا نلقي لها بالاً، ولا نرعى لها اهتماماً، ونشير في هذه الخطبة إلى واحد من تلك الحقوق، وهي حقوق الجيران.

أيها الأخوة الكرام: إنه لا بد للمرء في مسكنه من جار يجاوره، يحتاج كلٌ منهما للآخر، تجمعهما مصالح، وتحصل بينهما خلطة، ولربما كانت تلك الخلطة سبب إلفة أو داعي شقاق ونفرة، ومن هنا؛ فدين الإسلام العظيم، الشريعة التي تحث أتباعها على التصافي والتآلف، رعت حق الجار، وأعظمت شأنه، وأكدت ثواب الإحسان إليه ووصله، وبالغت في التنفير من أذيته، ليبقى الصفاء، ويدوم الود والوفاء، ولتُنزع أسباب الشقاق والخلاف.

ففي الحديث الصحيح عن رجل من الأنصار قال: خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي أُرِيدُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَإِذَا بِهِ قَائِمٌ وَرَجُلٌ مَعَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُقْبِلٌ عَلَى صَاحِبِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ

لَهُمَا حَاجَةً، فَوَاللهِ لَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي لَهُ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَقَدْ قَامَ بِكَ الرَّجُلُ حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي لَكَ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، قَالَ: "وَقَدْ رَأَيْتَهُ؟". قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَذَا؟". قَالَ: لَا. قَالَ: "ذَاكَ جِبْرِيلُ – عليه السلام- مَا زَالَ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ.

وعَنْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: "وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ! وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ! وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ!" قِيلَ، وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ".

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم"مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره"، وفي رواية أخرى: "خير الجيران عند الله خيرهم لجاره". فلله! ما أشرفه من فضل! وما أجزله من جزاء!.

فالجار أيها المسلمون: هو من قرُب مسكنه منك، وسمي في العرف جاراً، وربما كان مسلماً أو كافراً، براً أو فاجراً، نافعاً أو ضارّاً، قريباً أو أجنبياً، وفي كل الأحوال له حق، وقد يكون بعض الجيران آكد من غيره حقاً، وأعظم شأناً.

وكان الجار تُرعى حرمتُه، ويؤدى حقُّه، ويغض الطرف عن نسائه، وتحفظ محارمه، بل كان ذلك من شيم الجاهلية ومفاخر أهلها، حتى قالوا:

وما جارتي إلّا كأمّي وإنّني لَأَحْفَظُهَا سِرّاً وأحفظها جَهْرَا

وأُغْضِي إذا ما جارتي بَرَزَتْ حتّى يواريَ جارتي الخدْرُ

وقد مر مالك بن أنس على امرأة وهي تنشد شعراً وتقول:

أنتَ خِلِّي وأنت حرمةُ جاري وحقيقٌ عليَّ حفظُ الجوارِ

إن للجار إنْ تغيَّبَ عيناً حافظاً للمغيب والأسرار

ما أبالي إنْ كان للباب سترٌ مُسْبَلٌ أم بقِي بغير ستار

فقال مالك: علِّموا أهلكم هذا وأمثاله.

وإذا نظرنا في هدي الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، كيف كان يتعامل مع الجيران، فقد زار جاره اليهودي حين مرض، وأجاب دعوة الفارسي حين دعاه، هذا مع

الأغراب بلداً ومعتقداً، أما مع الجيران من الصحابة فهو أكثر اعتناءً، فلم ينس جيرانه وهو أكثر الناس انشغالاً، وأفضلهم نفساً.

فعن عائشة أنها ذات ليلة صنعتْ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرصًا من شعير، قالت: فأقبلتْ شاة لجارنا داجنة (يعني: لا تجد حرجًا من الدخول في البيوت) فدخلتْ، ثم عمدت إلى القرص فأخذتْه، ثم أدبرت به، فبادرتُها الباب، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((خُذي ما أدركتِ من قرصِك، ولا تؤذي جاركِ في شاته)).

فانظروا – عبادَ الله – إلى تربيته صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيته، وحثِّه لهم على حسن التعامل مع الجار، وكف الأذى عنه، حتى في شاته التي تتعدى على طعام الآخرين.

عباد الله: وبرغم نماذج الخير المتكاثرة، إلا أن حق الجار اليوم وفي هذه الأزمنة قد قصَّرنا فيه، وانتقصنا منه، وتهاونا كثيراً به، فلربما رأيت جارين لا يسلم أحدهما على الآخر إذا لقيه، وربما رأيت جاراً يؤذي جيرانه، ويطلع على حرماتهم، وينالهم منه الأذى بسائر صوره، أصواتٌ منكرة، وروائح مؤذية، وأذيات متعددة ومتنوعة، وفي الحديث الصحيح، قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلاَنَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَّدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم "لاَ خَيْرَ فِيهَا"، وقال: "لا يدخل الجنة مَن لا يأمن جاره بوائقه".

وقد صرنا في عرفنا القاصر نعدُّ أفضل الجيران من كف شره وخيره، وكفُّ الشر خيرٌ، لكن المؤملَ بذلُ الخير، والموفق من قام بحق جيرانه، قربة لله، وطلباً لرضاه، وهرباً من سخطه، وفي الأثر المشهور المتداول بين الناس: من سعادة المرءِ الجار الصالح.

وحق الجار يؤدى بأمور ثلاثة، من قام بها فهو خير الجيران:

الأمر الأول: كفُّ الأذى عنهم، فالجار الموفق لا يؤذي جاراً، ولا يضيق طريقاً، ولا يزعج أحداً بصوت ولا فعال، ولا يؤذي بأي أنواع الأذى، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: "مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره".

وهنا نود أن نقف قليلاً مع النبي الكريم صلوات الله عليه وآله وهو يبين لنا أن السيئة في حق الجار تضاعف إلى عشرة أضعاف، فقد ضاعَفَ صلى الله عليه وآله وسلم جريمَةَ الزنا والسرقة في حق الجار إلى عشرة أضعاف؛ لأن الجار قد أمنه جاره، فخان الأمانة وانتهك الحرمة، وكان حقًّاً عليه أن يحفظ جاره في ماله وعِرضه.

فعن المقداد بن الأسود – رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: ((ما تقولون في الزنا؟))، قالوا: حرَّمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: ((لأنْ يزني الرجل بعشر نسوة، أيسرُ عليه من أن يزني بامرأة جاره))، ثم قال: ((ما تقولون في السرقة؟))، قالوا: حرَّمها الله ورسوله، فهي حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لأنْ يسرق الرجل من عشرة أبياتٍ، أيسرُ عليه من أن يسرق من جاره)).

الأمر الثاني: احتمال الأذى، والتغاضي عن الزلات، والتغافل عن الهفوات، فمَن لم يتغافل عن القصور من جاره تعب وأتعب، فالقصور من طبع البشر، فربما طال بيتك أو أولادك أو سيارتك أذى منهم، والجار الموفق مَن تغافل وغض الطرف.

فقد يحصل في بعض الأحوال الهجر والمعاداة والقطيعة بين الجيران لأجل أذى يصدر من أحد الأبناء؟أو من ممارسة الأطفال، بل وقد يتعدى إلى المشاكل بين الأسر بهذا السبب كما هو الحاصل في المجتمعات اليوم.

والأمر الثالث: أن ينال جيرانك الإحسان منك والإكرام، فالجار الموفق يرعى لجاره حقوقه، يعود جاره إن مرض، يواسيه في أتراحه، ويهنئه في أفراحه، لا يغفل عن داره في غيبته، ويسد نقصه عن حاجته، ويفرج كربته، يسر لسروره، ويستر عليه عند قصوره، فإن وصل الأمر إلى زيارتهم، والاجتماع بهم فذاك خير إلى خير، وبهذه الأمور يؤدى حق الجار.

روي أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشكو جارَه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اذهبْ فاصبرْ))، فأتاه مرتين أو ثلاثًا، فقال له النبي صلى الله عليه

وسلم((اذهب فاطرَحْ متاعَك في الطريق))، فطرَحَ متاعه في الطريق، فجعل الناسُ يسألونه، فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به وفعل، وفي لفظ آخر: فجاء الرجل إلى النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – فقال: يا رسول الله، ما لقيتُ من الناس، قال صلى الله عليه وآله وسلم ((وما لقيتَ منهم؟))، فقال الرجل: يلعنونني، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((قد لعنك الله قبل الناس))، فقال: إني لا أعود، ثم ذهب إلى جاره، فقال له: ارجع لا ترى مني شيئًا تكرهه، فجاء الشاكي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له الحبيب عليه الصلاة والسلام وآله ((ارفع متاعك، فقد كُفيت)).

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لرعاية حقوق الجيران، وأن يعمنا وإياهم بالفضل والخير والإحسان، إنه كريم جواد منان.

بسم الله الرحمن الرحيم **{والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}**.

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من البر والإحسان، وأستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على إحسانه، ونشكره على توفيقه وامتنانه، أمرنا بالإحسان إلى الجيران، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، محمد بن عبدالله خير من وصى بالجار، وعلى آله الأخيار.

أما بعد:

يحكى أن رجلاً من المسلمين بنى داراً كبيرة فسيحة، فجمّلها وحسَّنها، وبعد برهة من الزمن تعكرت حياته في تلك الدار، فعاف حسنها، وكره سكناها، وتمنى الخلاص منها، فعرضها للبيع بأرخص الأثمان، وأبخس الأسعار، وتمت البيعة بسعر زهيد، فلامَهُ العُذَّال في بيعها، فأجابهم بقوله:

يلومونني أنْ بِعْتُ بالرّخْص منزلي ... وما علِمُوا جاراً هناك يُنغِّصُ

فقلت لهم: كُفُّوا الملام فإنها ... بجيرانها تغلو الديارُ وترخُصُ

وبضد هذا الموقف موقفٌ يبين غلاء البيت بجيرانها، فقد عرض رجل داره للبيع بمائة ألف درهم، فلما حضر الراغبون في شراء داره قال لهم: قد اتفقنا على ثمن الدار، فبكم تشترون جوار جاري؟ فقيل له: وهل الجوار يباع؟ قال: وكيف لا يباع جوار مَن إذا قعدتَ سألَ عنك، وإن رآك رحّب بك، وإن غبت حفظك، وإن شهدت قرّبك، وإن سألته قضى حاجتك، وإن لم تسأله ابتدأك، وإن نابتك نائبة فرج عنك، فبلغ ذلك جاره فوجه إليه بمائة ألف درهم، وقال له: أمسك عليك دارك.

وروي أنه كان لأبي حنيفة جار يعمل نهاره ويقضي ليله في اللهو والغناء، وكثيراً ما كان يزعج أبا حنيفة ويتغنى.

ففقد أبو حنيفة صوته ذات مرة، وعلم أنه محبوس، فصلى الصبح، وذهب إلى الأمير فقابله وطلب الإفراج عن جاره، وأجابه الأمير وأفرج عن جاره. ولما خرجا قال له أبو حنيفة: هل أضعناك يا فتى؟ فقال: لا، بل حفظت ورعيت، جزاك الله عني خيراً وعن

حرمة الجوار، وتاب ولم يعد إلى ما كان عليه.

وشكا بعض السلف كثرة الفئران في داره، فقيل له: لو اقتنيت هراً؟ فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون أنا أحببت لهم ما لا أحب لنفسي.

ولئن كان للجار قدر عند السلف، فقد يوجد في بعض الناس اليوم خير وبركة، فقد حكي موقف وقع بين جارين يبين لنا خُلقاً لا نجده إلا في الإسلام، حين يعتني الجار بجاره ويسد نقصه وحاجته.

وهو أن جارين متجاورين فَقَد أحدهما جاره، فسأل أولاده عنه، فأخبر بأنه مسجون لأجل دين عليه، فاتجه الجار مباشرة، وباع سيارته التي لا يملك غيرها، واتجه من حينه للسجن ليسد الدين عن جاره، وما بقي من قيمة السيارة قسمه بينه وبين جاره، ورجع وقد ضحى بسيارته، وفك سجن جاره.

ومن أقوى روابط علاقات الجوار البذل والمهاداة، فعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: إنّ خليلي صلى الله عليه وآله وسلم- أوصاني: إذا طبختَ مرقاً فأكثر ماءه، ثمّ انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف.

ليست القضية زيادة ماء فحسب، ولكن مثل هذا البذل والتهادي له أثر في إحداث الود والتصافي، وفي وصايا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للنساء: "أيها النساء المؤمنات، لا تحقر أحداكن لجارتها ولو فرسن شاة. أي مربط شاة.

فهل نتعاهد جيراننا من حيث الحالة المادية؟ فكم من جارٍ ربما كان ملاصقاً عنده من الحاجة والمسغبة ما لا يجد له مسدّاً، ومِن أولى الناس بمعروفك جيرانك، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ما آمن بالله؟ قيل من يا رسول الله؟ قال من بات شبعاناً وجاره جائع وهو يشعر.

عباد الله: نحن جميعاً في قصور كبير تجاه هذه الحقوق العظيمة، والمسؤلية الجسيمة، نسأل الله أن يتجاوز عنا تقصيرنا.

عباد الله: ويبقى حق الجار الديني أمراً من آكَد الحقوق، بنصحه إن قصر، وتوجيهه إن عصى؛ فحق الجار إن كان عاصياً أن نوجهه ونديم النصح له، لعلّ قلباً مغلقاً أن ينفتح، أو مُعرضاً أن يُقبل، أو قاسياً أن يلين.

أيها الإخوة المؤمنون: إن عناية الإسلام بحق الجار توضح أن ديننا يسعى لكل ما من شأنه تآخينا، ولئن كان البعض يرى أنه في غنى عن جيرانه ولا يحتاج لهم فإن القضية ليست مادية؛ بل الأمر أكبر من ذلك، فتصافي الجيران يترتب عليه تصافي المجتمع، ومن ثم الأمة، والعكس بالعكس، فهل نعتني بهذا الأمر؟ ونتقرب إلى الله بأداء حق الجيران؟ هذا هو المؤمل والمرتجى منا جميعاً.

نسأل الله أن يعيننا على تأدية الحقوق لأهلها، والقيام بالواجبات تجاه إخواننا المؤمنين، إنه على كل شيء قدير.

٥٨- في فضل الدعاء

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ، الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، الجَوَادِ الكَرِيمِ، الَّذِي أَنْشَأَنَا بِحِكْمَتِهِ، وَغَذَّانَا بِنِعْمَتِهِ، وَأَوْلَانَا جَزِيْلَ الإِحْسَانِ، وَهَدَانَا سَبِيلَ الإِيْمَانِ، وَعَوَّدَنَا جَمِيلَ الإِمْتِنَانِ، فَأَقْرَرْنَا بِإِلَاهِيَّتِهِ، وَاعْتَرَفْنَا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَيْقَنَّا بِحَشْرِهِ وَحِسَابِهِ، وَآمَنَّا بِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَنْشَأْتَهُ مِنْ خَلْقنا، وَتَكَفَّلْتَهُ مِنْ رِزْقِنا، وَقَسَمْتَهُ لنا مِنْ آلَائِكَ، وَأَسْبَغْتَهُ عَلَينا مِنْ نَعْمَائِكَ، وَنَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَصْحَبْتَناه مِنْ حُسْنِ الوِقَايَةِ، وَأَلْبَسْتَناه مِنْ ثَوْبِ العَافِيَةِ، وَوَصَلْتَهُ لنا مِنْ مَوَادِّ الكَرَامَةِ، وَبَصَّرْتَناه مِنْ أَسْبَابِ السَّلَامَةِ، وَنَحْمَدُكَ عَلَى مَا شَرَحْتَهُ مِنْ صَدْورنا، وَأَصْلَحْتَهُ مِنْ أَمْورِنا، وَقَضَيْتَهُ مِنْ كِفَايَتِنا، وَتَوَلَّيْتَهُ مِنْ وِقَايَتِنا، وَنَحْمَدُكَ عَلَى مَا حَبَّبْتَهُ إِلَينا مِنْ ذِكْرِكَ، وَأَسْبَلْتَهُ عَلَينا مِنْ سِتْرِكَ، وَوَقَيْتَناه مِنْ سُوءِ قَضَائِكَ، وَمَنَحْتَناه مِنْ سَنِيِّ عَطَائِكَ، حَمْداً تَقْبَلُهُ وَتَرْضَاهُ، وَتَجْعَلُ مِنْ دَوَامِ الزِّيَادَةِ ثَمَرَتَهُ وَجَنَاهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، مُدَبِّرُ الأُمُورِ وَمُصَرِّفُ المقْدُورِ.

وَأشهد أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَاليَقِينِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَى كَافَّةِ المؤمِنِينَ، فَبَشَّرَ التَّقِيَّ، وَأَنْذَرَ الغَوِيَّ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَكَشَفَ الغُمَّةَ، وَجَاهَدَ حَتَّى كَمُلَ الدِّينُ، وَعَبَدَ إِلَهَهُ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى **{لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ}**، ويقول تعالى **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**، ويقول تعالى **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}**، فهذه الآيات الكريمات تحث على أمر هام يحتاجه المسلم في حياته، ولا يستغني عنه في

أي وقت من أوقاته، ولا لحظة من لحظاته، ذلك الأمر هو الدعاء والإلتجاء والتضرع إلى الله مالك الكون وما فيه، ومدبر الخلق وشؤنه، فالدعاء دليل على افتقارك إلى الله، وإظهار الحاجة إليه، وخضوعك بين يديه، وتسليمك لكل أمر صادر منه إليك، ولهذا سماه الله تعالى عبادة، لأن العبادة لا بد فيها من التذلل والخضوع، والرهبة والإفتقار والخشوع، والدعاء دليل واضح على استجابتك لله، وامتثالك لأمر الله، وأن قلبك معلق بالله، وأنك لا تستغني في أي حال عن الله.

أما ترك الدعاء فقد سماه الله تعالى استكباراً، لأن تارك الدعاء إما أن يتركه استغناء عن الله، واستكفاء بنفسه وقوته وحيلته عن طلب ما عند الله، ودفع ما يلم به من المصائب، وهذا عين الإستكبار بل الكفر الصريح الذي توعد الله عليه بالنار.

وإما أن يتركه ظناً منه أنه لا ينفع ولا يجدي، ولا يفيد ولا يخلص، فهذا هو الظن السوء بالله، والإعتقاد الفاسد بكرم الله وجوده، والواجب على العبد أن يحسن الظن بربه، فإن الله عند ظن العبد به، فإن ظن خيراً وجد خيراً، وإن ظن سوءاً جلب عليه سوءاً.

وإما أن يتركه غفلة وسهواً، وذهولاً عن الله ولهواً، واشتغالاً بالدنيا والشهوات، وتضييعاً لنفسه ووقته وعمره بحثاً عن اللذات، فهذه حالة التردي والسقوط، والتفريط والتضييع، التي تجر للعبد الويلات، وتجلب عليه الحسرات والمذلات.

وقد رغب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاء، في أحاديث كثيرة، فعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما أعطي أحدٌ أربعاً فمنع أربعاً: ما أعطي أحدٌ الدعاء فمنع الإجابة، إن الله تعالى يقول: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾، وما أعطي أحدٌ الاستغفار فمنع المغفرة، إن الله تعالى يقول: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**﴾، وما أعطي أحدٌ التوبة فمنع القبول لقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾، وما أعطي أحدٌ الشكر فمنع الزيادة لقوله تعالى: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾)).

وعن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: ((إن أنواع البر نصف العبادة، والنصف الآخر الدعاء)).

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين، وزين ما بين السماوات والأرض)).

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله في آخر ساعة تبقى من الليل يأمر بباب من أبواب سماء الدنيا فيفتح، ثم ينادي ملك، فيسمعه ما بين الخافقين إلا الإنس والجن: ألا هل من مستغفر فيغفر له؟ هل من تائب فيتاب عليه؟ هل من داعٍ بخيرٍ فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى سؤله؟ هل من راغب فيعطى رغبته؟ يا صاحب الخير هَلُّم، يا صاحب الشر اقصر، اللهم اعطِ منفقَ مالٍ خلفاً، اللهم اعطِ ممسك مالٍ تلفاً، فإذا كانت ليلة الجمعة فتح من أول الليل إلى آخره)).

وقد ضمن الله تعالى الإجابة لمن دعاه، فأبواب فضله مفتوحة، وخيراته لعباده ممنوحة، فعن علي عليه السلام، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من مؤمنٍ يدعو بدعوةٍ إلا استجيب له، فإن لم يعطها في الدنيا أعطيها في الآخرة)).

والدعاء من أسباب رد البلاء والمصاعب، ومن الدروع الواقية من المصائب، فعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((الدعاء يرد القضاء))، وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)).

وللدعاء أيها المؤمنون شروط وآداب، لا بد من مراعاتها وتحصيلها كي يكون الدعاء مستجاباً، فأما شروطه فلا بد منها، ويجب الإنتباه لها:

أولاً: أكل الحلال، فعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم ((من كان منكم يحب أن تستجاب دعوته فليُطب مكسبه)).

وفي حديث آخر ((عبد يدعو مأكله حرام وملبسه حرام أنى يستجاب له)).

ثانياً: حسن الظن بالله تعالى والثقة بإجابته، وعدم الإستعجال: فإن الله تعالى ما فتح باب الدعاء إلا وقد وعد وضمن الإجابة، فلا يجوز للعبد أن ييأس أو يقنط من رحمة الله وإجابته، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل))، قيل: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: ((يقول: قد دعوت الله فما آن لله أن يستجيب لي)).

ثالثاً: التضرع والخشوع لله تعالى، فعن جعفر بن محمد، قال: إن الله جل وتعالى حين دعا موسى من الشجرة المباركة، قال له: ((يا موسى بن عمران إن أنت عبدي وأنا إلهك الديان كن عند ذكري خاشعاً، وعند تلاوة رحمتي طامعاً، وأسمعني التوراة وما فيها بصوت خاشع حزين، واطمئن عند ذكري، واذكر لي من يطمئن إلى ذكري، وإذا دعوتني فادعني خائفاً وَجِلاً مشفقاً لجلالي، واقنت بين يدي كقنوت العبد بين يدي سيده)).

رابعاً: أن يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وفي أول الدعاء وأوسطه وآخره، كما روي عن علي عليه السلام أنه قال: الدعاء محجوب عن السماء حتَّى يُصَلَّى على محمد وعلى آل محمد.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ، وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ}.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود على نعمائه، المشكور على آلائه، الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من رجاه، ولا يرد من دعاه، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، وأشهد أن محمداً عبده المنتجب الطاهر المطهر، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: نكمل ما تبقى من الآداب التي ينبغي مراعاتها أثناء الدعاء، وهي كما يلي: **أولاً: أن يغتنم الأوقات الشريفة، التي وردت الآثار بإجابة الدعاء عندها:**

فمنها: بعد الصلوات، فعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أدى فريضةً فله عند الله دعوةٌ مستجابةٌ)).

عن ابن عباس قال: إن الله فرض الصلوات في خير الساعات فعليكم بالدعاء في دبر الصلوات.

ومنها: بين الأذان والإقامة، فعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة)).

ومنها: الأوقات التي وردت في الأحاديث التالية:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم)).

وعن أبي أمامة، سمعته يحدث، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربع مواطن: عند التقاء الصفوف في سبيل الله، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة، وعند رؤية الكعبة)).

وعن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفس محمدٍ بيده لدعاء الرجل بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنجح في الحاجة من الضارب بماله في الأرض))، وكذلك الدعاء وقت الأسحار.

وعلى الإنسان أن يغتنم الحالات التي إذا كان عليها فإن الله يستجيب دعاءه، كأن يكون حاجاً، أو مريضاً أو مسافراً، أو مظلوماً، كما روي عن ابن عباسٍ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((خمس دعواتٍ مستجاباتٌ: دعوة المظلوم حتى ينتصر، ودعوة الحاج حتى يصدر، ودعوة المجاهد حتى يقفل، ودعوة المريض حتى يبرأ، ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، وأسرع هذه الدعوات إجابةً دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب)).

ومن الأوقات الفاضلة الشريفة التي يستجاب فيها الدعاء شهر رجب فإنه مسموع فيه الدعاء، وشهر شعبان، وأيام العشر من الحجة، ويوم عرفة وغيرها.

فأما شهر رمضان فهو وقت عظيم، لا بد من الحرص على أوقاته، وعدم تضييع ساعاته، والإهتمام بليله ونهاره، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبنا ذات يوم فقال ((أيها الناس إنه أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، وشهر دعيم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضوا عما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحننوا على أيتام الناس كما يتحنن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم، فإنها أفضل الساعات، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده يجيبهم إذا ناجوه، ويلبيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه)).

فعلينا إيها المؤمنون أن نغتنم فرصة الأوقات الفاضلة الشريفة للدعاء، فإن الله تعالى لا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاه، وفقنا الله وإياكم لصالح العمل، وعصمنا من الزيغ والزلل، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

٥٩- في الدعاء وأهميته

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ العَظِيْم، الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، الجَوَادِ الكَرِيمِ، الَّذِي أَنْشَأَنَا بِحِكْمَتِهِ، وَغَذَّانَا بِنِعْمَتِهِ، وَأَوْلانَا جَزِيْلَ الإِحْسَانِ، وَهَدَانَا سَبِيلَ الإِيْمَانِ، وَعَوَّدَنَا جَمِيلَ الإِمْتِنَانِ، فَأَقْرَرْنَا بِإِلَاهِيَّتِهِ، وَاعْتَرَفْنَا بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَيْقَنَّا بِحَشْرِهِ وَحِسَابِهِ، وَآمَنَّا بِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا شَرَحْتَهُ مِنْ صَدْورنا، وَأَصْلَحْتَهُ مِنْ أَمْورِنا، وَقَضَيْتَهُ مِنْ كِفَايَتنا، وَتَوَلَّيْتَهُ مِنْ وِقَايَتنا، وَنَحْمَدُكَ عَلَى مَا حَبَّبْتَهُ إِلَينا مِنْ ذِكْرِكَ، وَأَسْبَلْتَهُ عَلَينا مِنْ سِتْرِكَ، وَوَقَيْتَنَاه مِنْ سُوءِ قَضَائِكَ، وَمَنَحْتَنَاه مِنْ سَنِيِّ عَطَائِكَ، حَمْدَاً تَقْبَلُهُ وَتَرْضَاهُ، وَتَجْعَلُ مِنْ دَوَامِ الزِّيَادَةِ ثَمَرَتَهُ وَجَنَاهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، مُدَبِّرُ الأُمُورِ وَمُصَرِّفُ المقْدُورِ.

وَأشهد أَنَّ مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَاليَقِينِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَى كَافَّةِ المؤمِنِينَ، فَبَشَّرَ التَّقِيَّ، وَأَنْذَرَ الغَوِيَّ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَكَشَفَ الغُمَّةَ، وَجَاهَدَ حَتَّى كَمُلَ الدِّينُ، وَعَبَدَ إِلَهَهُ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعد: أيها المؤمنون:

الدنيا طبعت على الهمّ والكدر، ولا يكاد الإنسان يسلم فيها من البلاء والخطر، ومن الأمراض والمصائب، والأحداث والأحزان، والهموم والغموم، والمحن والفتن، والبغي والظلم والعدوان، ولكن اللهَ من رحمته ولطفه جعل لعباده طريقاً إلى الفرج، وفتح لهم باباً إلى المخرج، يتنفسون فيه، ويلجأون إليه، ألا وهو باب الدعاء.

ذلك الباب الذي فتحه الله لعباده، يناجون فيه ربهم، ينسون أثناءه همومهم وغمومهم، يبثون فيه شكواهم إلى من يعلم حالهم، ومن عنده خلاصُهم، ذلك الباب وتلك الطريق هو التجارة الرابحة، الذي يستوي فيه الرجل والمرأة، والصغير والكبير، والغني والفقير، لكن

الربح يتفاوت على قدر حضور القلب وانطراحه وخشوعه وتذلله بين يدي الله.

الدعاء هو طريق الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وهو سببٌ رئيسي للسعادة في الدنيا والآخرة، بل هو الطريق لانشراح الصدر وسلامته، وطهارته ونزاهته عن الشوائب.

الدعاء طريق الأنبياء والمرسلين والصالحين، قال تعالى حاكياً عن أنبيائه {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}، وقال عن الصالحين من عباده {كَانُوا قَلِيلاً مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ* وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.

ويقول الله تعالى آمراً وحاثاً على الدعاء: { ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}، الدعاء حبل ممدود بين السماء والأرض يعرفه المؤمنون الخاشعون حق المعرفة، هو الربح للمخلصين بلا ثمن، وهو المغنم للقانتين بلا عناء ولا تعب.

الدعاء هو السلاح الفتاك وهو السهام المسمومة التي يطلقها الأولياء والصالحون، والمستضعفون والمظلومون، فتصيب مقاتل الظالمين، وتجرح صدورهم، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((ألا أدلكم على سلاحٍ ينجيكم من أعدائكم، ويُدِرُّ أرزاقَكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال ((تدعون ربكم بالليل والنهار، فإن سلاح المؤمن الدعاء)).

إنَّ دعاءَ اللهِ تعالى وسؤالَه والتضرُّعَ والشكوى إليه من أنفعِ الأدويةِ، فالدُّعاءُ عدوُّ البلاءِ، يُدافعُه ويمنعُ نزولَه، فلا يهمك مع الدعاءِ والتضرعِ أحدٌ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لا يردُّ القضاءَ إلا الدعاءُ))، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام (ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء، ما المبتلى الذي استَدَرَّ به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء.

الدعاء هو الباب الأعظم لتحقيق حاجات العباد، ونيل المطالب من كل خير ورشاد، ودفع المكروه والشر والفساد، لأنّ حاجاتِ الخلق ومطالبَهم لا تنتهي عند حدّ، ولا تنحصر في عدّ، ولا يحيط بها إلا الخالق القدير الصمد، ولا يقدر على إجابة السائلين إلا

ربُّ العالمين، فهو الذي يجيب كلّ سائل، ويعطي كل محتاج، ولا تنقص خزائنُه، ولا ينفدُ ما عنده، وهو على كل شي قدير كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، وفي الحديث القدسي عن الله تعالى ((يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخرَكم وإنسَكُم وجنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم مسألتَه ما نقصَ من ذلك مما عندي، إلا كما ينقصُ المخيط إذا أُدخِلَ البحر)).

فالمؤمنُ كلما ضاقت به الحيل، وحلَّت به المصائب والكروب لا ملجأ له من الله إلا إليه، فهو يدعوه ويتضرع بين يديه، ويتذكر قوله تعالى حاكياً عن نبيه يونس عليه السلام {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ}.

المؤمن: إذا ابتليَ بشيء من الذنوب، وكاد أن يتورط في سيء من المعاصي، دعا الله أن يخلصه من هذا البلاء، ورفع إليه يديه أن يمنَّ عليه بالتوبة النصوح، ويخلصه من آثار الذنوب والمعاصي، فاسألك ربك أيها العاصي وارفع يديك إليه راجياً أن يحول بينك وبين أنواع المعاصي والجرائم، واذكر قول نبي الله يوسف عليه السلام عندما أراد الشيطان أن يوقعه في الفخ والمصيدة، فالتجأ إلى ربه داعياً وقال {وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ* فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}، فادعو اللهَ أن ينقذك من هذه القاذورات، وأن يخلصك منها، ويمنَّ عليك بالاستقامة على الطاعة كلما وجدت من نفسك قلة الإهتمام بالطاعة، وعدم القيام بها خير قيام.

أيها المؤمنون:

نحن في حاجة ماسة إلى الدعاء في كل وقت وفي كل حال، لا سيما في هذا الزمان الذي كثرت فه الفتن والمحن، فإكثارك من الدعاء والتضرع إلى الله دليلٌ على حاجة وافتقارك إلى الله، دليلٌ على وعيك ومعرفتِك أنك ضعيف وعاجز عن أن تجلب إلى نفسك الخير أو تدفع عنها الضر والشر، فإذا علم الله صدق ذلك منك فإنه لن

يُسلِمَك، ولن يتركك، فمن كان مع الله كان اللهُ معه، ومن ذكر الله فلن ينساه، ومن توكل على الله كفاه، ومن استغنى به أغناه، ومن استنصر بالله نصره، ومن دعاه أجابه، فهو العالم بالسرائر، والمطلعُ على خفيات الضمائر.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

بسم الله الرحمن الرحيم {لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ، وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ}.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود على نعمائه، المشكور على آلائه، الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من رجاه، ولا يرد من دعاه، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، وأشهد أن محمداً عبده المنتجب الطاهر المطهر، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

أصبح الكثير من الناس في هذا الزمان لا يعرف الدعاء والرجوع إلى الله إلا إذا مرض، أو أصابته مصيبة، وحل به بلاء، أو ناله ضر أو فقر وحاجة، أما إذا كان معافىً سليماً مستغنياً، فيكاد أن ينسى اللهَ تعالى، ويكاد أن ينسى أن كلَّ ما في يده من الله، ويكاد يجزم ويقطع على أنه إنما حصل على ما حصل عليه من عافية أو مال بسبب ذكائه وحيلته وكده وتعبه، كما قال تعالى {**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ**}، بل قد أصبح الكثير من الناس في هذا الزمان يهون من جانب الدعاء، ولا يرفع له رأساً، بل قد يستهزأ ويسخر من الدعاء والداعين، وهذه من مصائب الزمان وعجائبه.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: احفظ آدابَ الدعاء، وأُنظر من تدعو؟ وكيف تدعو؟ ولماذا تدعو؟ وحققْ عظمةَ الله وكبريائَه، وعاين بقلبك ما في ضميرك، وإطلاعَه على سرِّك، وما تكّن فيه من الحق والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكِك، كيلا تدعوَ الله بشيء فيه هلاكُك، وأنت تظن فيه نجاتَك، قال الله عزّوجل {وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً}، وتَفَكَّرْ ماذا تسأل؟ ولماذا تسأل؟ والدعاءُ استجابةُ الكلّ منك للحقّ، وتذويبُ المهجة في مَشَاهِد الرَّبِّ، وتركُ الإختيار جميعاً، وتسليمُ الأُمور كلِّها، ظاهراً وباطناً إلى الله، فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة،

فإنه يعلم السرَّ وأخفى، فلعلك تدعوه بشيء قد علم من سرك خلاف ذلك.

إذا أراد أحدكم أن لا يسال الله شيئاً إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله عز وجل، فإذا علم الله عز وجل ذلك من قلبه، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه.

أيها المؤمنون:

إن أولياء الله وخاصته من عباده جعلوا الدعاء وسيلة فيما بينهم وبين ربهم، وحلقة وصل بينهم وبين خالقهم، فصغروا كلّ شيء في جنب الله، واستلانوا كل صعب بعون الله، لأنهم يلجأون إلى الله في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، ومن ذكر الله في الرخاء ذكره اللهُ في الشدة، ومن دعا اللهَ في السراء أجابه في الضراء، وكم للأولياء والصالحين من قصص مع الظالمين والمتجبرين تبين أن الله تعالى لا يترك أولياءه في وقت الشدة، فقد روي أن أبا جعفر الدوانيقي أحد خلفاء الدولة العباسية الظالمة حاول أن يقتل الإمام جعفر الصادق عدة مرات ، فكان يستدعيه إليه وقد أعد السيف والنطع، وأمر السياف بضرب عنقه فور وصوله إليه، فما هو إلا أن يدخل الإمام الصادق إلى أبي الدوانيق ويحرك الإمام شفتيه بصوت خفي، ومناجاة ودعاء، حتى يتحول الدوانيقي من جبار فاتك، إلى ذليل مستغيث، فمن تلك الحالات أن الدوانيقي قال يوماً لجلسائه: لقد قتل من أولاد فاطمة مائة أو يزيدون، ولم يبق سوى جعفر بن محمد، ولا بد لي أن أقتله، وقد آليت على نفسي أن لا أمسي عشيتي هذه حتى أفرغ منه! ثم دعا بسياف وقال له: إذا أنا أحضرت أبا عبد الله وشغلتُه بالحديث ووضعتُ قلنسوتي، فهو العلامة بيني وبينك، فاضرب عنقه! ثم أمر بإحضار الصادق فأحضر في تلك الساعة، فدخل الصادق وهو يحرك شفتيه بكلام فإذا بالدوانيقي يصاب بحالة من الذهول والرعشة، فقام يمشي بين يدي الصادق كما يمشي العبد بين يدي سيده، وهو حافي القدمين، مكشوفُ الرأس ، يحمرُّ تارة ويصفرُّ أخرى، فأخذ بعضد الصادق وأجلسه على سرير ملكه في مكانه، وجثى بين يديه كما يجثو العبد بين يدي مولاه، ثم قال: ما الذي جاء بك إلينا في هذه الساعة يا ابن رسول الله؟ قال: دعوتني فأجبتك، قال: ما دعوتك وإنما الغلط من الرسول ! ثم قال له: سل

حاجتك يا ابن رسول الله. فقال: أسألك أن لا تدعوني لغير شغل، قال: لك ذاك، فلما خرج من عنده قال الدوانيقي لمن حوله: أني لما أحضرت أبا عبد الله وهممت بما هممت به من السوء رأيت تنيناً – أي ثعباناً كبيراً – قد حوى بذنبه جميع داري وقصري، وقد وضع شفته العليا في أعلاها والسفلى في أسفلها، وهو يكلمني بلسان طلق ذلق عربي مبين ويقول: يا منصور إن الله بعثني إليك وأمرني إن أنت أحدثت في عبدي الصالح الصادق حدثاً أبتلعتك ومن في الدار جميعاً! فطاش عقلي وارتعدت فرائصي واصطكت أسناني)، فعلينا أن نتعلم من هؤلاء العظماء بناء العلاقة والرابطة مع الله تعالى، بالإخلاص لله، بإحسان العمل، بصدق الرجوع إلى الله، ندعوه من قلوبنا لا من ألسننا فقط كما هو حالنا اليوم.

٦٠- في الإستسقاء

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والحمد لله مغيث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرين، وكاشف الكرب عن المكروبين، ومسبغ النعمة على العباد أجمعين، لا إله إلا الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وربك يخلق ما يشاء ويختار وهو الولي الحميد، فسبحانه من إله كريم شمل بكرمه ورزقه وإحسانه القريب والبعيد، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها وربك على كل شيء حفيظ، ولكنه يعطي لحكمة ويمنع لحكمة إن ربي على صراط مستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة يوم الوعيد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الرسل وخلاصة العبيد، صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعهم في هديهم الرشيد، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ}**، ويقول سبحانه: **{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}**، وقال تعالى: **{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ}**.

عباد الله: أنزل الله تعالى لعباده غيثين: أحدهما أهم من الآخر، والناس يحتاجون إليهما، ولكن الحاجةَ إلى أحدهما أشدُّ من الآخر.

أما الغيث الأول: فهو غيث القلوب بالإيمان، بما أنزل الله من الوحي على رسله، وهذا الغيث هو حياة القلوب، وسعادة الدنيا والآخرة، وبه يستجلب الغيث الثاني وهو غيث الأرض بما ينزله الله من المطر والرحمة، فإذا عمل العباد بمقتضى الغيث الأول، ورويت قلوبهم منه، واهتموا بتحصيله، وحرصوا على تطبيقه، حصل الغيث الثاني الذي هو سبب عنه، كما قال الله

تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}**، وكما قال تعالى على لسان نبيه نوحٍ صلوات الله عليه: **{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}**، وقال تعالى حاكياً عن نبيه هودٍ عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: **{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ}**.

أيها المؤمنون: يجب علينا أن نتفقد قلوبنا، هل رويت من غيث الإيمان والتقوى، أم هي ظامئة؟ علينا أن ننظر في نفوسنا وأعمالنا هل أصبحت ربيع العمل والتطبيق لما جاء عن الله ورسوله أم هي منه مجدبة؟ يجب علينا أن نصلح ما فسد من أحوالنا، وأن نطهر قلوبنا من أدوائها وأمراضها، وعللها وأسقامها.

أيها المؤمنون:

نرى في هذه السنين قلة الأمطار، وغلاء الأسعار، وسوء الحال في جميع الأمصار، وما ذاك إلا بسبب أعمالنا، وسوء أفعالنا، وفساد نياتنا، فإن الله تعالى لا يريد لعباده إلا الخير، وقد يسر لهم أسبابه، وفتح لهم أبوابه، ولكن بأيدينا أغلقنا الأبواب، وبخطايانا وسيئاتنا ومعاصينا تعسرت الأسباب، فالخلل من قِبَلِنَا.

إنّ ما يصيبُ العبادَ والبلادَ من الجدبِ والقحطِ، وأنواعِ البلاءِ والمحن، هو عقوبةٌ لهم على مخالفتهم لربهم، وتأديبٌ من ربهم لهم، رجاءَ أن يفيقوا من رقدتهم، ويستيقظوا من غفلتهم، وينهضوا من سقطتهم، لعلهم أن يبادروا بالتفتيش عن أحوالهم، فيصلحوا فسادهم.

فإنا إذا نظرنا حال زروعنا قد ماتت، ويبست أكثر أشجارها، وآبارنا قد غارت مياهها، ومعائشنا قد تصعبت مصادرها، علمنا أن السببَ في ذلك هو ذنوبُنا ومعاصينا، فقد قَلَّت الغيرةُ على حرمات الله، وأصبحنا لا نغضب إذا عُصي اللهُ، ولا تتغيرُ ووجوهنا إذا انتُهِكَتْ محارمُ الله، وآثرنا الدنيا على الآخرة، فالكثير من الناس لا يُفرق بين الطيبِ والخبيث، ولا بين المنكر والمعروف، ولا بين الصدق والكذب، ولا بين الحق والباطل.

فأيُّ وَهَنٍ وَضَعْفٍ أشدُّ مِنْ تَنَصُّلِ المسلم عن دينه، وضعفه في يقينه؟!.

وأيُّ جرأةٍ على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أشدُّ من استحلال المحرمات، وتقحم الشبهات؟!.

وأيُّ ذنبٍ أعظمُ من إهمال الصلوات، وترك إخراج الزكوات؟!.

وأيُّ مصيبة دخلت على المجتمعات الإسلامية، من تفككها وتخلخلها، حتى صار الجار لا يعرف جاره، والقريب لا يألف قريبه، والمسلم لا يرعى حق أخيه المسلم، وأصبحت لغة المعاملة بيننا هي لغة المصالح الدنيوية، والأطماع المادية.

وأصبحت الغيبةُ والنميمةُ فاشيةً في مجالسنا، بل أصبحت حليةَ تَجَمُّعَاتِنَا.

إلى غير ذلك من المعاصي والمفاسد، فقد كَثُرَ الخبيث وقلّ بل عَدِمَ الطيب، والله تعالى غيورٌ على دينه وعلى محارمه، غيورٌ على شريعته، فإذا لم نتعظْ بتخويف الله، ونتداركْ أخطاءنا قبل حلول سخط الله، كان الجزاءُ وبيلاً، والعقابُ شديداً.

وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخطارَ المعاصي وسوءَ آثارها على الفرد والأسرة والمجتمع والقبيلة والأمة بأسرها، وحذر عن القُرب منها، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((يا معاشر المهاجرين: خمس إذا ابتليتم بهن — وأعوذ بالله أن تدركوهن –:

لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشى فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

ولم يَنقصوا المكيالَ والميزانَ إلا أُخِذُوا بالسنينَ وشدةِ المؤنة وجورِ السلطانِ عليهم.

ولم يمنعوا زكاةَ أموالهم إلا مُنعوا القطرَ من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.

ولم ينقضوا عهدَ الله وعهدَ رسوله إلا سلطَ الله عليهم عدواً من غيرهم فيأخذُ بعض ما في أيديهم.

وما لم تحكم أئمتُهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)).

وفي الحديث القدسي عن الله تعالى ((لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل،

وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أُسمِعْهُم صوتَ الرعد)).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله عز وجل إذا غضب على أمة ثم لم ينزل بها العذاب، غَلَتْ أسعارُها، وقَصُرَت أعمارُها، ولم تربح تجارتُها، وحُبِسَ عنها أمطارُها، ولم تغزُر أنهارُها، وسُلِّطَ عليها شَرارُها)).

وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ما سُلِّطَ القحطُ على قوم إلا بتمردهم على الله)).

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ما مُطِرَ قومٌ إلا برحمة، ولا قَحَطُوا إلا بسُخْطَة)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((مروا بالمعروف تُخصَبُوا، وانهوا عن المنكر ترزقوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا)).

فهذه أيها المؤمنون: هي أسباب غلاء الأسعار، وقلة البركات في الزروع والثمار، وشدة الجدب في البوادي والأمصار.

فعلينا بعلاج الأسباب، حتى نأمن شدة العقاب، وننجو من أليم العذاب، وفقني الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم ((فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً)).

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، إنه كريم جواد بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإننا في هذه الأيام نرى السحبَ تتراكم، ولكن لا تنزل مياهُها، والرياحَ تتلاطمُ، ولكن لا تَنْتَشِرُ بركاتُها، والأرضَ مُغْبَرَّةً، والجبالَ قد انصاخت، والبهائمَ قد هامت، وأحوالَ الناس قد تنكرت، ومعارفَهم قد تبدلت.

حبست السماءُ عنا قطرها، والأرض خيرها ورزقها وبركتها، ولم نحاول أن نسعى إلى الخلاص من سوءِ أحوالنا، ولم نقتد بنبينا صلوات الله عليه وآله وسلم في تعليمه لنا، فلقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ربه، ويتضرع إلى خالقه، يجأر إلى الله برفع صوته، ومَدِّ يدِه، ونحن قد أصبحنا في غنى عن ذلك، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستسقي، ويدعو ربه، فعن أنس بن مالك قال: «أصابت الناسَ سَنَةٌ على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله: هلك المالُ، وجاع العيالُ، فادع لنا الله، فرفع يديه وما نرى في السماء قَزَعَة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثالَ الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه وآله وسلم فمُطِرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال: يا رسول الله تَهَدَّمَ البناءُ، وغرق المالُ، فادع الله لنا، فرفع يديه فقال ((اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير بيده إلى ناحية السماء إلا انفرجت)).

وعن علي عَلَيْه السَّلام أنه كان يقول: (إذا استقيتم فاحمدوا اللَّه، وأثنوا عليه بما هو أهله، وأكثروا من الإستغفار، فإنه هو الإستسقاء).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه في دعائه في الاستسقاء حتى يُرى بياضُ إبطيه، تضرعاً إلى الله.

فاتقوا الله عباد الله: والجأوا إليه فهو فارج الكربات، وتوجهوا إليه فهو مجيب الدعوات، وتضرعوا إليه فهو قَيُّومُ الأرضين والسموات، وتعرضوا لرحمته، وارغبوا في فضله، واصدُقُوا في التوبة إليه، {إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم}.

وأكثروا من الإستغفار ولازموه، فمن لازم الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، فالإستغفار مفتاح الرزق من السماء، وسبب للمغفرة والرحمة والرضاء، وهو من طرق التوبة النصوح، {فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً}.

قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له في الاستسقاء، وفيه تنبيه للعباد وجوب استغاثة رحمة اللّه إذا حبس الله عنهم رحمة المطر والغيث، وفيها بيان لأسباب حبس المطر عن العباد:

أَلا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقِلُّكُمْ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا، تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا، إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ، وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً}، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ، وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا.

اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ وَاسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ الْحَيَا، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَ تُرْخِصُ الْأَسْعَارَ، إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ .

٦١- في الإستخارة وفضلها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم بذكرك أستفتح مقالي، وبشكرك أستنجح سؤالي، وعليك أتوكل في كل أحوالي، وإياك آمل فلا تخيب آمالي، اللهم بذكرك أستعيذ وأعتصم، وبركنك ألوذ وأتحزم، وبقوتك أستجير وأستنصر، وبنورك أهتدي وأستبصر، وإياك أستعين وأعبد، وإليك أقصد وأعمد، وبك أخاصم وأجادل، ومنك أطلب ما أحاول، فأعني يا خير المعينين، وقني المكاره كلها يا رجاء المؤمنين.

الحمد لله المذكور بكل لسان، المشكور على كل إحسان، المعبود في كل مكان، مدبر الأمور، ومقدر الدهور، والعالم بما تُجِنُّه البحور، وتُكِنُّه الصدور، ويخفيه الظلام ويبديه النور، الذي حار في علمه العلماء، وسَلَّمَ لحكمه الحكماء، وتواضع لعزته العظماء، وفاق بسعة فضله الكرماء، وساد بعظيم حلمه الحلماء.

اللهم إني أشهد بسريرةٍ زكيةٍ، وبصيرةٍ من الشك بريَّةٍ، شهادةً أعتقدها بإخلاص وإيقان، وأعدُّها طمعاً في الخلاص والأمان، أُسِرُّها تصديقاً بربوبيتك، وأظهرها تحقيقاً لوحدانيتك، لا أَصُدُّ عن سبيلها، ولا أَلحدُ في تأويلها، أنك أنت الله ربي لا أشرك بك أحداً، ولا أجد من دونك ملتحداً، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الذي لا يدخل في عَدَد، والفردُ الذي لا يقاس بأحد، علا عن المشاكلة والمناسبة، وخلا من الأولاد والصاحبة، سبحانه من خالق ما أصنعه، ورازق ما أوسعه، وقريب ما أرفعه، ومجيب ما أسمعه، وعزيز ما أمنعه، له المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.

وأشهد أن محمداً نبيُّه المرسلُ، ووليُّه المفَضَّلُ، وشهيدُه المعَدَّلُ، المؤيد بالنور المضي، والمسدَّدُ بالأمر المرضي، بعثه بالأوامر الشافية، والزواجر الناهية، والدلائل الهادية، التي أوضح برهانها، وشرح بيانها، في كتاب مهيمن على كل كتاب، جامع لكل رشد وصواب، فيه نبأ القرون، وتفصيل الشؤون، وفرض الصلاة والصيام، والفرق بين الحلال والحرام،

فدعى إلى خير سبيل، وشفى من هيام الغليل، حتى علا الحقُّ وظهر، وزهق الباطلُ وانحسر، صلى الله عليه وآله صلاة دائمة ممهدة، لا تنقضي لها مدة، ولا تنحصر لها عدة.

أما بعد: أيها المؤمنون: الواجب على العبد المسلم أن يكون قوي الثقة بالله، شديد الإرتباط بحبل الله، متصل العلاقة بالله تعالى، اتصالاً دائماً في حالة العسر واليسر، والرخاء والضر، وأن يكون في كل حالاته مفوضاً إلى الله أمره، مظهراً حاجته إلى الله، معترفاً بضعفه وعجزه، عالماً أنه لا يستطيع أن يجلب لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ومتيقناً أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فمن استغنى بنفسه عن ربه افتقر وفُتن، ومن تعزز بغير الله ذل وهان.

أيها المؤمنون: الإنسان مهما بلغ في المكر والدهاء، والحذق والذكاء، ومهما كان صاحب رأي ونظر، وتدبير وفكر، فإنه لا يستطيع أن يطلع على حقائق الأمور، ويعرف الخير منها والشرور، ولا يستطيع أن يتيقن أن الأمر الذي يقدم عليه، أو يعزم على تنفيذه فيه مصلحته أو فيه مفسدته، وإنما يخمن ويقدر ويقيس الأمور بعضها ببعض، فقد يصيب ظنه وقد يخطي، وقد يكون الأمر خيراً له، وقد يكون بالعكس.

وإذا كان الإنسان العاقل اللبيب إذا عرض له أمر من الأمور، أو أراد أن يدخل في أي شيء من القضايا، فإنه يطلب المشورة ممن يراه مناسباً، ويستشير من يعتقد أنه صاحب رأي حسن، وفكر وعقل وتدبير، فإذا أشير عليه بأمر أمضاه، وإذا أشير عليه بخلافه تركه.

ولكن كثيراً ما نعمد في قضايانا وأحوالنا وأمورنا إلى بعضنا البعض، وننسى أن نعرض أمورنا، أو نطلب المشورة في كثير من مهماتنا، على من بيده نواصينا، ومن عنده علم أحوالنا، ولديه الإطلاع الكامل على كل أمورنا، وهو الله تبارك وتعالى.

وقد يقول القائل: كيف أعرض أموري على الله؟ وكيف الطريق إلى ذلك؟

فالجواب هو: أن الله سبحانه وتعالى قد حثنا على لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أن نطلب الخيرة من عنده تعالى، بأن نستخيره في كل أمورنا، فإن

من استخار خار الله له الخير، ويسر له الصلاح، ودفع عنه الضر، وصرف عن الشرور.

فقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أنه كان يعلم أصحابه الإستخارة، كما يعلمهم السورة من القرآن.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الإستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن.

فانظروا أيها الأحبة المؤمنون: كيف كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهتم بتعليم أصحابه أمر الإستخارة، وإرشادهم إليها، وحثهم عليها، في كل أمورهم، صغيرها وكبيرها، بل ويشدد على تعليمهم ذلك كما يعلمهم السورة من القرآن، حتى يحفظوها، ولا يتهاونوا بأمرها.

أيها المؤمنون: إن الأستخارة تدل على تعلق قلب المؤمن بالله، وتوكله على الله في جميع أحواله، فالمؤمن ينظر إلى قوله تعالى { قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، وإلى قوله تعالى { وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}، وإلى قوله تعالى { وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}، ينظر إلى هذه الآيات وغيرها من آيات القرآن الكريم، فيرتاح باله، وتطمئن نفسه، ويتيقن أن الله لن يضيعه، ولن يهمله، ولن يتركه في متناول الأهواء والتخبطات، ولكن على المؤمن أن يؤكد ذلك التوكل، ويبرهن على ذلك التفويض، بالإلتجاء إلى الله، والإعتماد عليه، وطلب المعونة منه على أموره، فأنت أيها المسكين لا تعلم ماذا يحصل لك بعد ثانية من وقتك، فضلاً عن ساعة أو يوم، بل لا تعلم ما يحصل لك أو عليك خلال طرفة عين.

ما بين طرفة عين أو تقلبها يغير الله من حال إلى حال

فالسعيد هو من يستخير ربه، والشقي هو من يعتمد على دهائه وحذقه ومعرفته، كما روي عن النبي اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أنه قال: ((مِنْ سعادة المرء كثرةُ الإستخارة، ومن شقاوته تركُ الإستخارة)).

وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من سعادة ابن آدم كثرة

استخارة الله، ورضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، وسخطه بما قضى الله له)).

أيها المؤمنون: من استخار الله تعالى فاز وأفلح، ونجح وربح، ومن ترك الإستخارة ندم وخسر، وتحسف وتحسر، كما روي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عال من اقتصد)).

أيها المؤمنون: حين ترك الناس الإستخارة، ولم يرجعوا إلى ربهم، واعتمدوا على أنفسهم، وبآءت أكثر حالاتهم بالفشل، وكان عاقبة كثير من أمورهم إلى الفساد والخلل، لأننا نسينا أن نعتمد على من عنده العلم بمصادر أحوالنا ومواردها، ومِن عنده يأتينا كل ما نملك، وهو الذي يخولنا ويعطينا وينعم علينا، أفلا تدعونا أنفسنا هذه الشقية إلى أن نلجأ إليه، وهو لم يتركنا في كل حالاتنا، حتى ونحن نعصيه، يمدنا بنعمه، فكيف إذا كنا من أهل طاعته.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يخفر من انتصر بذمته، ولا يقهر من استتر بعظمته، ولا يُكدي من أذاع شكر نعمته، ولا يَهلَكُ من تغمده برحمته، ذي المنن التي لا يحصيها العادون، والنعم التي لا يجازيها المجتهدون، والصنائع التي لا يستطيع دفعها الجاحدون، والدلائل التي يستبصر بنورها الموجودون، أحمده جاهراً بحمده، شاكراً لرفده، حمد موفق لرشده، وأثق بوعده، له الشكرُ الدائمُ، والأمرُ اللازم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى وسلم عليه وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

الإنسان قد يهم بأمر أو يعزم على عمل وهو في نظره القاصر يرى أن ذلك الأمر فيه مصلحة كبيرة له، يجلب من ورائه أموالاً، أو يكسب من خلاله مصالح تعود عليه بالنفع، ولكن في علم الله تعالى أن ذلك بخلاف ما يراه، وقد يعرض للإنسان أمر أو قضية أو عمل فيراه في نظره القاصر غير مناسب، أو أنه ليس خيراً له، ولكن هو عند الله خير لك وأجلب لمنفعتك، كما يقول الله تعالى {عَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}، وكما يقول تعالى { فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيراً}، ولكن كيف هي الطريق إلى أن نعرف ما هو الخير لنا عند الله؟

الطريق هي بالإستخارة، هي بطلب العون من الله، هي بالإستعانة بالله تعالى، فإذا قد استخرتَ ربك، ورأيت الأمر متيسراً لك، واطمأن قلبك إليه، وتاقت نفسك وتعلقت به، وحصل عندك تفاؤل فيه، ولم يحصل لك فيه أي عائق فيه، ولم يعرض لك شيء يخوفك منه، فإن ذلك علامة على إرادة الله الخير والمصلحة لك، فاسع في الطلب، وجد وفي العمل.

وإذا تعسر عليك الأمر، أو تصعب عليك طلبه، أو عاقك عنه عائق، أو عرض لك ما

يخوفك منه، أو حصل لك منه أدنى تشاؤم، فإن ذلك علامة على أن الله يريد أن يصرف عنك شراً، وأن الله يعلم الخير لك في خلاف ذلك، فاترك ذلك الأمر، واعدل إلى غيره مما هو خير لك عند الله.

فإنك قد تعزم على أمر وإن كان خيراً لك في الدنيا فقد يكون نقصاً عليك في الدين، والأفضل لك أن تبحث عن ما فيه زيادة الدين وإن نقص عليك في الدنيا، ومع الإستخارة لله ستجد النتائج الطيبة الكريمة.

فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رحمة اللّه عليه أنه قال: (ما أبالي إذا استخرت اللّه على أي جنبي وقعت).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لولده الإمام الحسن عَلَيْه السَّلام (واخلص في المسئلة لربك، فإن بيده العطا والحرمان، وأكثر الاستخارة).

أيها المؤمنون: للإستخارة فوائد كثيرة، يعرفها المؤمن في حياته ومعاملاته:

فمنها: أنها تدل على صدق الرجوع إلى الله والتوكل عليه، وهذه درجة عالية جداً، قلَّ من يصل إليها من المؤمنين.

ومنها: أنها تجلب للمسلم الأجر والثواب، وتقربه من ربه، لأنها تتضمن التضرع والسؤال والدعاء والذكر لله تعالى، وهذه كلها من أعمال الطاعات التي تزيدك أجراً وذخراً.

ومنها: أنها تزيل من قلب المؤمن الحيرة والشك في الأمر الذي يريده، أو يعزم عليه، ويحصل له بعدها الطمأنينة وراحة البال وانشراح الصدر، ولا يبالي بما فاته من ذلك الأمر، ولو حصل فيه خير لغيره، لأنه ليس فيه خير له، وإن حصل لغيره، فلا يكون عنده تحسر على ما فاته.

ومنها: أنها تدل على رضى العبد وتسليمه بما يختاره الله له، فإن ما يختاره الله لك، أفضل مما تختاره أنت لنفسك، لأن الله أعلم بمصلحتك منك، واختياره خير لك من اختيارك، ولو كان ذلك في نفسك صعب، فإنه سيبدو لك فيما بعد صحةُ ذلك وصدقُه.

ومنها: حصول البركة والخير الكثير في الأمر الذي تقدم عليه وتدخل فيه، فإن البركة ما دخلت في قليل إلا كثرته، ولا نزعت من كثير إلا قللته.

ومنها: أن الإنسان قد يستصغر الأمر الذي يريده أو يحتقره، أو يراه ليس مهماً فإذا استخار علم أن ذلك كان فيه خير كثير، أو شر كثير مستطير.

أيها المؤمنون:

الإستخارة مطلوبة منا في كل أمر صغر أو كبر، عظم أو حقر، فإذا أردت السفر فاستخر الله، وإذا أردت الزواج فاستخر الله، وإذا أرت التجارة فاستخر الله، وإذا أردت الزراعة فاستخر الله، وإذا أردت أي عمل فلا تنس الإستخارة، حتى ولو عرض لك الأمر وأنت في السوق أو في البيت أو الطريق أو في أي مكان، وأشير عليك بالذهاب إلى المكان الفلاني أو إلى عند الشخص الفلاني، أو بالجلوس في المكان الفلاني فلا تغفل الإستخارة، ولا يحتاج إلى أن تتوضأ وتصلي ثم تدعو، ولكن احفظ أي دعاء للإستخارة ولو قلّ، ثم انظر في الأمر الذي يرتاح له بالك، وتطمئن به نفسك، وتوكل على الله ربك.

ولا تستثقل أن تكرر الإستخارة مرتين أو ثلاثاً، ولو إلى سبع مرات، ليطمئن قلبك، ولكي تكون على بينة من أمرك، ولتكون استخارتك تامة فلا بأس بأن تقدم قبلها صلاة ركعتين تقرأ فيهما ما أردت من القرآن، ثم تدعو الله تعالى وتستخيره في أمرك.

كما روي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ((يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك عز وجل فيه سبع مرات ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك فإن الخير فيه)).

وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم طرق في تعليم الإستخارة فمنها:

ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إذا هَمَّ أحدكم بأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبةِ أمري أو عاجلِ أمري

وآجلِه فاقْدِره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ودنياي ومعاشي، وعاقبة أمري أو عاجلِ أمري وآجلِه، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدِر لي الخيرَ حيث كان، ثم رضني به، ويسمي حاجته).

وفي رواية أخرى: ((إذا أراد أحدكم أمراً فليسمّه، وليقل: اللهم إني أستخيرك فيه بعلمك، وأستقدرك فيه بقدرتك، فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب، اللهم ما كان خيراً لي من أمري هذا فارزقنيه، ويسره لي، وأعني عليه، وحببه إليَّ، ورضني به، وبارك لي فيه، وما كان شراً لي فاصرفه عني، ويسر لي الخير حيث كان)).

وهناك أدعية مروية عن الأئمة عليهم السلام في شأن الإستخارة فمنها ما هو عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وهو موجود في الصحيفة السجادية، ومنها ما هو مروي عن الإمام علي بن موسى الرضا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو من الوسائل العشر في المسائل العشر، وهو ضمن أدعية موارد الضمآن في أدعية شهر رمضان، وغيرها مما ورد عن الأئمة عليهم السلام، والعلماء رضي الله عنهم.

٦٢- تربية الأبناء

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ.

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أعمدة الدين، وعصمة المسترشدين.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}**، ويقول تعالى: **{يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ}**، ويقول تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}**، ويقول تعالى: **{وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}**.

الله سبحانه وتعالى امتن علينا بنعمة الأولاد، سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً، فهم نعمة من الله، ومنة منه تعالى، وأمانة في أعناقنا، سيسألنا الله تعالى عنهم يوم القيامة.

أولادنا قلوبهم لا تزال طاهرة نقية، خالية عن الشوائب والمنغصات، بعيدة عن كثير من الأعراض التي امتلأت بها قلوب الأكابر، قلوبهم كالأرض الخالية التي تقبل ما ألقي فيها،

فهي تنبت كل زرع ألقي فيها حبه، فهم بحاجة إلى ما يملأ قلوبهم صلاحاً وفلاحاً، وهدى ويقيناً وعلماً ونوراً، ويحتاجون إلى أن نعودهم على الخير وأعمال الطاعات، وإلى أن نحذرهم عن الشر والأعمال الموبقات.

فأبناؤك أخي المؤمن جواهر نفيسة، ودرر ثمينة تحتاج منك إلى الرعاية وإلى زيادة الحرص عليها والحراسة لها والإهتمام بها، حتى لا تدنسها أيدي العابثين، ولا تختطفها عليك أبصار الحاسدين، وفإذا لم ترعَ تلك الجواهر فإنها معرضة لكثير من الأخطار، إما أن تخرج عن ملكك وتصير إلى غيرك، أو تكون الفائدة منها لغيرك لا لك، أو تكون يوماً سبباً في هلاكك ودمارك.

فأولادنا أوجب الله لهم علينا حقوقاً سنسأل عن تأديتها إليهم، من حسن التربية والتعليم والتقويم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا قام الآباء بحقوق أبناءه، فسيقوم الأبناء بحقوق آبائهم، لأن حقوق الآباء متوقفة على تقديم الوفاء بحقوق الأبناء.

فإذا كنا نحرص على أبناءنا في الدنيا ونقدم لهم نفقاتهم ومحتاجاتهم، ونرعاهم من البرد والحر والجوع والعطش والعري وجميع عوارض الدنيا وأحوالها، بل ونحرص على أن نُعَوِّدَهُم وأن نعلمهم طبائعنا في أعمالنا الدنيوية، فالتاجر يعلم أولاده التجارة، وكيفية البيع والشراء، ويأخذهم معه إلى متجره، ويلقنهم كيف يتعاملون مع المشترين، والمزارع كذلك، فإذا كنا على هذه الحال فأبناؤنا في أمس الحاجة إلى أن نرعاهم رعاية دينية، وأن نربيهم تربية إسلامية، وأن نعلمهم تعاليم الدين والإسلام.

واعلم أيها الأبُ الكريمُ أنك بتقصيرك في حقوق أولادك تكون عاقاً كما أن الولد بتقصيره في حقوق والديه يكون عاقاً، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام ((يلزم الوالدين من العقوق بولدهما ما يلزم الولد بهما من عقوقهما)).

فإنك إذا أحسنت تربية ولدك، وقمت بحاجته على أكمل قيام، وصار ولداً صالحاً، كان ذلك من سعادتك وتمام عيشتك الهنية الطيبة الراضية، كما قال علي عليه السلام ((من سعادة المرء المسلم الولد الصالح))، فأنت تكون شريكاً لولدك في كل عمل صالح

قام به وقدمه، وكل طاعة عمل بها، لأنك السبب في إصلاحه وهدايته، وكذلك بعد وفاتك لن ينساك ولن يتركك من دعاء وزيارة وصدقة وبر وغير ذلك، وهذه هي السعادة الدينية والدنيوية والأخروية.

ونحن نرى في هذه الأزمنة من القصور والتهاون في التربية، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن لكل شيء ثمرة، وثمرة القلب الولد، وإن الله لا يرحم من لا يرحم ولده))، فيا ترى ما هي رحمة الوالد لولده، ماذا تعني وكيف تكون؟

هل هي أن ترحمه من الجوع والعطش والعري؟

وترحمه من الأمراض والحر والبرد فقط؟

أم أن رحمتك لولدك اسم جامع، ومعنى شامل لكل ما يحتاجه ولدك من معاني الرحمة.

فرحمتك لولدك، تعني تربيته تربية إسلامية، وتأديبه تأديباً دينياً، تهذيبه تهذيباً شرعياً.

تعني أن تختار له الأصدقاء والجلساء الصالحين، وتحذره من جلساء السوء.

تعني أن تتابعه وتراقبه في صلواته وعباداته.

تعني أن تحثه وتدفع به إلى طلب النافع.

تعني رحمتُك له أن تأخذ بيده إلى كل أمر يقربه من الجنة، ويبعده من النار.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، بسم الله الرحمن الرحيم، **{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {١٧} وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {١٨} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}**، بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعني وإياكم بما فيه من الذكر والبيان، إنه ولي الجود والإحسان، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يَخفِرُ من انتصر بذمته، ولا يَقْهَرُ من استتر بعظمته، ولا يُكدِي مَن أذاعَ شكر نعمته، ولا يَهلَكُ من تغمده برحمته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة لدينه.

أما بعد: أيها المؤمنون:

إذا تأملنا القرآن الكريم ووقفنا مع آياته البينات في سورة لقمان في وصيته لابنه فإنها ستعلمنا دروساً إيمانيه صحيحة، وطريقاً سليمة في التربية، ولنقف مع هذه الوصايا والتعليمات لنستفيد منها ونتعلم منها، يقول الله تعالى حاكياً عن لقمان الحكيم في وصيته لولده: **{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ {١٣} وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ {١٤} وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {١٥} يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ {١٦} يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ {١٧} وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {١٨} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}**.

فأوصاه أولاً بتوحيد الله وحذره من الشرك وأضراره، ثم أوصاه بوالديه وبرهما والإحسان

إليهما، وحذره من عصيانهما، وقرن طاعتهما بطاعة الله، ثم بين له كيف يتعامل مع أبويه إذا طلبا منه معصية الله بأن يصاحبهما في الدنيا، وينزلهما منزلة الصاحب الحفي، وأن يتبع سبيل المؤمنين المنيبين إلى الله، ثم أمره بالصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الصبر على احتمال الأذى في سبيل طاعة الله تعالى، وفي سبيل الأمر والنهي لأن سبيلهما صعبة، ثم أوصاه بكيفية التعامل مع الناس، فنهاه عن الكبر والتبختر والخيلاء، وأمره بالتواضع وغض الصوت وحسن التعامل، فهذه طريق نتعلم منها كيف نربي ونعلم ونؤدب أبناءنا، وأن الإسلام قد بين لنا الطريق إلى ذلك ولم يتركها بدون توضيح ولا تبيين.

ولنقف مع أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي عليه السلام، ليبين لنا منهجاً سليماً، وطريقاً مستقيماً، في هذا المجال.

قال عليه السلام: سألت ربي أولاداً مطيعين لله وجلين منه، حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قرت عيني.

وقد رسم لنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه دستوراً في التربية والوصية للأبناء في وصيته لولده الإمام الحسن عليه السلام، التي أوصاه فيها بكل خير، ونهاه وحذره عن كل مكروه وشر وضير، ونبهه فيها على كثير من أمور الدنيا والدين، وهي وصية لكل مسلم، لا سيما أولاد أمير المؤمنين ومن ينتسبون إليه في الإتباع والإقتداء.

فقال عليه السلام ((بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا، قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى، وَفِتَنِ الدُّنْيَا فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ، وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ، قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ)) وهي وصية طويلة، لو أتينا بها لطال المقام، واتسع الكلام، وهي مذكورة في كتاب نهج البلاغة في خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وقال عليه السلام: من علم ولده القرآن دعي الأبوان يوم القيامة فكسيا حلتين يضيء

من نورهما وجوه أهل الجنة)).

وقال النبي صلى الله عليه وآله ((إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له)).

وقال عليه السلام: احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين – أي قم بشأنه وأمره ولاتحمله ما يشق به ويتعبه- ثم أدبه في الكتاب سنتين، ثم ضمه إليك سبع سنين، وأدبه بأدبك، فإن تقبل وصلح وإلا فخلّ عنه –أي قد قمت بالواجب عليك تجاهه-.

وقال عليه السلام: أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم.

وقال: لئن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم.

وقال عليه السلام: علموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها.

وقال عليه السلام: ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن.

فتأديبك لولدك خيرٌ من أن تقدم له وتسهل له خدمات الدنيا، خير من أن تشتري له سيارة، وتبني له عمارة، وتزوجه المرأة الحسناء، لأنه إذ عدم الأدب عدِم كل خير وكمال.

وقال صلوات الله عليه: علموا أولادكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا الحلم.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((أدبوا أولادكم على ثلاث: حبي وحب أهل بيتي وقرآة القرآن))، والمحبة هي الإتباع والإقتداء والتأسي.

نسأل الله أن يعيننا على ما يرضيه، وأن يجنبنا معاصيه، وأن يجعل من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير.

٦٣- الأخوة في الله

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى والجهالة، وجمع به بعد الفرقة، وألف به بعد العداوة، والحمد لله الذي جعل التآخي بين المؤمنين من مقتضيات الإيمان، وأوجب عليهم ما يقوم هذه الإخوة من الدعائم والأركان.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ.

أما بعد أيها المؤمنون:

الله تعالى حكم على المؤمنين حكماً حتماً، وأوجب عليهم واجباً لازماً، فقال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}**، فالأخوة بين المؤمنين ليست خيار مصالح دنيوية، أو نيل مناصب رئاسية، أو تحصيل مطالب اقتصادية، أو منافع مادية أو سياسية، أو لأجل روابط اجتماعية أو جغرافية، ليست لهذا ولا لذاك، بل هي واجب شرعي، وفرض إسلامي، بين كل المؤمنين، سواء تقاربت أنسابهم وأوطانهم أو تباعدت، تساوت طبقاتهم أو تفاوتت، كما قال تعالى: **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}**.

فالأخوة أمرها عظيم، وخطرها جسيم، ونفعها كبير في الدنيا والآخرة، لأن الأخ والخليل والصاحب يؤثر ويتأثر، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((المرء على دين خليله فلينظر

أحدكم من يخالل))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي))، فلما كان الأمر بهذه الخطورة كانت الأخوة في الله ومن أجل الله هي أعظم مكاسب الأخوة، وأعلى مقاماتها، ومن أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال ((خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ((أتدرون أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال قائل: الصلاة والزكاة، وقال قائل: الجهاد، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن أحب الأعمال إلى الله تعالى الحب في الله، والبغض في الله)).

وحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على اكتساب الأخوة المؤمنين، فعن علي عَلَيْه السَّلام، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((ستة من المرؤة: ثلاثة منها في الحضر، وثلاثه في السفر، أمَّا التي في الحضر: فتلاوة القرآن، وعمارة المساجد، واتخاذ الإخوان في الله، وأمَّا التي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله تعالى)).

فالأخوة والمحبة إذا كانت مبنية لله ومن أجل الله، والهدف منها هو إرضاء الله، بعيدة عن الأطماع، سليمة عن الأغراض، فهي العمل الناجح والمتجر الرابح، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم قال: ((ألا إن أولياء الله هم المتحابون في الله عزّ وجل)).

وقد وردت لهم البشارات والفضائل، والمقامات المحمودة في أحاديث كثيرة:

منها: ما رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام قال: بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه كان يقول: ((أنا شفيعٌ لكل أخوين تحابا في الله من مبعثي إلى يوم القيامة)).

وقال عليه السلام: بلغنا عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ((قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وعظمتي وكبريائي وجودي لأدخلن داري، ولأرافقن بين أوليائي، ولأزوجن حور عيني المتحابين في،

المتواخين في، المتحببين إلى خلقي)).

وعن معاذٍ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((يقول الله عز وجل وجبت محبتي للذين يتحابون في ويتباذلون في ويتزاورون في)).

وعن علي عَلَيْه السَّلام، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((إن المتحابين في الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء على رأس العمود سبعون غرفة يضيء حسنهن لأهل الجنَّة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، فيقول أهل الجنة: انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله، فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب خضر من سندس بين أعينهم مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله عزّ وجل)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن المتحابين في الله على كراسي من ياقوت حول العرش)).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((المتحابون في الله تعالى في الجنة على عمود من ياقوته حمراء على رأس ذلك العمود سبعون ألف غرفة، عليها المتحابون في الله يُشرفون على أهل الجنة، فإذا طلع أحدهم على أهل الجنة ملأ حسنه بيوت أهل الجنة كما يملأ ضوءُ الشمس بيوت أهل الدنيا، قال: فيخرج أهل الجنة ينظرون إليهم فإذا وجوههم كالقمر ليلة البدر عليهم ثياب خضر مكتوب في وجوههم هؤلاء المتحابون في الله عز وجل)).

فهذا الثواب الموعود، والجزاء في دار الخلود، لهؤلاء المتحابين في الله تعالى، يحثنا ويدعونا إلى أن نكتسب هذه الفضيلة الشريفة، ونبنيَها على الأسس المتينة، بعيدة عن الأهواء، متوافقة مع مراد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه يترتب على هذه الأخوة أمور هامة، وحقوق عامة، فالإخوة التي أمرنا بها ليست أخوة في اللسان فحسب، ولكنها أخوة عميقة كامنة في النفوس والقلوب، غراسها إخلاص الود، وثمراتها المعاملة الحسنة لأخيك، والذب عنه، أخوة تقتضي أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، تحب أن يكون صالحاً، أن يكون عزيزاً، أن يكون

غنياً، أن يكون متخلقاً بالأخلاق الفاضلة، كما تحب لنفسك أن تكون كذلك، تسعى في نصحه وإرشاده وتقويمه، سالكاً بذلك أحسن السبل لحصول المقصود كما تحب أن يسعى لك في هذا، تكره لأخيك ما تكره لنفسك، فتكره أن يكون فاسداً، أن يكون ذليلاً، أن يكون متخلقا بالأخلاق السافلة تكره ذلك كله لأخيك كما تكرهه لنفسك لا يكفيك إذا كان أخوك ورأيته على حال لا تحبها لنفسك أن تدعو الله له بإصلاح حاله بل ادع الله له، واستعن بالله على فعل الأسباب التي تنقذه مما تكره، من واجبات هذه الإخوة أن لا تظلمه في دمه، ولا في ماله، ولا في عرضه كما أنك تكره أن تُظلم في هذه الأمور، هل من الأخوة أن تأكل مال أخيك بغير حق؟! هل من الأخوة أن تعتدي على حقوقه؟! هل من الأخوة أن تسبب في قطع رزقه فتبيع على بيعه، وأن تؤجر على إجارته، أو تسوم على سومه، أو تخطب على خطبته هل ذلك من الأخوة ؟ هل من الأخوة أن تخدعه ؟ أن تغدر به إذا عاهدته، أن تغشه إذا عاملته؟ هل من الأخوة أن تتبع عوراته؟ فتعلنها، وتنظر إلى حسناته بعين العمى فتسترها؟ هل من الأخوة أن تعتدي عليه بالإفتراء والباطل؟

فالأخوة في الله أن يكون كل واحد من المؤمنين في حاجات إخوانه دائماً، يغيث الملهوف، وينصر المظلوم، ويعين العاجز، ويصلح بين المتخاصمين، ويؤلف بين المتعاديين، ويقضي حاجة من لا يستطيع قضاءها، فيطعم الجائع، ويكسو العاري، ويسقي الظمآن، ويدل الأعمى على الطريق، ومن كان في حاجة أخيه – قليلة كانت أو كثيرة – كان الله في حاجته، ومن كان الله في حاجته فلا بد أن تقضي حاجته، وتيسر أموره، كما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)).

وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)).

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تدخلوا الجنة حتَّى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتَّى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: إفشاء السلام بينكم)).

وعن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنَّه قال: ((ما من عبدين متحابين في الله عز وجل يستقبل أحدهما الآخر فيصافحه ويصليان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلاَّ لم يفترقا حتَّى تغفر لهما ذنوبهما ما تقدم من ذنبه وما تأخر)).

بسم الله الرحمن الرحيم {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }.

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني وإياكم بما فيه من الحكمة والبيان، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ربط بين المؤمنين بالأخوة الإيمانية ونماها، وشرع لهم من الأسباب ما تثبت بها أركان تلك الإخوة وتقوي عراها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فأعظم به ربًّا وإلهًا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكمل البرية وأهداها، صلى الله عليه وعلى آله أفضل البرية وأتقاها، الذين قاموا بما أوجب الله عليهم من حقوقه وحقوق عباده على أكمل الوجوه وأعلاها ما طلعت الشمس، وأشرق ضياها.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن هذه الأخوة والرابطة الدينية أقوى من كل رابطة وصلة، فيوم القيامة لا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسآءلون، ولكن الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، فالأخوة في الله هي النافعة في القيامة.

فعن الإمام الشهيد أبي الحسين زيد بن علي عَلَيْهم السَّلام: **{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ(٦٧)}**[الزخرف] قال: كل خليل معاد خليله إلاَّ الخلة في الله.

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن قوله تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم}، قال: هم المتحابون في الله.

واعلموا أن منفعة الأخ والخليل وضرره لا تقتصر على الدنيا فحسب، بل حتى عند الموت وفي الآخرة، فعن علي عليه السلام، أنَّه سئل عن قوله تعالى: {الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوّ}، قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنين فبشر بالجنة، فذكر خليله فقال: اللهم خليلي فلان كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر وينبئني أني ملاقيك، اللهم فلا تضله بعدي حتَّى تريه كما أريتني وترضى عنه كما رضيت عني، ثُمَّ يموت فيجمع الله بين أرواحهما ثُمَّ ليقول: ليثن كل واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول: كل واحدٍ منهما لصاحبه، نعم الأخ ونعم الصاحب، ونعم الخليل.

ثُمَّ يموت أحد الكافرين فيبشر بالنار فيقول: الله إن خليلي كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير وينبئني أني غير ملاقيك، اللهم فلا تهده بعدي حتَّى تريه كما أريتني وتسخط عليه كما سخط عليّ، ثُمَّ يموت الآخر فيجمع بين أرواحهما ثُمَّ يقول: لئن كل واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول: كل واحد منهما لصاحبه بئس الأخ وبئس الصاحب وبئس الخليل، ثُمَّ قرأ: {الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوّ إلاَّ المتقين}.

أيها المؤمنون:

قد أصبحنا في زمان قلّ فيها الأخوة المؤمنون الصادقون، بل كادوا أن يعدموا، وكثر فيه المتفيهقون والمفترون والمدعون، بل كادوا أن يعموا، كما روي عن علي عَلَيْه السَّلام، قال: (يكاد الناس أن ينقصوا حتى لا يكون شيء أحب إلى امرء مسلم من أخ مؤمن، أو درهم حلال، وأنى له به).

فإن من لم يكن من الأخوة المؤمنين فهو من المعادين، ومن كان من أعداء المؤمنين فهو من الفاسقين أو المنافقين، وما أكثرهم في هذه الأزمنة والدهور، يسعون لبث الفرقة بين المؤمنين، ويجعلون الفرقة من الدين، بل يحثون عليها الناس ويدعونهم إليها، فهل هذا من الدين، أم من صفات المعادين للدين، فلنكن على حذر من دعاة الفرقة، وأهل الفتنة، بت الله أواصرهم، وقطع دابرهم، وألحق أولهم بآخرهم، وفضحهم وهتك أستارهم، وأخرج أخبارهم، وأظهر أسرارهم.

ولنفتح صفحة مع الله جديدة، ولنكن من أهل القلوب السليمة، ولنبحث عن الأصدقاء والأخوة المؤمنين، الذين يعينون على الطاعة والإستمرار عليها، فإن إخوان الصفاء والوفاء معدومون في هذا الزمان الشديد.

٦٤- حول العلاقات الأخوية

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى والجهالة، وجمع به بعد الفرقة، وألف به بعد العداوة، والحمد لله الذي جعل التآخي بين المؤمنين من قواعد الإيمان، وأوجب عليهم حقوقاً لتقوية الدعائم والأركان.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيراً بِالْآيَاتِ، وَتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون: يقول الله تعالى {إنما المؤمنون إخوة}، ويقول تعالى { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، فالإسلام دين المحبة والإخاء، والتعاون والولاء، والصدق والصفاء، فقد حرص الإسلام على تقوية العلاقات الإسلامية، وتوثيق الروابط الأخوية بين اللمسلمين، وجعل لهم وعليهم حقوقاً لا خلاص لهم إلا بالوفاء بها، والقيام بشأنها، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: ((للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً ، لا براءة له منها إلا بالأداء ، أو العفو له: يغفر زلته، ويرحم عبرته، ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب

دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويبر إنعامه، ويصدق أقسامه، يواليه ولا يعاديه، وينصره ظالماً أو مظلوماً، أما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصرته له مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه، ثم قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضي له عليه)).

وقد جعل الإسلامُ التواصلَ والتزاورَ من أسباب ربطِ العلاقاتِ الأخويةِ وتقويتِها، كما روى الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام قال: بلغنا عن سلمانَ الفارسي رحمة الله عليه أنه قال: خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم زائراً لأُنَاسِيَّةٍ من أهل اليمن كانوا بايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الإسلام، فدخل عليهم، فجعل يصافحُهم واحداً واحداً، فلما خرجنا قال: ((يا سلمان، ألا أُبَشِّرُك))، قلت: بلى يا رسول الله، فقال: ((ما من مسلمٍ يخرجُ من بيته زائراً لإخوةٍ له من المسلمين إلا خاض في رحمة الله، وشَيَّعَه سبعونَ ألف ملكٍ، حتى إذا التقوا وتصافحوا كانوا كاليدين التي تغسلُ إحداهما الأخرى، وغُفِرَ لهم ما سَلَفَ، وأُعطُوا ما سَأَلُوا)).

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع الذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، بسم الله الرحمن الرحيم، {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد}، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله أهلِ الحمدِ ووليِّه، ومنتهى الحمدِ ومحلِّه، المحمودِ بامتنانِهِ، المتفضلِ بعطائه وإحسانِهِ، نحمدُه على آلائِهِ، وتظاهرِ نعمائِهِ، حمداً يزِنُ عظمَةَ جلالِهِ، ويملأُ قدرَ آلائِهِ وكبريائِهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي خضعَ الخلائقُ لوحدانيَّتِهِ، ودانوا لربوبيته.

وأشهد أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله عبدُه ورسولُه، وخيرتُه من خلقه، بَلَّغَ رسالتَه، وجاهدَ في سبيله، وعبده حتى أتاه اليقينُ، صلى الله عليه وعلى آله، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

ومن أسباب تقوية العلاقات بين الإخوة المسلمين: ما روي عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((للمسلم على المسلم ست من المعروف: يُسَلِّمُ عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويُشَمِّتُه إذا عطس [أي يقول له يرحمك الله]، ويعوده إذا مرض [أي يزوره]، ويحضر جنازته، ويحب له ما يحب لنفسه)).

ومن ذلك: السعي في قضاء حوائجهم: فعن أبي عبد الله جعفرِ بنِ محمدٍ الصادق، عن آبائه عليهم السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((ما من مؤمنٍ أتاه أخوه المؤمن فسأله حاجةً هو يقدر على قضائها فيرده عنها إلا قال الله له يوم القيامة: أتاك عبدي المؤمنُ في دار الدنيا يسألك حاجةً قد مَلَّكْتُكَ قضاءها فرددته عنها، لا قضيتُ لك اليوم حاجةً، مغفوراً كان أو معذباً))، أي سواء كان من المغفور لهم أو من المعذبين.

ومن ذلك: حماية المؤمن والدفاع عنه، والذبُّ عن عرضه: فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ((من حمى مؤمناً عن منافقٍ بعث اللهُ ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيءٍ يريد به شَيْنَهُ حبَسَهُ اللهُ على جسر جهنم حتى يخرج مما قال)).

ومن ذلك: تنفيس كربهم وستر عيوبهم، ومعاونتهم: كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من نَفَّسَ عن مسلمٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنه

كُربةً من كُرَبِ الآخرة، ومن سَتَرَ على مسلمٍ ستره الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبد ما كان العبدُ في عون أخيه المسلم، ومن يَسَّرَ على مسلمٍ يَسَّرَ اللهُ عليه)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((أيما مسلمٍ كسا عارياً ثوباً كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلمٍ أطعم مسكيناً على جوعٍ أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلمٍ سقى مسلماً على ظمإٍ سقاه الله من الرحيق المختوم)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من مشى في حاجة أخيه المسلم فبالغ فيها قضيت أو لم تقضَ كُتِبَ له عبادةُ سَنَةٍ)).

فهذه بعض الواجبات والحقوق اللازمة على المؤمنين، فإذا أردنا تقوية علاقاتنا، وربط أخوتنا، وسلامة ديننا، فلنمتثل أمر ربنا، ولنطبق ولنعمل بآداب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

٦٥- حول الرزق والحكمة فيه

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الملك الحق، خالق الخلق، باسط الرزق، الذي لا يعجزه كثرة الإنفاق، ولا يمسك خشية الإملاق، ولا ينقصه إدرار الأرزاق، ولا يُدرك بأُناسِيِّ الأحداق، ولا يوصف بِمُضَامَّةٍ ولا افتراق، أحمده على جزيل إحسانه، وأعوذ به من حلول خذلانه، وأستهديه بنور برهانه، وأؤمن به حق إيمانه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً صادرةً عن محضِ اليقين، راغمةً لأنوف المعتدين، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أعمدةِ الدين، وعصمةِ المسترشدين.

أما بعد: أيها المؤمنون: نريد أن نتحدث في هذه الخطبة، وفي هذا اليوم الأزهر، عن مسألة هامة وخطيرة، يجهل الكثيرُ من الناس أمرها، ولا يفهم الكثير حقيقتها وأصلَها، وهي مسألة الرزق.

فإن الله خلق الخلق وهو عالم بمصالحهم، مطلع على خفاياهم وسرائرهم، فقسم بينهم الأرزاق والمعاش، كما قسم بينهم الآجال فقال تعالى **{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}**، فهو تعالى الذي قدر الأقوات على وفق إرادته ومشيئته، وقسمها على حسب ابتلائه وامتحانه لخليقته، فقال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}**، وقال تعالى **{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}.

وهذا التقسيم والتقدير للأرزاق لا يدل على أنَّ من أعطاه الله الخير الكثير، وأمده بالرزق الوفير، ووهب له المال الخطير، أفضلُ أو أحبُّ عند الله ممن لم يعطه الله إلا القليل، ولم يقسم له من الرزق إلا الشيء اليسير، كما قال تعالى {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ *نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ }، فلم يجعل الله تعالى ما قسم بين عباده من الأرزق مقياساً لصلاحهم أو فسادهم، أو برهم أو فاجرهم، أو مطيعهم أو عاصيهم، بل قد يعطي اللهُ الدنيا من ليس من أهل الصلاح، ويمنعُها أهلَ التقوى والفلاح، كما قال تعالى **{وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ*وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ *وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ}**.

أيها الإخوة المؤمنون: هناك أمورٌ هامةٌ لا بدَّ أن نبينها، وأن نوضحها في هذه المسألة الهامة، على وجه الاختصار:

أولاً: يجب أن نعلم علماً يقيناً أن الله تعالى هو الفاعل لأرزاقنا، وهو الخالق والموجد لها، قسم أرزاقنا كما قسم آجالنا، وقدر أقواتنا كما قدر أعمارنا، فهو نعمةٌ من نعم الله علينا، وتفضلٌ منه تعالى إلينا، لم يعطنا الأرزاق أجرةً على الأعمال، وليست مكافأة لنا أو ردّ جميل قمنا به فكافأنا عليه، وليس حاصلاً بقوتك وتعبك، أو بحيَلِك ومكرك، أو بدهائك وحذقك، أو بحسن تدبيرك وحرصك، فالرزق الذي بيدك هو كالجسم الذي أعطاك الله، ليس بمقدرتك أن تزيد فيه أو تنقص منه، كما أنك لا تستطيع أن تحول لونك أو تغير جسمك، كما قا ل تعالى **{فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ*قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ* فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ* أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**، وكما قال تعالى **{اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقَدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ**

مَتَاعٌ} ولهذا فإن الله تعالى لما أهلك قارون الذي قال إنما أوتيته على علم عندي وخسف الله به وبداره الأرض، فحكى الله عن ضعفة النفوس قولَهم: **{وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}** إلى غيرها من الآيات.

ثانياً: عليك أخي المؤمن أن تعلم وتوقن أنَّ الله تعالى لا يرزق إلا ما كان حلالاً طيباً، فما دخل عليك بطريق الحرام أو الشبهة فليس من رزق الله، ولم يقسمه الله لك، إذ قد نهاك وحرم عليك الحرام، وحذرك من أخذ ما لا يحل لك، فكيف يقسمه لك؟ وقد نهاك عنه، فلا يجوز لك أن تجعل ما أخذته حراماً أو شبهة من رزق الله، ثم تحمد الله عليه، وتتظاهر أن الله أعطاك وخولك ما لم يعط غيرك، كما قال تعالى **{كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}**، وقال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}** وغيرها من الآيات.

ثالثاً: ما أعطاك الله من الرزق الحلال فهو ابتلاء يبتليك به، واختبار منه تعالى لك، وامتحان يمتحنك بسببه، فإن أعطاك كثيراً فليبتليك هل ستشكر النعمة؟ وكيف ستتصرف في تلك المنة؟ وكيف تتعامل معها إنفاقاً وبذلاً، أو حرصاً وشحاً وبخلاً؟ وإن أعطاك قليلاً فليختبر إيمانك بالله، ورضاك بقسمته، وتفويضك أمرك إليه فيما اختاره لك، وصبرك على ما ابتلاك به، أم أنك ستعترض قسمته، وتنكر عليه في اختياره، فمن شكر أُجر، ومن صبر أجر، ومن كفر النعمة ولم يقم بواجب حقها عليه فقد باء بالخسران، وسقط في الإمتحان، وكان من أهل النيران، ومن رفض القليل، وجحد نعمة الجليل، فقد باء بالوزر، وحاق به الخُسر، ودحر في النار مع من دُحر، كما حكى الله تعالى ذلك عن نبيه سليمان عليه السلام في قوله **{قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}**، وكما قال تعالى **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ**

رَّحِيمٌ}، ولله الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام حيث يقول:

أتحسُدُونَ الناسَ فَضَلَ الباري في الرزقِ والخِلْقةِ والمِقدارِ

وَوَاقِعِ الإقتَارِ والإيسَارِ ومَنُّهُ على الجميعِ جاري

بالعدلِ في الإكثارِ والإقـلالِ

أراد من أهلِ القليلِ الصَبْرَا ومِنْ ذَوي المالِ الكثِيرِ الشُكْرَا

وادَّخَرَ الأَجْرَ لدَارِ الأُخرَى ومَنُّهُ على الجميعِ يَتْرَا

لِلفـائزينَ بالمحَلِّ العـالي

رابعاً: إذا أنعم الله عليك ورزقك فليس ذلك الرزق هو الذي يدخلك الجنة، ولا تجعل ذلك الرزق سبباً في احتقارك لعباد الله، واعتقادك أنك أرفع منهم قدراً،أو أعظم منهم خطراً، أو أن الله تعالى قد رضي عنك وأحبك، فقد يكون الأمر بالعكس، كما قال تعالى **{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}**، وإذا أقتر الله عليك الرزق فليس لهوانك على الله، أو سقوط منزلتك عند الله، بل قد تكون رحمته بك، ومحبته لك صرفَت عنك الدنيا، كي لا تغرَّك وتضرَّك وتدخلَك فيما لا يجوز.

فإن الله تعالى صرف عن أنبيائه وأوليائه زخارفَ الدنيا حتى سخر منهم المتكبرون والكافرون، كما حكى الله عن فرعون اللعين حينما دخل عليه موسى وهارون عليهما السلام فقال فرعون بكل جبروت وتكبر واستخفاف: **{أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ* فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ}**، فكانت النهاية **{فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ* فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ}**، وقد يعطي الله تعالى بعض أنبيائه وأوليائه شيئاً من الدنيا، زيادةً في الابتلاء، كما قال تعالى: **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}** أي ومعهم غيرهم **{خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}**، وكما قد أعطى اللهُ سليمانَ النبوةَ والملكَ.

وإذا أعطى الله تعالى الكافرين والفاسقين أموالاً ونعماً وأولاداً فلا يجوز أن نعترض حكمة

الله تعالى إذا جهلناها، أو أن نحاول تقليدهم في فجورهم وعصيانهم لنحصل على ما حصلوا من الدنيا، فإن ذلك لإبلاغ الحجة عليهم، وزيادة التكليف، ولله الحجة البالغة.

وليس وصول الخيرات إليهم دلالةَ الرضى عليه، أو أن الله لو غضب عليهم، وسخط أفعالهم، لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه، وهذا من الجهل المفرط بحكمة الله تعالى.

وقد نبَّه على ذلك أمير المؤمنين صلوات الله عليه في قوله: (فلا تعتبروا الرضى والسخط بالمال والولد جهلاً بمواضع الحكمة، ومواقع التدبير، قال الله تعالى: **{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَ يَشْعُرُونَ}**، فأخبر الله تعالى أن المالَ والبنينَ الواصلين إليهم من الله سبحانه وتعالى، وأن ذلك لا لمنزلة لهم عند الله، ولا مسارعة في الخيرات الخالصة، وإنما ذلك لإكمال حججه، وإظهار نعمه، إن شكروها أعطُوا أجر الشاكرين، وإن كفروها لحقهم عقوبة الكافرين.

وكما قال أمير المؤمنين عليٌّ عَلَيْه السَّلام: (وتأملْ عند إعراضك عنه إقبالَه عليك، يتغمدُك بإحسانه، وأنت مصر على عصيانه، فو أيم الله لو أن هذا في متماثلين في القوة، متساويين في القدرة، لكنت أولَ حاكم على نفسك بقبح العشرة).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي صَوَّرَ الخَلْقَ بِلَا اسْتِرْشَادٍ، وَقَدَّرَ الرِّزْقَ بِغَيْرِ اسْتِمْدَادٍ، نحمده على نعمه وإحسانه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المصْطَفَى، وَأَمِيْنُهُ المجْتَبَى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ.

أما بعد: أيها المؤمنون: نكمل الكلام حول الأرزاق:

خامساً: الله تعالى أباح لعباده الكسب الحلال وهذا لا ينافي أن الله تعالى قد قدر الأرزاق، لأن ما اكتسبته من الرزق فلن تستطيع أن تحصِّل أو تكسب إلا ما قد قدره الله لك من الكسب، وإنما يكون حصول بعض الرزق مشروطاً بالكسب، فإذا عملت واكتسبت حصل لك المقسوم المقدر، وإذا لم تكتسب لم تحصل على شيء، وليس حصول الرزق بالكسب يتوقف على دهاءٍ أو تعب وعناء، فقد يكفي أدنى سبب، وأقل تكسب، فكم من شديد الدهاء، كثير السفر والعناء، لا يحصل على ما يحصل عليه من هو أضعف منه ذكاء، وأقلَّ عناء، وقد نبه على هذه الأمور حبيبنا ونبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: (أجملوا في الطلب فكلٌّ ميسر لما قسم له)، وكما في الحديث القدسي عن الله عزرجل ((وعزتي وجلالي، وكبريائي وجودي: لأرزقنّ عديم الحيلة حتى يحتار ذوو الحيلة))، وكما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (الرزق رزقان: رزق يطلبك، ورزق تطلبه)، وكما قال: (الرزق رزقان: رزق يأتيك، ورزق تأتيه)، وفي كلام له آخر (واعلم أن الرزق لا يجره حرص حريص، ولا تصرفه كراهة صارف)، فاكتسب واعلم أن كسبك لا يعدو ما قُسِمَ لك، مهما كلفت نفسك، ومهما عَرِق جبينُك، فليس عرق الجبين هو الذي يقلل أو يكثر.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: كان فيما وعظ لقمانُ ابنَه أن قال له: (يا بني ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيّته في طلب الرزق، إنّ الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة

أحوال من أمره، وآتاه رزقه، ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة، أنّ الله تبارك وتعالى سيرزقه في حال الرابعة، أمّا أوّل ذلك فإنّه كان في رحم أُمّه يرزقه هناك في قرار مكين حيث لا يؤذيه حرّ ولا برد، ثمّ أخرجه من ذلك وأجرى له رزقاً من لبن أُمّه يكفيه به ويربيه وينعشه من غير حول به ولا قوّة، ثمّ فطم من ذلك فأجرى له رزقاً من كسب أبويه برأفة ورحمة له من قلوبهما، لا يملكان غير ذلك، حتّى أنّهما يؤثرانه على أنفسهما في أحوال كثيرة، حتّى إذا كبر وعقل واكتسب لنفسه ضاق به أمره، وظنّ الظنون بربّه، وجحد الحقوق في ماله وقتّر على نفسه وعياله مخافة إقتار رزق وسوء يقين بالخلف من الله تبارك وتعالى في العاجل والآجل، فبئس العبد هذا يا بني)).

وهنا كلام كثير لأمير المؤمنين علي عليه السلام حول الكسب فمنه قوله: (الأرزاق لا تُنال بالحرص والمغالبة)، وقال: (أجملوا في الطلب فكم من طالب خائب ومجمل لم يخب)، وقال: (ذلّل نفسك بالطاعة، وحلّها بالقناعة، وخفّض في الطلب، وأجمل في المكتسب)، وقال: (ستّة يختبر بها دين الرجل، ذكر منها: الإجمال في الطلب)، وقال: (رزقك يطلبك فأرح نفسك من طلبه)، وقال: (سوف يأتيك أجلك فأجمل في الطلب)، وقال: (سوف يأتيك ما قدّر لك فخفّض في المكتسب)، وقال: (عجبت لمن علم أنّ الله قد ضمن الأرزاق وقدّرها، وأنّ سعيه لا يزيده فيما قدّر له منها وهو حريص دائب في طلب الرزق)، وقال: (لن يفوتك ما قسم لك فأجمل في الطلب، ولن تدرك ما زُوي عنك فأجمل في المكتسب)، وقال: (ليس كلّ مجمل بمحروم).

لو كان في صخرة في البحر راسية — صمّاء ململمة مُلس نواحيها
رزق لنفس براها الله لانفلقت — عنه فأدّت إليه كلّما فيها
أو كان بين طباق السبع مجمَعُهُ — لسهّل اللهُ في المرقى مراقيها
حتّى يُوَفَّى الذي في اللوح خطّ له — فإنْ أتته وإلاّ فهو يأتيها

سادساً:– وهو من أهم ما يتعلق بموضوع الرزق وهو أننا جعلنا الكسب في الدنيا عذراً لنا في التهاون بالطاعات، والإبتعاد عن الصلوات، والتكاسل بالعبادات، والإستهزاء بآيات الله تعالى، فإذا قال لك قائل أو نصحك ناصح بأن تلازم أو تواظب يكون جوابك هو أنك

مشغول، والناصح لك فارغ، لا شغل له، مع أن ذلك الكسب قد يكون للدنيا من حلها ومن غير حلها، من وجهها ومن غير وجهها، فيا لله العجب من طلب رزق قد ضمنه الله تعالى وتكفل به، يكون سبباً في تأخيرِ العبادة والتقصير به، بل وتفضيل الدنيا عليها.

فكم من ذي كسب تأخر عن الجماعات، وتهاون في الجمعات، بل وغاب عن أماكن العبادات، بسبب ما قد ألهاه من دنياه، أو ليس يعلم ذلك أن من أسباب محق البركة في الأرزاق، وضياع الكسب في الأموال هو التهاون بالطاعات، وما سبب قلة البركة، وضياع الأموال إلا ذلك.

وكأن ذلك الذي أعطى دنياه جُلّ وقته، وفرغ لها مشاعره وأحاسيسه، يظن أنها ستدوم له بتلك الطريقة، وتضمن له عيشة رغيدة طول سنته أو بقية عمره، وقد نبّه أمير المؤمنين علي عليه السلام على ذلك في قوله:- (لا تحمل هَمَّ سنتك على هَمِّ يومك، كفاك كل يوم على ما فيه، فإن تكن السنة من عمرك فإن الله تعالى سيؤتيك في كل غد جديد ما قُسم لك، وإن لم تكن السنةُ من عمرك فما تصنع بالهَمِّ فيما ليس لك، ولن يسبقك إلى رزقك طالبٌ، ولن يغلبك عليه غالب، ولن يبطئ عنك ما قدر لك).

وكما قال صلوات الله عليه:- (قد تُكُفِّلَ لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلا يكونَنَّ المضمونُ لكم طلبُه، أولى بكم من المفروض عليكم عملُه، مع أنه –والله– لقد اعترض الشك، ودُخِلَ اليقينُ –أي فسد –حتى كأنَّ الذي ضُمِنَ لكم قد فُرِضَ عليكم، وكأنَّ الذي فُرِضَ عليكم قد وُضِعَ عنكم، فبادروا العمل، وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يُرجى من رَجعةِ العمر، ما يُرجى من رجعه الرزق.

ما فات اليومَ من رزقك رُجِيَ غداً زيادتُه، وما فات أمسِ من العمر لم يرجَ اليومَ رجعتُه، الرجاءُ مع الجائي، واليأسُ مع الماضي، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

سابعاً:- قد يكون الرزقُ سبباً لكثير من المعاصي كالحسد والحقد والإتهام بالزور والباطل للمرزوق، وغيرها من المعاصي المحبطة، وهذا ناتج عن عدم الرضا بقضاء الله،

وعدم التسليم لأمر الله، ولهذا يقول الله تعالى في الحديث القدسي: ((الحسود كافر بنعمتي، سخط لقضائي، غير راض بقسمتي، فليتخذ رباً سواي))، فاعلم أيها الحسود أو الحقود أن الذي رزق المحسود هو الذي منعك، وقد يكون الصلاح لك في دينك أن يقلّ رزقُك، فلا تعترض على الله في قضائه، ولا تنقض عليه حكمته.

ثامناً:- ليس الكسب مقتصراً على التجارة أو البيع والشراء، أو الزراعة، أو نحوها من الأعمال الدنيوية البحتة، كما هو مفهومنا القاصر لمسألة الكسب، بل قد يكون الكسب من نوع آخر، وهو أنفعُ الكسبِ وأنجحُه، وأنماه وأصلحُه، وهو مع ذلك عمل أخروي يوجب لك رضوان الله وثوابَه، وهو من أسباب استنزال الرزق واستزادته، وذلك كالصدقة، وبرّ الوالدين، وصلة الرحم، وقضاء حوائج المحتاجين، وطلب العلم، والمحافظة على الصلوات والجماعات، وغيرها من أنواع الطاعات.

عن علي عليه السلام: ((أن رجلين كانا شريكين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان أحدهما مواظباً على السوق والتجارة، وكان الآخر مواظباً على المسجد والصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما كان عند قسمة الربح، قال المواظب على السوق: فَضِّلْنِي فإني كنت مواظباً على التجارة وأنت كنت مواظباً على المسجد، فجاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرا ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للذي كان يواظب على السوق: إنما كنت ترزق بمواظبة صاحبك على المسجد)).

وهذا من معاني قوله تعالى: **{يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}**، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن معناها فقال له: ((لأُبَشِّرَنَّك يا علي، تبشرُ بها أمتي من بعدي وهي: الصدقةُ على وجهها، وبرُّ الوالدين، واصطناعُ المعروف، وصلةُ الرحم، تُحَوِّلُ الشقاءَ سعادةً، وتزيدُ في العمر، وتقي مصارعَ السوء))، والأدلة على ذلك كثيرة جداً.

فاتقوا الله عباد الله، وأحسنوا الظن بربكم، ولا تسيؤوا ظنونكم فتقسوَ قلوبُكم، وتضعفَ أعمالُكم.

٦٦- في فضل المساجد وآدابها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فطر الأشياء على إرادته، وجعلها كيف شاء بعزته، وعمّ المخلوقين برحمته، أوجد الأشياء على مقتضى حكمته، وأبان فيها آثار قدرته، فكل شيء من مخلوقاته عليه دليل، فتبارك اللهُ الواحدُ الأحدُ الجليل، العالمُ بخفيات الغيوب، المطلعُ على سرائر القلوب، المتفضلُ على الخلق بالمرسلين، المحتجُ بالرسل على العالمين، الذي لم يزل ولا يزال، فهو الصمد ذو الجلال، نحمده حمداً دائم البقاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة حقاً، أقولها تعبداً لله ورقاً، الذي رفع السماء فبناها، وسطح الأرض فطواها، ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالبينات، وأنزل معه الآيات، وأنقذنا به من الهلكات، وأكمل به النعم والخيرات، فبلغ رسالات ربه، ونصح لأمته، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الأخيار.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}**، ويقول تعالى: **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}**، ويقول تعالى **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**.

أيها المؤمنون: جعل اللهُ تعالى للمساجد مكانةً ساميةً في الإسلام، وجعل لها حرمتها بين المسلمين، فمنها بدأ الدين ومنها انتشر، ومنها يأخذ المسلمون تعاليم دينهم، ويتلقون فيها المواعظ والعبر، فالمساجد تعد موقعَ الإنطلاق للمسلمين، ومنها يخرج حملة القرآن والعلماء.

وللأهمية البالغة للمساجد فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة، كان أول عمل قام به، هو بناء مسجد، يتعلم فيه المسلمون، ويؤدون فيه الطاعات والعبادات مجتمعين، ويذكرون الله في الليل والنهار خاضعين، ويأوي إليه المهاجرون والضعفاء والمساكين، وفيه يدبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم شؤون الدولة الإسلامية، ويدير أحوالها، وفي المساجد يجتمع المسلمون لمناقشة قضاياهم، ولإحياء مناسباتهم الدينية.

فالمساجد بيوت الله في الأرض، أذن في رفعها وعمارتها بالبناء والعمران، وأمر بعمارتها بالطاعات والعبادة وقرآءة القرآن، فهي أماكن التجمع للعبادات، كما يقول تعالى: **{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ}**.

وقد رغَّبَ الإسلام في عمارتها، سواء العمارة الحقيقية بالبناء والرفع، أو العمارة المجازية بالعبادة والذكر، فقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك:

منها: ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ((المساجد سوق من أسواق الآخرة، من دخلها كان ضيفَ الله، قرآؤهُ المغفرة، وتحيَّتُه الكرامة، فعليكم بالرِّتَاع، قيل يا رسول الله: وما الرِّتَاعُ؟ قال: الدعاءُ والرغبةُ إلى الله عز وجل)).

وعن الإمام الحسن السبط عليه السلام قال: سمعتُ جدي رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((من أدمن الإختلاف إلى المساجد أصاب أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستظرفاً، أو كلمةً تدلُ على الهدى، أو أخرى تصرفُ عن الردى، أو رحمةً منتظرةً أو تركاً للذنوب)).

أيها المؤمنون: الناس في هذه الأزمنة والأوقات بدأت هممهم تتقاصر عن تعظيم بيوت الله تعالى، وعن الحرص على عمارتها بالطاعة والعبادة، بل أصبح البعض من الناس لا يجعل الذهاب إليها إلا أمراً اعتيادياً قد تعود عليه، لا أمراً عبادياً، ولهذا تقع الأخطاء الكثيرة من بعض، فنريد أن ننبه على بعض الأخطاء، حتى نتمكن جميعاً من معالجتها، وحتى لا ينقلب حضورنا إلى المساجد إلى العكس مما حصل من أجله، فمن تلك الأخطاء التي قد

نرتكبها إما ونحن عارفين بأنها خطأ أو جاهلين بالخطأ أو متناسين، فمن تلك الأخطاء:

أولاً: رفع الأصوات فيها، وهو من الأخطاء الشائعة، والتي ورد النهي عنها، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم، وبيعكم وشراكم، ورفع أصواتكم)).

ثانياً: البيعُ والشراءُ، والمراد به عقد البيع، أو الإتفاق على ذلك، أو المساومة في السلعة، أو نحو ذلك مما هو من مقدمات البيع والشراء.

ثالثاً: أحاديث الدنيا، وما أكثرَ الإجتماع في المساجد في هذا الزمان لأجل أحاديث الدنيا، بل أصبح البعض من الناس لا يأتي إلا لأنه يلقى من يتناول معهم أطراف الحديث، ويتناقل معهم الأخبار، بل قد نرى كثيراً من الناس يشتغلون بالأحاديث بينهم أكثر مما يشتغلون بالطاعة والعبادة، وقد ورد التهديد الشديد على ذلك، كما روي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((سيكون في آخر الزمان قوم يكون حديثهم في مساجدهم، ليس لله فيهم حاجة)).

وعن الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم، فلا تجالسوهم، فليس لله فيهم حاجة)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((سيأتي من بعدي قوم يدخلون المساجد، يقضون فريضتهم، ثم يحتلقون لذكر الدنيا وأحوالها، أولئك مني بُرَآءُ وأنا منهم بريء، ولا تزال الملائكة تقول لهم: اسكتوا يا بغضاء الله، اسكتوا يا مقتاء الله، اسكتوا يا أعداء الله)).

وروي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله تعالى أوحى إليّ: يا أخا المرسلين، يا أخا المنذرين، أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب سليمة، وألسنة صادقة، وأيدٍ تقية، وفروج طاهرة، ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم ظلامة حتى يرد ظلامته إلى أهلها، فإذا رد تلك الظلامة كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي

وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والشهداء والصديقين في الجنة)).

رابعاً: من الأخطاء الشائعة إحضار الصبيان إلى المساجد، لأنهم عرضة للتنجيس، وشغلة المصلين، فالصبيان الذين لم يبلغوا حد التمييز وليس في حضورهم فائدة من تعليم أو غيره، لا بد من تجنيبهم المساجد، فأما إذا كان الصبي يحضر للتعلم، أو التمرين على الصلاة، مع كونه نظيف البدن والثوب، وقد بلغ سن الثامنة، فلا مانع من ذلك.

أيها المؤمنون: إن مَن أحبَّ الله تقرب إلى الله بأنواع الطاعات، فالعبادات وإن تنوعت وتعددت لكنها مترابطة، ولا يمكن القيام ببعضها والإستغناء عن البعض الآخر، فلا يحب المساجد إلا من كان يحب الطاعة، وقد وردت أحاديث كثيرة في مدح أهل المساجد الذين يواظبون على حضورها، وقد وعدهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالبشارات والخيرات، كما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أحبَّ اللهَ عز وجل أحبَّ القرآن، ومن أحبَّ القرآن أحبني، ومن أحبني أحبَّ قرابتي وأصحابي، ومن أحبَّ الله وأحبَّ القرآن وأحبني وأحب قرابتي وأصحابي أحبَّ المساجدَ، فإنها أفنيةُ اللهِ وأبنيتُه، أَذِنَ في رفعها وباركَ فيها، مباركةٌ مباركٌ أهلُها، محفوظٌ أهلُها، ميمونةٌ ميمونٌ أهلُها، هم في مساجدِهم واللهُ عز وجل في حوائجهم، هم في صلاتهم وفي ذكرهم، والله عز وجل يحوط من ورائهم وتكفل بأرزاقهم)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((المساجد بيوت الله في الأرض، وقد ضمن الله تعالى لمن كانت المساجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة)).

جعلني الله وإياكم من الذين ينتفعون بمواعظ الله، ويهتدون بهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، **بسم الله الرحمن الرحيم { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}**، بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من البر والإحسان، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم ولإخواننا المؤمنين والمؤمنات فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ذي المجد والثناء، والفضل والعطاء، نحمده على نعمه، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن لبيوت الله آداباً لابد أن تأدب بها، فإن الحفاظ عليها والتحلي بها يدل على تعظيمنا لبيوت الله، فمن تلك الآداب:

أولاً: المحافظة على نظافة المساجد وصيانتها من الأوساخ والأقذار، وتجنيبها من البصاق والمخاط والنخامة، وقص الأظفار، وحلق الشعر وغيرها، وقد ورد في إزالة وإخراج الأذى منها الأجر الكثير، والثواب العظيم.

وتطهير بيوت الله وتنظيفها شرف لفاعلها، فقد أمر الله تعالى نبيه إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام بذلك، فقال تعالى **{وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}**، وقال تعالى في آية أخرى: **{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}**.

فعن علي عَلَيْه السَّلام قال: (أمر رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم ببناء المساجد، وأن تطيَّب، وتطهر، وتنظّف، وأن تجعل على أبوابها المطاهر).

وعن علي عَلَيْه السَّلام قال: كانت جارية خُلَاسِيَّةً تلتقط الأذى من مسجد رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم، ففقدها رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم؛ فسأل عنها، فقيل: توفيت، فقال: ((لذلك رأيت لها الذي رأيت، كأنها في الجنَّة تلقط من ثمرها))، ثم قال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((من أخرج أذى من المسجد كانت له حسنة، والحسنة عشر أمثالها، ومن أدخل أذى في مسجد كانت عليه سيئة، والسيئة سيئة واحدة)).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((عُرضت علي أجور أعمال أمتي، حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد)).

فأما النخامة أو البصاق في المسجد فقد ورد التهديد والوعيد عليها، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها)) أي إزالتها، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه)) وفي رواية أخرى ((جاء يوم القيامة ونخامته بين عينيه)).

وعن علي عليه السلام قال: (إن المسجد ليلتوي عند النخامة، كما يلتوى أحدكم إذا وقع به) – يعني إذا وقع به ما يكره–.

وكفارة النخامة إزالتها وضمخها بالطيب أو الزعفران أو الرائحة الطيبة، كما روي عن علي عليه السلام عن رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أنه قال: ((من وَقَّر المسجد بنخامته لقي اللَّه يوم القيامة ضاحكاً، وأعطاه كتابه بيمينه)).

ومعنى من وقَّرَ المسجد أي من عظّم المسجد بإزالة النخامة منه.

ونحن نرى في هذه الأزمنة من التساهل بأمر نظافة بيوت الله، فكم من شخص يدخل إلى حمامات المسجد ليغتسل مثلاً وتراه يرمي بالنفايات ولا يبالي، ولا يهمه ما ينتج عنها من أضرار ومفاسد، فهي تسبب في سد مجاري المياه.

وكم من شخص يبصق حتى بين الماء أو في الصرح أو الحجرة ولا يبالي.

ثانياً: تجنب أكل ما يؤذي وينتج منه رائحةٌ كريهة كالثوم والبصل ونحوهما، لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وقد ورد النهي عن ذلك، فعن عن علي عَلَيْه السَّلام، قال: دخل رجل من أهل اليمن وقد أكل الثوم؛ فتأذى به رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم والمسلمون؛ فقال رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: ((مَنْ أكل من هذه البقلةِ فلا يقرَبَنَّ مسجدنا)).

وفي رواية عن جابر ((من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، – أو فليعتزل مسجدنا)).

ولا يعني هذا تحريم أكل البصل والثوم والكراث ونحوها، وإنما كره النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم ذلك لمن حضر الجماعات في المسجد؛ لئلا يتأذى به أحد من المسلمين.

ثالثاً: مما يلزم تجنيبه المساجد، إنشاد الضالة وهي ما ضاع على الإنسان، فلا يجوز السؤال عنه في المسجد، فعن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: أنه نهى عن إنشاد الضالة في المسجد.

وروى الإمام المرتضى محمد بن يحيى عَلَيْه السَّلام في كتاب المناهي: عن آبائه عن النبي صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم: أنه نهى أن تُجْعَلَ المساجدُ طُرُقَاً.

ونهى عن أن ينشد الشعر في المسجد، وقال: ((من فعل ذلك، فقولوا له: رَضَّ اللَّهُ فاك)).

ونهى عن البيع والشراء في المسجد، وقال: ((من فعل ذلك فقولوا له: لا أربح اللَّه تجارتك)).

ونهى عن النخامة في المسجد، ونهى أن يكون في قبلة المسجد حمام، أو حش، أو مقبرة.

أيها المؤمنون:

لابد أن نجعل للمساجد حرمتها ومكانتها، ولا يجوز أن نستهين ببيوت الله، أو نستهزأ بأهلها وعمارها، بل لابد أن نسعى جاهدين إلى أن نكون من أهلها الذين قال الله فيهم **{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}**.

٦٧- حول التحذير من سوء الظن

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكبير المتعال، ذي العظمة والجلال، والعزة والكمال، شديد المحال ذي الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم، نحمده على جزيل الإنعام، وتواتر نعمه التوام، وتوالي مننه الجسام، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه يدوم بدوام الليالي والأيام.

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انتهاء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث في الأميين، المأخوذ ميثاقه على جميع النبيين، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن الإنسان في هذه الحياة الدنيا في صراع دائم مع الشيطان، فتارة يغلب الشيطان، وتارة يغلبه الشيطان، فالإنسان إما أن يكون من أولياء الله الذين يتمكنون من طرد الشيطان وإبعاده، وإما أن يكون بالعكس من ذلك.

فالشيطان دائماً يسعى في زرع ما يكون سبباً لحصد الفرقة والعداوات بين المسلمين، فالشيطان يحرص كل الحرص على أن ينقض على المسلم دينه، ويشككه في يقينه، ويسعى جاهداً في التوهين لأمره، وللشيطان شباك ومصائد كثيرة يصطاد في حبائلها الكثير من الناس، فمن شباكه التي قد أرصدها، ووحبائله التي قد أعدها في هذا الزمان، بل وصارت عند الناس من الأمور المستساغة، والطبيعية والأمور العادية، وقد لا يدرك الناس ضررها، أو قد يدركون ولكنهم يتجاهلون خطرها، ويتساهلون أمرها.

فمن تلك الشباك والمصائد التي توقع الناس في الأمور الخطيرة هو سوء الظن.

فإن المجالس وأماكن القيل والقال قد بنيت على الوهم، وترك أهلها العلم، وعمرت

بالشك، ولم تعمر باليقين، وما بني وعمر على الشك والوهم فسرعان ما يزول، وما بني وعمر على العلم واليقين، كان باقياً على مر الدهور حرياً بالقبول.

أيها المسلمون: إن الظن ينقسم إلى قسمين: إلى ظن حسن، وظن سيء، إلى ظن صادق وظن كاذب.

والله تعالى قد عاب الذين يتبعون الظنون والأوهام كما قال تعالى: {وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون}، وقال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم } {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا}، {إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون}. وقال تعالى حاكياً عن أهل النار: {وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا}.

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ((إجتنبوا الظن فإن الظن أكذب الحديث))، وفي رواية أخرى ((إياكم والظن، فإنه أكذب الحديث))، والمعلوم أن الكذب من أكبر الكبائر؟ ومن المعاصي الكبيرة، فقد جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظن أكبر من الكذب؛ بل أكبر الكذب، لأن الظانّ ظن السوء يظن أنه يحسن صنعاً، وهو لا يرى أنه أخطأ، أما الكاذب فهو يكذب وهو يعلم أنه مخطئ وكاذب في قوله وفعله.

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله حرم على المسلم دمه، وعرضه، وأن يظن به ظن السوء)).

فلا بد أن يكون المسلم من أهل التحرز والورع، وأن يبني أموره على التحقق واليقين، وأن يترك الظن والتخمين، فإذا حصل له ظن فليترك ولا يتبع الظن، ولا يلقي له بالاً، كما أرشدنا إلى ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: ((إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا تطيرت فامض)).

فلما كانت النفوس تألف وتعتاد الظن دلنا رسولنا على أن التخلص من ذلك، هو عدم التحقيق والسؤال، والبحث والتفتيش عن تلك الحال.

إن علامة الظن الذي يجب اجتنابه: هو الشيء الذي لا تُعرف له إمارة صحيحة، أو يكون عليه سبب ظاهر، فما كان هكذا كان واجبَ الإجتناب.

أيها المؤمنون:

إن لسوء الظن مفاسد يجلبها، ومصائب يسببها، فبسبب سوء الظن، تتولد القطيعة والفرقة، فإن الكثير من العداوات والجفاء، والتباغض والشحناء، بين المسلمين والمؤمنين سببُه الأعظم سوءُ الظن، فمن سوء الظن ينتج انعدام الثقة، وبسببه تقع التأويلات الخاطئة، والتفسيرات الجائرة، لما يصدر من بعض الناس نحو البعض الآخر.

وهذا يفسدُ القلوب ويلوثُها، إذ لو صفت القلوب، وسلمت الضمائر، وطهرت السرائر، وحمل المسلمُ ما يصدر من أخيه على أحسن المحامل، لزالت الكثير من الشكوك والتساؤلات و الحزازات.

فالظن السيء تتولد منه التهمة، لكن بأحسن التأويلات والمحامل تنتهي التهمة وتزول.

قال بعض الحكماء: خمس يكبرن بخمس:

النارُ بالهشيم، والشكُّ بسوء الظن، والجفاءُ بعدم الإحسان، والخصامُ بعدم الصفح، والقطيعةُ بعدم السؤال.

ومن أضرار ومفاسد سوء الظن: أن القلب إذا أصيب بهذه المرض، انشغل بالخلق عن الخالق، وازدادت همومه، وكثر كلامه، فلا تسمعه إلا متنقصاً للآخرين مغتاباً لهم، لا هَمَّ له سوى الكلام والقيل والقال، بل تراه شامتاً بالمؤمنين، مستهزءاً بالصالحين، فهو يحزن لفرح أخيه المسلم، ويفرح إذا حزن.

ومن البلايا العظمى: أن سيء الظن يرى أنه على حق، وكل من خالفه على باطل، {أفمن زين له سواء عمله فراءه حسناً}، وربما عرف أنه أخطأ وأساء، واكتشف الخلل ولكن لا يقلع عن ذلك، محبة في التصدر والتربع، وحب الرئاسة والنفاسة، فيهلك ويهلك.

قبيح من الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيبا في أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو راءها بها اكتفى

أخي المؤمن: لا يجوز لك أن تظن بأخيك شراً، ومتى خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته والدعاء له بالخير، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك، وإذا تحققت هفوة من مسلم فانصحه ولا تفضحه.

ومن أضرار سوء الظن: أنه يدعو إلى التجسس والتحسس على الناس وعلى أخبارهم، والقلب إذا تُرك له العنان لا يقنع بالظنّ، بل يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس، وذلك منهي عنه، لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم.

فلا يظن المسلم بكلمة خرجت من أخيه المسلم إلا خيراً، ما دام أنه يجد لها في الخير محتملاً، وهذا كله يتعلق بسلامة الصدر، لأن إحسانَ الظنِّ بأهل الإيمان يحتاج إلى نقاء النفس وطهارة القلب.

وفقنا الله لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على حلمه بعد علمه، والحمد لله على عفوه بعد قدرته، والحمد لله على طول أناته في غضبه، وهو قادر على ما يريد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله المنتخب المصطفى للرسالة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

قد يسيء الإنسان الظن، ولكن يسميه باسم آخر، ويقول أنا أحترز أو آخذ حذري، أو أنا أتحرى لديني، وهذا إنما يخدع نفسه، فالفرق بين الاحتراز والتحري وسوء الظن واضح:

فإن المحترز هو الذي يتوقع الشر أن ينزل به، فهو مع التأهب والاستعداد وأخذ الأسباب يحاول أن ينجو من المكروه؛ فهو كالمتسلح المتدرع الذي قد تأهب للقاء عدوه وأعد له عدته، فَهَمُّه في تهيئة أسباب النجاة، ومحاربة عدوه قد أشغلته عن سوء الظن به.

وأما التحري: فلا يكون إلا مع الإلتباس، وتعارض الأدلة وعدم حصول العلم واليقين، فيأخذ بأقوى الأمارات في الأمر، فهذا هو التحري، وأين هذا من سوء الظن بالمؤمنين.

وأما سوء الظن: فهو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على لسانه وجوارحه؛ فهم معه أبداً في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض للمؤمنين والصالحين، يتجنب الصالحين ويلحقهم الأذى، مليء بالغش والدغل والبغض.

فبدلاً من الإشتغال بعيوب المؤمنين، وإساءة الظنون بهم الأولى هو حسن الظن، وأن نشتغل بعيوبنا.

أخي المؤمن: إن حسن الظن من شعب الإيمان، والعاقل يُحسِنُ الظنَّ بإخوانه المؤمنين، وإن انفرد بهمومه وأحزانه، كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه، ولا يفكر في جناياته وأشجانه.

الأجدر بالمسلم أن يلتمس العذر للمؤمنين، لأن تعاليم الدين الحنيف تأمرنا بذلك، والتماس

العذر لا يكون إلا مع حسن الظن، وخصوصاً إذا وقع الخطأ من جانب أهل العلم أو أهل التقوى؛ فإنه لابد من التماس العذر لهم فلعله وقع سهواً، أو بغير قصد، أو نحو ذلك.

ومما يسهل على المسلم قضية حسن الظن، ويحمله على التماس الأعذار للمؤمنين، هو أن ينزل نفسه منزلة ذلك الذي يسيء به الظن، وينظر في نفسه لو كان هو في محل ذلك الرجل هل كان يفعل ذلك الخطأ، فإن نفيته عن نفسك، ونزهت نفسك عن فعله، فانفه عن أخيك المؤمن؛ فإن هذا من باب أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، قال تعالى منبهاً على ذلك: {لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً}.

فإذا كان الرجلُ مشهوداً له بالإيمان والاستقامة، معروفاً بالصلاح والتقوى، فلا ينبغي أن يحمل كلامه وألفاظه على غير ما تعود منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح وتحسين الظن، كما قيل: إن التماس العذر لأهل الخير أمر راجح لا مرجوح، لأن العادة تقضي بذلك فيما قد عرف عنهم واشتهر.

أخي المؤمن: إن لكل الناس عورات ومعايب، وزلات ومثالب، فلا تظن أنك علمت ما لم يعلمه غيرك، أو أنك أدركت ما عجز عنه غيرك، هلا شغلك عيبُك عن عيوب الناس؟ وهلا سلكت مسلك النصيحة وعدلت عن الفضيحة؟ وهلا علمت أن من تكلم فيما لا يعنيه ابتعد عن الصدق وقرب من الكذب؟

فأحسن الظن بمن حولك، كي يحسنوا بك الظن، وإياك وسوء الظن بهم فتدفعهم إلى سوء الظن بك، وإياك أن تجعل عينيك مرصداً لحركاتهم وسكناتهم، فتلجأهم إلى ترصد حركاتك وسكناتك، ولله القائل:

إذا رُمتَ أنْ تَحيا سَليماً مِن الأذى … وَدينُـــكَ مَوفـــورٌ وعِرْضُـــكَ صَـــينٌ

لِسـانُكَ لا تَـذكُرْ بِـهِ عَـورَةَ امـرئٍ … فَكُلُّـــكَ عَـــوراتٌ وللنّـــاسِ ألسُـــنُ

وعَينـاكَ إنْ أبـدَتْ إليـكَ مَعايِبـاً … فَـدَعها وَقُـلْ يـا عَـينُ للنّـاسِ أعيُـنُ

وعاشِرْ بِمَعروفٍ وسامِحْ مَن اعتَدى … ودَافِـع ولكِـن بـالتي هِـيَ أحسَـنُ

روي عن ابن عمر أنه قال: كان بالمدينة أقوام لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فأسكت الله الناس عنهم عيوبهم، فماتوا ولا عيوب لهم، وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم، فتكلموا في عيوب الناس، فأظهر الله عيوباً لهم، فلم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا.

أخي المسلم: اعلم أن سوء ظنك بالمؤمنين دليلٌ على سوء فعلك، وقبح عملك، كما قال الشاعر:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق ما يعتاده مِن تَوَهُّمِ

وقال آخر:

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله سترا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

فالأولى أن نُقبل على أنفسنا فنزكّيها بالعلم النافع، والعمل الصالح، ونترك الاشتغال بعيوب الناس الذين هم خير منا، فإننا لن نُسأل في قبورنا إلا عن أعمالنا، ولن نسأل عن عمل أحد وما قدم.

٦٨- حول تحريم الغناء وآلات الملاهي

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي مَنّ علينا بالإسلام، وعلمنا معالم الحلال والحرام، وعرفنا الشرائع والأحكام، نحمده على نعمه التوام، ومننه الجسام، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه لا تفنيه الأيام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، بلغ الشرائع والسنن، صلى الله وسلم عليه وعلى آله في السر والعلن.

أما بعد: أيها المؤمنون: الله تعالى خلق الإنسان لعبادته وطاعته، وسهل له الطرق إلى ذلك، فقد خلقه في أحسن تقويم، وأكمل تصوير، وأنعم عليه بالنعم العظيمة الكثيرة، وأكمل له الحجة والبصيرة، ووضع كلّ شيء في موضعه على أبلغ ترتيب، وأجمل تركيب، ليكون مهيئاً للطاعة، صالحاً للعبادة، وركب فيه الأعضاء والجوارح والآلات ليستخدمها في الشكر لربه، على ما أنعم عليه من النعم التي لا تعد ولا تحصى، كما قال الله تعالى **{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**، وكما يقول تعالى **{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ}**، فالأسماع والأبصار والعقول من أدوات الطاعات، وآلات العبادات، التي أمرنا الله تعالى أن نستخدمها في شكره على نعمه، كما قال تعالى **{وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ}**.

وهذه الآلات والأدوات أنت مسؤول عنها ومحاسب عليها، كما قال تعالى: **{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}**، فإذا أحسنت الإستخدام كان لك الأجر والثواب، وحين تسيء الإستخدام يكون عليك الوزر والعقاب.

وكما أنها في الدنيا آلات تعمل بها، فإنها في الآخرة تكون شاهداً عليك أو لك، كما يقول

تعالى: **{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** فعند ذلك يكون الندم يوم لا ينفع الندم.

فلا تظن أيها المسكين الغافل أنك إذا استترت واختفيت عن أعين الناس أنك تستطيع أن تعمل ما تريد بدون رقيب ولا حسيب، وقد نبهنا الله على ذلك في قوله: **{وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ}**.

ومن نعم الله علينا تعالى نعمة السمع التي مَنَّ الله علينا بها لنصغي بها ونستمع إلى ما يقال لنا، وما يخاطبنا به الناس، فلولا السمع لافتقدنا شيئاً كبيراً من مقومات حياتنا، كما قال تعالى **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ}**.

أيها المؤمنون: من البلية والمحنة هو أن أنفسنا تتوق وتشتاق إلى استماع الأصوات الحسنة والجميلة، وتميل إلى قبول ما يطربها من الألحان لتتمتع به وتلتذ، وقد تكون تلك الأصوات محرمة ومحظورة، ولا تبالي باستماعها، بل ترجح سماعها، على سماع غيرها، وذلك لأن النفس ميالةٌ إلى السوء وأمّارةٌ به، وتتضجر وتأنف وتمل من الخير والهدى.

أيها المؤمنون: قد يتساهل الإنسان في استماع ما لا يجوز له الإستماع إليه، إما جهلاً بتحريمه، وإما أن يخلق لنفسه المعاذير التي لا تخلصه ولا تنفعه، بل تورطه وتضره في دينه.

ومما حرمه الله تعالى وحظر الإستماع إليه آلالاتُ الملاهي، وأصواتُ الغناء، بجميع أنواعها، وكافة أشكالها، لأنها من أعمال الشيطان، ومن أساليب جلبه الناس إليه، فالشيطان يدعو الناس إليه بالملاهي والغناء، كما قال تعالى متوعداً للشيطان وأتباعه بالنار، ومبيناً ومحذراً لنا من طرق خدع الشيطان واستجلابه، فقال تعالى **{قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا *وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ}** أي بالغناء والملاهي، فبها يستفز الشيطان أوليائه ويدعوهم إلى طاعته.

بل قد حكى الله تعالى عن صفات أهل النار قولهم: **{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}** أي سماع الغناء

والملاهي، وحكى الله تعالى عن قوم لوط عليه السلام أن من الأعمال التي استحقوا بها العذاب اللهو والغناء، كما قال تعالى: **{وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ}**، ومنكرات قوم لوط كثيرة منها اللهو والغناء.

وقد كثرت في هذا الزمان أنواع الملاهي، وألحان الغناء، فبعضها كان معروفاً عند المتقدمين الأوائل، كالمزمار والعود وآلات العزف والرقص والدُّفِّ وغيرها، وإن كانت في هذا الزمان قد تطورت، ومنها ما هو لهو محدث في هذه الأزمنة والعصور كالموسيقى والبيانو وغيرها، ومهما اختلفت الأسماء والأنواع فإن حكمها واحد وهو التحريم.

فكم من آية في القرآن، وحديث صحيح في السنة النبوية تحظر وتحرم استماع الغناء والملاهي، فقد ورد أن سبب نزول قوله تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}**، هو البيع والشراء في المغنيات.

فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن، وأكل أثمانهن حرام، وفيهن أنزل لله عز وجل عليّ**{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ}**))، ويدخل في ذلك الحكم شراء الأشرطة وذواكر الجوالات التي فيها شيء من هذه المحرمات والمحظورات.

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أسباب بعثته إلى الناس هو كسر آلات الملاهي والمنع منها، فعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((بُعثت بكسر المعزاف والمزمار))، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم ((كسب المغنية سحت، -أي حرام - وكسب المغني سحت، وكسب الزانية سحت، وحقاً على الله أن لا يدخل الجنة لحماً نبت من سحت)).

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إن الله بعثني رحمة وهدىً للعالمين بعثني لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية والأوثان))، فقد قرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم آلات اللهو والغناء بالأصنام والأوثان.

أوَ لا يعلم هذا المستمع للهو والغناء أنه بفعله يقتدي بإبليس حين شَمِت بآدم عليه

السلام عندما أخرجه من الجنة بحيلته ومكره، كما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أول من تغنى إبليس لعنه الله ثم زمر ثم ناح)).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من أدخل بيته مزماراً أو لهواً فقد شمت بأبيه آدم، لأن إبليس اتخذ المزامير والشرب والطرب حيث وقع آدم في الخطيئة)).

أيها المؤمنون: الغناء معصية كبيرة من المعاصي التي حرمها الله تعالى وتوعد فاعلها أو المستمع إليها بالنار، وضرر الغناء كبير على دين المسلم:

فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((الدف حرام، والمعزاف حرام، والكوبة – وهي من أنواع الطبل – حرام، والمزمار حرام)).

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((كره الله عز وجل لكم ستاً: الخمر والميسر والمعزاف والمزمار والكوبة والدف))، وكراهةُ الله لنا هي التحريمُ والنهي.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((استماع الملاهي معصية، والجلوس عليها فسق، والتلذذ بها كفر)).

وعن أنس عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة))، أي ملعون صاحبهما في الدنيا والآخرة.

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من قعد إلى قينة يسمعُ، صَبَّ اللهُ في أذنيه الآنُكَ يوم القيامة))، والآنك: هو الرصاص المذاب.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد}، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم إنه تعالى جواد كريم، برٌّ رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ولي الحمد وأهله، حمداً دائماً لا يفنى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

أما بعد: أيها المؤمنون:

أضرار الغناء وآلات الملاهي كثيرة: فالعقل يستقبحها، والفطرة تمجها، والطبع والشهامة تنكرها، والمروءة تتنافى معها، فهي تزيل الشهامة والحياء، وتبعث الشهوة، وتجعل محلها الجرأة على الله، والإقدام على معاصيه، وليست من صفات ولا من أخلاق المؤمنين، ولا يستعملها إلا الفساق والأراذل.

ومن أضرارها: أن المستمع إليها قريب من النفاق بعيد من الإيمان، فعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إياكم واستماعَ المعازف والغناء فإنهما ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل)).

وعن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إياكم والغناء فإنه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر).

وعن أنس عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب، والذي نفس محمد بيده إن القرآن والذكر ينبتان الإيمان في القلب كما ينبت الماء العشب).

فانظر وفكر أخي المؤمن ماذا تريد أن ينبت في قلبك الإيمان أو النفاق؟.

ومن أضرارها: أن المستمع لها لا تقبل صلاته، لأن الله إنما يتقبل من المؤمنين، وهو قد خرج عن طائفة الإيمان، فعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع رجلاً يتغنى فقال: ((لا صلاة له، لا صلاة له، لا صلاة له)).

ومن الأضرار: أن الملائكة تهجر البيت الذي يحصل فيه هذه المحرمات، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تدخل الملائكة بيتاً فيه خمر أودف أو طنبور أو نرد ولا يستجاب دعاؤهم ورفع الله عنهم البركة))، وإذا لم تدخل الملائكة فلا شك ستدخل الشياطين.

لأن الغناء كالدعوة للشياطين للحضور، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من تَغَنَّى، أو غُنِّيَ له، أو ناح أو نيح له، أو أنشد شعراً أو قرضه، وهو فيه كاذب: أتاه شيطانان فيجلسان على منكبيه يضربان صدره بأعقابهما حتى يكون هو الساكت)).

وفي حديث آخر ((ما رفع أحد صوته بغناء، إلا بعث الله إليه شيطانين، يجلسان على منكبيه، يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك)).

فلهذا ترى أكثر البيوت مليئةً بالمشاكل، بسبب أن البعض لا يبالي بأصوات اللهو والطرب، بل قد أصبحت سهلة التناول في هذا الزمان، لتعدد آلاتها وأجهزتها، فلا يكاد يخلو بيت من التلفزيونات والدشات، بل أصبحت على أسطح البيوت والمنازل كالأعلام للشياطين.

وترى ذواكر الجوالات ممتلئة بأنواع الملاهي والمعازف والموسيقى، وقد صارت في متناول الصغير والكبير، والرجل والمرأة، والكثير لا يحسن استخدامها، والمشكلة الكبرى غياب المراقبة، فالزوج لا يدري على ماذا يحتوي جوال زوجته من الملاهي والغناء وغيرها، والأب لا يدري كذلك ولا يراقب ولده ولا يفتشه، وقد يسمع الأب ولده وهو يستمع إليها فلا ينهاه، وهذا عين الإهمال، وهو سبب ضياع الأجيال، وانخراطهم في سلك الضلال، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإذا كان أفراد البيت على هذه الحال السيئة أصبح بيتاً لا خير فيه ولا في أهله، وصار الأمر كما روي عن علي عليه السلام أنه قال: (بئس البيت بيت لا يعرف إلا بالغناء، وبئس البيت بيت لا يعرف إلا بالفسوق والنياحة).

ومن أضراره الخطيرة أيضاً: خروج المتعاطي له عن زمرة المؤمنين، ويحرمه الله مرافقة الصالحين، كما روي عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

((من استمع إلى لهو غناء حرمه الله مرافقة الصديقين والشهداء والصالحين)).

وإذا مات مصراً على معصيته غير تائب منها لم يصل عليه، كما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من مات وله جارية مغنية لم يصل عليه)).

ولا يكون ممن يسمع الأصوات الجميلة في الآخرة، كما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (من استمع إلى لهو غناء حرم الله عليه صوت استماع داود إذا قرأ الزبور في بطنان الجنة).

وقد يتخذ بعض الناس تلك المحرمات سبباً للرزق، وكسباً للمال، وهو إنما يأخذ الحرام، فيكون الأمر كما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ثمن المغنية سحت، وغناؤها حرام، والنظر إليها حرام، وثمنها مثل ثمن الكلب سحت، ومن نبت لحمُه من سحت فالنار أولى به).

وعن عمرو بن مرة قال: قلت: يا رسول الله: كُتِبَتْ عليَّ الشقوة: فلا أزرق إلا من دفِي بكفي، فأذن لي في الغناء من غير فاحشة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا آذن لك ولا كرامة ولا نُعمةَ عينٍ، كذبت أي عدو الله، لقد رزقك الله حلالاً طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله، ولو كنتُ تقدمتُ إليك لفعلتُ بك وفعلتُ، قم عني وتب إلى الله، أما إنك إن أتيت بعد التوبة شيئاً ضربتك ضرباً وجيعاً، وحلقت رأسك مُثْلَةً، ونفيتك من أهلك، وأحللت سلبك نهبة لسكان المدينة)) فقام عمرو وبه من الشروالخزي ما لا يعلمه إلا الله، فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشره الله كما كان في الدنيا مخنثاً عرياناً لا يستتر من الناس بهدبه، كلما قام صرع)).

وعن علي عليه السلام أنه قال: (كسب المغنية سحت، وكسب الزاني سحت، وحقاً على الله أن لا يدخل الجنة لحماً نبت من سحت).

أيها المؤمنون: إن ظهور هذه الأدوات والمعازف بين الناس بدون نكير من موجبات غضب

الله وسخطه على هذه الأمة، فعن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((يكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف)) فقال بعض القوم: متى ذلك يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: ((إذا ظهرت المعازف، وكثرت المغنيات وشُربُ الخمور)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((تبيت طائفة من أمتي على أكل وشرب ولهو ولعب، يصبحون قردة وخنازير، فيبعث على أحياء من أحياءهم ريح فتنسفهم كما تنسف من كان قبلهم، باستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات)).

وورد في بعض الآثار أنه إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم حمدي وثنائي، وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

٦٩- حول ستر العورة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، الذي هدانا لدينه القويم، ونهج بنا النهج المستقيم، ودلنا على ما يوصلنا إلى الرضوان والنعيم، وحذرنا مما يدعو إلى السخط والجحيم، ويجر إلى العذاب الدائم المقيم، نحمده حمداً الحامدين، ونشكره شكر الشاكرين.

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق العدل المبين، الذي تنزه عن أشباه المخلوقين، وتعالى عن صفات المربوبين، لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والأخرى وإليه ترجعون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}**، فقد كرم الله بني آدم وشرفهم وفضلهم على غيرهم من المخلوقات، وذلك التكريم والتفضيل يدخل فيه أشياء كثيرة:

فمنها: خلقهم على أحسن الهيئات وأكلمها، في امتداد القامة وحسن الصورة كما قال تعالى {في أحسن تقويم}، فهو يمشي قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه.

وكرم بني آدم بالعقل الذي هو عمدة التكليف، ليفهم به وينتفع، ويفرق به بين الأشياء، ويعرف منافعها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية، وبه يحسن التصرف، وبه يعرف الله ويصدق رسله.

ومن تكريم الله تعالى لبني آدم أن جعل لهم ما يسترهم ويزينهم من الملابس الرفيعة، من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها، مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من

أقطار الأقاليم والنواحي والبلدان، كما قال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}، فجعل الله تعالى مما امتن به على بني آدم واختصهم به أن خلق لهم ما يسترون به عوراتهم، ويحترزون به عن أعين غيرهم، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتعرّون حال الطواف، اتباعاً منهم لأمر الشيطان، وتركاً منهم لطاعة الله، فعرّفهم الله تعالى أن ذلك من خدع الشيطان لهم، وانخداعهم بغروره، حتى تمكن منهم فسلبهم سترَ الله الذي أنعم به عليهم، حتى أبدى سوءآتهم وأظهرها من بعضهم لبعض، مع أن الله قد تفضل عليهم بتمكينهم ما يسترون به عوراتهم.

لأن التعري والتكشف مما يتنافى مع المروءة، ولا يرضاه العقلاء، لأن ذلك من صفات الحيوانات، وطبائع البهائم، أما الإنسان فقد كرمه الله بالعقل، وشرفه بالفهم.

وإذا كان الله تعالى قد كرم بني آدم فقد زاد الله تعالى في إكرام المؤمنين، وعظّم شأن المتقين فقال تعالى {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، فقد جعل الله تعالى للإنسان المسلم حرمة عظيمة ليست لغيره، ورفع مقامه، وأعلى شأنه، لتمسكه بآداب الله، وامتثاله لأوامر الله، وابتعاده عن نواهي الله عزوجل.

أيها المؤمنون: مما يحصل التساهل به عند الكثير من الناس هو مسألة كشف العورة التي أمر الله تعالى بسترها، ونهى عن كشفها، وذلك التساهل إما جهلاً بالتحريم والنهي، أو تجرأً وتعدياً، فالبعض من الناس يظن أن العورة التي يجب سترها وتغطيتها مقصورة على العورة المغلظة التي هي الفرجان، فتراه يكشف فخذه أو ركبته بين الناس بدون تحرج ولا استحياء، في الأسواق والمجامع والمجالس، مع أن التستر وقبح التكشف من القضايا الفطرية، التي تدعو إليها الإنسانية، بل هي من مكملات المروءة والشهامة، لولا ذلك لما كان بين الإنسان وبين الحيوان فرق، فالله تعالى رفع مستوى الإنسانية عن حد الحيوانية البهيمية، بما ركب فيها من العقول، وأودع فيها من الغرائز الجبلية الفطرية.

وقد جاء التشريع الإلهي على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتأكيد التستر،

وتحريم كشف العورة، والزجر والتهديد والتعليظ في ذلك.

فعورة الرجل من السرة إلى تحت الركبة، فيدخل في ذلك الفخذ والركبة، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((كل شيء أسفل من سرته إلى ركبته عورة))، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((الفخذ من العورة))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((الركبة عورة))، وعن أمير المؤنين علي عليه السلام أنه قال ((إذا تعرى أحدكم نظر إليه الشيطان فطمع فيه فاستتروا، ليس للرجل أن يكشف ثيابه عن فخذيه ويجلس بين قوم)).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تبرز فخذيك ولا تنظر إلى فخذي حي ولا ميت))، وعن ابن عباس: مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل وفخذه خارجة فقال: ((غط فخذيك فإن فخذ الرجل من عورته)).

فعلى المسلم أن يحترز وأن يتستر حتى لا يرى عورته أحد، كما قال الله تعالى {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}، فالغض للبصر هو: أن لا ينظر إلى ما لا يحل له، والحفظ هو أن لا يكشف عورته ولا يفجر.

وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقيل له: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ فقال صلوات الله عليه وعلى آله ((احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك))، قيل يا رسول الله لو كان أحدنا خاليا؟ قال ((فالله أحق أن يستحيا منه)).

وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن التعري بالليل والنهار.

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه نهى أن ينظر الرجل إلى عورة أخيه المسلم، وقال (من تأمل عورة أخيه المسلم لعنه سبعون ألف ملك)، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((عورة المؤمن على المؤمن حرام))، وعن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه قال: إن العبد إذا بدت عورته أعرض عنه الملك.

وعن رسول الله صَلّى الله عَلَيْه وآله قال: ((إياكم والتعرّي فإن معكم من لا يفارقكم

إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم))، ونهى رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم أن يشتمل الرجل بالثوب الواحد على أحد شقيه، وأن يحتبي بالثوب الواحد ليس على فرجه منه شيء.

قال الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين عليه السلام: إنما نهى رسول اللَّه صَلَّى الله عَلَيْه وَآله وسَلَّم عن الإشتمال بالثوب الواحد على أحد الشقين؛ لأنه إذا فعل ذلك بدا فرجاه، وفخذاه، وإنما تلك لبسة جفاة الأعراب الأردياء، وأهل الدعارة من سكان القرية السفهاء.

فالعجب كل العجب ممن يتساهل بهذا الأمور، فتراه يمشي بين الناس رافعاً ثوبه فوق ركبتيه أو إلى بعض فخذيه، بكل جرأة وبدون حياء، وترى البعض أحياناً وهو على مائدة الطعام وقد كشف عن فخذيه، فهو يأكل من رزق الله ويعصيه جرأة وتمرداً، وترى البعض يغتسل أمام أعين الناس أو يلعب وجزء من فخذيه وركبتيه باد ظاهر، والبعض يجلس في مجلسه أو في متجره أو في الطريق وهو على تلك الحال الساذجة، والبعض قد يتعرى أمام أولاده وبناته بدون خجل ولا مروءة، وكم نذكر من الحالات التي اعتاد البعض من الناس كشف عوراتهم فيها.

والأشد عجباً أنك إذا نهيت أحداً أو نصحته أن يترك ذلك الأمر زاد تعنتاً، وأساء قولاً، واستهزأ ساخراً، والبعض قد يكشف عورته أكثر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المؤمنون: يقول الله تعالى {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ}، فمن الآداب التي يتأدب بها المسلم وينبغي له التحلي بها، أن يلبس أفضل وأحسن ملابسه وزينته عند صلاته، وأن يفرق بين لباسه في الصلاة وغيرها، ولكن العجب أن البعض لا يبالي أي لبس أخذه، ولو أنه أراد الذهاب إلى أحد لزيارته، أو أراد أن يقابل شخصاً، لتحلى بأحسن ما يجد، ولبس أفضل ما عنده، بينما تراه لا يبالي بالثوب الذي يصلي فيه أياً كانت نظافته أو قذارته، وسواء كان ساتراً أو غير ساتر، بل ترى البعض قد يصلي بين ثوب نومه، أو يختار

أردى ثيابه وملابسه للصلاة فيها، وهذا يتنافى مع الآداب الإسلامية.

أيها المؤمنون: هناك بعض الأحوال التي ينبغي للمسلم أن يستتر فيها، من جهة التأدب بآداب الله تعالى، ومن جهة سد الذرائع، فمن تلك الأحوال، إذا أتى الرجل أهله فينبغي لهما الإستتار وترك التعري المفرط، فإن التجرد مما يكره للزوجين، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذا أتى أحدكم أهله فليستترا ولا يتجردا تجرد العيرين)) والعير هو الحمار.

وعن النبي صلى الله عليه أنه نهى أن يجامع الرجل أهله وعنده أحد حتى الصبي في المهد.

لأن ذلك يتنافى مع الإستتار، وفيه مفاسد عظيمة، والبعض من الناس قد يأتي أهله في مكان يتواجد فيه معه بعض أبنائه الذين قد صار لديهم بعض التمييز والإدراك كمن بلغ سن السادسة أو السابعة أو أكثر، مما يسبب في الإنحراف الأخلاقي والسلوكي لدى أولئك الغلمان، وقد يكون من أسباب فساد الفرد والأسرة والمجتمع، ولهذا نرى الكثير من الأولاد لديهم الجرأة وقلة الحياء وسوء الأدب وسوء الأخلاق، بل وقد يكون سبباً في ارتكابهم لبعض العادات السيئة والمعاصي القبيحة الفاحشة، فلا بد أن يكون هناك تعاون بين الزوجين، وبين الفرد والأسرة، وبين الفرد والمجتمع في الحث على الفضيلة، وترك الرذيلة.

ومن الأمور المنهي عنها والمسترذلة وقد تكون من أسباب فساد المجتمعات، أن يأتي الرجل ليتحدث بين الناس ببعض الأمور الخاصة فيما بينه وبين أهله، ولا يبالي عند من يتحدث ولا فيمَ يتحدث، مما يسبب ذلك في تهييج الفساد والرذيلة، كما روى ذلك الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الإمام الهادي إلى الحق عليهم السلام في كتاب المناهي قال:

ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تفاكِهَ المرأةُ بحديث زوجها، (أي تمازح بما يحدث بينهما).

ونهى أن يُحَدِّث الرجلُ الرجلَ بحديث أهله، ونهى أن تحدث المرأة الإمرأة بما تخلو به من زوجها، ونهى أن تقول المرأة غشيني زوجي كذا وكذا مرة، ونهى الرجل عن مثل ذلك، وقال: ((من فعل ذلك فَمَثَلُه كمثل من غشي امرأته بين ظهراني الناس وهم ينظرون إليه)).

والبعض من الناس قد يقضي حاجته في الطريق أو في المكان الذي يراه فيه غيره، وهو من الأمور الشائعة بين الكثير، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقضي الرجل حاجته من الغائط والناس ينظرون، وقال: ((استتروا واستحيوا فإن الستر والحياء من الإيمان)).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد}، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم إنه تعالى جواد كريم، برٌّ رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

حول أضرار الكلام الفاحش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله المجمل المحسن المفضل، المنعم الكريم المنان، نحمده على الإنعام والإحسان، حمداً كثيراً طيباً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد: أيها المؤمنون:

يقول الله تعالى **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ* يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء}**.

فما يتكلم به الإنسان إما أن يكون كلاماً طيباً أصله ثابت متين، يثمر الخير، ويجزل الأجر الكثير، وإما أن يكون خبيثاً لا أصل له ولا قرار، يثمر الشر، ويجلب الضر، ويقول تعالى **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}**، ويقول تعالى **{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}**، ويقول تعالى **{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}**، فالذي يتكلم به الإنسان وينطق به مسجل عليه، ومحاسب به.

ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظنها تبلغ ما بلغت، فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظنها تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه))، فكم من متكلم لا يدرك ضرر كلامه، وكم من لافظ لا يدري ما يترتب على ألفاظه، فقد شاع بين الناس الكثير من الكلمات والعبارات والألفاظ الخطيرة، التي تسبب

في هلاك المرء وخسرانه، بل قد أصبح البعض يعتادها ويكثر التلفظ بها، بل قد نسمعها من الرجال والنساء والكبار والصغار، وهي تدل دلالة واضحة على الإنتعاد الكامل عن الله تعالى، ونذكر بعض النماذج من ذلك:

النموذج الأول: أن يتكلم الرجل أو المرأة بكلام السب الفاحش، واللفظ البذي، كأن يرمي أحداً بالفاحشة، كأن يقول يا زاني، أو يا ابن الزاني، أو يا ابن الزانية، وقد يقول بعض السبابين هذا الكلام عند الغضب لولده أو لأخيه أو لقريبه، وهذا من الكلام الكثير الفاشي بين أكثر الناس.

وهذا الكلام ضرره كبير، وخطأه فادح خطير، أو ليس يعلم المتلفظ بهذا الكلام ما يترتب عليه من المفاسد والمضار؟ التي تفسد على الإنسان دينه وآخرته، فمن مفاسده وأخطاره:

أولاً: أن القائل والمتلفظ بهذا الكلام سباً وشتماً يعدُّ قاذفاً، أي رامياً لمن نطق بذلك الكلام فيه بأنه زانٍ والعياذ بالله، فهو في هذه الحال إما أن يورد البينة العادلة على ما اتهم به، أو يكون من القاذفين، فيدخل تحت عموم آيات الوعيد للقاذفين للمحصنات والمحصنين، كقوله تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**، فقد حكم الله عليه في هذه الآية باللعنة في الدنيا والآخرة، وهي الطرد والإبعاد من رحمة الله، وله في الآخرة عذاب عظيم، دائم مقيم.

ويقول تعالى **{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }**، فقد جعل الله عليه في هذه الآية ثلاث عقوبات، عقوبة بدنية، وهي إقامة الحد عليه بأن يجلد ثمانين جلدة، للفرية والقذف، وعقوبة إجتماعية: بأن لا تقبل له شهادةٌ أبداً في أي قضية وأي حكم، وعقوبة دينية، أنه قد صار من الفاسقين، الذين خرجوا عن نطاق المؤمنين، وليس لهم مكان بين المتقين، بسبب قولهم الفاحشة.

ثانياً: يعظم الأمر، ويتفاقم الخطب في هذه القضية عندما يكون المتلفظ بهذا إما زوج

لزوجته، أو والد أبٌ أو أمٌ لولده، فإن كان الزوج رمى زوجته بهذا، كان عليه البينة، أو تقع بين الزوجين الملاعنة، التي حكاها الله في سورة النور في قوله تعالى {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ * عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ}، ثم يترتب على الملاعنة انفساخ النكاح بينهما مؤبداً، وينفى الولد عنه نسباً وحكماً.

ثالثاً: القاذف والمتكلم بهذا الكلام بذي متهتك، والبذاء مناف للإيمان، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((البذاء من الجفاء، والجفاء في النار))، أي صاحب الجفاء في النار، وأيضاً يناله الوعيد، ويعمه التهديد الشديد، الذي ورد في الأحاديث الصحيحة المتكاثرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، التي تزجر عن هذه القبائح، والألفاظ الشنائع:

فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله على تلٍّ من نار حتى يخرج مما قال فيه)).

وعن سهل بن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من رمى مسلماً بشيء يريد به شينه – أي عيبه –، حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال)).

وعن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من ذكر امرئ بما ليس فيه ليعيبه، حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد)).

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((مَن زنَّى امرأم لم يَرَها تزني جلده الله يوم القيامة بسوط من نار))، ومعنى من زنى: أي أضاف الزنى والفاحشة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((النميمة والشتيمة والحمية في النار، لا يجتمعن في صدر مؤمن)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريئ كان حقاً على الله أن يذيقه يوم القيامة النار، حتى يأتي بنفاد مما قال)).

الأنموذج الثاني: هو التلفظ ببعض الألفاظ الكفرية، أو المخرجة من الملة والدين، التي يتلفظ بها صاحبها ليخرجها مخرج اليمين، أو ليؤكد بها ما تكلم به، والبعض من الناس قد يعتادها في أبسط الأمور وأسهلها، وبعضهم قد لا يقولها إلا عند الغضب، كأن يقول: هو يهودي إن فعل كذا، أو هو خارج من ملة لا يصلي ولا يصوم، ونحوها من الألفاظ الخطيرة، التي تجر الوبال والهلاك على صاحبها في الدنيا والآخرة، وقد تكون سبباً في خروج قائلها من الملة، وهذه قد ورد فيها الوعيد الشديد، والتهديد البليغ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من حلف بغير الله فقد كفر))، وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((كل يمين يحلف بها دون الله شرك))، وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً لم يعد إلى الإسلام سالماً))، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((من حلف بملة غير ملة الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال)).

فالواجب علينا أن نتقي الله في كل حالاتنا، وأن نراقبه في كلامنا، وفي تربية أولادنا فأولادك يقلدونك في أعمالك في حركاتك في تصرفاتك في ألفاظك، أولادك يعبرون عنك، ويعطون نسخة عن معاملاتك وعن آدابك وعن بيتك وعن سيرتك، فاتق الله في نفسك وفي أهلك وولدك.

الثالث عشر:

الخطب المتعلقة بالمواعظ البليغة (حول الدنيا والموت والقيامة)

٧٠- التحذير من الشيطان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المذكور بكل لسان، المشكور على الإحسان، المعبود في كل مكان، مدبر الأمور، ومقدر الدهور، والعالم بما تُجِنُّه البحور، وتُكِنُّه الصدور، ويخفيه الظلام ويبديه النور، ذي المنن التي لا يحصيها العادون، والنعم التي لا يجازيها المجتهدون، أحمده جاهراً بحمده، شاكراً لرفده، حمد موفقٍ لرشده، واثِقٍ بوعده، له الشكرُ الدائمُ، والأمرُ اللازم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الذي لا يدخل في عَدَد، والفردُ الذي لا يقاس بأحد، علا عن المشاكلة والمناسبة، وخلا من الأولاد والصاحبة، شهادةً أعتقدها بإخلاص وإيقان، وأعدُّها طمعاً في الخلاص والأمان.

وأشهد أن محمداً نبيُّه المرسلُ، وشهيدُه المعَدَّلُ، المؤيد بالنور المضي، والمسدَّدُ بالأمر المرضي، بعثه بالأوامر الشافية، والزواجر الناهية، والدلائل الهادية، الذي دعى إلى خير سبيل، وشفى من هيام الغليل، حتى علا الحقُّ وظهر، وزهق الباطلُ وانحسر، صلى الله عليه وآله صلاة دائمة ممهدة، لا تنقضي لها مدة، ولا تنحصر لها عدة.

أما بعد أيها المؤمنون: فإن الله تعالى خلق الإنسان لعبادته، وتكفل برزقه وحاجته، وأعد له على العبادة والطاعة ثواباً عظيماً، وأجراً كريماً، وجعل الدنيا دار تكليف وابتلاء وامتحان، وابتلى الإنسان فيها بأنواع من الإبتلاءات، وضروب من الإمتحانات، **{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}**، وكما قال **تعالى {وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}**، وكما قال تعالى **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}**.

فالله تعالى قد استخلف الإنسان في الأرض، وسخر له كل شيء يعينه ويسهل له طريق الطاعة، وأزاح عنه كل ما يعيقه ويمنعه عن سلوك الطريق المستقيم، ومن أعظم

الإبتلاء والإمتحان للإنسان، هو إنظار الله تعالى وإمهاله للشيطان، وتخليته تعالى بين الشيطان والإنسان، فلم يعصم الإنسان منه، ولم يحل بينه وبين محنته وفتنته للإنسان، زيادة في التكليف والإمتحان.

ولكنه تعالى قد حذر الإنسان من الشيطان أبلغ تحذير، وبيّن له مكر الشيطان وكيده في كثير من الآيات، وذكّر اللهُ الإنسانَ بمواقف عديدة وقصص كثيرة تحذره من الشيطان، وتبين شدةَ عداوتِه لبني آدم، وحرصِه على إضلالهم وإغوائهم، وقد زوّدَ اللهُ بني آدم بدروع واقية، وأسلحة على الشيطان ماضية، ترد عنهم كيده، وتبطل سعيه وكده، إنْ هم أخذوا بها نجحوا في الخلاص من حبائل إبليس وشباكه.

فبقدر ما يحرص الشيطان على هلاك الإنسان، يحرص الله تعالى على نجاته وفلاحه وفوزه.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أشياء كثيرة من أساليب وطرق الشيطان التي يختل من خلالها الإنسان، ويهجم عليه، وكم له من ألوان وفنون في ذلك.

فالشيطان يترقب الفرصة تلو الفرصة، ويتابع الإغواء ولا ييأس من الفشل، بل إن همه وشغله الشاغل، وعمله المتتابع الدؤوب هو إضلال بني آدم وإغواؤهم، كما قال تعالى حاكياً عنه **{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**، وكما قال تعالى **{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}** فالشيطان يترقب الهفوات، ويخوض الغمرات والصعوبات في سبيل إغواء بني آدم، انتقاماً منهم بسبب العداوة التي وقعت بين الشيطان وبين آدم أبي البشرية، كما قال تعالى حاكياً عن الشيطان الرجيم **{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً، قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا، إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً}**.

وقد وجد الشيطان سهولة في إغواء بني آدم، حيث أنه قد تمكن من خدع أبيهم آدم،

فلما تمكن من آدم توقع أن ذريته أسهل منه، كما قال تعالى **{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ}**.

فعداوة الشيطان للإنسان قديمة ودائمة، فقد أضل أمماً، وأغوى القرون الماضية، كما قال تعالى **{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ، وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ}**، وقال تعالى **{وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}**، وقال تعالى **{وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}**، وقال تعالى **{إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}**، فهل بعد بيان الله من بيان؟!، وهل بعد تحذيره وإنذاره من برهان؟! لولا عمى البصائر، واتباع الأهواء.

أيها المؤمنون:

إن الله يدعو إلى الخير والهدى، والصلاح والتقى، والفلاح في الآخرة والأولى، والشيطان يدعو إلى الشر والردى، والفساد والشقاء، والخسران في الآخرة والأولى، فأنت بين خيارين إما أن تجيب داعي الله، أو داعي الشيطان، كما قال تعالى **{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**، ويقول تعالى في إرادته الهدى لنا **{يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}**، وأما إرادة الشيطان فقال تعالى: **{وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً}**، فإذا أجبت دعوة الله كنت من حزب الله **{أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**، وإذا أجبت دعوة الشيطان كنت والعياذ بالله من حزب الشيطان **{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}**.

أيها المؤمنون:

إن الشيطان لا يريد بنا خيراً أبداً، وإنما يزين لنا ويسول ويوسوس أنه في صالحنا، ويوهمنا بالغرور أنه يحرص على صلاحنا، وهو بالعكس من ذلك، إنما يمكر ويحتال ويغر ويخدع حتى

يوقع الإنسان في مصائده، كما قد فعل ذلك مع أبينا آدم وأمنا حواء، كما قال تعالى **{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ، فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ}**، فنجحت خطته الخبيثة فيهما، بسبب أقسامه وأيمانه وحلفه الكاذب.

فهو يمشي في بني آدم بنفس الخداع والمكر، كما قال تعالى **{وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}**، فالشيطان يدخلنا في المعاصي، ويسهل أمرها علينا، ويوهمنا أن لنا فوائد إذا ارتكبنا المعاصي، كما قال تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}**.

فالمعاصي رجس خبيث من أعمال الشيطان، ويريد من خلالها أن يوقع العداوات والبغضاء بين الناس بسبب ارتكابهم لها، وأن يصدهم عن ذكر الله بما يشغلهم به من اللهو واللعب والطرب، وأن يصدهم عن الصلاة بما يؤثرونه من أعمال الدنيا على أوقات الصلوات.

وقد يكون الشيطان مسلطاً على بعض العصاة، عقوبة من الله لهم في الدنيا معجلة، كما قال تعالى **{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}**، وقوله تعالى **{إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ}**، وكما يقول تعالى **{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}**، فمن لم يكن ولياً لله كان ولياً للشيطان إذ لا واسطة بين الأمرين.

وقد جعل الله تعالى قسماً من عباده في حرز وحصن من الشيطان، وهم المؤمنون المخلصون، وقد أظهر الشيطان عجزه عنهم، كما قال تعالى: **{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}** ثم أكد الله تعالى عجز الشيطان عن أولئك، وأنه لن يجعل للشيطان عليهم سبيلاً بقوله تعالى **{قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}**.

وكما أن لله تعالى عباداً يعينون المؤمنين على طاعته، ويحثون عليها، ويسعون إلى إصلاح الناس فيها، فإن للشيطان كذلك أعواناً على الإضلال، وأخواناً على الأذى، كما قال تعالى

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}، وكما يقول تعالى **{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}**، ولكن من كان مع الله فلن يُسْلِمَه الله ولن يخذلَه، وأما أعوان الشيطان فسرعان ما تزول مكائدهم، وينطفئ مكرهم، كما حكى الله تعالى ذلك عن كثير ممن زين لهم الشيطان أعمالهم في مصارعة الحق ومقاومته، وأوهمهم أنهم على شيء وأنهم سيهزمون أولياء الله، فلما حصحص الحق، واقترب الصدق نكص الشيطان على عقبيه، وترك أعوانه وإخوانه، قال الله تعالى **{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**، فأسلمهم ولم ينصرهم، وأوردهم موارد الهلكة ولم يخرجهم، وأخرجهم من الهدى وأدخلهم في الضلال.

وأما في الآخرة فإن الشيطان يهزأ ويسخر من أوليائه ومن أطاعه، ولا يستطيع أن يفعل لهم شيئاً أبداً، كما حكى الله تعالى خطبة الشيطان وكلامه لأوليائه في الآخرة: **{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**، وقد أعد الله تعالى للشيطان وحزبه ناراً خالدين فيها، كما قال تعالى **{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا، ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا، ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا}**.

أيها المؤمنون: فلنترك طريق الشيطان، ولنسلك طريق الرحمن، فإن من كان مع الله كان الله معه، ومن كان مع الشيطان كان الله خاذلَه.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، بسم الله الرحمن الرحيم {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ}، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم شأنه، الواضح برهانه، أحمده على حسن البلاء وتظاهر النَّعماء، وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وربَّنا وربَّ آبآئنا الأولين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلى الله عَلَيه وَآلِه وسلم أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الأخيار الصادقين الأبرار.

أما بعد أيها المؤمنون:

إن الشيطان لعنه الله قد بذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله بالحذر منه واجتنابه، وأبان لنا شدة عداوته في محكم كتابه، فالواجب على العاقل أن يأخذ منه حذره، ويستدفع شره بكل ما قدر عليه، فإنه لا يحصل الفوز بالنعيم، والنجاة من العذاب الأليم إلا لمن سلم من الشيطان الرجيم، ولهذا قيل: من كان يرجو الجنان، ويخاف النيران، فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وقد أرشدنا الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما ينجينا من شره، فقال تعالى: **{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بالله}**، وأخبر تعالى أنه لا سلطان له على أولياء الله، فقال تعالى **{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ}**، وأخبرنا أن كيد الشيطان ضعيفٌ، كما قال تعالى **{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}**، وقد بيّن الله لنا الأمور التي إن عملناها هرب منا الشيطان مذعوراً، وقد جعل الله تعالى الإستعاذة والدعاء وفعل الطاعات من أعظم ما يمنع الشيطان منا، كما قال تعالى **{وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ**

أَن يَحْضُرُونِ}، وكما قال تعالى **{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}**.

فالإستعاذة: هي الالتجاء والفزع إلى الله تعالى، والاعتصام به، في دفع كل شر وضر من الشيطان، وقد أمرنا الله بالإستعاذة في كل أحوالنا، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة في أقول وأعمال تردكيد الشيطان، ويكون الإنسان منه في حرز حريز:

فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قال أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في اليوم عشر مرات وكل الله به ملكاً يذود عنه الشيطان كما تذاد غريبة الإبل)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم عشر مرات في أول النهار أو في أول الليل عصم في ذلك اليوم أو في تلك الليلة من الشيطان الرجيم)).

وعن معاذ قال: استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأغرقا فيه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني لأعلم كلمة لو قالاها لذهب عنهما ذلك وهي قوله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إذا فزع أحدكم من النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لا تضره)).

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الذي يروع في منامه أن يقول: ((قل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)).

وعن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((من قال حين يصلي صلاة الفجر قبل أن يتكلم بشيء : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات أعطي بهن سبعاً: كتب له عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكن له عدل عشر نسمات، وكن له حرزاً من الشيطان، ويحرز من المكروه، ولم يلحقه في ذلك اليوم

ذنب إلا الشرك بالله، ومن قالهن بعد صلاة المغرب كن له مثل ذلك)).

وعن علي عليه السلام قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تفلت القرآن من صدري، فأدناني منه ثم وضع يده على صدري، ثم قال: ((اللهم أذهب الشيطان من صدره ثلاث مرات))، ثم قال: ((إذا خفت ذلك فقل: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ومن همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون إن الله هو السميع العليم، اللهم نور بكتابك بصري وأطلق به لساني، واشرح به صدري ويسر به أمري وأفرج به عن قلبي، واستعمل به جسدي وقوني لذلك فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تعيد ذلك ثلاث مرات فإنه يزجر عنك)).

ومن الأدعية المأثورة: ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق والحرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً)).

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الإشارة بالأصبع المسبحة في الصلاة وفي الدعاء مرضاة للرب، ومقمعة للشيطان، وهي الإخلاص)).

وفي حديث معاذ مرفوعاً: ((فعليك بالصمت فبه تغلب الشيطان)).

وعن علي عليه السلام قيل: يا رسول الله ما الذي يباعد الشيطان منا؟ قال: ((الصوم يسود وجهه، ويكسر ظهره، والحب في الله، والمواظبة على العمل الصالح يقطع دابره، والإستغفار يقطع وتينه)).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

٧١- موعظة بليغة في الموت

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحيي المميت المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، صادق الوعد والوعيد، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو الغفور الودود، له الحمد دائماً لا ينفد ولا يبيد، بل يتضاعف ويزيد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي وهو حي دائم لا يموت، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي عمل لما بعد الموت، وحذره أمته من الغفلة قبل الفوت، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الهداة الميامين.

أما بعد أيها المؤمنون: إن أكبر واعظ وعظنا الله به هو الموت، الذي كتبه الله وقدره على خلقه، فما من مخلوق إلا والموت نازل به، وقاطع لأمله، ولو امتد أجله، وطال عمره، كما قال الله تعالى {كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون}، وتفرد تبارك وتعالى بالديمومة والبقاء، كما قال جل جلاله {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}، فلله الخلود والدوام والبقاء، وهو تعالى المنزه عن الموت والفناء.

فلو جعل الله الخلود لأحد من خلقه لكان ذلك لملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، ولكان أولاهم بذلك خاتم النبيين محمد بن عبد الله الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، الذي خاطبه الله بقوله {إنك ميت وإنهم ميتون}.

فالموت حتم لامحيص عنه، ولازم لا مفر منه، يصل إلينا في كل مكان، في بطون الأودية، أو في رؤوس الجبال، فوق الهواء، أو تحت الماء، لا ينجو منه ملائكة السماء، ولا الجن في الهواء، ولا إنسان ولا حيوان، قال تعالى { أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة}.

فالموت لا ينجو منه ملك ذو أجناد، ولا رئيس له عساكر وقواد، ولا يسلم منه ذو قوة

في بدنه وجسمه، ولا ذو كثرة في أهله وولده وعدده، ولا ذو وفرة في ماله، ولا ذو بسطة وسعة في سلطانه، لو نجا منه أحد لنجت منه الفراعنة الشداد، وقوم ثمود وعاد، ولكنه هجم على القياصرة فأبادهم، وعلى الأكاسرة فأماتهم، وعلى الجبابرة فأزالهم، فالموت لا يخشى من أحد، ولا يُبقي على أحد، يهجم على الشاب الفتي، والفارس القوي، والطفل الرضيع، لا يرحم ولا يداهن أحداً.

أيها المؤمنون: الموت كلمة ترتج لها القلوب، وتقشعر منها الجلود، وتفزع لها الألباب، وتذرف لها العيون دموعها، فالموت على وضوحه وبيانه، وظهور آثاره، سر من أسرار الله، حير العقول، وأذهل الألباب، ترك الفلاسفة مبهوتين، والأطباء مدهوشين، وجميع الناس في أمره متحيرين، فنسيان الموت ضلال مبين، وترك الإستعداد له بلاء وغفلة، فعلا بد أن نزيل الغفلة والران، وأن نعالج منا ذلك النسيان بتذكر الموت واستشعاره، والإعداد له قبل حضوره.

أيها المؤمنون: لا بد أن يجعل الإنسان في ذاكرته، وأن يستشعر في حالاته، تغير الدنيا وتقلب حالاتها، وتنكره وتصرفاتها، وأن يتذكر في نفسه ما لا بد له منه.

فتذكر أيها المسلم الكريم بينما أنت في أهلك وبين أولادك، منعماً سعيداً، في عيش رغيد، وصحة وسرور، تجر ثياب العافية، متمتعاً بقوتك وشبابك، لا يخطر لك الضعف والفتور على بال، ولا تفكر في الموت في تلك الحال، إذ هجم عليك المرض، وجاءك الضعف والوهن بعد القوة، وحلّ منك الهم محل الفرح، وتحول الصفاء إلى الكدر، والفرح إلى الحزن والترح، وأصبحت لا تتأنس بجليس، ولا ترتاح إلى أنيس، قد سئمت أشياء كثيرة كنت ترغب إليها في حال صحتك، وأنت تفكر في عمر قد أفنيته، وشباب قد أفنيته، ومال قد جمعته، وبيت قد بنيته، وولد قد خلفته، وتفكر في الدنيا ولذاتها، وتتألم علة ما يفوتك من شهواتها، قد اجتمعت عليك حسرة الفوت لما قد فاتك من الفرصة، وسكرة الموت التي يصيبك منها الغصة، وأنت تتمنى الشفاء، وتطلب العلاج والدواء، ولكن الداء قد استفحل، والمرض منك قد تمكن، وحار في علاجك الطبيب، ويئس من حياتك القريب، وبدت ملامح الجزع على الحبيب.

{وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}، فتغير لونك، وغارت عيناك، ومالت عنقك وأنفك، وخرس لسانك، وذهب حسنك وجمالك، وأنت بين الأهل الإخوان، والأصحاب والجيران، قد عجزوا عن نفعك، وتحيروا في وضعك، وأنت تقلب فيهم حدقات الفراق، وتنظر إليهم آخر نظرات الوداع والإفتراق، وتؤذنهم بالوداع، وهم يعينون ما أنت فيه من كرب وشدة، ولكنهم عن نفعك عاجزون، وعن دفع ذلك عنك لا يستطيعون {فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون}، وأخذت عند ذلك تعالج السكرات، وتتابع الزفرات، حتى إذا انتزعت الروح، وفاضت النفس، صرت بين أهلك جثة هامدة، وجيفة بين أظهرهم ساكنة، فسارعوا في جهازك، خوفاً من تغيرك واختلال أعضاءك، وتباعدوا من قربك، واستوحشوا من جانبك، فعجلوا التغسيل والصلاة والدفن، واشتغلوا بعدها بقسمة المال، وأنت تعاني من شدة الحال، ورثتك وأهلك يقولون، ماذا خلف؟ والملائكة تقول: ماذا قدم وعمل؟!

فبادروا رحمني الله وإياكم بالأهبة والإستعداد، وحسن التهيؤ وإعداد الزاد، فإن الدنيا تغر وتضر، نعيمها إلى زوال، ومقيمها إلى انتقال، وحلاوتها مرارة، وراحتها إلى تعب وخسارة، عزيزها يذل، وكثيرها يقل، وراحتها عناء، وسعادتها شقاء، لا تدوم على حال، ولا يطمئن لأهلها بال.

كم وعظتنا فلم نتعظ، وزجرتنا فلم ننزجر، ونصحتنا فلم ننتصح، ووحذرتنا فلم نحذر، فالسعيد من وعظ، والشقي من ترك، وفقني الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه.

بسم الله الرحمن الرحيم { وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ، وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم إنه نعالى كريم بر رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء، وقهر عباده بالموت والفناء، حمداً لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد أيها المؤمنون:

إن لنا في أهل البيت المطهرين، والأئمة الهادين، أسوة حسنة، وقدوة طيبة مستحسنة، فقد كانوا يذكرون الموت على الدوام، حتى أقض مضاجعهم، وكدر معائشهم، وحثهم على الجد والإجتهاد في طاعة ربهم، فلنستمع إلى موعظة بليغة، وعبرة نافعة، فقد روي عن الإمام زين العابدين، وسيد الساجدين، علي بن الحسين سيد العابدين أنه كان يحتسب نفسه ويناجي ربه ويقول:

يا نفسُ حتى متى إلى الدنيا غرورُكِ، وإلى عمارتِها ركونُكِ، أما اعتبَرْتِ بمن مضى من أسلافِكِ، ومَن وارتْهُ الأرض من آلَافِكِ، ومن فُجعتِ به من إخوانِكِ، ونُقِلَ إلى البِلى من أقرانِكِ.

فَهُمْ في بُطونِ الأرضِ بعد ظُهُورِهَا مَحَاسِنُهُم فِيها بَوَالٍ دَوَاثِرُ

خَلَت دُورُهُمْ منهم وأَقْوَتْ عِرَاصُهُم وسَاقَتْهُمُ نحو المنايا المَقَادِرُ

وَخُلُّوا عَن الدُّنيا وما جَمَعُوا لَهَا وضَمَّتْهُمُ تحت التُّرابِ الحَفَائِرُ

كم تخرمَتْ أيدي المنُونِ، من قُرُونٍ بعد قُرُونٍ، وَكَمْ غَيَّرَت الأرضُ بِبَلَائِهَا، وغَيَّبتْ في تُرَابِهَا، مِمَّنْ عَاشَرْتَ مِن صُنُوفِ الناسِ، وشَيَّعْتَهُم إلى الأَرمَاسِ.

وأنت على الدنيا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ لِخُطَّابِها فِيها حَرِيصٌ مُكّاثِرُ

على خَطَرٍ تُمسي وتُصبحُ لَاهِيَاً أتدري بماذا لو عَقَلْتَ تُخَاطِرُ

وإِنَّ امرأ يَسعَى لِدُنْيَاهُ دَائِبَاً ... ويَذْهَلُ عن أُخرَاه لَا شَكَّ خَاسِرُ

فَحَتَّامَ على الدنيا إقبالُكَ، وبشهواتِهَا اشتغَالُكَ، وقد وخَطَكَ القَتِيرُ، وأَتَاكَ النَّذِيرُ، وأنت عَمَّا يُرَادُ بك سَاهٍ، وبِلَذَّةِ نَومِكَ لَاهٍ.

وفي ذِكرِ هولِ الموتِ والقبرِ والبِلَا ... عن اللهوِ واللذَّاتِ للمرءِ زَاجِرُ

أبعدَ اقتِرَابِ الأربعينَ تَربُّصٌ ... وشَيبُ قُذَالٍ مُنْذِرُ لَكَ كَاسِرُ

كَأَنَّكَ تُعْنَى بالذي هُو صَائِرٌ ... لنفسِكَ عَمدَاً أو عن الرُّشْدِ حَائِرُ

انظرْ إلى الأممِ الماضيةِ، والملوكِ الفانيةِ، كيف أَفْنَتْهُمُ الأيَّام، وأفناهُمُ الحِمَامُ، فانمحَتْ من الدنيا آثارُهُم، وبَقِيت فيها أخبارُهُم، وأَضْحَوْا رِمَمَاً في التُّرَابِ، إلى يوم الحشرِ والمآبِ.

وأَضْحَوْا رَمِيمَاً في التُّرَابِ وَعُطِّلَتْ ... مَجَالِسُ مِنْهم أَقْفَرَتْ ومَقَاصِرُ

وَحَلُّوا بِدَارٍ لَا تَزَاوُرُ بينَهُم ... وأَنَّى لِسُكَّانِ القبورِ التَّزَاوُرُ

فَمَا إِنْ تَرَى إلا قُبُوراً ثَوَوْا بِهَا ... مُسَطَّحَةً تَسفِي عليهَا الأَعَاصِرُ

كم ذي مَنَعَةٍ وَسُلطَانٍ، وجُنُودٍ وأَعوانٍ، تَمَكَّنَ مِن دُنيَاهُ، ونَالَ فِيهَا مَا تَمَنَّاهُ، وبَنَى القُصُورَ والدَّسَاكِرَ، وجَمَعَ الأَعلَاقَ والأموالَ والذَّخَائِرَ، ومِلَحَ السراري والحرائرَ.

فمَا صَرَفَتْ كَفَّ المَنِيَّةِ إذ أَتَتْ ... مُبادِرَةً تهوي عَليه الذَّخَائِرُ

ولا دَفَعَتْ عنه الحصونُ التي بَنَى ... وَحَفَّ بِهَا أَنهَارُهُ والدَّسَاكِرُ

وَلا قَارَعَتْ عَنْهُ المَنِيَّةَ خَيْلُهُ ... وَلَا طَمِعَت في الذَّبِّ عنه العَسَاكِرُ

أَتَاهُ مِنَ اللهِ ما لَا يَرَدُّ، ونَزَلَ به من قضَائِهِ ما لَا يُصَدُّ، فتعالى اللهُ الملِكُ الجَبَّارُ، المتكبرُ القهارُ، قاصِمُ الجبَّارِينَ، ومُبيرُ المَتَكبِّرِينَ، الذي ذل لعزِّهِ كلُّ سلطان، وأباد بقوته كلَّ دَيّان.

مَلِيكٌ عزيزٌ لا يُرَدُّ قَضَاؤُهُ ... حَكِيمٌ عَلِيمٌ نَافِذُ الأمرِ قَاهِرُ

عَنَى كُلُّ ذِي عِزٍّ لِعِزَّةِ وجهِهِ ... فكُلُّ عَزِيزٍ للمهيمِنِ صَاغِرُ

لَقَد خضَعَتْ واستَسْلَمَتْ وتَضَاءَلَتْ ... لِعِزَّةِ ذِي العرشِ الملُوكُ الجَبَابِرُ

فَالبِدَارَ البِدَارَ، والحِذَارَ الحِذَارَ، من الدنيا ومَكَائِدِهَا، ومَا نَصبَتْ لَكَ مِنْ مَصَائِدِهَا، وتَحَلَّتْ لَكَ من زِيْنَتِهَا، وأَظْهَرَت لك من بَهْجَتِهَا، وأبرزَتْ لك من شهواتها، وأخفت عنك من قَوَاتِلِهَا وهَلَكَاتِهَا.

وفي دُونِ ما عَاينْتَ مِنْ فَجعَاتِهَا إلى رَفضِهَا دَاعٍ وبالزُّهدِ آمِرُ
فَجُدَّ ولَا تَغْفَلْ فَعيشُكَ زَائِلٌ وأنت إلى دَارِ الإِقَامَةِ صَائِرُ
ولا تَطْلُبِ الدُّنيا فَإِنَّ طِلَابَهَا وإن نِلتَ منها غُبَّةً لكَ ضَائِرُ

وهلْ يَحرِصُ عليها لَبِيبٌ، أو يُسَرَّ بِها أَرِيبٌ، وهو على ثِقَةٍ من فَنَائِهَا، وغَيرُ طامِعٍ في بَقَائِهَا، أم كيف تَنَامُ عينَا من يخشى البَيَاتَ، وتَسكُنُ نفسُ من يَتَوَقَّعُ المَمَاتَ.

أَلَا لَا وَلَكِنَّا نَغُرُّ نُفُوسَنَا وتَشغَلُنَا اللذَّاتُ عَمَّا نُحَاذِرُ
وكيفَ يَلَذُّ العيشَ مَنْ هُو مُوقِنٌ بِمَوقِفِ عَدْلٍ يومَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
كَأَنَّا نَرى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنَّنَا سُدَىً مَا لنا بعد المَمَاتِ مَصَائِرُ

وما عسى أن ينالَ صاحِبُ الدنيا من لَذَّتِهَا، ويتمتعُ به من بَهجتِهَا، مع صنُوفِ عجائبِها، وقوارعِ غجائِعِها، وكثرةِ تعبهِ في مُصَابِهَا وطلبِهَا، وما يكابد من أسقامِهَا وأوصَابِهَا وآلامِهَا.

وما قَدْ نَرَى في كُلِّ يومٍ ولَيلةٍ يروحُ علينا صَرفُهَا ويُبَاكِرُ
تَعَاوَرُنَا آفَاتُهَا وهُمُومُهَا وكَمْ قَدْ نَرى يبقَى لَهَا المُتَعَاوِرُ
فَلَا هُو مغبوطٌ بدنيَاهُ آَمِنٌ ولا هُو عن تِطْلَابِهَا النَّفْسَ قَاصِرُ

كم قد غَرَّت الدنيا من مُخْلِدٍ إليها، وصرعَتْ من مُكِبٍّ عليها، فلم تَنْعَشْهُ من غِرَّتِهِ، ولم تُقِمْهُ من صَرْعَتِهِ، ولم تَشْفِهِ من أَلَمِهِ، ولم تُبْرِهِ من سَقَمِهِ، ولم تُخَلِّصْهُ من وَصَمِهِ.

بَلَى أَوردَتْهُ بَعد عِزٍّ ومَنْعَةٍ مواردَ سُوءٍ ما لَهُنَّ مَصَادِرُ
فلَمَّا رأى أَنْ لَا نَجَاةَ وأَنَّهُ هو الموتُ لا يُنجِيهِ منهُ التَّحَاذُرُ

تَندَّمَ إذْ لَمْ تُغْنِ عَنهُ نَدَامَةٌ   عليهِ وأَبكتْهُ الذُّنُوبُ الكَبَائِرُ

بَكَى على ما سلفَ من خطايَاهُ، وتَحَسَّرَ على ما خَلَّفَ مِنْ دُنيَاهُ، حِين لَا ينفَعُهُ الإستعْبَارُ، ولَا يُنْجِيهِ الإعتِذَارُ، عَندَ هولِ المنِيَّةِ، ونُزُولِ البَلِيَّةِ.

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وهُمُومُهُ   وأَبْلَسَ لَمَّا أَعجَزَتْهُ المَعَاذِرُ

فَليسَ له مِنْ كُرْبَةِ الموتِ فَارِجٌ   ولَيسَ له مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرُ

وَقَدْ جَشَأَتْ خَوفَ المَنِيَّةِ نَفْسُهُ   تُرَدِّدُهَا منهُ اللَّهَا والحَنَاجِرُ

هُنالِكَ خَفَّ عنه عُوَّادُهُ، وأَسلَمَهُ أهلُهُ وأولادُهُ، فارتفعَتْ الرَّنَّةُ بالعَوِيلِ، وأَيِسُوا مِنْ بُرْءِ العَلِيلِ، فَغَمَّضُوا بِأيدِيهِمْ عَيْنَيْهِ، وَمَدُّوا عِندَ خُرُوجِ نَفْسِهِ رِجْلَيْهِ، وتخلّى عنه الصديقُ، والصاحبُ الشَّفِيقُ.

فكَمْ مُوجّعٍ يَبكِي عَليه مُفَجَّعٌ   ومُسْتَنْجِدٍ صَبْرَاً ومَا هُوَ صَابِرُ

وَمُسْتَرْجِعٍ دَاعٍ له اللهَ مُخْلِصَاً   يُعَدِّدُ منه خَيرَ مَا هُوَ ذَاكِرُ

وَكَمْ شَامِتٍ مُسْتَبْشِرٍ بِوَفَاتِهِ   وعَمَّا قَلِيلٍ كَالَّذِي صَارَ صَائِرُ

فَشَقَّ جُيُوبَهَا نِسَاؤُهُ، ولَطَمَ خُدُودَهَا إِمَاؤُهُ، وأَعْوَلَ لِفَقْدِهِ جِيرانُهُ، وتَوَجَّعَ لِرُزْئِهِ إِخْوَانُهُ، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى جَهَازِهِ، وشَمَّرُوا لِإِبْرَازِهِ، كأنه لم يكن بينهم العزيزُ المفَدَّى، ولا الحبيبُ المبَدَّى.

وَظَلَّ أَحَبُّ القومِ كَانَ لِقُرْبِهِ   يَحُثُّ على تَجْهِيزِهِ وَيُبَادِرُ

وَشَمَّرَ مَنْ قَدْ أَحْضَرُوهُ لِغَسْلِهِ   وَوُجِّهَ لَمَّا قَامَ للقَبْرِ حَافِرُ

وَكُفِّنَ في ثَوبَينِ واجْتَمَعَتْ لَهُ   مُشَيِّعَةً إِخْوَانُهُ والعَشَائِرُ

فَلَوْ رَأَيتَ الأصغَرَ مِن أولادِهِ، وقَدْ غَلَبَ الحُزنُ على فُؤَادِهِ، وغُشِيَ مِنَ الجَزَعِ عَلَيْهِ، وخَضَّبَتْ الدُّمُوعُ خَدَّيهِ، وهُو يَنْدُبُ أَبَاهُ، ويَقُولُ يا وَيْلَاهُ.

لَعَايَنْتَ مِن قُبْحِ المَنِيَّةِ مَنْظَرَاً   يَهَالُ لِمَرْآهُ وَيَرْتَاعُ نَاظِرُ

أَكَابِرُ أَولادٍ يَهِيجُ اكتِئَابُهُمْ   إِذَا مَا تَنَاسَاهُ البَنُونَ الأَصَاغِرُ

وَرَنَّةُ نِسوانٍ عليه جَوَازِعٍ مَدَامِعُهُنْ فوقَ الخُدُودِ غَوَازِرُ

ثُمَّ أُخْرِجَ مِن سَعَةِ قَصْرِهِ، إلى ضِيقِ قَبْرِهِ، فَلَمَّا استقَرَّ في اللحْدِ، وبُنِيَ عليه اللبنُ، احتوشته أعماله، وأحاطت به خطاياه، وضاق ذرعاً بما رآه، ثُمَّ حَثَوا بِأيدِيهِمُ التُّرَابَ، وَأَكثَرُوا البكاءَ عَليهِ والإنتِحَابَ، وَوَقَفُوا سَاعَةً عَليهِ، وأَيِسُوا من النَّظَرِ إِليهِ، وتَرَكُوهُ رهناً بما كَسَبَ وطَلَبَ.

فَوَلَّوْا عليه مُعَوِّلِينَ وَكُلُّهُمْ لِمِثْلِ الذِي لَاقَى أخوهُ مُحَاذِرُ

كَشَاءٍ رِتَاعٍ آَمِنَاتٍ بَدَا لَهَا بِمُدْيَتِهِ بَادِي الذِّرَاعَينِ حَاسِرُ

فَرِيعَتْ وَلَم تَرْتَعْ قَلِيلاً وَأَجْفَلَتْ فَلَمَّا نَأَى عَنهَا الذي هُو جَازِرُ

عَادَتْ إلى مَرْعَاهَا، ونَسِيَتْ مَا في أُخْتِهَا دَهَاهَا، أَفَبِأَفْعَالِ البَهَائِمِ اقتَدَيْنَا، أَمْ عَلَى عَادَتِهَا جَرَيْنَا، عُدْ إلى ذِكرِ المَنْقُولِ إلى دَارِ البِلَى، واعتبر بموضعه تحت الثَّرَى، المدفوعِ إلى هَولِ مَا تَرَى.

ثَوَى مُفْرَدَاً في لَحْدِهِ وتَوَزَّعَتْ مَوَارِيثَهُ أَرْحَامُهُ والأَوَاصِرُ

وَأَحْنُوا على أَمْوَالِهِ يَقْسِمُونَهَا فَلَا حَامِدٌ منهم عَلَيهَا وَشَاكِرُ

فَيَا عَامِرَ الدُّنيَا ويَا سَاعِيَاً لَهَا ويَا آمِنَاً مِنْ أَنْ تَدُورَ الدَّوَائِرُ

كيفَ أَمِنْتَ هذِهِ الحَالَة، وأَنْتَ صَائِرٌ إليهَا لَا مَحَالَة؟!، أم كيفَ ضَيَّعْتَ حَيَاتَكَ، وهي مطيتُكَ إلى مَمَاتِكَ؟!، أم كيف تُسيغُ طعَامَكَ، وأَنْتَ مُنْتَظِرٌ حِمَامَكَ؟! أم كيف تهنأُ بالشهوات، وهي مطية الآفاتِ؟!.

وَلَم تَتَزَوَّدْ للرحِيلِ وقَدْ دَنَا وأنتَ على حَالٍ وَشِيكَاً مُسَافِرُ

فَيَا لَهْفَ نَفْسِي كَمْ أُسَوِّفُ تَوبَتِي وَعُمْرِيَ فَانٍ والرَّدَى لِيَ نَاظِرُ

وَكُلُّ الذِي أَسْلَفْتُ في الصُّحْفِ يُجَازِي عَلَيهِ عَادِلُ الحُكْمِ قَادِرُ

فَكَمْ تَرْقَعُ بِآخرَتِكَ دُنْيَاكَ، وَتَرْكَبُ فِي ذَلِكَ هَوَاكَ، أَرَاكَ ضَعِيفَ اليَقِينِ، يَا مُؤثِرَ الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ، أَبِهَذَا أَمَرَكَ الرَّحْمَنُ، أَمْ عَلَى هَذَا نَزَلَ القُرْآنُ، أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب، وشر المآب؟ أما تذكر حال من جمع وثمّرَ، ورفع البناء وزخرف وعمّرَ، أما صار

جمعهم بوراً، ومساكنهم قبوراً.

تُخَرِّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيَاً فَلَا ذَاكَ مَوفُورٌ ولَا ذَاكَ عَامِرُ

وَهَل لَكَ إِنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِب خَيْرَاً لَدَى اللهِ عَاذِرُ

أَتَرْضَى بِأَنْ تَفْنَى الحياةُ وتَنْقَضِي وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمَالُكَ وَافِرُ

فبك يا إلهنا نستجير، يا عليم يا خبير، من نؤمل لفكاك رقابنا غيرك، ومن نرجو لغفران ذنوبنا سواك، وأنت المتفضل المنان، القائم الديان، العائد علينا بالإحسان، بعد الإساءة منا والعصيان، يا ذا العزة والسلطان، والقوة والبرهان، أجرنا من عذابك الأليم، واجعلنا من سكان دار النعيم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

فهذه هي المواعظ البليغة التي تؤثر في النفوس، وتسيل المدامع وتطأطأ الرؤوس، فعلينا بالإتعاظ، واليقظة من الغفلة أيها الأحباب.

٧٢- حول الدنيا وحالات الحشر وحقيقة الإسلام

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله أهلِ الحمدِ ووليِّه، ومنتهى الحمدِ ومحلِّه، المبدئِ البديع، الأجلِّ الأعظمِ السميعِ، الأعزِّ الأكرم، المتوحدِ بالكبرياءِ، والمتفردِ بالآلاءِ، القاهرِ بعزِّه، والمتسلط بقهرِهِ، الممتنعِ بقوَّتِهِ، المهيمنِ بقدرتِه، والمتعالي فوق كلِّ شيءٍ بجبروتِهِ، المحمودِ بامتنانِهِ، المتفضلِ بعطائه وإحسانِهِ، وجزيلِ فوائدِه، الموسِعِ برزقه، المسبغِ بنعمتِهِ، نحمدُه على آلائِهِ، وتظاهرِ نعمائِهِ، حمداً يزِنُ عظمَةَ جلالِهِ، ويملأُ قدرَ آلائِهِ وكبريائِهِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي كان في أوليته متقادِماً، وفي ديموميته مُتسيطِرَاً، خضعَ الخلائقُ لوحدانيَّتِهِ وربوبيَّتِهِ، وقديمِ أزليَّتِهِ، ودانوا لدوام أبديَّتِه.

وأشهد أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله عبدُه ورسولُه، وخيرتُه من خلقه، اختاره بعلمه، واصطفاه لوحيه، وائتمنه على سره، وارتضاه لخلقه، وانتدبه لعظيم أمرِهِ ولضياءِ معالِمِ دينِه، ومناهجِ سبيله، ومفتاحِ وحيِهِ، وسبباً لباب رحمته، فَبَلَّغَ رسالتَه، وجاهدَ في سبيله، وعبده حتى أتاه اليقينُ، صلى الله عليه وعلى آله، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المؤمنون:

أوصيكم وأوصي نفسي بتقوى الله، واغتنام ما استطعتم عملاً به من طاعته في هذه الأيام الخالية، والرفض لهذه الدنيا التاركةِ لكم، وإن لم تكونوا تحبون تركها، والمبليَةِ لكم وإن كنتم تحبون تجديدَها، فإنما مَثَلُكم ومَثَلُها كركب سلكوا سبيلاً، فكأنْ قد قطعوه، وأفضوا إلى عَلَم، فكأن قد بلغوه، وكم عسى الْمُجرَى إلى الغاية أن يجريَ إليها حتى يبلغها، وكم عسى أن يكون بقاءُ من له يومٌ لا يعْدُوهُ، وطالبٌ حثيثٌ في الدنيا يَحْدُوه حتى يفارِقَها، فلا تتنافسوا في عزِّ الدنيا وفخرها، ولا تُعجَبُوا بزينتها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرَّائِها وبؤسها، فإنَّ عزَّ الدنيا وفخرَها إلى انقطاع، وإنَّ زينتها ونعيمها إلى زوال،

وإنَّ ضُرَّها وبؤسَها إلى نفاد، وكلُّ مدة منها إلى منتهى، وكلُّ حيٍّ منها إلى فناء وبلاء، أَوَ ليس لكم في آثار الأولين مزدجرٌ، وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبرٌ إن كنتم تعقلون.

ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقين منكم لا يَبْقَوْنَ، قال الله تبارك وتعالى: {وحرامٌ على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون}، وقال تعالى: {كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور}، أَوَ لستُم ترون إلى أهل الدنيا وهم يُصبحون ويمسون على أحوالٍ شتَّى:

فميتٌ يَبْلَى، وآخرُ يُعَزَّى، وصريعٌ يَتَلَوَّى، وعائدٌ ومَعُودٌ، وآخرُ بنفسه يجودُ، وآخرُ يُبَشَّرُ ويُهَنَّأ، وطالبُ الدنيا والموت يطلبُهُ، وغافلٌ وليس بمغفول عنه، وعلى أثرِ الماضينَ يمضي الباقون، والحمد لله رب العالمين، رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع ورب العرش العظيم، الذي يبقى ويفنى ما سواه، وإليه يؤولُ الخلقُ ويرجعُ الأمرُ.

أيها المؤمنون: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ فِي الْآذَانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِهَاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لَافِظاً، وَبَصَراً لَاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً، حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وَخَبَطَ سَادِراً، مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ، ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً، لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً، دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ، فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ، فَظَلَّ سَادِراً، وَبَاتَ سَاهِراً، فِي غَمَرَاتِ الْآلَامِ، وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً، وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ، وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وَجَذْبَةٍ

مُكْرِبَةٍ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ، ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ، رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ الْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً، لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ الإِمْتِحَانِ، وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ، لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلَا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ، إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ: أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسُلِّمُوا فَنَسُوا، أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَمُنِحُوا جَمِيلاً، وَحُذِّرُوا أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسِيماً، احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ، أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ، أَمْ لَا؟ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ؟ أَمْ بِمَا ذَا تَغْتَرُّونَ؟ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ، الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةِ الْإِرْشَادِ، وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ، وَبَاحَةِ الإِحْتِشَادِ، وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ، وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وَإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ.

غفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، إن أحسن الحديث وأبلغ المواعظ، وأنفع التذكر كتاب الله جل وعز، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو الفتاح العليم، **بسم الله الرحمن الرحيم،** **{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ}**، أستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله نحمدُهُ ونستعينُه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، حمداً يكون أرضى الحمد له، وأتم الحمد لديه.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، فرداً صمداً، ليس له ند ولا شبيه.

ونشهد أن محمداً عبدُه المصطفى، ورسولُه المجتبى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الهداة لدينه.

أما بعد: أيها المؤمنون:

أوصيكم وأوصي نفسي بتقوى الله الذي ابتدأ الأمور بعلمه، وإليه يصيرُ غداً معادُها، وبيدِه فناؤها وفناؤكم، وتَصَرُّمُ أيامِكم، وفناءُ آجالكم، وانقطاعُ مُدَّتِكم، فكأنْ قد زالت عن قليل عنا وعنكم كما زالت عمن كان قبلكم، فاجعلوا - عبادَ الله - اجتهادَكم في هذه الدنيا، التزوَّدَ من يومها القصيرِ ليومِ الآخرةِ الطويل، فإنها دارُ عملٍ، والآخرةَ دارُ القرارِ والجزاء، فتجافَوا عنها، فإنَّ المغترَّ مَن اغترَّ بها، لن تعدوَ الدنيا إذا تناهت إليها أمنيةَ أهلِ الرغبةِ فيها، المحبين لها، المطمئنين إليها، المفتونين بها، أن تكون كما قال الله عز وجل: {كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام} الآية، مع أنه لم يُصِبْ امرؤٌ منكم في هذه الدنيا حَبْرَةً، إلا أورثته عبرة، ولا يصبح فيها في جناحِ أَمْنٍ إلا وهو يخافُ فيها نزولَ جائحة، أو تغيُّرَ نعمةٍ، أو زوالَ عافية، مع أن الموت من وراء ذلك، وهولَ المطَّلَعِ والوقوفَ بين يدي الحكم العدلِ، يوم تُجزى كلُّ نفس بما عملت، {ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى}، فاتقوا اللهَ عزَّ ذكرُه، وسارعوا إلى رضوان الله، والعمل بطاعته والتقرب اليه بكل ما فيه الرضا، فإنه قريب مجيب، جعلنا الله وإياكم ممن يعمل بِمَحَابِّه، ويجتنبُ سخطَه.

أيها المؤمنون:

قد جعل الله تعالى يوم القيامة مرجعاً وفصلاً، ووقتاً للقضاء بين الناس حكماً وعدلاً، وهو اليوم الذي يحشر فيه الخلق إلى ربهم، فهم في حشرهم على صفات مختلفة، وحالات متفاوتة، كما قال تعالى {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً}، فقد روي عن معاذ أنه قال: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً}، فقال يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر، ثم أرسل عينيه، ثم قال: تحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله تعالى من المسلمين، وبَدَّل صورهم:

فبعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون، أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عمي، وبعضهم صم بكم، وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم ملبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس. وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، وأما المنكسون على رؤوسهم فأكلة الربا. والعمي الجائرون في الحكم. والصم والبكم المعجبون بأعمالهم. والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالفت أعمالهم أقوالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان. والذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم، والذين يلبسون جبابا سابغة من قطران، فأهل التجبر والخيلاء.

ومن الصور والحالات التي يحشر عليها بعض أهل الذنوب والمعاصي، الحالات التالية:

الذي لا يعدل بين الزوجات: مَنْ كَانَت لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَال إِلَى إِحْدَاهما جَاءَ يَوْم الْقِيَامَة وشِقُّه مائل.

يُحشرُ المتكبرون يوم القيامة أمثالَ الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان

يُحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه، ومن مسامعه، وأنفه، وعينه، كل من رآه يعرفه أنه آكل مال اليتيم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ومن تعلم القرآن ثم نسيه متعمداً لقي الله تعالى يوم القيامة مجذوماً مغلولاً، ويسلط عليه بكل آية حية موكلة به، ومن تعلم فلم يعمل به وآثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله عزوجل، وكان في الدرك الأسفل مع اليهود والنصارى، ومن قرأ القرآن يريد به السمعة والرياء بين الناس لقي الله عزوجل يوم القيامة ووجهه مظلم ليس عليه لحم، وزخ القرآن في قفاه حتى يدخله النار، ويهوى فيها مع من يهوى، ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى، فيقول)) :قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا؟ ((فيقال)) :كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ((فيؤمر به إلى النار، ومن تعلم القرآن يريد به رياءً وسمعة ليماري به السفهاء أو يباهي به العلماء أو يطلب به الدنيا بدد عزوجل عظامه يوم القيامة، ولم يكن في النار أشد عذاباً منه، وليس نوع من أنواع العذاب إلاّ يعذب به من شدة غضب الله وسخطه.

وأما من يؤذي المؤمنين: فإنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصدود لأوليائي، فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم إلى جهنم.

ومن بغى على فقير أو تطاول عليه أو استحقره، حشره الله يوم القيامة مثل الذرة في صورة رجل حتى يدخل النار.

ومن غشّ مسلماً في شراء أو بيع فليس منّا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود لأنّهم أغشّ الخلق للمسلمين.

فانظر أيها المسلم هل يعجبك أن تحشر على شيء من هذه الهيئات والحالات، وإلا فارجع وتب وتخلص قبل فوات الأوان.

فالأمر جد وهو غير مزاح   فاعمل لنفسك صالحاً يا صاحِ

٧٣- موعظة عظيمة حول الموت

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيمِ شانُه، الواضحِ برهانُه، أحمده على حُسن البَلَاء، وتَظَاهُرِ النَّعماء، وأستعينه على ما آتانا من الدنيا والأخرى، وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، إلهاً واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يشركْ في حكمه أحداً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ارتضاه لنفسه، وانتجبه لدينه، واصطفاه على جميع خلقه لتبليغ الرسالة بالحجة على عباده، فصلى الله عليه وعلى أهل بيته الأخيار.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن الدنيا دارُ غرور، لا يدوم فيها سرور، ولا يُؤمنُ فيها محذور، جديدُها يبلى، وخيرُها يفنى، من وَثِقَ بها خدعته، ومن اطمأن إليها صرعته، ومن أكرمها أهانته، أفراحها تُعقبُ أحزاناً، ولَذَّاتُها تُورثُ أشجاناً، أعمارُها قصيرة، ورحاها مُديرة، وسهامُها قاصدة، وحتُوفُها راصدة، والمغرور من اغتر بها، والمخدوع من ركن إليها، من زهد فيها كُفِيَها، ومن رغب عنها وطِيَها، قد غرت القرون الماضية، وهي على الباقينَ آتية، فيا بؤساً للباقين، لا يعتبرون بالماضين، يجمعون للوارثين، ويقيمون في محلة المتجبرين.

فلنحذرْ خترَ الدنيا ومكرَها، وخدعَها وغدرَها، فإنها مُتَبَرِّجَةٌ لطلابِها، فلحذرها ولا نكن لها قتيلاً، ولنلتمس إلى النجاة منها سبيلاً، ولنعلم أنها مُرحِّلةٌ سكانَها، خائنة إخوانَها، قاتلةٌ أخدانَها، وأنَّ متاعَها قليلٌ، وخطبَها جليلٌ، ونعيمَها زائلٌ، وخيرَها مائلٌ.

فلنتيقظْ من نومة الغافلين، ولنَتَنَبَّهْ من وَسْنَة الجاهلين، ولننظرْ إلى مصارع المغترين،

ومضاجع المستكبرين، أليس ديارهم خالية، وأجسادهم بالية، ومساكنهم مُقفرة، وعظامهم نخرة، وعروقهم بالية، وأيامهم فانية.

أيها المؤمنون: لكل شيء أصل وفرع، وأصل الطاعات ذكر الموت، والطاعات فروعها، وأصل المعاصي نسيان الموت، والمعاصي فروعها، فذكر الموت ونسيانه أصلان عظيمان، فمن ذكر الموت وعمل له مضى إلى الجنة، ومن نسي الموت وغفل عن العمل مضى إلى النار.

أيها المغرور بدنياه، المتبع لهواه، إلى متى تقرع أذنك المواعظ والعبر، وتصك سمعك الزواجر والنذر، بأهوال القيامة وأفزاعها، وأحوال القبور وأوضاعها، وأنت في رقدة الغفلة غافل، وفي سكرة الجهلة جاهل، أفلا تنتبه، الويل كل الويل لمن لا ينتبه إلاَّ بالنفخة في الصور، وإزعاج من في القبور، وحشر الخلائق ليوم النشور، لما وعد من إنجاز الجزاء، وفصل القضاء.

عجباً لابن آدم يتقي من البرد بالدفئ، ومن الشمس إلى الظل والفيء، شفقةً على نفسه، ولا يشفق عليها، وهو يعرضها لنار جهنم كل يوم بمعصية اللّه تعالى.

أيها المؤمنون: من استكثر من ذكر الموت أكرمه الله بتخفيف التكلف فيما ليس له، واستحقار زهرة الحياة الدنيا، وأوتي تعجيل التوبة، ونشاط العبادة، وقناعة النفس، فإن كان في رغد من العيش ضيقه عليه، وإن كان في ضيق من العيش وسعه عليه، ومن غفل عن الموت سوَّف التوبة، وتباطأ في العبادة، وترك الرضى بالكفاف.

فحتى متى وإلى متى؟! دوام الغفلة والحيرة والعمى! ألسنا بربنا مؤمنين ؟ وبيوم البعث موقنين ؟ فمالنا يا من أمر الله معرضين؟! ولانتقام الله بالخلاف عليه في أمره متعرضين؟ من بعد الإيمان واليقين، والعلم بشرائع الدين.

فرحم الله من عباده عبداً، أيقن أن له إلى الله معاداً، فجدّ وشمّر في طلب نجاته، قبل نزول الموت ومفاجأته، فكم رأينا من مُفَاجَأٍ مبغُوت، بما لم يتوقعه من وفاة وموت، أُخذ في غمرته، وعلى حين غِرّتِهِ، فتبرأ منه قبيلتُه وأحبآؤه، وأسلمه للموت أهله وأقرباؤه، فلم ينصره أهلٌ ولا عشير، ولم يكن له منهم نصير، بكاه من بكاه منهم قليلاً، ثم هجره وجفاه طويلاً، فكأنَّه لم يره حياً، ولم يكن له في حياته صفياً.

فعلينا أن نُبصِرَ ونبادِر، ونعتبِرَ بما نرى ونُحاذِر، فرب مبصر لا يبصر، ومعتبر بما يَرى لا يعتبر، يسترّ بالأشجان والأحزانِ، ويُغَرُّ بالرجاء والأمان، وهو دائبٌ في قطع عمره وأجلِه، مغترٌّ بمناه ورجاه وأملِه، لا يتنفس نَفَساً، ولا يطرف طَرْفاً، إلا قَطَعَ به من أجله ناحيةً وطرَفاً، لا يُغْفَلُ عنه وإن غَفَل، ولا يُؤخر لما رجاءه وأَمَّل، قد جدّ به المسير، واختدعه الأمل والتسويف والتأخير، فأمله خدعة وغرور، وأجله متعة وبور.

فالعجلَ العجلَ، فقد نرى المسير إلى الموت والترحل، لا يُقلِعُ راحلُه وسائِرُه، ولا يريعُ على أوائلِه أواخرُه، يَلحقُ المتأخرُ بالسائرِ الأول، والمقيمُ من أهله بالظاعن الراحل، لا يُخلِّف من العباد جميعاً متخلفاً، بل يختطف نفوسهم خطفاً، يأخذ الصغير أَخْذَه للكبير، ويُلحق بعضهم بعضاً في الموت والمصير.

فكم رأينا في غِرته من مأخوذ! ومن ميتٍ بالعراء منبوذ! يتخالس الطيرُ لحمَه تخالُسَاً، وتتناهشه سباع الوحش تناهشاً، وكم سمعنا من ملقًى في بحر من البحور للموت؟ يأكل لحمَه ما قاربه من حوت، وكم رأينا في الثراء من ملحود؟ متناثرة أوصاله وعظامه بالدود، وقد نسيه بعد الذكر أهلوه! وقَطَعَهُ بعد مودته مواصلوه، فأغفلوا ذكره فلا يذكرونه إلا قليلاً، وكلُّهم فقد كان له أهلاً وخليلاً، فكأنّهم لم يروه في الأحياء، ولم ينالوا منه نفعاً ولا عطاء.

فالويل لمن سقط هذا عن ضمير قلبه، وأصر مقيماً على الخطيئة بعد علمه به، كيف خسر دينه ودنياه؟ وآثر ضلالته في الحياة على هداه؟ فهلك هلاكَ الأبد، وقد رأى في حياته منجاه، ودُلّ فيها على نجاته ورداه.

فنسأل الله أن يبارك لنا في حلوله وموافاته، وأن يجعلنا ممن أسعده في يوم مماته، ونستغفر الله خير الغافرين، ونضرع إليه في عصمتنا من هلكات الجائرين.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله حمداً دائماً مقيماً، وأشهد أن لا إله إلا الله، إلاهاً واحداً كريماً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله طاهراً معصوماً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها المؤمنون: نقتطف من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام ومواعظه البالغة ما يلي:

عباد الله: إنّ أقربَ ما يكون العبدُ إلى المغفرة والرحمة حين يعمل بطاعته، ويناصحه في التوبة، فعليكم بتقوى اللّه سبحانه وتعالى فإنها تجمع من الخير ما لا خير غيرُها، ويُدركُ بها من الخير ما لا يدرك بغيرها، خيرُ الدنيا والآخرة. قال اللّه تعالى **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِين}**.

عبادَ اللّه: إن المؤمن يعمل لثلاث خصال من الأعمال:

إما ليثاب في الأولى والأخرى، واللهُ يثيبه بعمله في دنياه وآخرته قال اللّه تعالى لإبراهيم **{وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِين}**، وإما ليكفر عنه سيئاته بكل حسنة سيئة يقول اللّه تعالى **{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات}**، فإذا كان يوم القيامة حسبت حسناته، ثم يُعطى بكل واحدة عشرُ أمثالها إلى سبع مائة ضعف، قال اللّه تعالى **{فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الغُرُفَاتِ آمِنُونَ}**.

فارغبوا عباد اللّه: فيما رغبكم، ورغّبوا فيه غيركم، واعملوا به وتحاضّوا عليه، وتواصوا به.

واعلموا أن المتقين ذهبوا بعاجل الخير وآجله في الدنيا والآخرة، فقد شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولن يشاركَهم أهل الدنيا في آخرتهم، كما قال اللّه تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، فقد سكنوا الدنيا بأفضلِ ما سكنت، وأكلوها بأفضلِ ما أُكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون، وشربوا من أفضل ما يشربون،

ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا من أفضل ما يسكنون، وتزودوا بأفضل ما يتزودون، وركبوا من أفضل ما يركبون، وأصابوا لذة أهل الدنيا في دنياهم، مع أنهم جيران اللّه غداً، يتمنون عليه ما يشآؤن، ويسألونه ما يريدون، فلا يَرُدُّ لهم دعوة، ولا يَنْقُصُ لهم نصيب، ففي هذا عباد اللّه ما يشتاق إليه من كان له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد.

ثم قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

واحذروا عباد اللّه: الموتَ وقربَه، واحذروا سكراتِه، وأعدوا له عدتّه، فإنه يأتي بأمر عظيم، وخيرٍ لا يكون معه شرٌّ أبداً، وشرٍّ لا يكون معه خيرٌ أبداً، فمَن أقربُ إلى الجنة من عاملها، ومَن أقربُ إلى النار من عاملها، وليس أحدٌ من الناس تُفارق روحُه جسدَه حتى يعلم إلى أيَّ المنزلتين يصير: إلى الجنة أم إلى النار، عدوٌّ لله سبحانه أو وليٌّ، فإن كان ولياً لله سبحانه فتحت له أبواب الجنة فنظر إلى ما أعد اللّه له فيها فاشتغل بها، وكل ذلك يكون عند الموت.

واعلموا – عباد اللّه –: أن الموت ليس منه فوت، فاحذروه قبل وقوعه، وأعدوا له عدته، فإنكم طرداءُ الموت، إن أقمتم به أخذكم، وإن فررتم أدرككم، وهو ألزم لكم من ظِلِّكُم، الموت معقود بنواصيكم، فأكثروا ذكر الموت عندما نازعتكم أمانيَّ الدنيا أنفسُكم، فإنه كفى بالموت واعظاً، فإني سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((أكثروا ذكر هادم اللذات – يعني الموت–)).

واعلموا عباد اللّه: أن ما بعد الموت لمن لم يغفر اللّه له ويرحمه أشد من الموت: عذابُ القبر فاحذورا ضيقه وظلمته، وغربته، إن القبر يتكلم في كل يوم فيقول: أنا بيت الوِحدة، أنا بيت الغربة، أنا بيت الدود، أنا بيت التراب، وإنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، وإنما العبد المسلم إذا دُفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً لقد كنتَ من أحب خلق اللّه تمشي على ظهري، فأما إذا وَلِيتُكَ وصرت إليَّ لتعلمنّ كيف أصنع بك، فتَفْسَحُ له مُدَّ بصره، وتَفْتَحُ له باباً إلى الجنة.

وإذا دفن الكافر قالت الأرض: لا مرحباً ولا أهلاً، لقد كنت من أبغض خلق اللّه تمشي على ظهري، فإذا وَلِيتُكَ وصرتَ إليَّ ستعلم كيف أصنع بك، فتُضَيِّقُ موضعَه، حتى تلتقي أضلاعُه في حفرته، وهي من المعيشة الذي قال اللّه: {مَعِيشَةً ضَنْكًا}، ليسلطنّ عليه في قبره حياتٌ تهشم عظمه، لو أن واحدةٌ منهن نفخت نفخةً في الأرض لم ينبت زرع أبداً.

واعلموا عباد اللّه: أنّ أنفسَكم وأجسادَكم الرقيقةَ الناعمةَ التي يؤلمها اليسيرُ ضعيفةٌ عن هذا، فإن استطعتم أن ترجعوا وتتركوا ما كره اللّه لكم فافعلوا، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

واعلموا عباد اللّه: أن بعد الموت أشدُّ من القبر، يوم يشيب فيه الصغير والكبير، يُسكرُ من غير شراب، ويَسقطُ فيه الجنين **{تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ}{يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً}{يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً}**، إنّ شرَّ ذلك اليوم وفزعه استطار، حتى فزعت الملائكةُ الذين ليس لهم ذنوب، والسبعُ الشدادُ، والجبالُ الأوتاد، والأرضُ المهادُ، **{وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ}**، وتغيرت **{فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَان}**، وكانت الجبال سراباً بعد أن كانت جبالاً صماً، **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ}**، فكيف يتقي مَن يعصي بالسمع، والبصر، واللسان، واليد والرجل، والبطن، والفرج، إن لم يغفر اللّه له ويرحمه شرَّ ذلك اليوم، فإن صار إلى النار صارت إليه، فحرَّها شديد، وشرابها صديد، وقعرها بعيد، وعذابها جديد، ومقامعها حديد، لا يُفَتَّرُ عذابها، ولا يموت ساكنها، دار ليس لله سبحانه فيها رحمة، ولا يسمع لهم فيها دعوة، ولا يستجاب لهم عند كربه.

اعلموا عباد اللّه: أن مع هذا رحمة اللّه التي لا تَعجزُ عن العباد، وجنةٌ عرضها كعرض السماوات والأرض، وحتى لا يكون معها شر أبداً، بلذة لا تمل، وتَجَمُّعٌ لا يتفرق أبداً، قد جاوروا الرحمن، وقام بين أيديهم الغلمان، بصحائف من ذهب فيها الفاكهة والريحان.

قال رجل: يا نبيّ اللّه، إني أحبُّ الخيل فهل في الجنة خيل؟ قال: ((والذي نفسُ محمد بيده إنَّ فيها خيلاً من ياقوت أحمر عليها سروج الذهب تركبون)).

فقال رجل: يا نبي اللّه، إني رجل يعجبني الإبل فهل في الجنة إبل؟ قال: ((نعم والذي نفس محمد بيده إن فيها لنجائب من ياقوت أحمر عليها رحائل الذهب)).

قال رجل: يا نبي اللّه، هل في الجنة صوت حسن فإنه يعجبني الصوت الحسن؟ قال: ((نعم والذي نفس محمد بيده إن اللّه سبحانه ليأمر كلَّ شجرة أن تسمعه صوتاً بالتسبيح والتقديس فلا تسمع الآذان صوتاً أحسن منه، وإنّ فيها لَسُوقَاً فيها صُوَرُ الرجال والنساء، يركب أهلُ الجنة إليه، فإذا أعجبَ أحدُهم الصورةَ قال: يا رب اجعل صورتي مثل هذا فيجعل صورته عليها، ثم إذا أعجبه صورة المرأة منهن قال: يا رب اجعل لفلانة – أي لبعض أزواجه – هذه الصورة فيرجع إليها وقد صارت تلك الصورة كما يشتهي، وإنّ أهل الجنة زُوَّارُ الرحمن في كل جمعة، فيكون أقربُهم منه على منابر من ياقوت، ويكون الذين هم على أثرهم على منابر من لؤلؤ، ويكون الذي هم على أثرهم على منابر من فضة، ثم الذين يلون على منابر من مسك، فبينا هم كذلك ينظرون، إذ أقبلت سحابة تغشاهم فتمطر عليهم من النعمة، والبهجة، واللذة، ما لا يعلمه إلا اللّه سبحانه وتعالى، مع أنَّ أكبرَ منه رضوانُه الأكبر، فلولا أن اللّه سبحانه لم يخوفنا إلا ببعض ما خوفنا من الشر، ولم يشوقنا إلا ببعض ما شوقنا إليه من الخير لكنا محقوقين أن يشتدّ خوفنا مما لا طاقة لنا به، ولا صبر لنا عليه، وأن يشتد شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه ولا بد لنا منه، فإن استطعتم أن يشتد خوفكم من ربكم وأن يحسن به ظنكم، فافعلوا فإن العبد إنما يكون حُسْنُ ظنه بربه على قدر خوفه، فإنَّ أحسن الناس ظناً بالله سبحانه أشدُّهم خوفاً له.

٧٤- حول عذاب القبر

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحيي المميت المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، صادق الوعد والوعيد، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو الغفور الودود، له الحمد دائماً لا ينفد ولا يبيد، بل يتضاعف ويزيد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، ويميت ويحيي وهو حي دائم لا يموت، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، الذي عمل لما بعد الموت، وحذَّر أمته من الغفلة قبل الفوت، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الهداة الميامين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

الله تعالى جعل الدنيا داراً للتكليف والأعمال، تُبلغُ فيها الآمال، حتى تقطعها الآجال، فمن عمل صالحاً قدم عليه غداً، وجوزي عليه جزاء المحسنين، وأثيب عليه ثواب المطيعين، ومن عمل سيئاً قدم عليه غداً، وحوسب عليه حساب المسيئين، وعوقب عليه عقاب العاصين، فاللبيب العاقل إذا علم أنه سيقدم على أمرين لابد من أحدهما، ولا محيص عنهما، ينتهز فرصة الإستعداد للأمر الذي يعود عليه بالمنفعة، ويجد ويجتهد في الإحتراز والإحتراس والإبتعاد عن الأمر الذي يجلب له المضرة، ويعود عليه بالوبال، هذا في الأمور المتوقعة المظنونة، أما في الأمور المعلومة الوقوع، المتحققة الحصول فإنه يكون أكثرَ حرصاً، وأشدَّ احترازاً، فالإنسانُ لا شك مُقدِمٌ على الموت، وليس عنه مناص، وبعد الموت هو صائر إلى خير لا يكون بعده شرٌّ أبداً، أو إلى شرٍّ لا يكون بعده خيرٌ أبداً، وقد أخبر الله تعالى عن حال المقصرين إذا جاءهم الموت، وحكى كيف يندمون على تقصيرهم حين لا ينفع الندم، كما قال تعالى **{حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ**

ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ}، وكما يقول تعالى **{حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ}**.

وقد جعل الله تعالى للمكلف ثلاثَ مراحل لا بد أن يمر بها، ولا خلاص له منها:

المرحلة الأولى: الحياة الدنيوية، التي يحيا فيها، ويكلف فيها، ويعمل فيها، ولا بد من الخروج منها، والإنتقال عنها، سواء طال بقاؤه فيها أم قصر، وسواء أحسن فيها العمل أم أساء.

المرحلة الثاني: الحياة البرزخية، وهي التي تنقطع فيها الأعمال، وتنصرم الآمال، حين تخرمها الآجال، وهي الحياة المؤقتة، وفيها يكون الإنتظار حتى يبعث الله الخلق ليوم الفصل، وفيها يطلع المرء على مصيره المحتوم، ومقره الأخير، فإن كان مصيراً مباركاً داخله السرور إلى يوم البعث والنشور، وإن كان مصيراً سيئاً، ومستقراً وخيماً، داخله الهم والغم، إلى أن يقدم على ما قدم، يوم الحسرة والندم.

والمرحلة الثالثة: الحياة الأخروية، وهي الحياة الأبدية، التي لا انقطاع لمدتها، ولا نهاية لأمدها، ولا خروج منها أبداً، بل يخلد كلٌّ فيما عمل إما في نعيم مقيم دائم، وإما في جحيم مقيم دائم.

وقد ذكر الله تعالى للإنسان بعد إحيائه وإيجاده في الدنيا إماتتين، وذكر له بعد موتته الأولى إحيائين، فقال تعالى حاكياً ومقرراً قول العصاة النادمين في يوم الدين {قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ}، فالموتة الأولى هي الخروج من الحياة الدنيوية، والموتة الثانية هي الإنتظار للحياة الأخروية في الحياة البرزخية.

والحياة الأولى هي الحياة البرزخية المؤقتة، والحياة الثانية هي الحياة الأخروية الدائمة، وقال تعالى **{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً}** أي قبل خلقكم **{فَأَحْيَاكُمْ}** حين خرجتم إلى الدنيا **{ثُمَّ يُمِيتُكُمْ}** الموتة الأولى **{ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}** في البرزخ **{ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}** يوم القيامة.

أيها المؤمنون: إن الحياة البرزخية هي حياة القبور، التي تكون مقدمة لما سيقع على المرء بعدها من سعادة أو شقاوة، وفيها يوقف المرء لبعض النقاش والحساب والسؤال الذي يكون منبئاً عما سيأتي بعده من شدائد وأهوال، فالقبر عند ذلك إما أن يكون روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

ولصعوبة الموقف، وخطورة الأمر كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعيذ بالله، ويعلم أصحابه وأمته الإستعاذة بالله تعالى من فتنة القبر وعذابه:

فعن سعد عن أبيه مرفوعاً: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم هذه الكلمات كما يعلم المكَتِّبُ الكتابة: ((اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر)).

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الكسل والعجز، والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر)).

وعن عائشة قالت كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم أني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة البلايا ،ومن فتنه القبر ومن عذاب القبر)).

وعن أبي الزبير أنه سأل جابر عن عذاب القبر؟ فقال : دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم نخلاً لبني النجار، فسمع أصوات رجال من بني النجار، وقد ماتوا في الجاهلية يعذبون في قبورهم، فخرج النبي الله عليه وآله وسلم فزعاً، فأمر أصحابة أن يتعوذوا من عذاب القبر).

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ الْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً، لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ الِامْتِحَانِ، وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ، لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلَا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى محمد بن أبي بكر: (واعلموا عباد الله أن ما بعد الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه أشدُّ من الموت، عذابُ القبر، فاحذروا ضيقَه وظلمتَه وغربتَه، إنَّ القبر يتكلم في كل يوم فيقول: أنا بيت الوحدة، أنا بيت الغربة، أنا بيت الدود، أنا بيت التراب، وإنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وإنما العبد المسلم إذا دفن قالت له الأرض: مرحباً وأهلاً، لقد كنتَ من أحبِّ خلق الله تمشي على ظهري، فإذا وَلِيتُكَ وصرت إليَّ لَتَعْلَمُ كيف أصنع بك، فيُفسحُ له مُدُّ بصره، ويفتحُ له بابٌ إلى الجنة، وإذا دفن الكافر قالت له الأرض: لا مرحباً ولا أهلاً، لقد كنتَ من أبغض خلق الله تمشي على ظهري، فإذا وَلِيتُكَ وصرت إليّ ستعلم كيف أصنع بك، فيضيق عليه موضعه حتى تلتقي أضلاعه في حفرته، وهي المعيشة التي قال الله تعالى: {مَعِيشَةً ضَنكاً}، لَيُسَلَّطُ عليه في قبره حياتٌ تنهش عظمه، لو أن واحدة منهن نفخت نفخةً في الأرض لم ينبت زرعٌ أبداً).

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم { وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ، وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}، بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم إنه تعالى جواد كريم، برٌّ رؤوف رحيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء، وقهر عباده بالموت والفناء، حمداً لا غاية له ولا انتهاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أيها المؤمنون:

الأحاديث الواردة في نعيم القبر وعذابه كثيرة جداً، وبالغة حد التواتر، ولا مجال لإنكارها أو تكذيبها، ونذكر منها ما يلي:

روى الموفق بالله عليه السلام الحسين بن إسماعيل الجرجاني عليه السلام في كتابه سلوة العارفين بسنده إلى علي عليه السلام أنه قال: (ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}).

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لولا أن تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر)).

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الموتى يعذبون في قبورهم حتى إن البهائم تسمع أصواتهم)).

وعن الإمام المهدي محمد بن عبدالله بن الحسن النفس الزكية عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ((لو لا أن تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني)).

وعن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((عذاب القبر حق)).

وعن عثمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجى منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشر منه، والله ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه)).

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض المعاصي والذنوب التي تكون مسببة في عذاب القبر، وهي مما قد يتساهل بها الناس، فمنها ما روي عن ابن عباس قال: دخلت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض حوائط الغابة فإذا بقبرين يعذبان في غير كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول).

وروى الإمام زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام، قال: ((عذاب القبر من ثلاثةٍ: من البول والدين والنميمة)).

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من لم يؤمن بعذاب القبر فعذبه الله، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا جعله الله فيها)).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل حائطاً من حوائط بني النجار فسمع صوتاً من قبر، فقال متى دفن صاحب هذا القبر؟ فقالوا في الجاهلية، فسر بذلك وقال: لولا أن تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر).

وعن الحسن بن زيد بن الحسن عن آبائه عن علي عليه السلام قال: دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض حوائط المدينة، فسمع أصوات يهود تعذب عند مغربان الشمس فقال: ((هذه أصوات يهود تعذب في قبورها)).

وأما كيفية السؤال في القبر، فقد وردت روايات كثيرة، منها:

ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا دخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابُه، جاءه ملك شديد الإنتهار فقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: رسول الله وعبدُه، فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان من النار قد نجاك الله منه، وأبدلك بمقعدك التي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة، فيراهما كلاهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي، فيقول: اسكن.

وأما المنافق: فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول:

لا أدري، أقول ما يقول الناس، فيقول: لا دريت، هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة قد أبدلت مكانه مقعدك من النار)) قال جابر: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((يبعث كل عبد من القبر على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه)).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((إذا دفن الميت أتاه ملكان فقال له: من ربك ؟ومن نبيك ؟وما دينك ؟فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، وإنه يسمع خفق نعالهم وقرع نعالهم)).

وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إذا وضع المؤمن في قبره أتاه ملكان فانتهراه، فقام يهب كما يهب النائم، فيقال له: من ربك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد صلى الله عليه وآله نبيي، فينادي منادي: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، فيقول: دعوني أخبر أهلي، فيقال له: اسكن)).

وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، وإن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فسأله ما كنت تعبد؟ فإن الله هداه قال: كنت أعبد الله، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، فما سأله عن شيء بعدها، فينطلق إلى بيت كان له في النار فيقال له: هذا بيتك كان لك في النار ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك بيتاً في الجنة، فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له: اسكن، وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فينتهره فيقول له: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري، فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول كنت أقول ما يقول الناس، فيضربونه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق إلا الثقلين)).

وعن عثمان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول حين فرغ من دفنه الرجل ((استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل)).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لعمر: ((كيف أنت إذا رأيت منكراً ونكيراً؟ قال: وما منكر ونكير؟ قال: فَتَّانَا القبر، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما

كالبرق الخاطف، يطآن في أشعارهما ويحفران بأنيابهما، معهما عصا من حديد لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلوها)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا قبر الميت أو أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللأخر نكير)).

وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: ((القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، ويسأل عن خمس، من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ وما إمامك؟ ومن وليك؟ فيقول المؤمن: الله ربي، ومحمدٌ نبيي، والقرآنُ إمامي، والإسلامُ ديني، وعليٌّ وليي)).

وقد وردت بعض الروايات في بعض الطاعات التي تمنع من عذاب القبر وتكون واقياً منه:

منها: ما روي عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من مات مبطوناً مات شهيداً، ووقي عذاب القبر)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله سلم: ((من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي فتنة القبر وكتب شهيداً)).

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من مات مرابطاً في سبيل الله أمنه الله من فتنة القبر)).

وقد روي الأمن من فتنة القبر وعذابه لمن مات في أحد الحرمين، أو في طريق مكة، ولمن يقرأ سورة الملك عند منامه.

فهذه الروايات والأحاديث الصحيحة التي تبلغ حد التواتر المعنوي، تفيد أن عذاب القبر ونعيمه، وحياته والسؤال فيه من الأحوال التي لا مجال لإنكارها، ولا سبيل إلى إبطالها، فاللبيب العاقل الذي يعلم أنه مقدم على هذه الأهوال الصعاب، والأمور التي لا تطاق يستعد لها حق الإستعداد، ولا يهمل نفسه حتى تقع في العذاب الشديد، وفقني الله وإياكم لرضوانه، وهدانا إلى سبيل إحسانه، وجنبنا طرق عصيانه.

٧٥- موعظة في الرجوع إلى الله تعالى

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ، والبَلَاءَ والمحنَ بالفرجِ والنصرِ، لمن ثبتَ وصَبَرَ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أما بعد: أيها المؤمنون: يقول الله تعالى: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ}**، ويقول تعالى: **{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ}**، فالقرآن الكريم مشحون بالآيات التي يذكر فيها الله تعالى ما أصاب مَن قبلنا من المحن والفتن والمصائب التي يبتلي بها عبادَه، ليميز بها المؤمن من المنافق، والكاذب من الصادق، والصابر من الجازع، ففي ظل الأحداث والفتن التي يعيشها الناس في هذه الأيام، من الظلم والإضطهاد، والفساد والإفساد، وفي ظل الظروف المعيشية القاسية التي يعانيها الناس، لا بد أن نتذكر ما أصاب مَن قبلنا، وكيف امتدحهم الله تعالى بالمدائح النبيلة، ووصفهم بالصفات الجميلة، كما يقول الله تعالى في ذكر صفات المؤمنين الصادقين **{وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}**، فالصبر درع حصين، وحرز قوي متين، يقي المؤمنَ من آثار الحوادث، ومن نكبات المصائب، والإنسان العاقل، والمؤمن الصادق إذا ألمت به

الأخطار، وتناوبته الأحداث الكبار، والأفزاع والأضرار تذكر واعتبر، ونظر في نفسه وما حوله وتفكر، فقد يكون ما يصيبه بسبب فعل سيء قدمه، أو خطأ ارتكبه، أو معصية وقع فيها، فعلينا أن نستشعر بعض الأمور الهامة:

أولاً: أن نحاسب أنفسنا محاسبة صادقة على أعمالنا، وأن نعلم أن أكثر ما يصيب الناس هو بسبب أعمالهم وعصيانهم ومخالفتهم لربهم، **{وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ}**، وكما قال تعالى **{فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا}**، ويقول تعالى **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**، وقال تعالى **{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**، وقال تعالى **{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}**، ويقول تعالى **{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا}**، ويقول تعالى **{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}**، فهذه الآيات الكريمة تبين لنا أن أعمالنا وهي سبب فيما يحصل علينا.

فعلينا أن نعلم أن أعمالنا هي مفتاح أمورنا، إن حسنت وصلُحت أعمالنا حسنت وصلحت أحوالنا، وإن ساءت وفسدت أعمالنا ساءت وفسدت أحوالنا، فلا بد أن نترك الغرور، وأن نراجع حساباتنا مع الله تعالى بتوبة نصوح، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام (من حاسب نفسه سعِد، ومن حاسب نفسه ربح، ومن تعاهد نفسه بالمحاسبة أمن فيها المداهنة)، وقال عليه السلام (أفضل الجهاد مَن جاهد نفسه التي بين جنبيه)، وقال صلوات الله عليه في وصيته عند وفاته (اللهَ اللهَ في الجهاد للأنفس، فهي أعدى العدو لكم، فإنه تبارك وتعالى يقول **{ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ}**، وإن أول المعاصي تصديق النفس، والركون إلى الهوى)، فالذي يحدث نفسه بصلاحها، وهو تابع لها في عصيانها، فهو جاهل مغرور.

ثانياً: نحن بحاجة ماسة - لا سيما في ظل الظروف الحرجة، والأوضاع المؤلمة — إلى أن نتعاهد أنفسنا، وأبناءنا وبناتنا بالتعليم وقرآءة القرآن، والآداب الإسلامية، حتى لا تُهملَ تلك الأمور وتنسى، فنضيع ونضل.

ولا بد أن نتعاهد كتاب الله تعالى بالقرآءة والتلاوة، وأن نوظف لأنفسنا في كل يوم وليلة ورداً من القرآن الكريم نقرأه ونتلوه، فإن القرآن مفتاح النجاة والفرج، وبه يدفع الله البلاء والمصائب والشرور في الدنيا والآخرة، فكم من ساهٍ غافلٍ تمر عليه الأيام والليالي لا يقرأ من كتاب الله سورة أو بعضها، حتى وإن كان في أصعب الظروف، وأحلك الأوضاع.

ومما يدعو إلى العجب: استمرارنا في المعاصي، وابتعادنا عن الله تعالى في مثل هذه الأحداث التي ينبغي أن يكون الإنسانُ معها أقرب إلى الرجوع إلى الله، والإنزجار عن معصيته وسوءِ فعله، فإذا لم يحصل منه الإقلاع والتوبة والرجوع في أوقات يتوقع حصول المصيبة به، وحلول البلية به، ووقوع الشر عليه في كل لحظة، بل إذا خرج من بيته لم يأمن الرجوع، وإذا دخل بيتَه لم يأمن الخروج سالماً، فمتى سيتوب إن لم يتب في هذه الحالات الصعبة.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بسم الله الرحمن الرحيم: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، ووضعنا عنك وِزْرَكَ، الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك، فإنّ مع العسر يسراً، إنّ مع العسر يسراً، فإذا فرغتَ فانصب، وإلى ربّك فارغب}.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أحقِّ من خُشِيَ وحُمِدَ، وأفضلِ من اتُّقِيَ وعُبِدَ، وأولى مَنْ عُظِّمَ ومُجِّدَ، نحمده لعظيم عنائه، وجزيل عطائه، وتظاهر نعمائه، وحسن بلائه، ونؤمن بهداه، ونعوذ بالله من ظلم الفتن، ونستغفره من مكاسب الذنوب، ونستعصمه من مساوئ الأعمال، ومكاره الآمال، والهجوم في الأهوال، ومشاركة أهل الريب، والرضا بما يعمل الفجار في الأرض بغير الحق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي كان في أوليته متقادماً، وفى ديموميته متسيطراً، خضع الخلائق بوحدانيته وربوبيته.

وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وآله عبدُه ورسوله، وخيرته من خلقه، اختاره بعلمه، واصطفاه لوحيه، وائتمنه على سره، وارتضاه لخلقه، وانتدبه لعظيم أمره، صلى الله وسلم عليه وعلى آله البررة الأتقياء.

أما بعد: أيها المؤمنون:

ثالثاً: قد يستغل بعضُ الناس الظروف والأوضاع المعيشية التي يعيشها الناس، فيجعل منها مصدراً لجمع الأموال والتجارة والربح، من خلال رفع الأسعار في السلع التي يحتاجها الناس في حوائجهم، أو من خلال الإحتكار لبعض منافعهم الضرورية، وأقواتهم الأساسية، ومتطلباتهم اليومية، فيكون سبباً في حصول أزمة تسبب في رفع الأسعار، وهو بهذه الأفعال الدنيئة إنما يبين قسوته، ويظهر للناس جفوته، وترجيحَه لمصلحته ولو أضرت بالآخرين، فهو عديم الرحمة بأبناء جنسه ووطنه وبلده ومجتمعه، بل وبأبناء دينه، وبالضعفاء والمساكين، فهو يتصيد حاجة الناس ليغلي أسعارهم عليهم.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام (كل حكرة تضر بالناس وتغلي السعرَ عليهم فلا خير فيها).

وقال صلوات الله عليه في عهده إلى مالك الأشتر حين ولاه على مصر (ثُمَّ اسْتَوْصِ

بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً، الْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ وَجُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلَا يَجْتَرِءُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ، وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ، وَاعْلَمْ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ، فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَنَعَ مِنْهُ، وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ، فَنَكِّلْ بِهِ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ).

وقال عليه السلام (الإحتكار شيمة الفجار). وقال في كلام آخر (المحتكر آثم عاص).

وقال صلوات الله عليه (جالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاص ملعون).

أيها المؤمنون: يقول الله تعالى **{أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ}**، ويقول تعالى **{وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ، فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ}**.

فقد جعل الله تعالى لنا في الأمم السالفة، والقرون الخالية عبراً كافية، ومواعظ وافية، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فإن الله تعالى يبتلي العباد بأنواع الإبتلاءات، وضروب الإمتحانات، في السراء والضراء، والشدة والرخاء، ليتوب تائب، ويرجع راجع، ويتذكر متذكر، فمن راجع حساباته مع ربه، وأقلع عن خطيئته وذنبه، فهو السعيد الآمن، ومن مرت عليه المصائب والشدائد، ولم تؤثر فيه، ولم تنفع لديه، بل ازداد من الله بعداً، فهو الشقي الخائف.

وقد ذكر الله تعالى عن أمة من الأمم، وهم قوم نبي الله يونس عليه السلام، الذين اعتبروا واتعظوا، وراجعوا حساباتهم مع ربهم، وتابوا وأنابوا قبل حلول النقمة بهم، ونزول الهلاك عليهم، عندما رأوا مقدمات النقمة، سارعوا بالتوبة، فكشف الله عنهم البلاء، ورفع عنهم

اللأواء، كما قال تعالى **{فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ}**.

فقد روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه، فلبث بهم ثلاثة وثلاثين عاماً لم يؤمن به سوى رجلين، فذهب عنهم مغاضباً، ودعا الله عليهم، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب، فلبسوا المسوح وعجوا إلى الله بالتوبة أربعين ليلة.

وقيل: قال لهم يونس: إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فخرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم ممن آمن بيونس عليه السلام واستشاروه في أمرهم، وقالوا له: قد نزل بنا العذاب فما ترى؟ فأمرهم بالتوبة والرجوع، فلبسوا المسوح، وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها، فحن بعضها على بعض وعلت الأصوات والعجيج، وأمرهم أن يقولوا: يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت، وأظهروا الإيمان الصحيح، والتوبة النصوح، وتضرعوا بصدق ورجوع، حتى بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم، حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده، ويعمد إلى الأخشاب التي أخذها وقد سقف بها بيته فيقتلعها من السقف، فلما علم الله منهم صدق التوبة رحمهم وكشف عنهم، وكان مما روي من دعائهم: اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله.

٧٦- موعظة حول الدنيا وكيف نستغلها؟

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمودِ على نعمائه، المشكورِ على آلائه، الذي لا ينسى من ذَكَرَه، ولا يُخَيِّبُ مَن رجاه، ولا يَرُدُّ مَنْ دعاه، والحمد لله الذي لا ربَّ لنا سواه، ولا خالقَ إلا إياه، ولا إلهَ غيرُه، ولا معبودَ إلا هو وحده لا شريك له، الذي تواضع كلُّ شئ لعظمته، وذلَّ كلُّ شئ لملكه وهيبته، والحمد لله الذي استسلم كلُّ شئ لقدرته، وخضع كلُّ شئ لقوته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، وأشهد أن الدين كما شرع، وأن الإسلام كما وصف، وأن الكتاب كما أنزل، وأن الله هو الحق المبين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعظم المواعظ ما وقر في القلب، وصدقه العمل، ولن يتعظ الإنسان بمواعظ أبلغ ولا أعظم من كتاب الله، وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلام أمير المؤمنين علي عليه السلام سيد البلغاء، وإمام الفصحاء، سيد العارفين بالله، وأعلم المؤمنين بالله، فقد كان له عليه السلام المواعظ البليغة، والخطب الرفيعة، وكأنه عليه السلام في بعض خطبه يتحدث عن زماننا، ويشرح كثيراً من أحوالنا، وكأنه ينظر إلى الزمان الذي نعيش فيه، والوضع الذي نقاسيه، فسنجعل خطبة جمعتنا هذه نقلاً لشذرات من كلامه، ومتفرقات من خطبه، لعلنا نستفيد منها، ونعالج من خلالها بعضَ أمراضنا، ونصلح بها ما فسد من شؤوننا، قال عليه السلام في خطبة له، وكأنه يشرح زماننا، فتأملوا بعين البصيرة، قال عليه السلام:

فإنكم قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً، فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ، اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً، أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ؟ وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ؟ وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ، وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي إِلَّا بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ، اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ، أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ، هَيْهَاتَ لَا يُخْدَعُ اللَّهُ عَن جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

وقال صلوات الله عليه: يحذر من الدنيا، وكيف نسلم منها:

فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا، ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ، وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ، فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ، وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ.

ثم شرح عليه السلام حال أولياء الله مع الدنيا، وكيف يتعاملون فيها، وكيف تكون الدنيا بالنسبة إليهم:

(أَلا إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا، قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ، وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ، وَلَا تَوَادُّونَ، مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ

بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ، وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ، كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ، وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ، وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ، صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَحْرَزَ رِضَى سَيِّدِهِ).

وقد كان لأئمة أهل البيت عليهم السلام النصائح الهامة، والمواعظ الكافية، عن الدنيا لما عرفوا حقيقتها، فحذروا المؤمنين منها، قال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام:

وحتى متى أصف محن الدنيا، ومقام الصديقين، وأنتحل عزماً من إرادة وأنا مقيم بمدرجة الخطايا؟! أشتكي ذل ملكة الدنيا وسوء أحكامها عليّ، فقد رأيت وسمعت لو كنت أسمع في أداة فهم أو أنظر بنور يقظة.

كُلاً ألاقي نكبةً وفجيعةً — وكأسَ مراراتٍ ذعافاً أذوقُها

وهنَّ المنايا أيَّ وادٍ سلكته — عليها طريقي أو عليَّ طريقُها

وحتى متى تعدني الدنيا فتُخلِفُ، وأئتمنُها فتخونُ؟! لا تُحدثُ جِدَةً إلا بخلوق جِدَةٍ، ولا تَجمعُ شملاً إلا بتفريق شمل، حتى كأنها غَيْرَى مُحَجَّبَةٍ ضِنَّاً تغار علي الألفة، وتحسد أهل النعم.

فقد آذنتني بانقطاعٍ وفرقةٍ — وأَوْمَضَ لي من كلِّ أُفقٍ بروقُها

فما عيشةٌ إلا تزيدُ مرارةً — ولا ضيقةٌ إلا ويزدادُ ضيقُها

فكيف يرقأ دمع لبيب، أو يهدأ طَرْفُ مُتَوَسِّمٍ على سوء أحكام الدنيا، وما تفجعُ به أهلَها من تصرف الحالات، وسكون الحركات؟! وكيف يسكن إليها من يعرفها، وهي تفجعُ الآباءَ بالأبناءِ، وتلهي الأبناءَ عن الآباءِ؟! تُعدِمُهم أشجانَ قلوبهم، وتسلُبُهم قرة عيونهم.

وترمي قساوات القلوب بأسهم — وجمرِ فِراقٍ ليسَ يَخْبُو حريقُها

وما عسيتُ أن أصفَ من محن الدنيا، وأبلغَ من كشف الغطاء عما وكل به دور الفلك من علوم الغيوب، ولست أذكر منها إلا قتيلاً أفنته، أو مُغَيَّبِ ضريحٍ تجافت عنه! فاعتبر أيها

السامع بهلكات الأمم، وزوال النعم، وفضاعة ما تسمع وترى من سوءِ آثارها في الديار الخالية، والرسوم الفانية، والربوع الصموت.

وكم عَالَمٍ أَفْنَتْ فلم تَبْكِ شجوَهُ ولا بد أن تفنى سريعاً لحوقُها

فانظر بعين قلبك إلى مصارع أهل البذخ، وتأمل معاقل الملوك، ومصانع الجبارين، وكيف عركتهم الدنيا بكلاكل الفناء، وجاهرتهم بالمنكرات، وسحبت عليهم أذيال البوار، وطحنتهم طحن الرحى للحب، واستودعتهم هوج الرياح تسحب عليهم أذيالها فوق مصارعهم في فلوات الأرض!.

فتلك مغانيهم وهذي قبورُهم توارثَها إعصارُها وحريقُها

أيها المجتهد في آثار من مضى من قبلك من الأمم السالفة، توقف وتفهم وانظر أي عز ملك، أو نعيم أنس، أو بشاشة ألف إلا نغصت أهله قرة أعينهم، وفرقتهم أيدي المنون، وألحقتهم بتجافيف التراب، فأضحوا في فجوات قبورهم يتقلبون، وفي بطون الهلكات عظاماً ورفاتاً وصلصالاً في الأرض هامدون.

وآليتُ لا تُبقي الليالي بشاشةً ولا جِدَةً إلا سريعاً خُلُوقُها

وقد أغرق في ذم الدنيا الأدِلَّاءُ على طرق النجاة من كل عَالِمٍ، فبكت العيونُ شَجَنَ القلوبِ فيها دماً، ثم درست تلك المعالمُ، فتنكرت الآثار، وجعلت في برهة من محن الدنيا، وتفرقت ورثة الحكمة، وبقيت فرداً كقرن الأعضب وحيداً، أقول فلا أجد سميعاً، وأتوجع فلا أجد مشتكى.

وإن أَبْكِهم أَجْرَضْ وكيف تجلدي وفي القلب مني لوعةٌ لا أطيقُها

وحتى متى أتذكرُ حلاوةَ مذاقِ الدنيا، وعذوبةَ مشاربِ أيامها، وأقتفي آثارَ المريدين، وأتنسَّمُ أرواحَ الماضين مع سبقهم إلى الغلِّ والفساد، وتخلُّفي عنهم في فُضَالةِ طرقِ الدنيا، منقطعاً من الأخلاء؟! فزادني جليلُ الخطب لفقدهم جوَى، وخانني الصبرُ حتى كأني أولُ ممتحنٍ أتذكرُ معارفَ الدنيا وفراق الأحبّة.

فلـو رجعـت تلـك الليـالي كعهـدها رأت أهلَهـا فـي صـورة لا تروقُهـا

أيها المؤمنون:

هذه حقيقة الدنيا حكاها لنا العارفون بأسرارها، وقصها لنا الخبيرون بأخبارها، فإذا لم نستمع لنصائحهم هلكنا، وإذا لم نهتد بهديهم ضللنا. وفقنا الله وإياكم لما يرضيه وجنبنا معاصيه.

بسم الله الرحمن الرحيم {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}.

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الذكر الحكيم، وأستغفر الله لي ولكم ولوالدينا ووالديكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، شهادتين أدخرهما ليوم المعاد، وأرجو بها الفوز والزلفة بين العباد.

أما بعد أيها المؤمنون: هذه الدنيا التي خلقنا الله تعالى فيها، هي دار ليست مقصودة في نفسها، ولا معنية في ذاتها، وإنما هي وصلةٌ إلى غيرها، فهي دار صالحة للنفع والضر، والصلاح والفساد، والخير والشر، فهي عبارة عن سوق تتزود فيها بما أردت، وتتجار فيها بما أحببت، ولن نصل إلى درجات النعيم إلا من خلالها، ولن ينال المرءُ دركاتِ الجحيم إلا من قِبَلِهَا.

فالدنيا يستطيع الإنسان أن يصل بواسطتها ومن خلالها أن يصل إلى الدرجات العليا في الجنان، وأن يبلغ رضوان الله الأكبر، ولهذا فإن أمير المؤمنين علياً عليه السلام عندما سئل: لو خُيِّرَ بين ساعة من الدنيا وساعة من الآخرة أيهما يختار؟

فقال عليه السلام: أختار ساعة من الدنيا لأني سأجلب فيها ساعات وأعوام لا تنقضي من الآخرة.

فالدنيا وإن كانت من أسباب ضلالنا وهلاكنا، لكنها قد كاشفتنا وصرحت لنا بعبرها، وحذرتنا من نفسها، وإنما السبب الحقيقي في هلاكنا هو حبُّنا لها، وتعلقُنا بها، وإيثارُنا لها على الآخرة، كما قال تعالى {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، وكما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((حب الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة))، فمن أحبها تورط معها، فهي كثيرة الغدر والضرر، لكن غدرها وخدعها وضررها لا يتعدى مَن أحبها، وإنما يقتصر عليهم، لأن من خدمها صيرته عبداً لها، ومن أمنها أخافته منها، وأما مَن يصحبها بالسلامة فإنه ينال ما يتمنى منها، ويسلم من مكرها وخدعها، وتصير هي خادمةً له، ومذعنة في أمره، كما في الحديث القدسي عن الله عزوجل ((يا دنيا من خَدَمني فاخدِميه، ومَن خدمك فاستخدميه)). وقد انتحلت طوائف من هذه الأمة بعد مفارقتها أئمة الدين،

والشجرة النبوية إخلاص الديانة، وأخذوا أنفسهم في مخائل الرهبانية، وتغالوا في العلوم، ووصفوا الإسلام بأحسن صفاتهم، وتحلوا بأحسن السنة، حتى إذا طال عليهم الأمد، وبعدت عليهم الشقة، وامتحنوا بمحن الصادقين، رجعوا على أعقابهم ناكصين عن سبيل الهدى، وعلم النجاة، يتفسحون تحت أعباء الديانة تفسح حاشية الإبل تحت أوراق البُزل.

أيها المؤمنون: إن الدنيا وإن كانت ذميمة، لكنها أمر لا بد لنا منه، ومن عبوره والمرور فيه، فليس ذمُّها بدون عمل، بأولى من استغلالها في صالح العمل، كما روي عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: بينما أميرُ المؤمنين عليٌّ عليه السلام في جماعة من أصحابه أنا فيهم إذ ذكروا الدنيا وتصرمها بأهلها، فذمها رجل فذهب في ذمها كل مذهب، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الذامُّ للدنيا، أنت المجترمُ عليها أم هي المجترمةُ عليك؟ فقال: بل أنا المجترم عليها يا أمير المؤمنين، قال:

فيم تذمها، أليست منزِل صدقٍ لمن صدقها، ودارَ غنى لمن تزوَّد منها، ودارَ عاقبة لمن فهم عنها؟ مساجدَ أنبياء الله، ومهبطَ وحيه، ومصلى ملائكته، ومتجرَ أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت بِبَيْنِها، ونادت بانقطاعها، نعتت نفسها وأهلها، فمثَّلت ببلائها البلى، وشوقت بسرورها إلى السرور، تخويفاً وترغيباً، وابتكرت بعافية، وراحت بفجيعة، فذَمَّهَا رجالٌ فرَّطوا غداةَ الندامة، وحمدها آخرون اكتسبوا فيها الخير الكثير، فيا أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استَذَمَّت إليك؟ أم متى غَرَّتكَ؟ أبمضاجع آبائك من البِلى؟ أم بمصارع أمهاتك تحت الثرى؟ كم مرضتَ بيديك؟ وعالجت بكفيك؟ تلتمس لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، لم تنفعهم بشفاعتك، ولم تُسعفهم في طلبتك، مثلت لك – ويحك – الدنيا بمصرعهم مصرعَك، وبمضجعهم مضجعَك، حين لا يُغني بكاؤك، ولا ينفعك أحباؤك.

ثُمَّ التفت عليه السلام إلى أهل المقابر، فقال: يا أهل التُّربة، ويا أهل الغُربة، أما المنازلُ فقد سُكِنَت، وأما الأموالُ فقد اقتُسِمَت، وأما الأزواجُ فقد نُكِحَت، هذا خبر ما عندنا فما خبرُ ما عندكم؟ ثُمَّ أقبل على أصحابه، فقال: والله لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى.

فهذه هي المواعظ البليغة التي تؤثر في النفوس، وتسيل المدامع وتطأطأ الرؤوس.

٧٧- حول الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رغب عباده في ثوابه، وحذرهم من عذابه، وجعل الجنة منزلاً لمن أطاعه ومقيلاً، وأعد لمن خافه مسكناً كريماً، ولمن عصاه عذاباً أليماً، دائماً مقيماً، نحمده على ما ألهمنا من طاعته، وحذرنا من معصيته، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي ليس له ند ولا شبيه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادقُ الأمين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون: قد غطى حب الدنيا على القلوب فألهاها، وغلب الشقاءُ على النفوس فأنساها، فأصبحنا وأمسينا في غفلة عما يراد بنا، لا نعرف معروفاً ولا ننكرُ منكراً، ولا نحاول أن نجلبَ لأنفسنا نفعاً، ولا ندفع عنها ضراً، بل صارت حالنا في الدنيا حالَ من يعيش فيها دائماً، قد أمنَّا البيات، ونسينا الممات، ولهونا عن الدار الآخرة، فكأننا في الدنيا مخلدون، وفيها مقيمون، نسينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة، كأن الوعد والوعيد لغيرنا، وكأن الجنة والنار خلقتا لسوانا، فلا يظهر على وجوهنا همٌّ ولا غمٌّ لغير الدنيا، إن فاتنا اليسيرُ منها حزِنّا، وإن نلنا منها القليل فرحنا وسُررِنا، وإن فاتنا الكثير من الآخرة ونعيمها لا نبالي، ولا يظهر على وجوهنا شيء من آثار الحسرة والندامة.

فقد أصبحنا في زمان لا يعمل أهله إلا للدنيا، ولا يعشقون سواها، ولا يهتمون بغيرها، ولا يتنافسون إلا فيها، ولا يتعادون إلا عليها، لها يجتمعون وبسببها يتفرقون، فصارت حالنا تخالف أحوال الصالحين، ولا نسلكُ مسالك المتقين، ولا نقتدي بأهل الدين، ولا نتأسى بالمؤمنين.

كما روي عن محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنه، قال: لما قدم أمير المؤمنين عليه

السلام إلى البصرة بعد قتال الجمل دعاه الأحنف بن قيسٍ رضي الله عنه، واتخذ له طعاماً، وبعث إليه وإلى أصحابه فأقبل إليه أمير المؤمنين ثم قال له: يا أحنف ادع أصحابي، فدعاهم فدخل عليه قومٌ متخشعون كأنهم شِنَانٌ بَوَالٍ.

فقال الأحنف بن قيسٍ: يا أمير المؤمنين ما هذا الذي نزل بهم، أمن قلة الطعام أم من هول الحرب؟

قال أمير المؤمنين: لا يا أحنف، إن الله عز وجل إذا أحب قوماً تنسكوا له في دار الدنيا تَنَسُّكَ مَن هَجَمَ على ما عَلِمَ من فزع يوم القيامة مِن قَبلِ أن يُشَاهِدُوهَا، فحَمَّلُوا أنفسَهم كُلَّ مجهودِها، وكانوا إذا ذكروا صباحَ يوم العرض على الله تعالى توهموا خروج عَنَقٍ من النار، يَحشُرُ الخلائقَ إلى ربهم عز وجل، وظهورَ كتابٍ تبدو فيه فضائحُ ذنوبِهم، فكادت أنفُسُهم تسيل سيلاناً، وتطيرُ قلوبهم بأجنحة الخوف طيراناً، وتفارقُهم عقولُهم إذا غَلَت بهم مراجلُ الْمَرَدِّ إلى الله عز وجل غَلَيَاناً.

يَحُنُّونَ حنينَ الوَالِهِ في دُجَى الظُّلَمِ، ذُبَّلُ الأجسام، حزينةٌ قلوبُهم، كالحةٌ وجوهُهم، ذابلةٌ شفاهُهُم، خميصةٌ بطونُهم، تراهم سُكارى وليسوا بسكارى، هم سُمَّارُ وَحشَةِ الليالي مُتَخَشِّعُونَ، قد أخلصوا لله أعمالهم سراً وعلانيةً.

فلو رأيتَهم في ليلهم ونهارهم وقد نامت العيون، وهدأت الأصواتُ، وسكنت الحركاتُ، من الطير في الوكور، وقد نَهْنَهَهُم يومُ الوعيد، ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾، فاستيقظوا لها فزعين، وقاموا إلى مصافِّهم يَعُولُون، ويبكون تارةً، ويسبحون ليلةً مظلمةً بهماء.

فلو رأيتَهم يا أحنف قياماً على أطرافهم، منحنيةً ظهورُهم على أجزاء القرآن لصلواتهم، إذا زَفَرُوا خِلتَ النارَ قد أخذت منهم إلى حلاقيمِهم، وإذا أَعولَوا حَسِبْتَ السلاسلَ قد صارت في أعناقهم، ولو رأيتهم في نَهَارِهم إذاً لرأيت قوماً يمشون على الأرض هوناً، ويقولون للناس حسناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، وإذا مروا باللغو مروا كراماً.

أولئك يا أحنفُ انتَجَعُوا دارَ السلام التي من دخلها كان آمنًا، فلعلَّك شغلَك –يا أحنفُ– نظرُك إلى وجهٍ واحدةٍ تُبيدُ الأسقامُ غضارةَ وجهِهَا، وذاتِ دارٍ قد اشتَغَلْتَ بتقرِيبِ فِرَاقِهَا، وسُتُورٍ عَلَّقْتَهَا، والرياحُ والأيامُ مُوَكَّلَةٌ بتمزِيقِهَا، وبِئْسَتْ لك داراً مِن دارِ البقاء.

فاحْتَلْ للدار التي خلقها الله عز وجل من لؤلؤةٍ بيضاءَ، فَشَقَّ فيها أنهارَها، وغَرَسَ فيها أشجارَها، وأَطَلَّ عليها بالنُّضْجِ من ثمارِها، وكَنَسَها بالعواتق من حورِها، ثم أسكنها أولياءه وأهل طاعته.

فإن فاتك يا أحنفُ ما ذكرتُ لك فَلَتَرْفُلَنَّ في سرابيلِ القَطِرَان، وَلَتَطُوفَنَّ بينها وبين حميمٍ آنٍ، فكم يومئذٍ في النار من صُلبٍ محطومٍ، ووجهٍ مشؤومٍ، ولو رأيتَ وقد قام منادٍ ينادي: يا أهل الجنة ونعيمِها وحُلِيِّها وحُلَلِها خلوداً لا موتَ فيها، ثم يلتفتُ إلى أهل النار فيقول: يا أهلَ النارِ، يا أهلَ النارِ، يا أهلَ السلاسلِ والأغلالِ، خلوداً لا موت، فعندها انقطع رجاؤهم، وتقطعت بهم الأسباب، فهذا ما أعدَّ الله للمجرمين، وذلك ما أعدَّ الله عز وجل للمتقين.

أيها المؤمنون: نحن بحاجة ماسة إلى أن نزيل عن قلوبنا صدأ المعاصي، ورين الذنوب، بأن ندفع بأنفسنا إلى الرغبة فيما رغبنا الله تعالى فيه من ثوابه، وأن نحرص على أن ننال أعلى الدرجات من رضوانه، فلا نعيمَ أعظمَ من الجنة، ولا عذابَ أعظمَ من النار، فاختر لنفسك ما تحب من النعيم أو الشقاوة.

كأننا لم نسمع ولم نقرأ في كتاب الله تعالى ما يدعونا إلى الجنة ونعيمها، بل القرآن مملوٌّ بذكر الجنة وما فيها من النعيم الدائم، كقوله عز وجل: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ، بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ، وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

وقال اللّه تعالى جامعاً لكل خير ونعيم: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وقد ذكر الله تعالى من أحوال أهل الجنة ما يدعونا إلى الرغبة إليها، والإهتمام بها:

أما حياتهم: فقال تعالى: {فِي عِيْشَةٍ رَاضِيَةٍ}.

وأما سعة الجنة: فقال تعالى:{عَرْضُهَا كَعرضِ السمواتِ والأرض}، وأما طولها فلا يعلمه إلا اللّه.

وأما دورهم: فقال تعالى:{مساكن طيبة في جنات عدن}، وقال تعالى:{حورٌ مقصوراتٌ في الخيام}، روي: أنها خيمةٌ من دُرٍّ مجوفةٌ، أربعةُ فراسخَ في أربعة، عليها أربعةُ آلاف بابٍ من ذهب.

وأما مجالسهم: فقال تعالى:{على سرر موضونة}، وقال تعالى:{على سرر مصفوفة}.

وأما مأكلهم: فقال تعالى:{ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون}.

وأما إدامهم: فقال تعالى:{ولحم طير مما يشتهون}.

وأما بساتينهم: فقال تعالى:{ولمن خاف مقام ربه جنتان}، وقال تعالى:{ومن دونهما جنتان}.

وأما فواكههم: فقال تعالى:{فيهما فاكهة ونخل ورمان}، وقال:{فيهما من كل فاكهة زوجان}.

وأما أنهارهم: فقال تعالى:{فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من عسل مصفى وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشارين}.

وأما شرابهم: فقال تعالى:{ويُسقون فيها كأساً كان مزاجها كافورا}، وفي آية أخري {كان مزاجها زنجبيلاً عيناً فيها تسمي سلسبيلا}، وقال تعالى:{يسقون من رحيقٍ مختومٍ ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون}.

وأما لباسهم: فقال تعالى: {ولباسهم فيها حرير}، وقال تعالى: {يلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق}، وقال:{عالِيَهم ثيابُ سندسٍ خضرٌ وإستبرق}.

وأما زوجاتهم: فقال تعالى: {وحورٌ عينٌ كأمثال اللؤلؤ المكنون}.

وأما زيارة الملائكة عليهم السلام لهم: فقال تعالى: {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين}، **فأما سلام اللّه عليهم**: فقال:{سلامٌ قولاً من رب رحيم}.

وأما فرشهم: فقال تعالى: {متكئين على فرش بطائنها من إستبرق}، وقال:{متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان}.

وأما خدمهم: فقال تعالى:{يطوف عليهم ولدان مخلدون}.

وأما كيزانهم: فقال تعالى:{بأكواب وأباريق وكأس من معين}.

وأما ظلهم: فقال تعالى:{وظل ممدود}، روي أنها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا ينتهي ظلها.

وأما من يسقيهم: فقال تعالى:{وسقاهم ربهم شرابا طهورا}.

وأما رفقاؤهم: فقال تعالى:{أولئك مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً}، وقال تعالى:{ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين}.

وأما استهزاؤهم بأعدائهم: فقال تعالى:{فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون}، وهذه مكافأة لهم بما كانوا يستهزئون بهم في الدنيا.

وأما مدة نعيمهم: فهو أبد الآبدين، لامدة تنتهي، ولا أجل ينقضي، والقرآن ناطق بذلك قال تعالى:{أكلها دائم وظلها}، وقال تعالى:{خالدين فيها أبداً}.

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه، وجنبنا معاصيه، وغفر الله لنا ولكم سالف ذنوبنا، فيما خلا من أعمارنا، وعصمنا وإياكم من اقتراف الآثام بقية أيام دهرنا، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، **بسم الله الرحمن الرحيم: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد}**، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، ولوالدينا ووالديكم، ولكافة إخواننا المؤمنين والمؤمنات، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد: أيها المؤمنون:

ومما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نعيم أهل الجنة أنه قال لعلي عليه السلام: ((يا علي: إن المتقين إذا خرجوا من قبورهم استُقبِلُوا بنوقٍ، عليها رَحائِلُ الذهب يستوون عليها، فتطيرُ بهم حتى ينتهوا إلى باب الجنة، فإذا حِلْقَةٌ من ياقوتٍ على صفائح الباب، وإذا عند البابِ شجرةٌ يَنْبَعُ من أصلها عَينَان، فيشربون من إحدى العينين، فلما بلغ الشرابُ إلى الصدور أخرجَ اللّهُ ما في صدورهم من الغل والحسد والبغي، فذلك قوله تعالى: {ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً}، فلما انتهى إلى البطن طهره اللّه من دنس الدنيا وقذرها، وذلك قوله تعالى: {وسقاهم ربهم شراباً طهوراً}، ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم النضرة والنعيم، لا تَشْعَثُ أشعارُهم، ولا تَتَغَيَّرُ ألوانُهم، فيضربون بالحِلْقَةِ على الصفائح، ولو سمعت لها طنيناً يا علي، فيبلغُ كلَّ حوراءَ أنَّ زوجَها قد قَدِمَ، فتبعث إليه قَيِّمَهُ، فلولا أنَّ اللّهَ عَرَّفَهم نفسَه لخرَّ له ساجداً مما يرى من النور والبهاءِ والحُسن، فيقول: يا ولي اللّهِ أنَا قَيِّمُكَ الذي وُكِّلْتُ بمنزلِك، فينطلق وهو بالأثر حتى ينتهي إلى قصرٍ من الفضة، شُرُفُهُ الذهبُ، يُرى ظاهرُه من باطنه، وباطنُه من ظاهره، فيريد أنْ يدخله، فيقول: يا وليّ اللّهِ أمامَك ما هو أحسن، فينطلق به إلى قصر من الذهب، شُرُفُهُ فِضَّةٌ، يُرى باطنُه من ظاهره، وظاهرُه من باطنه، فيقول: لمن هذا؟ فيقول: هو لك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((ولو مات أحدٌ من أهل الجنة من الفرحِ لمات هو))،

فيريد أن يدخله، فيقول: أمامك ما هو أحسن منه، فلا يزال يمر به على قصورِ جِنَانِهِ وأنهارِهِ، حتى ينتهي به إلى غُرفةٍ من ياقوتٍ أحمرَ وأخضرَ وأصفرَ وأبيضَ، في الغرفةِ سريرٌ، عَرضُهُ فرسخٌ في طولِ ميل، عليه من الفُرُشِ كقدرِ سبعينَ غُرفةٍ، بعضُها فوقَ بعض، فِراشُهُ نُورٌ، وسَريرهُ نورٌ، وعلى رأسِ وليِّ اللّهِ تَاجٌ، لذلك التاجِ سبعونَ رُكْنَاً، في كلِّ ركنٍ ياقوتَةٌ، تُضيءُ مسيرةَ ثلاثةِ أيامٍ للراكب المتْعَبِ، ووجهُه مثلُ القمرِ ليلةَ البدر، عليه طَوقٌ وَوِشَاحَانِ، له نُورٌ يتلألأ، وفي يده ثلاثةُ أَسْوِرَةٍ من فضةٍ وذهبٍ ولؤلؤ، وذلك قوله تعالى:{يحلون فيها من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير}، فيهتز السرير فرحاً وشوقاً إلى ولي اللّه، ويتضع له حتى يستويَ عليه، ثم يهتز في السماء، ثم أتاه قهرمانُهُ بقضيبِ الْمُلْكِ، فجعل يَنْكُتُ فينظر إلى أساس بنيانه، ويَسْتَرِقُهُ مخَافةَ أن يذهبَ بصرُه، فبينا هو كذلك إذ أقبلت حوراءُ عيناءُ، معها سبعون جاريةٍ وسبعون غلاماً، وعليها سبعون حُلة، يُرى مُخُّ ساقها من وراء الحُلَلِ والحُلِيِّ والجلدِ والعظم، كما يُرى الشرابُ الأحمرُ في الزجاجةِ البيضاءِ، وكما يَرون السِّلكَ في الدُّرَّةِ الصافية قال: فلما عاينها نَسِيَ كلَّ شيءٍ قبلها، فتستوي معه على السرير، فيضرب بيده إلى نحرها، وإذا هو يقرأ ما في كَبِدِهَا وإذا فيه مكتوبٌ (أنت حِبِّي وأنا حِبُّكَ، إليك اشتهت نفسي) فذلك قوله تعالى:{كأنهن الياقوت والمرجان}، فيتنعم معها سبعون عاماً، لا تنقطع شهوتها ولا شهوته، فبيناهم كذلك إذ أقبلت الملائكة، وللغرفة سبعون ألف باب، وعلى كل باب حاجب فتقول الملائكة: استأذنوا لنا على ولي اللّه.

فتقول الحُجَّابُ: إنه ليتعاظمنا أن نستأذن لكم عليه، إنه لمع أزواجه، فيقولون: لابد لنا، إنَّا رُسُلُ الجبارِ إليه، فيناجونه فيما بينهم، فيقولون: يا وليّ الجبار، إن الملائكة يستأذنون عليك. فيقول: ائذنوا، ثم تلا قوله تعالى:{والملائكة يدخلون عليه من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار}، {وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً} يعني استئذان الملائكة، فهذا قطرة من مطرة، وغيض من فيض، مما ورد في نعيم أهل الجنة المكرمين.

أيها المؤمنون: وفي مقابل هذا النعيم ما أعد الله من العذاب الأليم، الدائم المقيم، للعصاة والمجرمين، من الفاسقين والفاجرين والمنافقين والظالمين والكافرين، الذي يُرعبُ القلوبُ ذكرَه، ويسيل المدامع استماعه، فقد ملأ الله تعالى القرآن من آيات الوعيد التي تبين ما أعد من العذاب لأعدائه الأشقياء، وذكر أحوالاً من ذلك:

فأما أماكنهم: فقال تعالى: {إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون}، وقال: {فاهدوهم إلى صراط الجحيم}.

وأما بيوتهم: فقال تعالى: {لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش}، وقال: {من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل}.

وأما طعامهم: فقال تعالى: {ليس لهم طعام إلا من ضريع}، وقال: {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون}. وقال: {ولا طعام إلا من غسلين}.

وأما مياههم: فقال تعالى: {وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه}.

وأما ثيابهم: فقال تعالى: {قطعت لهم ثياب من نار}، وقال: {سرابيلهم من قطران}.

فأما عذاب جلودهم: فقال تعالى: {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب}، فقد روي أن جلودهم تبدل في كل لحظة سبعين مرة.

وأما وجوههم: فقال تعالى: {يوم تقلب وجوههم في النار}، وقوله تعالى: {تلفح وجوههم النار} وقد روي: أن النار تلفحهم لفحة تسيل لحومهم على أعقابهم).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن جهنم إذا سيق إليها أهلها لفحتهم لفحة لم تدع لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: {تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون}قال: ((تشويه، فتتقلَّصُ شفتُه العليا حتى تبلغ وسطَ رأسِه، وتسترخي شَفَتُه السفلي حتى تبلغ سُرَّتَهُ)).

وأما رؤوسهم: فقال تعالى: {ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم}، وروي عن النبي صلى

الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: {يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود} قال: (يَنْفُذُ الجُمجُمةَ حتى يَخلَصَ إلى الجوف، ويستلبُ ما في جوفه، ثم تمر من قدميه وهو الصَّهْرُ ثم يُعادُ على ما كان).

وروي في تفسير قوله تعالى: {ولهم مقامع من حديد}، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لو وضع مَقمَعٌ من حديد في الأرض، ثم اجتمع عليه الثقلان ما أَقَلُّوهُ من الأرض)).

وأما ظهورهم وجنوبهم: فقال تعالى: {فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم}.

وأما أيديهم: فقال: {خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه}.

وأما قلوبهم وأعينهم: فقال تعالى: {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة}.

وأما بطونهم: فقال تعالى: {وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم}، فقد روي أن الماء يُقَرَّبُ إليهم، فإذا أُدني منه شوى وجهَه، فإذا شربه قطع أمعاءه).

وأما أرجلهم: فقال تعالى: {إن لدينا أنكالاً وجحيماً} يعني قيوداً.

وفي القرآن من هذا ما هو أكثر، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزأً من جهنم، ولولا أنها غُسلت بسبعين ماءً ما أطاق آدميٌّ أن يُسَعِّرَها، وإنَّ لها يوم القيامة لَصرخَةٌ، لا يبقى ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ إلا جثا على ركبتيه من صرختها، ولو أن رجلاً من أهل النار علق بالمشرق لأحرق أهل المغرب حره)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((إن جبريل أتاه فقال أتيتك حين أمر الله بمنافخِ النار فوضعت على النار تُسَعَّرُ ليوم القيامة. فقال: صف لي النار يا جبريل. قال: إن الله أمر بها فأُوقدَ عليها ألفُ عام حتى احمرّت، ثم أوقدَ عليها ألفُ عام حتى اصفَرَّت، ثم أوقدَ عليها ألفُ حتى اسودَّت، فهي سوداءُ مظلمةٌ لا يُضيءُ لهبُها، ولا خمودَ لها، والذي بعثك بالحق نبيئاً لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أُظهرَ لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذَنُوباً

من شرابها صُبَّ في ماءِ الأرض لقَتَلَ مَن ذَاقَه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض لزالت وما استقلت، ولو أن رجلاً دخل إلى النار ثم أخرج منها لمات أهلُ الأرض من نَتَنِ ريحه، وشَوِيهِ خَلقِهِ وعظمِه، فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجبريل عليه السلام فقال جبريل: أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً، ولم بكيتَ يا جبريل وأنت الروح الأمين أمينُ الله على وحيه؟ فقال: أخاف ربي إن عصيته فيدخلني النار).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((إن في النار لحياتٌ مثلُ أعناق البخت، تلسع أحدَهم لسعةً يجد حُمُوَّتَهَا أربعين خريفاً، وإنَّ في النار عقاربَ أمثالَ البغال تلسعُ أحدَهم لسعةً يجد حُمُوَّتَهَا أربعين خريفاً).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((جهنمُ سوداءُ مظلمةٌ، وأهلُها سودٌ، وطعامُها وشرابُها وما أعدَّ الله لأهلها أسود)).

أيها المؤمنون: ذِكرُ النار شديدٌ فكيف النظرُ إليها، والنظرُ إليها شديدٌ فكيف الوقوعُ فيها، والوقوعُ فيها شديدٌ فكيف الخلود فيها، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين.

أجارنا الله وإياكم من عذابه، وجنبنا من سخطه وعقابه، وألهمنا طاعته وما يقربنا من ثوابه، إنه على كل شيء قدير.

الخاتمة

في صيغ الصلاة على النبي وآله والدعاء في آخر الخطبة

الصيغة الأولى

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه أمراً لازماً، فقال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}**.

اللهم فاجعل أكملَ صلواتك وأشرفَها، وأجملَ تحياتك وألطفَها، وأشملَ بركاتك وأعطفَها، وأجلَّ هباتك وأرأفَها على محمد خاتم النبيين، وأكرم المرسلين، المبعوث في الأميين.

اللهم آتِهِ الوسيلةَ والشرفَ والفضيلةَ والمنزلة الكريمة، اللهم اجعل محمداً يومَ القيامةِ أعظمَ الخلائقِ كلِّهِم شرفاً، وأقربَهم منك مجلساً، وأوجهَهُم عندك جاهاً، وأفضلَهُم عندك منزلةً ونصيباً، اللهم اعطه أشرفَ المقام، وحِباءَ السلام، وشفاعةَ الإسلام، اللهم ألحقنا به غير خزايا ولا ناكثين ولا نادمين ولا مبدلين.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، بنص أبيها سيد الأنبياء.

وعلى الإمامِ الحسنِ بنِ عليٍ، إمامِ المسلمين، وريحانةِ قلبِ النبي الأمين، السبطِ الأكبرِ الشهيدِ المسموم.

وعلى أخيه الإمامِ الحسينِ بنِ عليٍ، شهيدِ كربلاء، وبقيةِ أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات

ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنِّك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، وأوليائهم المخلصين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المؤذين والمفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

فاذكروا الله يذكركم، فإنه ذاكر لمن ذكره، واسألوا الله من رحمته وفضله فإنه لا يخيب عليه داع دعاه، {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار} وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الثانية

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه أمراً لازماً، فقال تعالى **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم فاجعل أكملَ صلواتك وأشرفَها، وأجملَ تحياتك وألطفَها، وأشملَ بركاتك وأعطفَها، وأجلَّ هباتك وأرأفَها على محمد خاتم النبيين، وأكرم المرسلين، المبعوث في الأميين.

اللهم آتِهِ الوسيلةَ والشرفَ والفضيلةَ والمنزلة الكريمة، اللهم اجعل محمداً يومَ القيامةِ أعظمَ الخلائقِ كلِّهِم شرفاً، وأقربَهم منك مجلساً، وأوجهَهُم عندك جاهاً، وأفضلَهُم عندك منزلةً ونصيباً، اللهم اعطه أشرفَ المقام، وحِباءَ السلام، وشفاعةَ الإسلام، اللهم ألحقنا به غير خزايا ولا ناكثين ولا نادمين ولا مبدلين.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، بنص أبيها سيد الأنبياء.

وعلى الإمامِ الحسنِ بنِ عليٍ، إمامِ المسلمين، وريحانةِ قلبِ النبي الأمين، السبطِ الأكبرِ الشهيدِ المسموم.

وعلى أخيه الإمامِ الحسينِ بنِ عليٍ، شهيدِ كربلاء، وبقيةِ أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات

ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنِّك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، وأوليائهم المخلصين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المؤذين والمفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

فاذكروا الله يذكركم، فإنه ذاكر لمن ذكره، واسألوا الله من رحمته وفضله فإنه لا يخيب عليه داع دعاه، {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار} وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الثالثة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليماً **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم اجعل أكمل صلواتك وأشرفَها، وأجمل تحياتك وألطفَها، وأشمل بركاتك وأعطفَها، وأجل هباتك وأرأفَها على محمد خاتم النبيين، وأكرم المرسلين، المبعوث في الأميين، المنتجب للميثاق، المصطفى للرسالة، المطهر من كل آفة، البريء من كل عيب، الموصل إلى النجاة، المرتجى للشفاعة، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، اللهم شرف بنيانه، وعظم برهانه، وأفلج حجته، وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيض وجهه، واعطه الفضل والفضيلة، والدرجة الرفيعة والوسيلة، وابعثه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون.

وصل وسلم على أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، حامل لواء الحمد، وصاحب حوض الكوثر، أسد الله في الأرض على من جحد وكفر وأعرض، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة نساء العالمين، بنص أبيها سيد المرسلين.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد، الولي بن الولي، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا اللهَ العظيمَ يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الرابعة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليماً **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأنمى بركاتك، وأزكى تحياتك، وأشرفَ كراماتك، وأجل هباتك على محمد أمينك على وحيك، ونجيبك من خلقك، وصفيك من عبادك، إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة، كما نصب لأمرك نفسه، وعرض للمكروه بدنه، وكاشف في الدعاء إليك حامته، وحارب في رضاك أسرته، وقطع في إحياء دينك رحمه، وأقصى الأدنين على جحودهم، وقرب الأقصين على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين، وعادى فيك الأقربين، وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك، وأتعبها بالدعاء إلى ملتك، وشغلها بالنصح لأهل دعوتك، وهاجر إلى بلاد الغربة ومحل النأي عن موطن رحله، وموضع رجله، ومسقط رأسه، ومأنس نفسه، إرادة منه لإعزاز دينك، واستنصاراً على أهل الكفر بك، اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك، حتى لا يساوى في منزلة، ولا يكافأ في مرتبة، ولا يوازيه لديك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وعرفه في أهله الطاهرين وأمته المؤمنين من حسن الشفاعة أجل ما وعدته، يا نافذ العدة يا وافي القول، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات، إنك ذو الفضل العظيم.

وصل وسلم على أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، حامل لواء الحمد، وصاحب حوض الكوثر، أسد الله في الأرض على من جحد وكفر وأعرض، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة نساء العالمين، بنص أبيها سيد المرسلين.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد، الولي بن الولي، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين،

وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الخامسة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليماً **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم اجعل أفضل صلواتك، وأنمى بركات، وأزكى تحياتك فضلاً وعدداً، على أشرف الخلائق الإنسانية، ومجمع الدقائق الإيمانية، واسطة عقد النبيين، ومقدم جيش المرسلين، حامل لواء العز الأعلى، ومالك أزمة المجد الأسنى، محمد بن عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، اللهم شرف بنيانه، وعظم برهانه، وأفلج حجته، وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيض وجهه، واعطه الفضل والفضيلة، والدرجة الرفيعة والوسيلة، وابعثه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت

الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اجعلنا في هذا الشهر من عتقائك وطلقائك ونقذائك من النار، وإذا كان لك في ليالي شهرنا هذا رقاب يعتقها عفوك، أو يهبها صفحك، فاجعل رقابنا من تلك الرقاب، واجعلنا لشهرنا من خير أهل وأصحاب، إنك كريم منعم وهاب.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء

قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة السادسة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والتسليم على نبيكم محمد صلى الله عليه وآله فريضة منه واجبة، وكرامة فاضلة فقال تعالى **{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}**.

اللهم فاجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، وأزكى تحياتك وأفضل سلامك ومعافاتك، على محمد عبدك ورسولك وصفيك ونجيك وأمينك وخيرتك من خلقك، الداعي إليك بإذنك، والهادي إلى سبيلك، والشاهد على عبادك، البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي وعدته، وبلغه الدرجة والوسيلة والكرامة والشفاعة والذراعة والفضيلة، واجعلنا ممن تشفعه فيه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات

ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

عباد الله: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة السابعة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليماً **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، وأزكى تحياتك فضلاً وعدداً، على نبيك الشفيع المشفع، والهمام الأروع، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدامغ صولات الأضاليل، والدافع جيشات الأباطيل، اللهم شرف بنيانه، وعظم برهانه، وأفلج حجته، وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيض وجهه، واعطه الفضل والفضيلة، والدرجة الرفيعة والوسيلة، وابعثه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت

الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الصيغة الثامنة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه أمراً لازماً، فقال تعالى {ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}، وقال صلى الله عليه وآله ((من صلى علي صلاة واحدة، صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفع له عشر درجات، وكتب له عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، واستبق ملاكاه الموكلان به أيهما يبلغ روحي منه السلام)).

اللهم فاجعل أكملَ صلواتك وأشرفَها، وأجملَ تحياتك وألطفَها، وأشملَ بركاتك وأعطفَها، وأجلَّ هباتك وأرأفَها على محمد خاتم النبيين، وأكرم المرسلين، المبعوث في الأميين.

اللهم آتِهِ الشرفَ والوسيلةَ، والمنزلة الكريمة والفضيلةَ، اللهم اجعل نبينا محمداً يومَ القيامةِ أعظمَ الخلائقِ كلِّهِم شرفاً، وأقربَهم منك مجلساً، وأوجهَهُم عندك جاهاً، وأفضلَهُم عندك منزلةً ونصيباً، اللهم اعطه أشرفَ المقام، وحِباءَ السلام، وشفاعةَ الإسلام، اللهم ألحقنا به غير خزايا ولا ناكثين ولا نادمين ولا مبدلين.

وصل وسلم على أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، بنص أبيها سيد الأنبياء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى

بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، وعلى الصحابة الأبرار، من المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان في سائر الأعصار إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم ومن أرادنا بسوء أو أذية في بلداننا أو مقدساتنا أو مساجدنا أو مسجدنا هذا، أو في أهالينا وأولادنا وأموالنا وما أحاطت عليه شفقة قلوبنا، فاردد كيده في نحره، واجعل تدميره في تدبيره، واكفنا شره، وادفع عنا ضره، كيف شئت وأنى شئت.

اللهم عليك باليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، والظالمين والمستكبرين، اللهم اجعلهم وما أجلبوا غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم خالف بين كلمتهم وألق الرعب في قلوبهم، وأنزل عليهم رجزك ونقمتك وبأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، اللهم انصر جيوش

المسلمين وسراياهم ومرابطيهم في مشارق الأرض ومغاربها، المجاهدين في سبيلك لإعلاء كلمتك، وإحياء دينك وشريعتك، اللهم انصر المستضعفين والمظلومين، وخذ بثأرهم من الظالمين والمستكبرين، يا رب العالمين، إنك على كل شيء قدير.

اللَّهُمَّ إنَّ أَحْزَابَ الضَّلَالِ قَدْ تَجَمَّعَتْ فَاهْزِمْهَا، وَإِنَّ جُنُودَ الطُّغْيَانِ قَدْ تَكَالَبَتْ وتحالفت فَاحطِمْهَا، فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ لِقُدْرَتِكَ قَائِمٌ، وَلَا يَثْبُتُ لِصَوْلَتِكَ جَيْشُ ظَالِمٍ، وَإِنَّكَ بِمَا نُلَاقِي مِنْ الظالمين والمتَمَرِّدِينَ والمنافقين عَالِمٌ، وَقَدْ رَجَوْنَاكَ لِقَشْعِ سَحَابِ الطُّغْيَانِ، وَأَنْتَ الحَنَّانُ المنَّانُ.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، وأوليائهم المخلصين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

فاذكروا الله يذكركم، فإنه ذاكر لمن ذكره، واسألوا الله من رحمته وفضله فإنه لا يخيب عليه داع دعاه، {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار} وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

الصيغة التاسعة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه أمراً لازماً، فقال تعالى: **{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}**.

اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك ونبيك صلاة نامية زاكية، ترفع بها درجته، وتبين بها فضله، اللهم اعط محمداً الوسيلة والشرف والفضيلة والمنزلة الكريمة، اللهم اجعل محمداً أعظم الخلائق كلهم شرفاً، يوم القيامة وأقربهم منك مجلساً، وأوجههم عندك يوم القيامة جاهاً وأفضلهم عندك منزلة ونصيباً، اللهم اعطه أشرف المقام، وحباء السلام، وشفاعة الإسلام، اللهم وألحقنا به غير خزايا ولا ناكثين ولا نادمين ولا مبدلين.

وصل وسلم على أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، بنص أبيها سيد الأنبياء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى إمام الحاضر والباد، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، إمام الزيدية إلى يوم التناد، الشهيد السعيد زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين، الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، وعلى الصحابة الأبرار، من المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين وتابعيهم

بإحسان في سائر الأعصار إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم عذب كفرة أهل الكتاب والمشركين والمنافقين الذين يصدون عن سبيلك، ويجحدون آياتك، ويكذبون رسلك، اللهم خالف بين كلمتهم وألق الرعب في قلوبهم، وأنزل عليهم رجزك ونقمتك وبأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطيهم في مشارق الأرض ومغاربها، إنك على كل شيء قدير.

اللهم اغفر للأحياء من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الذين وحدوك وصدقوا رسولك، وتمسكوا بدينك، وعملوا بفرائضك، واقتدوا بنبيك، وسنوا سنتك، وأحلوا حلالك، وحرموا حرامك، وخافوا عقابك، ورجوا ثوابك، ووالوا أولياءك، وعادوا أعداءك، اللهم اقبل حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم، وأدخلهم برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم اجعل التقوى زادهم، والإيمان والحكمة في قلوبهم، وأوزعهم أن يشكروا نعمتك التي أنعمت عليهم، وأن يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه إله الحق وخالق الخلق، اللهم اغفر لمن توفى من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الذين توفيتهم على دينك وملة نبيك صلى الله عليه وآله، ولمن هو لا حق بهم من بعدهم منهم، اللهم تقبل حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم، وأدخل عليهم الرحمة والمغفرة والرضوان، إنك أنت العزيز الحكيم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، وأوليائهم المخلصين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المؤذين والمفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.

فاذكروا الله يذكركم، فإنه ذاكر لمن ذكره، واسألوا الله من رحمته وفضله فإنه لا يخيب عليه داع دعاه {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار} وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

الصيغة العاشرة

واعلموا عباد الله أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلث بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه، فقال عز من قائل عليماً **{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**.

اللهم داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، وأزكى تحياتك فضلاً وعدداً، على نبيك الشفيع المشفع، والهمام الأروع، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدامغ صولات الأضاليل، والدافع جيشات الأباطيل، اللهم شرف بنيانه، وعظم برهانه، وأفلج حجته، وارفع درجته، وأضئ نوره، وبيض وجهه، واعطه الفضل والفضيلة، والدرجة الرفيعة والوسيلة، وابعثه مقاماً يغبطه به الأولون والآخرون.

وعلى أخيه أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أبي الأئمة الأطايب، ليث الله الغالب، علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته البتول الغراء، الطاهرة الزهراء، سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء.

وعلى الإمام الحسن بن علي، إمام المسلمين، وريحانة قلب النبي الأمين، السبط الأكبر الشهيد المسموم.

وعلى أخيه الإمام الحسين بن علي، شهيد كربلاء، وبقية أبناء الأنبياء، السبط الأصغر الشهيد المظلوم.

وعلى الإمام الولي بن الولي، ذي المنهج الجلي، والمذهب الرضي، فاتح أبواب الجهاد والإجتهاد، الشهيد السعيد، زيد بن علي.

وعلى إمام اليمنيين واليمن، المبشر به على لسان النبي المؤتمن، الهادي للحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم.

وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين، الدعاة منهم والمقتصدين، وعلى أهل البيت الأكرمين،

الأصفياء الطاهرين، والعترة النجباء المختارين، الهداة السابقين، وذرياتهم وذريات ذرياتهم، العلماء الصادقين، الأبرار المتقين، الذين جعلهم الله دعائم الدين، وأركان التوحيد واليقين، والحجة على الخلق أجمعين، واستخلفهم في الأرض، واصطفاهم لعباده، وارتضاهم لدينه، وخصهم بمعرفته، وندبهم بحكمته، وألبسهم من نوره، ورفعهم في ملكوته، وحفهم بملائكته، وعلى الصحابة المؤازرين، من الأنصار والمهاجرين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا رازق الضعفاء والمساكين، اغفر لنا وارحمنا، واهدنا وعافنا وارزقنا، وأصلح لنا ديننا فإنه عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيه معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر، وأصلح مَن في صلاحِه صلاحٌ للإسلام وأهله، وأهلك من في هلاكه صلاح للإسلام وأهله، واجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأدل لنا ولا تدل منا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ لنا بثارنا ممن ظلمنا، يا رحيم يا رحمن، إنك على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اسقنا الغيث وآمنا من الخوف، غيث الإيمان في قلوبنا، وغيث الرحمة المنزلة في أوطاننا، غيث النعمة والرحمة، لا غيث السخط والنقمة.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأعز الإسلام والمسلمين، وأقم وأيد شريعة سيد المرسلين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ العلماء العاملين، يا رب العالمين، وافضح المنافقين والمعتدين، ودمر المفرقين بين المؤمنين، إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

الفهرس